شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري (ج21)

المؤلف

أبو الحسن علي بن الحسين (ابن عروة)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في المكتبة الظاهرية.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوط رقم	١٠١٥ م.ك	الموضوع	جديث
العنوان	الكواكب الدرارى في ترتيب مسند الامام احمد على ابواب البخارى ج٢١		
المؤلف	ابن عروة المشرقي علاء الدين ابو الحسن علي بن حسين بن عروة بن حميد الدمشقي الحنبلي (- ٨٣٧ هـ)		
أوله	بسم الله الرحمن الرحيم ... ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ... قوله : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت يعني الاساس ...		
آخره	... وانا معكم من الشاهدين فنسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يجعلنا من الصادقين المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون انه على كل شيء قدير ... والحمد لله رب العالمين اخر الجزء الحادى والعشرون		
تاريخ النسخ	٨٢٥ هـ		
إسم الناسخ	ابراهيم بن محمد بن محمود الحنبلي		
نوع الخط	نسخ	عدد الأوراق	٢٥٧ق
لغة المخطوط		عدد الأسطر	٢٧
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات	نسخة مصححة . فيه من تفسير سورة البقرة وقطعة من المفتاح في عجائب المخلوقات ومن فضائل الذكر وغير ذلك .		
مصدر المخطوط	المكتبة الظاهرية : ٥٥٨		
المراجع	معجم المؤلفين : ٧٤/٧ // الاعلام للزركلى : ٢٨٠/٤ // هدية العارفين : ٧٣١/١		

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالكتاب والسنة من لم يقر بالقرآن وكفر بما عداه لا يصلى الجمعة
في جماعة ولا يقتدي به وقال أبو حنيفة النيسابوري من أقر أن الله على كل شيء
قدير ولا يوقن أنه يطيق بالملك ومن يشاء الله على كل شيء قدير ولا يوقن أنه على كل شيء
لأن الله تعالى يقول وإن تطيعوه تهتدوا وقال عز وجل إن الله على كل شيء قدير
لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وكثير من الناس من يغلط في هذا الموضع
فيظن في شخص أنه ولي لله وليس كذلك لأن ولي الله هو الذي يعلم ما أمر الله به ورسوله
ويفعله وإن خالف الكتاب والسنة فعلى نقيض ذلك الشخص ويخالف ما بعث الله به
رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وجعل
الفارق بينه وبين أعدائه وبين أهل الجنة وبين أهل النار فمن استعد
والاستقصاء من اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده الغالبين وعباده المفلحين
ومن لم يتابعه كان من أعداء الله الذين حق عليهم كلمة العذاب وأصل التصوف حقيقة الإيمان
بالله ورسوله فلا بد من الإيمان بأن محمدا رسول الله إلى جميع الخلق وجب عليهم
وعلى جميع عبادهم وملوكهم وأنه لا طريق إلى الله إلا من طريق الاتباع
باطنا وظاهرا حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم
اتباعه كما قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين
فسبحان الله العظيم رب العرش العظيم أن يخلو من أهل دين في مشارق
الأرض ولا مغاربها ولا يعرفون أنه على كل شيء قدير وبالله التوفيق
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
والحمد لله رب العالمين

آخر المجلد الحادي والعشرين من الكواكب الدراري والحمد لله رب العالمين
حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته
ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وكان الفراغ منه يوم الخميس ثامن عشر
شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وسبحان من على بالأقدار عباده
ومعقب بالخير من أحب من خلقه ذا من بلد الخير فعفر له كاتبه ولقارئه
ولمن نظر فيه ولجميع المسلمين آمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بلى اقلت لكانك تابته العام قال الا قال فانك آتيته وبطوف به فذهب عمر
الى ابي بكر وقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه بمثل جواب
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ابو بكر سمع جواب النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه الله وللنبي صلى الله عليه وسلم بما من عمر وعمر رضي الله عنه رجع عن ذلك وقال فعلت
لذلك اعالا وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم انكر موته او لا حتى قال ابو بكر
امهلت فرجع عمر عن ذلك وكذلك في حال ما بني المدينة وقال عمر لابي بكر كيف
تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فمن قالها فقد عصم مني دمه وماله
الا بحقها فقال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله
لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال
عمر فوالله ما هو الا ان رايت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلمت انه الحق
ولهذا نظائر من تقديم ابي بكر على عمر مع ان عمر مجتهد وان منزلة الصديق فوق
مرتبة المحدث لان الرسول الصديق تلقى عن الرسول المعصوم كلما يقوله ويفعله
والمحدث ياخذ عن ولي اشيا وقلبه لين ليس بمعصوم فيحتاج ان يعرضه على ما
جاء به النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم ولهذا كان عمر يشاور الصحابة ويناظرهم
ويرجع اليهم في بعض الامور وينازعونه في اشيا فيحتج عليهم ويحتجون عليه
بالكتاب والسنة ويقومهم على ما نازعته فيه لا يقول لهم انا محدث مثلكم يخاطب
فينبغي لكم ان تقبلوا مني لانعارضوني فان من ادعى ادعى انه معصوم وان الله
وانه مخاطب يجب على الناس ان يقبلوا كل ما يقوله ولا يعارضونه وسنبين ان هذا حال
من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون ومثل هؤلاء من افضل
الناس بعد الانبياء الخطاب افضل منه وهو كثير المؤمنين وكان المخلوق ينازعونه
ويعارضون ما يقوله هو وهم على الكتاب والسنة وقد اتفق سلف الامة وائمتها
على ان كل احد يؤخذ من قوله ويترك الا الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا من
الفروق بين الانبياء وغيرهم فان الانبياء يجب الايمان بجميع ما اخبروا به عن الله
وتجب طاعتهم فيما امروا به بخلاف الاولياء فلا تجب عصمتهم في كل ما اخبروا
به ولا الايمان بجميع ما اخبروا به بل يعرض اخبارهم واخبارهم على الكتاب
والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة

كان

كان مردودا ولو كان صاحبه من اولياء الله وكان مجتهدا معذورا فيما
قاله له اجر على اجتهاده ولكنه اذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا وكان
من الخطا المغفور اذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع فان الله يقول
اتقوا الله ما استطعتم وهذا تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته قال ابن مسعود وغير حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر
فلا ينسى وان شكر فلا يكفر اي بحسب استطاعتكم فان الله لا يكلف نفسا الا
وسعها كما قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
وقال تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا نكلف نفسا الا وسعها وقد ذكر الله سبحانه الايمان بما جاء به الرسل في غير
موضع كقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وقال تعالى الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم
يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقال تعالى ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ٥ وهذا الذي ذكرته من ان الله
يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة وانه ليس فيهم معصوم يتبع
كلامه على الاطلاق هو مما يتنازع فيه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق
عليه اولياء الله ومن خالف في هذا فليس من اولياء الله بل اما ان يكون كافرا واما ان يكون
مخطئا فيما تاول فيه وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا التنبيه على كلام
المشايخ كقول ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا
اقبلها الا باثنين بالكتاب والسنة وقول ابي القاسم الجنيد علمنا هذا مقيد

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعلى ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وقد ثبت في الصحيح ان الله استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت على صحيح مسلم عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال دخل قلوبهم منها شيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا واطعنا وسلمنا فالقى الله الايمان في قلوبهم فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى لما قال قد فعلت لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقد ثبت في الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر وقد ثبت في الصحيح ان الله تجاوز لهذه الامة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وجعل خطأ المجتهد المغفور له لكن المجتهد المصيب له اجران فما فضل الخطأ ولما كان ولي الامر يجوز ان يعاقب على ما يراه من ترك واجب او فعل محرم بقول من هو ولي له الا ان يكون مسائل ولا يجوز لولي الامر ان يعاقب على ما يراه من الحق بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه على ما جاء به الرسول فما وافقه قبله وان خالفه تركه وان اشتبه توقف فيه وانا اذكر لك هذا الباب مطلقا ان شاء الله تعالى واعتمد في كل ما يقال من هذا على ما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم ما يقال من الاعتراض ويكون مما يعتمد عليه في الشرع اخرجه عن الاجتهاد ما كان مجتهدا فيه من الاقوال والافعال وان كان مجتهدا فيه بين العلماء فان الواجب على كل احد اتباع ما علم انه امر به رسوله واما ما خالف قول بعض

الفقهاء

الفقهاء وافق اخرين لم يكن ان يلزمه بقول المخالف ويقول هو خالف الشرع وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد منهم فعمر منهم وروى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو لم ابعث فيكم لبعث الله فيكم عمر وفي حديث اخر ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه وفي لفظ لو كان بعدي نبي لكان عمر وكان على اسان ابي طالب مقولها كانا نعد ان السكينة تنطق على لسان عمر ثبت هذا عنه من رواية الشعبي وقال ابن عمر ما كان يحدث بحديث الا رآه كذا الان كما يقول وعن يونس بن عبيد قال كنا نتحدث ان عمر ينطق على لسانه ملك وكان عمر يقول افترسوا من افواه المطيعين فراستهم فانهم ينظرون بنور الله تتجلى لهم امور صادقة وهذه الامور الصادقة التي اخبر عمر ان الخطاب انها تتجلى للمطيعين هي الامور التي كشفها الله لهم فقد ثبت ان لا ولياء الله مخاطبات ومحادثات واول هذه الامة بعد ابي بكر عمر بن الخطاب فان غير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر وقد ثبت في الحديث الصحيح بقين عمر انه محدث من هذه الامة فاي محدث ومخاطب مرض في امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل منه ومع هذا فان عمر يفعل ما هو الواجب عليه فيعرض ما وقع له على ما جاء به الرسول فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضايل عمر كما نزل القرآن موافقا لعمر غير مرة وواحق ربه غير مرة وقاره مخالفته مع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين والحديث معروف في الصحاح وعن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اعتمر ست من الهجرة ومعه المسلمون حوالف وارعابه وهم الذين بايعوه تحت الشجرة وكان قد صاح المشركين بعد مرجعه خرجت منه وبينهم على ان يرجع ذلك العام ويعتمر من العام القابل ويشرط لهم شروطا منع غضاضة بالمسلمين فشق ذلك على كثير من المسلمين وكان الله ورسوله اعلم واحكم بما في ذلك من المصلحة وكان عمر ممن شق عليه حتى قال للنبي صلى الله عليه وسلم الست نبي الله حقا قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله وهو ناصري ولست اعصيه قال اوليس كنت تحدثنا انا نأتي البيت ونطوف به قال

وقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال
اخر ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام فقال
علي ابن ابي طالب الجهاد في سبيل الله افضل مما ذكرتما فانتهرهما عمر وقال
اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اذا صليت الصلاة
سألته فانزل الله تعالى بقولهما الاية وفي الصحيحين عن عبد الله بن
مسعود قال قلت يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الصلاة على وقتها
قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني
بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني وفي الصحيحين عنه قال
انه سئل اي الاعمال افضل قال الايمان بالله وجهاد في سبيل الله قيل ما
ذا الحج مبرور وفي الصحيحين ان رجلا قال لرسول الله اخبرني بعمل
يعدل الجهاد في سبيل الله قال لا اجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد ان
تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك وفي الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم
لا يفتر من صلاة ولا صيام وفي السنن عن معاذ لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم
لما بعثه الى اليمن قال يا معاذ اتق الله وابتغ الخبء الخفي يحمد وخالق
الناس بخلق حسن وفي اسناده ابي لا اعلم فلانا عن من قال لي وهو
كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال لي وهو
رديفه يا معاذ اتدري ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال
حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد على الله
اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ان لا يعذبهم
وقال يا معاذ ذروة الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه
الجهاد في سبيل الله وقال يا معاذ الا اخبرك بابواب الخير الصوم
جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل في جوف
الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه
قلت بلى قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه
الجهاد في سبيل الله ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى
فاخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمؤاخذون

بما

نتكلم به قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم
الا حصائد السنتهم وتفسير هذا ما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت فالتكلم
بالخير خير من السكوت والصمت عن الشر خير من التكلم فالصمت
التام فيه مندوب عنه وكذلك الامتناع من اكل الخبيث واللحم وشرب
الخمر فقد ذم البدع المذمومة كما ثبت في البخاري عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فقال ما هذا قالوا ابو اسرائيل
نذر ان يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ولا يصوم فقال مروه فليستظل
وليتكلم وليتم صومه وفي الصحيحين عن ابن عباس ان رجلا اتوا
عن عباده رسول الله صلى الله عليه وسلم في السر فتقالوها فقالوا واين نحن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال انا
اقوم ولا انام ويقول الاخر فانا لا اكل اللحم ويقول الاخر انا فلا اتزوج النساء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال رجال قالوا كذا لكني اصلي وانام واصوم وافطر
واكل اللحم واتزوج النساء من رغب عن سنتي فليس مني وقد ثبت عنه
من سنتي ان يأكل غير هذا طعاما ان غير هذا خير منه فمن كان كذلك فهو
يريد ان الله ورسوله يحبه على كل مؤمن ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم كما ثبت عنه في الصحيح انه كان يخطب بذلك
في كل جمعة ٥ فصل وليس من شرط ولي الله ان يكون معصوما
لا يغلط ولا يخطئ بل يجوز ان يخفى عليه بعض امر الشريعة ويجوز ان تشتبه
عليه بعض امور الدين حتى تحتاج بعض الامور عما امر الله ورسوله ويكون ما نهى الله عنه
ويجوز ان يظن في بعض المباحات انها من كرامات اولياء الله ويكون من
الشيطان لبس عليه ليتنقص درجته ولا يعرف انها من الشيطان
وان يخرج ذلك عن ولاية الله سبحانه وتعالى لتجاوزه لهذه الامة خطأها
والنسيان فقد قال تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت

ظفره اذا كان مباحا كما قيل كم من صديق في قماوكم من زنديق في
عباد ينوحدون في جميع اصناف امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا لم نكن من
اهل البدع الظاهرة والفجور فيوجدون في اهل القران واهل العلم
ويوجدون في اهل الجهاد والسيف ويوجدون في التجار والصناع والزراع
وقد ذكر الله تعالى اصناف امة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان ربك
يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك
والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر
من القران علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وكان
السلف يسمون اهل القران والدين القراء فيدخل فيهم العلماء والنساك
ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية وهو نسبة الى لباس الصوف هذا امر
الصحيح وقيل انه نسبة الى صوفة القفا وقيل الى صوفانة مسجد اصحاب
طاحنة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بالبيت وقيل الى اهل الصفة
وقيل الى الصفا وقيل الى الصفة فقيل الى الصف المقدم ومن عدى الصفة
وهذه اقرب الصيغة فانه لو كان كذلك لقيل صفي او صفوي
او صفي ولم يقل صوفي وصار ايضا اسم للفقر اعني به اهل الزهد
وهذا عرف حادث وقد تنازع الناس ايما افضل مسمى الصوفي او مسمى
الفقير وتنازعوا ايما افضل الغني الشاكر او الفقير الصابر وهذه
المسالة مما تنازع فيها قديما بين الجنيد وبين ابي العباس بن عطا وقد روى
عن احمد بن حنبل فيها روايتان والصواب في هذا كله ما قاله الله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الناس افضل فقال اتقاهم فقيل ليس عن
هذا نسالك فقال فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن اسحق نبي الله
ابن ابراهيم خليل الله فقيل ليس عن هذا نسالك فقال عن معادن العرب
تسالوني فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة خياركم في
الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا اول الكتاب والسنة ان اكرمكم

عند الله

عند الله اتقاكم وفي المتفق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا فضل لعربي على عجمي
ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على ابيض ولا لابيض على اسود الا بالتقوى
الناس من ادم وادم من تراب وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذهب
عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء الناس رجلان مؤمن تقي وفاجر شقي
ممن كان من هذه الاصناف اتقى لله فهو اكرم عند الله واذا استوى رجلان
في التقوى استويا في الدرجة فقط والله اعلم واما الفقر فهو الشرع
يدل على ان الفقر المحمود الى خالقه وعلى انما الصدقات للفقراء قال الله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله وقد مدح الله تعالى في القران صنفين من الفقراء اهل الصدقات
واهل الفيء فقال في الاول للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون
الناس الحافا فوصفهم بالصفة الثاني وهو افضل الصنفين للفقراء الذين المهاجرين
اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله
ورسوله اولئك هم الصادقون وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيات
وجاهدوا اعداء الله بنا لمناوظاهرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للذين من امنه
الناس على ما عليهم واموالهم وللمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر
من هجر ما نهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله واما الحديث
الذي يروى بعضهم انه قال في غزوة تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فلا اصل له ولم يروه احد من اهل المعرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما
جهاد الكفار من اعظم الجهاد والاعمال بل هو افضل ما يطوع به الانسان
قال الله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في
سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون
عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اعظم درجة عند الله فاولئك هم الفائزون
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها
ابدا ان الله عنده اجر عظيم وثبت في صحيح مسلم وغيره عن النعمان بن بشير

شبكة الألوكة www.alukah.net

تقتا لقوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا
وكانوا يتقون وفي صحيح البخاري الحديث المشهور يقول الله تعالى ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب الى الله
بالفرائض مع ما يكون من الاقرار باطنا بالايمان ثم بعد ذلك يتقرب الى
الله بالنوافل حتى يعرف من الملتقين المتقين فعلم ان اصل الفلاح
والمتقين لا يكون الا لمن جمع الايمان وعباداته وان يتدرج
انهم عليه مثل اطفال الكفار ومن لم يتبع ايمانه وعباداته وان يتدرج
انهم لا يعذبون حتى ترسل اليهم رسولا فكيف يكونون من اولياء الله الا ان يكونوا
من المستقين فمن لم يتق الله لا يفعل المحظورات ولا يترك الواجبات
لم يكن من اولياء الله وكذلك المجانين والاطفال فان النبي صلى الله عليه وسلم رفع
القلم عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم وعن النائم حتى يستيقظ هذا
الحديث قد رواه اهل السنن من حديث علي وعائشة واتفق اهل المعرفة
على تلقيه بالقبول لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جماهير
العلماء واما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عباداته بالاتفاق العلماء
لا يصح لا وعنه ايمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات بل
لا تصح عند عامة العقلاء الا من امور الدنيا كالتجارة والصناعة فلا يصح ان
يكون نبيا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا ولا تصح عقود بالاتفاق
العلماء فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا اجارته ولا طلاقه ولا اقراره ولا شهادته
ولا غير ذلك من اقواله لغو لا يتعلق به حكم شرعي وهو لا يقوم بالفرائض
عقاب خلاف الصبي المميز فان اقواله معتبرة في مواضع بالنص والاجماع
وفي مواضع بالقياس فاذا كان المجنون لا يصح منه الايمان والتقوى
ولا التقرب الى الله بالفرائض والنوافل تحقق ان يكون من اولياء الله
فلا يجوز ان يعتقد انه ولي لله ويعتقد فيه ما يعتقد في اولياء الله من
سماعه منه او نوع تصرف فيه ان يراه قد اشار الى ولي من اوليائه
صرح فانه قد علم ان الكفار والمنافقين من المجانين في اهل الكتاب
لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين

واهل

لا بعد بلوغ الرسالة وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون
وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما وقال تعالى عن اهل النار
كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء فاخبر انه كلما القي في النار فوج اقروا بانهم جاءهم
النذير فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقى فيها الا من كذب النذير وقال تعالى
في خطاب لابليس لاملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين فاخبر انه يملاها
بابليس ومن اتبعه واذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لا يدخل النار الا
من اتبع الشيطان وهذا يدل على انه لا يدخل النار من لا ذنب له فانه لم يتبع
الشيطان ولم يكن مذنبا ومن الناس من هو مؤمن ايمانا عاما
مجملا واما الايمان المفصل فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم
يبلغه بعض ذلك ويكون من بلغه عن الرسل وما لم يبلغه لم يعرفه ولو بلغه لامن
به لكن من مما جاءت به الرسل مجملا فهذا اذا امن بما علم ان الله امره به مع
ايمانه فهو من اولياء الله تعالى لمن ولاية الله بحسب ايمانه وتقواه وما لم
تقم عليه الحجة به فان الله لم يكلفه معرفته والايمان المفصل به ولا يعذبه
على تركه لكن يفوته من كمال ولاية الله بحسب ما فاته من ذلك فمن علم
مما جاءت به الرسل وامن به ايمانا مفصلا وعمل به فهو اكمل ايمانا وولاية
لله ممن لم يعلم ذلك مفصلا ولم يعمل به وكلاهما ولي لله والجنة درجات
متفاضلة تفاضلا عظيما واولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحسب ايمانهم
وتقواهم قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا
له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو
مومن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما
كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا فبين سبحانه انه من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة

من

الموضوع

من عطاء ربه وان عطاء ربه كان محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فبين سبحانه
ان اهل الاخرة يتفاضلون فيها اكبر مما يتفاضل الناس في الدنيا وان درجاتها
اكبر من درجات الدنيا وقد بين تفاضل انبيائه كتفاضل بعض عباده
المومنين وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن القوي خير واحب الى الله
من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان
لو تفتح عمل الشيطان وفي الصحيح عن ابي هريرة وعمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطأ فله اجر وقد
قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بامولهم وانفسهم فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل
الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله
غفورا رحيما وقال تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن
بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم
وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب وقال
تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون
خبير وقال ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
فصل ولذا كان العبد لا يكون وليا لله الا اذا كان مومنا

شبكة الألوكة www.alukah.net

من الزور ونحوه اكمل منه حقيقة وشرعا واما القلب عن الحقد الكوني
شهود فعله فانه متى صحا استحال عقلا ان يجد او ان يصدر كل شيء
مشيئة الله وحده وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه لا يتحرك متحرك
في ظاهره وباطنه الا به سبحانه فللاشتغاله العظيمة عن هذا المشهد باستغراقه
في القصد والطلب والفعل اذ حكمة جارية على هذا الحال ولكن ضيق
قلبه عن استحضار ذلك وقت اشتغاله برفعه وطلبه دينا لا يليق به
ولا للعامة ولا التفاته الى مقامه ايضا فان الذي يفعل خلاف الامر وهذا
ليس كذلك ولا مطالبا بالغيبة بشهود المشيئة والقضاء عن شهود
الفعل وقيامه به مع اعتقاده انه بمشيئة الله وحوله وقوته وانما يذكر
من ان مشاهدة القرب يجعل القصد قعودا فهو لم يجئ وقد افصح عنه
بعض المغرورين المحدودين بقوله

يا بانة العلم لا ترقراها والى طلال لا سبي متنقلا
فلسوف تعلم ان سيتركني لم يكن الا لبيك اذا لقيت المنزلا

وكان صاحبه مشيرا الى انه وجود قلبه ولسانه ووجوده اقرب اليه من ارادته
منطقه هذا حتى هذا الكلام وتعالى الله عن الحاد هذا وامثاله في الكلام
علوا كبيرا بل هو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه واسماؤه
ذاكرهم من القرب فاذا ردتم عموم قربه الى كل انسان من نطقه والى كل
قلب من قصده فهذا الوصف لكان قرب قدره وعلمه واحاطة لا قرب الذات
والوجود فانه لا يمازج خلقه ولا يخالطهم ولا يختلط بهم مع ان هذا المعنى
يرد عن الله ورسوله ولا اخذ من السلف الاخيار تسميته قربا وانما جاء في القرآن
والسنة قط الا خاصا كما تقدم واذا ردتم القرب الخاص الى الانسان
والقلب فهذا قرب المحبة وقرب الرضا والانس كقرب العبد من ربه
وهو ساجد وهو موضع آخر من القرب حالا ومحلا لا يطرد في الروح والقلب
تقرب من الله تعالى وهو على عرشه والروح في البدن وهذا القرب
لا ينافي القصد والطلب بل هو مشروط بالقصد متخيل وجوده بدونه
وكلما كان الطلب والقصد اتم كان هذا القرب اقوى فان قيل فكيف
تصفون بقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه

ونحن

ونحن اقرب اليه من حبل الوريد قيل هذه الآية فيها قولان للناس احدهما انه قرب
علمه وهذا قرب يعلم به كل موسوس بنفسه الانسان وحبل الوريد هو حبل العنق
وهو عرق بين الحلقوم والودجين متى قطع مات صاحبه واجرى القلب وهذا
الحبل يجري بعضها بعضا وعلم الله ما تسر العبد وما في ضميره لا يحتاج الى القول
الثاني انه قربه من العبد ملائكته الذين يصلون الى قلبه فيكون اقرب اليه من
ذلك العرق قال ابن القيم اختاره شيخنا وسمعته يقول هذا مثل قولهم
نحن عليك اخوف منا عليه وقولهم فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فان جبريل عليه السلام
هو الذي قرأه عليه بأمر الله فنسبة قربه اليه اذ هو بأمره وكذلك جبريل
هو الذي قرأه عليه كما في صحيح البخاري عن ابن عباس في تفسير هذه الآية فاذا
قرأناه فاتبع قرآنه فكان اذا قرأ عليه جبريل انصت حتى يقضيها قلت له في قول الآية يا ذا لقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه قال ولكذلك خلقه للانسان انما هو
ما لا يثبت ولا يتعلق الا به قال ابن القيم وفي صحيح مسلم في حديث حذيفة ان الله
يقضي للنطفة من تخليق النطفة فتقول الملك الذي خلقها يا رب ذكر ام انثى اشوى
ام غير سوي فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم شحانه الخالق وحده ولا
يبقى بعد ذلك ان تنتهي الملائكة الا به ومشيئته وقدرته في التخليق فان افعالهم وخلقهم
خلق لله سبحانه وتعالى وهو خالق على المتقين غير والمقصود ان هذا موضع ضلت
فيه افهام وزلت فيه اقدام واشتبه فيه معنى العلم والقدرة والاحاطة بالقرب
واشتبه فيه الامر بمشيئة الله وخلقه بالامر الذي يحبه ويرضاه وبالقرب
واشتبه فيه ما في الذهن مما في الخارج واشتبه فيه ضلال شهود الدين
وانحاز من الخلق بعد مزوقاته واشتبه فيها آثار الصفات بحقيقتها وانوار
المعرفة بالظلمة والعلم بالجهل وذوق الايمان بالتقوى لا يعلم حقيقة هذا
العلم ولا يعرفون اليه وفي هذا كفاية والله المستعان ٥ فصل
اصل الايمان والتقوى الايمان بالله والناس متفاضلون في الايمان والتقوى
وستة صنوف في ولاية الله يحب ذلك عليهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق
كانوا متفاضلين في عداوة الله يحب ذلك وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل
محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله
واصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذي
يستحق صاحبه العذاب في الآخرة فان الله اخبر في كتابه انه لا يعذب احدا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وذلك بحمل الامر والنهي والثواب والعقاب والقدح في ذلك مستلزم
لابطال الشرع والحق ان الشرع انما امر بافعالنا ونهى عنها والجزاء انما ترتب
عليها فشهود افعالنا المذكر من تمام الايمان بالشرع والجزاء ونسبتها الى
الرب تعالى قضاء وقدرا وخلقا للاسباب التي فيها اراد ان يقدرنا
فلم يجبرنا عليها ولم يكرهنا بل اعطانا من القوى والارادة التين
هما من اسباب الفعل فشهود الحق عبودية اياك نعبد وشهود الخلق
الاول يحقق عبودية اياك نعبد وهما يحققان وشهود كل منا اخذ
الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله لمن شاء منكم ان يستقيم وما
تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وما جاء به العلم لا تناقض ما جاءت
به المعرفة بل المعرفة روح العلم ولبه وكماله وحقيقته والعلم الذي لم
يصاحبه مقصوده وليس من الابرار لا تخالف الكونين انما تخالف
ان الفجار نعم ان المعتبر على منه دار بنا على مقتضى اعلامهم واحوالهم
قيل علامة هذا ان العلم ولو تكلم بان الحال لعلم صحة ما ذكره
فان صاحب الحال صاحب شهود وصاحب العلم صاحب عيبة والشاهد
يرى ما لا يرى الغائب ومن بشر باشارة خالية عليه تنزلا من الحال
الى العلم فتقول الحال تاثر عن تردد الواردات الاحدية والفرد البه تشتاق العبد
عن نفسه وتبدي ظهور مشهودي ولا ريب انه في هذه الحال تقيقة ان الشاهد
هو المشهود حتى قال الموحد في مثل هذه الحال سبحاني وما في الجبة الا الله
ولا شك ان هذا الاعتقاد زور وان شينه نورا من انوار الاحدية وكشفه
معذور ما دام مستورا عن نفسه بوارده فاذا ادى الى رؤيته وعقل وجده
حال ذلك الحال وعلم صاحبه انه كان زورا حينئذ ظن ان الشاهد
هو المشهود فان تذكر ذلك فلا كلام معكم وان اعترضتم به حينئذ على الحال
فهذا معنى كون الصادق حجابا عن الصادق زورا واذا عرفت هذا
عرفت مثله في كون احوال اعمالنا ذنبا فانه لصدقه في الطلب وبذل الجهد
في العمل واستفراغه الوسع فيه يغيب بذلك عن شهود الحقيقة الكونية

وان

وان المعرفة اجل واعلى من المحبة وان محبة اعجز واضعف من ان يكون لها
اثر او منها فعل او الا لما رجعت فلما رجع الى الحقيقة وشهد منة الله عليه
وانه هو المحرك له وان مشيئته هي التي اربت محبته رأى احسن اعماله دنيا
بهذا الاعتبار واسوءها صفى قصوده قعودا افلا ان القاصد الى الحقيقة
متى شهد مقصوده فالقصد اليه هو عين القعود عن القصد لان القصد
انما يكون لبعيد عن المقصود واين هو اقرب الى القاصد من ذاته متى شاهد
القاصد الحقيقة علم ان قصده عين القعود عن قصده والعبارة تزيد هذا
المعنى تحقيقا والحيرة فيه على الحال بالذوق فالحواس ان مالت الى
على الحال انصفكفانه احالك على امر مشترك بين الحق والباطل وان كل
من اعتقد شيا وطلبه طلبا صادقا واستفرغ وسعه في الوصول اليه كان
له لا محالة فيه حال ليست لغيره بحسب صدقه في طلبه وجمع همته وقصده
عليه وهذا يكون للابرار وللفجار بل لاولياء الله واعدائه فكون الرجل الشهود
مشهوده وحاله في طلبه لا يوجب حسنها ولا بطلانها فان كل من اعتقد عقيدة
في غاية الخطأ ذلك اعتقادا صحيحا وان كان صادقا في طلبه وجهه لما
اعتقده فان له فيه حالا وتاثيرا يحسنه فالحواله على الحال حواله المفلسين من العلم
على عيونهم بها ومن ها هنا دخل الداخل على اكثر الكمل وانعكس سيرهم
حيثما حاولوا العلم على الحال وحكموه عليه وخيرا وليا الله وعباده الابرار
والعارفين بخلاف هذا وهو احالة الحال على العلم وتحكيمه عليه ونقل به
دوزنته به وحكمه فان وافقه العلم والا كان حالا فاسدا منحرفا عن
اخوات الصديقين بحسب بعده عن العلم فالعلم حاكم والحال محكوم عليه
والعلم طاع والحال من رعيته فتامل هذا اصلا تبنا شامله فاشكر
فاشكل وغايته الانتلاج من العلم والدين كما جرى ذلك لمن جرى له
وبالله المستعان ونحن لا ننكر ما ذكرتم من غيبة الشاهد مشهوده عن
شهوده وتمدكوره عن ذكره ومعروفه عن معرفته ومحبوبه عن محبته لكن انكر
كون هذا اكمل حالا من صاحب البقاء والتمهير وشهود المطابق على ما هي
عليه فلا يحتاج بشهود حاله زورا لانه ما حصل لصاحب الانكار الا صطلام

شبكة الألوكة www.alukah.net

مرضيه واحواله صادقه وقصوده مستقيمه وان كان العبد كثير الذنوب معدوما
فاحش الاعمال ذنب واصدق احواله زور واصفى قصوده قعود ومعنى ان
الصدق المحقق انما يحصل لمن صدق فى معرفة الصدق فانه قال لا يحصل
له حال الصدق الا بعد معرفته علم الصدق ثم عرف حقيقة الصدق فقال لا استقيم
الصدق فى علم اهل الخصوص الا على حرف واحد وهو ان تتفق رضا الحق
بعمل العبد وحاله ووقته وانفاسه وقصده هذا موجب الصدق وغايته
ومنتهاه قال الشيخ رحمه الله ذكر الغاية الدالة على الحقيقة التى يعرف انتفاء
الحقيقة بانتفائها وثبوتها بثبوتها فان العبد اذا صدق الله رضى الله بعمله
وحاله ونيته وقصده لا ان رضى الله نفس الصدق انما يعلم الصدق بموافقة
رضاه سبحانه ولكن من اين يعلم العبد رضاه فمن هاهنا كان الصادق مضطرا
اشد ضروره الى متابعه الامر والتذلل للرسول صلى الله عليه وسلم فى ظاهره وباطنه والاقتداء
به والتعبد فى كل حركه وسكون مع اخلاص التعبد لله فان الله لا يرضيه
من عبده الا ذلك وما عدا هذا فقوت النفس ومجرد حظها واتباع هواها
وان كان فيه من المجاهدات والرياضات والخلوات ما كان فان الله سبحانه
ابى ان يقبل من عبده عملا ويرضى به حتى يكون على متابعة رسوله وخالصا لوجهه
ومن هاهنا يفارق الصادق الكثرات لكن بل يستوحش فى طريقه وذلك لقلة
السالكين فان اكثرهم سائرون على طرق اذواقهم وتجريد انفاسهم لنفوسهم
ومتابعة رسوم شيوخهم والصادق فى واد وهو فى واد وقوله
فيكون العبد راضيا مرضيا لانه قد رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
رسولا فرضى الله به عبدا فاعمال اذا امر ضبه لله صادق مع الله وقصوده
مشيقته على متابعة اوامر الله عز وجل وله وان كان العبد كثير
ذنوبا معدوما فاحش الاعمال ذنب واصدق احواله زور واصفى قصوده قعود
هذا يريد به امرين احدهما ان يكتسى حلية الصادقين ويلبس ثيابهم على
عيوبهم وارواحهم ثوب الصادق عاريه لا يملك فهو كالمتشبع
بما لم يعط فانه يلابس ثوبى زور وهذا احتراز عما يذنب يعاتب عليه
كما يعاتب المقتول فى الجهاد والقارئ المتنسك والمقتصد والمتصدق
ويكون اول من تسعر بهم النار يوم القيمه لما لبسوا ثياب الصادقين على

تلوب المرائين فهذا معنى صحيح وما اظن الشيخ قصده وانما اظنه قصد
بمعنى اخر وهو انه متى يتمكن العبد ان وخبره بثوب معار لم يتمكن منه فانه
لم يتمكن بعد لانه اجتهاده وصفاته وبذله وقدرته واعماله عاريه من
الفضل وحقه ما العبوديه لم يتمكن منه الا العبد فى وجوده وحيوته ثوب
غير ممكن من نظر بعين الحقيقه الى كونه رأى احسن اعماله كذوبا فى هذا
المقام واصدق احواله زورا واصفى قصوده قعودا فلا يرى لنفسه عملا ولا
حالا ولا قصدا فانه لم يتمكن من نفسه الا الجهل والظلم فكل ما فى يده ذنوب
وزور وقعود فما كان مرضيا فبفضل الله ومن الله لا بالنفس ولا منها
ولولا فان العبد اذا رأى انه قد فعل الطاعه كان رؤيته لذلك ذنبا فانه
فضل الفعل اليه وانما فى الحقيقه هو المنفرد بالفعل فعلى هذا الاخلاص
العبد من الذنب فقط فكيف بالخلاص فعلا من الرياء ومن كل شئ يشينه او يؤثر
به اخلا يمكنه الخلاص منه وهو اعتقاده انه يفعل الفاعل والصواب
هذا الشئ بذنب ولا هو مقدور للعبد ولا مأمور والكمال فى حقه ان يشهد الامر
كله عليه وانه فاعل حقيقه كما اضاف الله اليه الفعل فى كتابه بكل وانه
هو الذى جعله فاعلا فاذا شهد منه فاعلا حقيقه وشهد الله عالما به
مالكه ومن الله لا من نفسه فلا ذنب فى هذا الشهود ولا زور بحمد الله وهو نظر
يجمع بصيرته الى التسبب والسبب والشرع والقدر والخلق والامر
وانه متى شهد نفسه عاصيا مخالفا مذنبا كان عاصيا بهذا الشهود لان
هذا الفاعل فيه عبيده وهو ملتفت للعبوديه اشد منافاه وهو من
شهود القوم الى شهود الحقيقه الكونيه واعتقادهم انها غايه للسالكين
فلنرجع الى شرح ما نطق به ان الاثار وانا نطوى ذلك ان للمقربين
ولا ريب ان حسنات الابرار سيئات المقربين ولسنا نريد ان نشهد فى هذا
الشرح بل تكون حسنه كما ذكرتم لكن هو حسنه للمذنب المقرب
فان تضييع الخير من اسبابه ما جاء به العارف يصيب المقرب ما جاءت به المعرفه
التى هى اخص من العلم فتامل هذا ايضا باطل قطعا بل المعرفه
الصحيحه مطابقه الحق فى نفسه شرعا وقدرا وما خالف ذلك لم يعرفه فاشده
الحق فى نفس الامر نسبه الافعال الى الفاعلين فيقاتلها ومباشره وصدورا منهم

وانفعها وانبها المستعان قوله وعلامة هذا الصدق ان لا يحتمل دابه
تدعوا الى نقض عهد وعنى ان الصادق حقيقة هو الذى قد انجذبت
قوى روحه كلها الى ارادة الله وطلبه والسير اليه والاستعداد للقائه
ومن تكون هذه حاله لا يحتمل سبب يدعوه الى نقض عهده مع الله بوجه
وقوله ولا يصبر على صحبه صنوف الصد عند القوم هم اهل الغفلة
وقطاع طريق القلب الى الله واصر شئ على الصادق صحبة هؤلاء بل لا تصبر
نفسه عن ذلك ابدا الا مجبرة ويكون صحبتهم له فى تلك الحال كما قاله
وشبحه دون قلبه وروحه فان هذا الما اشتركت فيه الغفلة كما اشتركم
الصدق فى الصادق احتدت روحه بالاجنبية التى بينه وبينه والضاده
فاشتدت النفرة وقوى الهرب بحسب هذه الاجنبية واحتاش الصادق
بها تكون نفرته وهربه عن الاضداد فان هذا الصبان نطق احتش قلبه
الصادق انه نطق بك ان الغفلة والرياء والكبر وطلب ولو كان ذاكرا
او قارئا او مفضلا او حاجا او غير ذلك تصغر قلبه منه وان صمت احتش
قلبه انه صمت على غير حضور وجمعية على الله واقبال بالقلب عليه وعلوف
السر فينفر منه ايضا فان قلت الصادق قوى الاحتمال عن الاجنبية
والاجنبية من الضد وشر القلب كما تشم الرائحة الخبيثة فتنزوى وجهه
لذلك وتعتريه عبوس فلا يا تنثر بدا لا تكلفا ولا يصاحبه الا مضطرا
فيا حذ من صحبته قدر الحاجة كصحبة من يشترى منه او يحتاج اليه فى مصالحه
كالزوجة والخادم ونحوه قوله ولا يقعد عن الجد بحال يعنى به لما
كان فى طلبه صادقا مشجع القوم لم يقعد به عزمه عن الجد فى جميع احواله
فلا تراه الا جادا فى امره مجدا فى طلبه الدرجة الثانية
ان لا يتمنى الحياة الا للحق ولا شهد من نفسه الا اثر النقصان ولا يلتفت
الى ترفيه الرخصاى لاحبان يعيش الا ليشبع من رضى محبوبه ويتم
عبوديته ويستكثر من الاسباب التى تقربه اليه وقد بعد منه لا
لعلم من علم الدنيا ولا لشهوة من شهواتها كما قال عمر بن الخطاب لو لا
ملاث لما احببت البقاء لا ان اجد على جهاد النفس فى سبيل الله ومكابدة
الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمار رضى
الله عنه الجهاد والصلاة والعلم النافع وهذه درجات الفضايل واعلم
اهل

الغلبة

هم اهل الزلفى والدرجات العالية وقال سعاذ رضى الله عنه عند موته اللهم
تعلم اللهم انى لم احب البقاء لجرى الانهار ولا لغرس الاشجار ولا لنكح الازواج
ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الليل ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر
وقوله ولا شهد من نفسه الا اثر النقصان يعنى لا يرى نفسه الا مقصرا
والموجب له هذه الرؤية استعظام مطلوبه واستصغار نفسه ومعرفته
بعيوبها وقله زاده فى عينه فمن عرف الله وعرف نفسه لم يرنفسه الا بعين
النقصان واما قوله ولا يلتفت الى ترفيه الرخص فلانه لكمال صدقه وقوة
ارادته وطلبه المتقدم بحمل نفسه على العزايم ولا يلتفت الى الرخص التى فى
الرخص وهذا لابد فيه من التفصيل فان الصادق يعمل على رضا الحق تعالى
ومحابه فاذا كانت الرخص احب اليه من العزايم كان التفاته الى ترفيها
هو عين صدقه فاذا افطر فى السفر وقصر وجمع بين الصلاتين عند الحاجه
اليها وخفف الصلاة عند الشغل ونحو ذلك من الرخص التى يحبها الله تعالى
ان يرخص بها فهذه الالتفات الى ترفيها لا ينافى الصدق بل هى نهاية
وهى انه فرق بين ان يكون التفاته اليها ترفيها وراحة وان يكون متابعة
وموافقة ومع هذا فالالتفات اليها ترفيها وراحة لا ينافى الصدق فان هذا هو
المفضود منها وفيه شهود نعمة الله على العبد وتعبد بها منه البر اللطيف
المحسن الرفيق فانه رفيق يحب الرفق وفى الصحيح ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فما فيه من روح التعبد يسع الرفيق
اللطيف واجمام القلوب لعبوديه اخرى فان بها لعبوديه اخرى وقد
تقطعه عن بعضها عن عبوديه هى احب الى الله منها كالصايم فى السفر الذى ينقطع
عن خدمة اصحابه والمفطر الذى يضرب لابنيه ويسقى الركاب ويقيم المتاع
ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر واما الرخص
الثالثة فيليها المستنده الى اختلاف المذاهب والاراء التى تعيب وتخطى فالاخذ
عندهم عين البطالة ومناقض للصدق ن [illegible] قال الدرجة
الثالثة الصدق فى معرفة الصدق فان الصدق لا استقام فى علم اهل
الخصوص الا على حرف واحد وهو ان يتفق رضا الحق بعد العبد وحاله
او وقته واتقان العبد وقصده يكون العبد راضيا مرضيا فاعلم اذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

حديثهم مع اشتهرهم وقال ابو يوسف ان اشباه رحمه الله لان ابيت ليلة اعامل
الله بالصدق احب الي من ان اضرب سيفي في سبيل الله وقال الحارث المحاسبي
رحمه الله الصادق وهو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق
من اجل صلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على شاقبل الله من حسن
عمله ولا يكره ان يطلع الناس على الشيء من عمل فان كراهته لذلك دليل
على انه يحب الزيادة عندهم ولبث هذا من علامات الصديقين وفي هذا نظر
لان كراهته للعرض والمرض وتباريح الالام وهذا امر جبلي طبعي ولا
يخرج صاحبه عن الصدق لاسيما اذا كان قد وقع متبعا فان كراهته
لذلك من علامات صدقه لان فيها مفسدتين مفسدة ترك الاقتداء
به وآتيانه على الخير وتفيده ومفسدة اقتداء الجهال به فيما فكراهيته
اطلاعهم على مساوي عمله لاتنافي صدقه بل قد يكون من علامات صدقه
نعم المنافي للصدق ان لا يكون لمراد سوى عمار ما لعندهم وثنائه
في قلوبهم تعظيما له فلو كان مراده سفل الامر الله ونشر الدينه وامرا
بالمعروف ونهيا عن منكر ودعوة الى الله فهذا الصادق حقا والله
يعلم سرائر القلوب ومقاصدها واظن ان هذا مراد المحاسبي بقوله ولا
يكره اطلاع الناس على الشيء من عملا عندهم فانهم يرون ذلك فضولا
ودخولا فيما لا يعنيه فرضي الله عن الصديق حيث قال لا قاتلن من
فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عناقا او عقالا كانوا يؤدونها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فهذا مثاله بعد وبعد وبرونيس
شيء الاعمال عندها لهما وقال بعضهم من لم يود الفرض الدائم لم يقبل
منه المفرض الموقت قبل ومن الفرض الدائم قال الصدق وقيل
من طلب الله بالصدق اعطاه مناه بتصريفها الحق والباطل وقيل
عليك بالصدق حيث تخاف انه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب
حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك وقيل ما ملك تاجر صدوق

قال صاحب المنازل رحمه الله الصدق اسم لحقيقة الشيء
بعينه حصولا ووجودا والصدق هو حصول الشيء وتمامه وكمال

قوته

قوته واجتماع اجزائه كما يقال عزيمة صادقة اذا كانت قوية تامة وكذلك محبة
صادقة وكذلك قولهم حلاوة صادقة اذا كانت قوية تامة ثابتة لحقيقة
لم ينقص منها شيء ومن هذا ايضا صدق المخبر لانه وجود المخبر تماما لحقيقة
في ذهن السامع فالكلام والوجود نوعان خارجي وذهني فاذا اخبر المخاطب
بخبر صادق حصل له حقيقة المخبر بها لوتمامه في ذهنه ومن هذا وصفهم
الريح بانه صدق الكعوب اذا انتظمت عوبه صلبه قويه مليده فكل هو على
ملات درجات الدرجة الاولى صدق القصد وبه يصح الدخول في هذا
الشان وشلا فابه على تفريط ويتدارك كل فائت ويجبر كل خراب وعلامة
هذا الصادق ان لا يحتمل داعيه تدعوا الى نقض عهد ولا يصبر على محبه
مفسد ولا يتعذر عن الجد حال يعني بصدق القصد كمال العزم وقوة الارادة
بان يكون في القلب داعيه صادقة الى السلوك وميل شديد يتمر السير
على صحة التوجه فهو طلب لا يعرف ولا يفتر ولا يكون فيه فتنة عال
ولا يصح الدخول في شان السفر الى الله والاستعداد للقاء الابد وتيلا في
به كل تفريط فانه حامل على كل شيء يخل به الوصول وقطع كل سبب
يحول بينه وبينه فلا يترك فرصة تفوته وما فاته من الفرص الناقة تدارك
بحسب الامكان فيصلح من قلبه ما مرقته يد الغفلة والشهوة ويعزم منه ما
خرشته يد البطالة ويوقد منه ما اطفاته هوى النفس ويلم منه ما شعثته
يد التفريط والاضاعة ويسترد منه ما نهبته ايدي اللصوص والسراق
ويزرع منه ما وجده بورا من ارضه ويقلع ما وجده شوكا وشجرا
في نواحيه ويستخرج منه ما ملاته مواد الاخلاط الردية الفاسدة
المترامية الى الهلاك والعطب ويداوي منه الجراحات التي اصابته من
غرات الريا ويغتسل منه الاوساخ والحوبات التي تراكمت عليه على
تقادم الاوقات حتى اذا اطلع عليه لاحزنه سواده وسخه الذي
صار ديدنا غالبا فطهره بالماء البارد من ينابيع الصدق الخالصة من جميع
الكدرات قبل ان يتعين طهوره بالجمر والنار فانه لا حاول الا في قلب خمس
باوساخ الشهوات والريا ولا بد من طهور فالمنيب يتوشاتهل الطهورين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والدسائم في عباده مرضى وتشييع جنازه ونصر مظلوم الى امثال غير ذلك
من انواع القرب والمنافع فهو في تفرقه داع لله وجميعه على الله لا يملكه
وسيم ولا عاده ولا وضع ولا تثقيل بقيد ولا اشاره ولا بمكان معين يصلى
فيه لا يصلى في غيره وزي معين لا يلبس سواه وعباده معينة لا يلتفت الى غيرها
مع فضل غيرها عليها في الدرجه او هي على غيرها في الدرجه وبعد ما بينهما
كبعد ما بين السماء والارض وان البلاء والافات والرياء والتصنع وعياده
النفس واشباه ذلك اراد بها الاشاره اليها كلها في هذه الاوضاع والرسوم
والقيود التي حبست ارباها عن السير الى قلوبهم فضلا عن السير من قلوبهم
الى الله تعالى فاذا خرج احدهم عن رسمه ووضعه وزيه وقيوده
ولوالى افضل منها استهجن ذلك وراه نقصا وسقوطا من اعين الناس
واخطا لرتبته عندهم وهو قد احبط وسقط من عين الله وبخس
احدهم ذلك من بغيته وحاله ولا يدعه رسومه واوضاعه وزيه وقيوده
ان تسعى في تزييم ذلك واصلاحه وهذا شان الكذاب المراي الذي
سيدي للناس خلاف ما يعلمه الله من باطنه العامل على عمارة ظاهره
ومرتبته وهذا هو النفاق بعينه ولو كان عاملا على مراد الله منه
وعلى الصدق مع الله لاقبلته تلك القيود وجبته تلك الرسوم ولراى
الوقوف عندها ومعها عيبا لانقطاع عن الله اليه ولما بالا اي ثوب
لبس ولا اي على عمل اذا كان على مراد الله من العبد في كلا يم اي القاسم
الجنيد رحمه الله حق كلام راسخ في الصدق عالم بتفاصيله واقفا به وموضع
اشتباهه بالكذب وايضا فحمل الصديق كحمل الجبال الرواسي لا يطيقه
الا اصحاب العزائم فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمل الثقيل الرطب
والكذب خفيف كالريشه لا يجد صاحبه ثقلا البته فهو مايل في اي
موضع اتفق بلا تعب ولا مشقه ولا كلفه فهو لا يتقلب تحت حمله ولا
يجد ثقله وقال بعضهم لا يستقيم راحة الصدق عبد ولا من نفسها وغيره
وقال بعضهم الصادق الذي يتمنى لو ان يموت ولا يتمنى ان يحيى ليس شيء
لو كشف قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وهذه الاية في

للناس

للناس كلام معروف قالوا انها معجزه للنبي صلى الله عليه وسلم عجزهم اليهود ودعاهم
الى تمني الموت ولغيرهم لا يتمنونه ابدا وهذا فهم من اعلام نبوته اذ لا يمكن
الاطلاع على بواطنهم الا بهذا وامثاله والغيب لله يستطيع الله انتهم بتمنيه ابدا
وقالت طائفة ادعت اليهود ان لهم الدار الاخرة خالصة من عند الله من
دون الناس فالله اعلم اجابهم واظهر كاذبتهم الله في دعواهم وقال ان
كنتم صادقين فتمنوا الموت لتصلوا الى الجنه دار النعيم قال الحبيب يتمنى لقاء
حبيبه ثم اخبر سبحانه انهم لا يتمنونه بسبب ما قدمت ايديهم من الاوزار والذنوب
فالخبر له بينهم وبين ما قالوه فقال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم وقالت
طائفة منهم محمد بن اسحق وغيره هذه من جنس ايه المباهله وانهم لما عاندوا
ودفعوا الهدى عيانا وكتموا الحق دعاهم الى المرحك بينهم وبينه وهو ان يدعوا
الموت على الكاذب المفتري المتمني سوال ودعا فتمنوا الموت وادعوا به على
الكاذب المفتري المبطل وعلى هذا فليس المراد تمنوه لانفسكم كما قاله
اصحاب القولين الاولين بل ادعوا بالموت على من تمنوه لكم مبطل وهذا ابلغ في اقامه
الحجه وبرهان الصدق واسلم من ان تعارضوا بقولهم فتمنوه انتم ايضا ان كنتم
محقين فكم اهل الجنه لتتمنوا على اثر اب الله وكراهته والقوم كانوا احرص
شيء على مقارضته فلو تمنوه لماتوا من ساعتهم حاذرهم ليلا لعارضوه بمثله وايضا انا
نشاهد كثيرا منهم يتمنى الموت لضر نزل به وشده حاله ويدعو به وهذا
خلاف طبيعة الانسان على الصفة التي ذكرته فان هذا لا يكون ابدا ولا وقع
من احد منهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم المبتدا وذلك اعلم بصحه نبوته وصدقه
وكفرهم حسدا وبغيا فلا يتمنوه ابدا فعلم انهم هم الكاذبون وهذا القول
هو الذي يختاره وانكر احمد على من خالفه وقال يرد هذا القول الصادق
لاشراه الاتى فرض بردية او فصل بعمل فيه وقال الجنيد رحمه الله حقيقه
الصدق ان تصدق في موطن لا ينجيك منه الا الكذب وقيل بلاك لا يخطى
الصلاح الملاوه والملاحه والهيبه وفي اثر الهي من صدق في سريرته صدقته
في علانيته غفر خلقي وقال سهل بن عبد الله رحمه الله اول خيانه الصديقين

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا لا نعرف بين وبين ما قدمناه كقوله تعالى لا تحزن به لسانك
لتعجل به وما قدم الصدق فسره بالجنة وفسر محمد صلى الله عليه وسلم
الاعمال الصالحة وحقيقة القدم ما قدموه وتقدمون عليه على الخير يوم القيمة
وهم قدموا الاعمال والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدمون على الجنة التي هي
جزاء ذلك فمن فسرها اراد ما تقدمون عليه ومن فسرها بالاعمال وبالنبي
صلى الله عليه وسلم فلانهم قدموها وقدموا الايمان به بين ايديهم فالثلاثة متحدة
صدق واما مقعد الصدق فهو الجنة عند الرب تبارك وتعالى ووصف
ذلك كله بالصدق مستلزم لثبوته واستقراره وانتفاء زواله وتبعه
وكمال عايدته فانه متصل بالحق سبحانه كائن به وله وهو صدق غير كذب
وحق غير باطل ودايم غير زائل ونافع غير ضار وما للباطل ومتعلقاته
اليه سبيل ولا مدخل ومن علامات الصدق طمانينة القلب اليه ومن علامات
الكذب حصول الريبة كما في الترمذي مرفوعا من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدق طمانينة والكذب ريبة وفي الصحيحين من
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا فجعل الصدق مفتاح
الصديقية وسبلها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب البتة لا في
قوله ولا في عمله ولا في حاله ولا سيما اذا كاذب على الله في اسمائه وصفاته
ينفي ما اثبته لنفسه او اثبات ما نفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صديق ابدا
ولذلك اللذب عليه في دينه وشرعه تحليل ما حرمه وتحريم ما احله
واسقاط ما اوجبه وايجاب ما لم يوجبه وكراهة ما احبه واستحباب
ما لم يحبه كل ذلك منافاة للصديقية وكذلك اللذب منعة في الاعمال بالنسبة
الى الصادقين المخلصين الزاهدين المتوكلين وليس منهم فلذلك كانت
الصديقية كمال الاخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والامر ظاهرا وباطنا
حتى ان صدق المتابعين على الترك في بيعهما ولذلك بحق بركة بيعهما كما
في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان
بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وان كذبا وكتما محقت

حتى كتب

بركة

وفي كلمات في حقيقة الصدق لعبد الواحد بن
زيد رحمه الله الصدق الوفاء لله بالعمل وقيل موافقة السر النطق وقيل استواء
السر والعلانية يعني ان الكاذب علانيته خير من سريرته كالمنافق الذي ظاهره
خير من باطنه وقيل الصدق الحق في الحكم والقول بالحق في مواطن الهلكة وقيل كلمة الحق
عند من تخافه وترجوه وقال الخشني رحمه الله الصدق الذي نطقت به السنة في الصوم اربعين
سنة والمزاني تحت علي جلده والصوم ربعين سنة وهذا الكلام يحتاج الى شرح
وقد يستدل به الى الرخصة وبان الكاذب يستحق ان يكذب الدهر كله
ويتوب ثم يكذب ويتوب ثم يعثر على عالم بحاله فان الصادق والحر في بيته وصاحبه
يستحق ان يكذب ولا يتهم ولكن هذا على طريق التاديب صحيح غير هذا ان المعارضات
والامر والنهي التي ترد على الصادق لا ترد على الكاذب المرائي بل هو فارغ منها
فانه لا يرد عليه من قبل الحق سبحانه وتعالى ما يرد على الكاذبين المرائين ولا
يعارضهم الشيطان كما يعارض الصادق فان الصادق لا ارب له في حربه لانه في حربه
وهذه الواردات تتوجه تتلقى الصادق ومن تحت اختلافها وتنوعها فلا تراه الا عاريا
من كل حال الى كل حال ومن عمل الى عمل ومن كل الى كل ومن حيث ان الله يحاف
في كل حال يعطيه اياها ومكان وشبان يحفظه عن كل حال ولا تراه الا حال
ولا شيء دون مطلوبه كما حول الى الاتقى في طلب التقى الذي يفوق
به الاغنياء فلا احوال الاحسان تستلب به وتفقه وتحرسه وتحرسه تمكنه
حتى يجد فيها ما يغنيه عن مطلوبه وهذا غير ضرها فقلبه في قلب وحركه
تحركه حركته مطلوبه وعطيه وهبته اعلى من ان تحد دون
مطلوبه فلا تتهم في حال او مكان شيا غيره فهو كالصادق الذي
تعلم التحيل على صحبته فهل احال الصادق في طلب العلم وحال الصادق
في طلب الدنيا فكل صادق في طلب نفس لا يستقر قرار ولا يدوم على حال واحدة
وايضا فان الصادق مطلوبه رضا ربه وتنفيذ اوامره واتباع محابه فهو متقلب
فيما يحبه هذا ان وجدت ركابها وشغل معها اين استقلت عمارها فيما
هو فيه صلاحه وحياته في ذكر ثم في غير ثم في حال الجاهل بالتعلم وغيره
من انواع النفع ثم في امر معروف او نهي عن منكر او في قيام سنة فيه عمارة الدين

شبكة الألوكة www.alukah.net

والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين البأس اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون وهذا صريح في ان الصدق بالاعمال الظاهره
والباطنه فان الصدق هو مقام الاسلام والايمان وقسم الله سبحانه
الناس الى صادق ومنافق فقال ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء ويتوب عليهم والايمان اساسه الصدق والنفاق
اساسه الكذب فلا يجتمع كذب وايمان لاواجدهما صاحب الاخر ولهذا
العنصر سبحانه انه في يوم القيمه لا ينفع ويجيبه من عذابه الا صدقه قال الله تعالى
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم وقال تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون فالذي جاء بالصدق هو
شانه الصدق في قوله وعمله وحاله فالصدق في هذه الثلاثه في الصدق في
الاقوال استواء اللسان على الاقوال كاستواء السليمة على جانبها والصدق
في الاعمال استواء الافعال على الامر والمتابعة كاستواء الرائض على الجدد
والصدق في الاحوال استواء القلب والجوارح على الاخلاص واستفراغ
الوسع وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق
وبحسب كمال هذه الامور فيه وقيامه به يكون صديقيته وكذلك كان
لابي بكر الصديق ذروة سنام الصديقية حتى سمي الصديق على الاطلاق
والصديق ابلغ من الصدوق والصدوق ابلغ من الصادق فاعلى مراتب
الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد لامر الله في كمال الاخلاص
للمرسل وقد امر الله سبحانه رسوله ان يسأله ان يجعل مدخله ومخرجه على الصدق
فقال وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا والخبر عن خليله انه سأل ربه مثل هذا فقال
ان سهيل خطاب لسان صدق في الآخرين فقال تعالى لجعل لك لسان
صدق في الآخرين وبشر عباده ان لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق
عند ربهم وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال تعالى
ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهذه

خمسة

خمسة اشياء مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق وقدم الصدق
ومقعد الصدق وحقيقة الصدق في هذه الاشياء هو الحق الثابت المتصل
بالله الموصل الى الله وهو ما كان به ولله من الاقوال والاعمال وجزاء ذلك في الدنيا
والاخرة فمدخل الصدق ومخرج الصدق ان يكون دخوله وخروجه خفاقا
بالله وفي مرضاته متصلا بالظفر بالبغيه وحصول المطلوب فمدخل مخرج الكذب
ومدخل الذي لا غاية له يوصل اليها ولا اتساق ثابته يقوم عليها كمخرج اعدائه
يوم بدر ومخرج الصدق لمخرجه هو واصحابه في تلك الغزوه وكذلك مدخله
المدينه كان مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضات الله فاتصل به التاييد
والظفر والنصر وادراك الطلبه في الدنيا والاخرة بخلاف مدخل الكذب الذي
رام اعداؤه ان يدخلوا به المدينه يوم الاحزاب فانه لم يكن بالله ولا لله بل لمحاده
لله ورسوله فلم يتصل به الا الخذلان والبوار وكذلك مدخل من دخل من اليهود
والمحاربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصن بني قريظه فانه لما كان مدخل كذب
اصابه معهم ما اصابهم فكل مدخل ومخرج كان بالله ولله وفيما احبه ضامن على الله
فهو مدخل صدق ومخرج صدق وكان بعض السلف اذا خرج من داره رفع
راسه الى السماء وقال اللهم اني اعوذ بك ان اخرج مخرجا لا اكون فيه ضامنا عليك
يريدان لا يكون المخرج مخرج صدق وكذلك قد مدخل الصدق ومخرجه خروجه
من مكه ودخوله المدينه ولا ريب ان هذا على سبيل التمثيل فان هذا المدخل
والمخرج من اجل مداخله ومخارجه صلى الله عليه وسلم والا فمدخله ومخارجه كلها
مداخل صدق ومخارج صدق اذ هي لله وبالله ولله وبامره ولابتغاء مرضاته وما خرج
احد من بيته ودخل خوفه او دخلا احرا لا يصدقا وكذب تمخرج كل احد
ومدخله لا يعدوا الصدق والكذب والله المستعان واما لسان الصدق
فهو الثناء الحسن عليه صلى الله عليه وسلم من سائر الامم بالصدق ليس ثناء بالكذب كما
اعطى ابراهيم ودرسته من الانبياء والرسل وجعلنا لهم لسان صدق عليا والمراد
بالسان ها هنا الثناء الحسن فلما كان الصدق باللسان وهو محله اطلق الله
السنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقا وعبر به عن اللسان يراد
به ثلاثة معان هذا واللغة كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم وقوله واختلاف السنتكم والوانكم وقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع ابن انس والسدي
ومقاتل ابن حيان وابو مالك والضحاك وغيرهم وانما نصب والصابرين على
المدح والحث على الصبر في هذه الاحوال لشدته وصعوبته والله اعلم وهو
المستعان وعليه التكلان ۝ وقوله تعالى اولئك الذين صدقوا اي هؤلاء
الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في اقوالهم لانهم حققوا الايمان
القلبي بالاقوال والافعال فهؤلاء هم الذين صدقوا واولئك هم المتقون لانهم اتقوا
المحارم وفعلوا الطاعات ۝ فصل الصدق هو مجانبة الكذب وهو من اشرف
منازل الطريق وبه يتنشأ جميع منازل السالكين والطريق الذي من لم يسر عليه
فهو من المنقطعين الهالكين وبه تتميز اهل النفاق من اهل الايمان وسكان
الجنان من اهل النيران وهو سيف الله في ارضه الذي ما وضع على شيء الا قطعه
ولا واجه باطلا الا ادلاه وصرعه من حاله الى مضرة وسوله ومن نطق على
الخصوص كلمته فهو روح الاعمال ومحل الاحوال والحامل على اقتحام الاهوال
والباب الذي منه دخل الواصلون الى حضرة ذي الجلال وهو الذي به تزين
الدين وعمود فسطاط اليقين ودرجة تالية لدرجة النبوة التي هي ارفع
درجات العالمين ومنزلة كريمة في الجنان تجري العيون والانهار والى مساكن
الصديقين كان من قلوبهم الى قلوبهم من هذه الدار مدد متصل ومعين
وقد امر الله سبحانه وتعالى اهل الايمان ان يكونوا مع الصادقين وحض المنعم
عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا الاعلى وحسن اولئك رفقا ولا يزال الله يمدهم بمدد الطاعة
ومزيده احتى يكونوا موفقا ولهم مزية المعية مع الله فان الله مع الصادقين
ولهم منزلة القرب منه اذ درجتهم منه تالي درجة النبيين واخبر تعالى
ان من صدقه فهو خير له فقال فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان
خيرا لهم واخبر تعالى عن اهل البر انه اثنى عليهم باحسن اعمالهم من الايمان والاسلام
والصدقة والصبر وانهم اهل الصدق فقال ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن

ووصف القائم ينتقل في ثوبه ثم مسح بعضه على بعض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البراق في المسجد خطيبه وحفارتها دفنها رواها مسلم ومتى كثر العمل
في شيء من هذا متوالبا ابطل الصلاة الا ان تكون لضرورة والله اعلم ۝
وامر الزكاة يحتمل ان يكون المراد بزكاة النفس تخليصها من الاخلاق الدنيئة
الرذيلة كقوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وقول موسى لفرعون هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة ويحتمل ان يكون المراد زكاة المال كما قال سعيد ابن جبير وقتادة ابن حيان ويكون
المذكور من اعطاء هذه الجهات والاصناف المذكورين انما هو التطوع والبر والصلة
ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس ان في المال حقا سوى الزكاة والله اعلم ۝
والموفون بعهدهم اذا عاهدوا كقوله الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق ۝ حدثنا عبد الله ابن محمد وسمعته انا من عبد الله ابن محمد
ابن ابي شيبة قالا حدثنا ابو اسامة عن الوليد ابن جميع قال حدثنا ابو الطفيل حدثنا حذيفة
ابن اليمان قال ما منعني ان اشهد بدرا الا اني خرجت وابي حسيل فاخذنا كفار
قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريده ما نريد الا المدينة فاخذوا
منا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبرناه الخبر فقال انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم ۝ حدثنا
عبد الجبار ابن محمد الخطابي قال حدثنا عبد الله ابن وهب عن عمرو ابن الحارث ان
بكيرا ابن عبد الله حدثه عن الحسن ابن علي ابن ابي رافع عن ابيه عن جده ابي رافع
قال بعثني قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رايت النبي صلى الله عليه وسلم وقع في
قلبي الاسلام فقلت يا رسول الله لا ارجع اليهم قال اني لا اخيس بالعهد ولا
احبس البرد ارجع اليهم فان كان في قلبك الذي فيه الان فارجع قال فذهبت
واخبرني الحسن ان ابا رافع كان قبطيا ۝ وعكس هذا لصفة النفاق
كما مر في الحديث اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن
خان وفي الحديث الاخر اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر
وقوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اي في
حال الفقر وهو البأساء وفي حال المرض والاسقام وهو الضراء وحين البأس
اي في حال القتال والتقاء الاعداء قال ابن مسعود وابن عباس وابو العالية

في كراهة هذا الخلاف وممن كرهه الشافعي ونقل كراهيته بعضه
عن ابن عباس وعائشة ومجاهد والنخعي وابي بجلز ومالك والاوزاعي
واسحق واصحاب الراي وبيجوز المضطر الرجل مسح جبهته في الصلاة
لما روى عن ابن مسعود انه قال من الجفاء ان يكثر الرجل مسح جبهته
قبل ان يفرغ من الصلاة وكرهه الاوزاعي وقال سعيد ابن جبير هو من
الجفاء وقال ابن عباس لا تمسح جبهتك ولا تنفخ لا تمسح الحصى ورخص
فيه مالك واصحاب الراي وكرهه الامام احمد الترويح الا من الغائط يريد
وبذلك قال اسحق وكرهه عطاء وابو عبد الرحمن بن سابط ومالك
ورخص فيه ابن سيرين ومجاهد والحسن وعتبة ابن عبد ويكره ان
يغمض عينيه في الصلاة نص عليه الامام احمد وقال هو من فعل اليهود
وكذلك قال شقيق وروى ذلك عن مجاهد والشوري وهذا الاوزاعي
وروى عن الحسن جوازه من غير كراهة وقد روى عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم في الصلاة فلا يغمض عينيه رواه الطبراني
في معجمه وعبد الرحمن ابن ابي حاتم وقال هذا حديث منكر ولا يبطل الصلاة
بشيء من ذلك الا ما كان عملا كثيرا متوالیا فيبطل الصلاة به ٥
ولا باس بعد الاي في الصلاة ويتوقف الامام احمد عن عد التسبيح
قال ابو بكر لا باس به لانه معنى عد الاي وهذا قول ابن ابي مليكة وطاوس
ومحمد ابن ثواب والحسن والنخعي وسعيد ابن جبير وابن سيرين والشعبي والمغيرة
ابن حكيم واسحق وكرهه ابو حنيفة والشافعي لانه يشغل عن خشوع
الصلاة المامور بها لنا انه اجماع التابعين لانه روي عن من سميناه
من غير خلاف في عصرهم فكان اجماعا واما كراهة الامام احمد عد التسبيح
دون الاي لان المنقول عن من ذكرنا عد الاي وكره الخرز ان يعد
شيئا تراه ولان التسبيح يتوالى لقلته فيتوالى حسابه فيصير فعلا
كثيرا متواليا بخلاف عد الاي ولا باس بالاشارة في الصلاة باليد
والعين لما روي ابن عمر وانس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشير في الصلاة
روى الدارقطني حديث انس باسناد صحيح وعن جابر قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثني لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الي فلما

فرغ

فرغ دعاني فقال انك سلمت علي انفا وانا اصلي ولا باس بقتل الحية والعقرب
في الصلاة وبه قال الحسن والشافعي واسحق واصحاب الراي وكرهه النخعي
لانه يشغل عن الصلاة والاولى اولى قال النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الاسودين
في الصلاة الحية والعقرب رواه ابو داود والنسائي وروى ابن عمر انه
رآه في الصلاة حية عقربا فضربها بنعله وبجوز قتل القمل لان عمر وابن الحسن
البصري كانوا يفعلون ذلك وقال القاضي التغافل عنه اولى فان فعل فلا باس
وقال الاوزاعي تركه احب الي لان ذلك يشغل عن الصلاة لا من يحترس مع ويمكن
استدراكه بعد الصلاة وبما كثر فابطل الصلاة ولا باس بالعمل اليسير للحاجة
لما روت عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي والباب عليه مغلق
فجيت فاستفتحت فمشى ففتح لي ثم رجع الى مصلاه رواه ابو داود وعن ابي
قتادة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الناس وامامة بنت زينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عاتقه فاذا ركع وضعها واذا رفع من السجود ردها رواه
مسلم وصلى ابو برزة والجام كابته في يده فجعلت الدابة تنازعه وجعل يتبعها
وجعل رجل من الخوارج يقول اللهم افعل بهذا الشيخ فلما انصرف قال اني
سمعت قولكم واني غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست غزوات او سبع
غزوات او ثمان وشهدت من تيسيره اني ان كنت ارجو مع ذا انني احب الي
من ان ترجع الي بما فيها فنشق علي واذا التثاب في الصلاة استحب ان يكظم
ما استطاع فان لم يقدر استحب ان يضع يده على فيه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تثاب احدكم فليضع يده على فيه فان الشيطان يدخل رواه الترمذي وهذا
حديث حسن ورواه سعيد في سننه واذا بدا للمصلي البصاق وهو في
المسجد بصق في ثوبه وحك بعضه ببعض وان كان في غير المسجد فان
احب فعل ذلك وان احب بصق عن يساره او تحت قدمه لما روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى نخامة في قبلة المسجد فاقبل على الناس فقال ما
بال احدكم يقوم فيستقبل ربه فيتنخع امامه اترحب ان يستقبل فيتنخع في
وجهه فاذا تنخع احدكم فليتنخع عن يساره او تحت قدمه فان عجل فليقل هكذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويشرع لذلك سجود السهو وهذا قول الشافعي فان ما تبطل هذه الصلاة
اذا عني عنه لاجل السهو يشرع لها السجود كالزيادة من جنس الصلاة وبنى
كثير ذلك ابطل الصلاة بغير خلاف لانا لو قلنا المفتوح عن ذكرها
اذا كثرت ابطلت فهذا اولى ٥ [illegible] اذا ترك في فمه شيء وجب
كالكذاب منه شيء فابتلعه افسد صلاته لانه اكل ان في بين اسنانه
او في فيه من بقايا الطعام يشير عرى به الريق فابتلعه افسد صلاته
لانه لا يمكن الاحتراز منه ولان يسير ذلك في فيه يشغل عن
خشوع الصلاة والذكر والقراءة فيه ولا بطلها لانه عمل يسير
فاشبه ما لو اشتغل بيديه ٥ [illegible] وتستحب للمصلي ان
يجعل نظره الى موضع سجوده قال الامام احمد في رواية ابن منصور
في الصلاة ان ينظر الى موضع سجوده وروى ذلك عن مسلم بن يسار وقتادة
وحكي عن شريك انه قال ينظر في حال قيامه الى موضع سجوده وفي حال
ركوعه الى قدميه وفي حال سجوده الى انفه وفي حال التشهد الى حجره
وقد روى ابو طالب العشاري في الافراد عن بعض الصحابة قال قلت يا رسول الله
اين اجعل بصري في الصلاة قال موضع سجودك قال فلعلت يا رسول الله
ان ذلك شديد قال فمن الفريضة اذا وتستحب ان يفرج بين قدميه
ويراوح بين قدميه اذا طال قيامه قال الاثرم رايت ابا عبد الله يفرج
بين قدميه وراته يراوح بينهما وروى هذا عن عمر وميمون والحسن
وروى الاثرم باسناده عن ابي عثمان قال رأى عبد الله رجلا يصلي صافا
[illegible] بين قدميه كان افضل وكرهه الثوري وقال اخطأ السنة لو راوح
بينهما كان اعجب الي ولا تستحب الاشارة من ذلك لما روى عن عطاء
قال اني لاحب ان افعل التجديد وان يقتدل قائما على قدميه الا ان يكون
انسانا كبيرا لا يستطيع ذلك فاما التطوع فانه يطول على الاثنان
فلا بد من التوكي على هذه مرة وعلى هذه مرة وروى النجاد باسناده
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قام احدكم في صلاته فليلتفت اطرافه ولا
يميل ميل اليهود ٥ [illegible] ويكره ان يلتفت في الصلاة لغير حاجة
ولا تبطل الصلاة بالالتفات الا ان يستدبر عن القبلة بجملته او يستدبر القبلة

قال

قال ابن عبد البر وجمهور الفقهاء على ان الالتفات في الصلاة اذا كان
يسيرا لا يكره ان ينظر الى ما يلهيه او ينظر في كتاب لما روى عن عائشة قالت
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها اعلام فقال شغلتني اعلام هذه اذهبوا
بها الى ابي جهم ابن حذيفة وائتوني بانبجانيته وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة
اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي وبكره رفع
البصر لما روى عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يرفعون ابصارهم
الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك او لتخطفن
ابصارهم ويكره ان يصلي ويده على خاصرته لما روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان يصلي الرجل مختصرا وعن زياد ابن صبيح الحنفي قال صليت الى جنب ابن عمر
فوضعت يدي على خاصرتي فلما صلى قال هذا الصلب في الصلاة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينهى عنه ويكره ان يصلي وهو معقوص او مكتوف لما روى عن ابن
عباس انه رأى عبد الله ابن الحارث يصلي وراسه معقوص من ورائه فقام
فجعل يحله فلما انصرف اقبل على ابن عباس فقال ما لك وراسي فقال اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما مثل هذا مثل الذي يصلي وهو مكتوف ٥
ويكره ان يكف شعره وثيابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على
سبعة اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا ويكره التشبيك في الصلاة وفرقعة
الاصابع لما روى عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تفقع اصابعك وانت في
الصلاة ٥ وقال ابن عمر في الذي يصلي وهو شبك يديه تلك صلاة المغضوب
عليهم رواها ابن ماجه ويكره ان يعتمد في الجلوس في الصلاة على يديه لما
روى عمران بن حصين قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجلس الرجل في الصلاة وهو
معتمد على يديه رواه ابو داود ويكره مسح الحصى لما روى ابو ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يمسح
الحصى وعن معيقيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسح الحصى في الصلاة
ان كنت فاعلا فمرة واحدة رواه مسلم ويكره العبث كله وما شغل عن
الصلاة ويذهب خشوعها وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا
يعبث في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه لا نعلم بين اهل العلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

لرجل اسمه ابرهيم او لعيسى يا عيسى وخرج لك فسدت صلاته لان هذا
كلام الناس ولم يتميز عن كلامهم مما ميز به القرآن فاشبه ما لو جمع بين كلمات
معروفة في القرآن فقال يا ابراهيم يحيى خذ الكتاب بقوة ويعرفان
يفتح من هو في الصلاة على من هو في صلاة اخرى لان على لم يشغله
عن صلاته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا وقد يشغل الامام احد
عن رجل جالس بين يدي المصلي يقرأ اذا اخطأ فتح عليه المصلي فكيف
تفتح اذا اخطأ هذا وتعجب من هذا قال ابن عبد البر من فعل لم تبطل صلاته لانه
قرآن وانما قصد قراءة دون خطاب الادمي بقرآن ولا بأس ان يفتح على المصلي
من ليس معه في الصلاة وقد روى البخاري باسناده عن المسور بن يزيد
قال بينما رجل عند المقام يصلي واذا رجل قاعد خلفه يلقنه فاذا هو عثمان
رضي الله عنه ٥ اذا تنحنح المصلي او تأوه لم يبطل صلاته بالكلام
فان فعل بطلت صلاته روي ذلك عن ابي ذر وعطاء والنخعي وبه قال
مالك والثوري وكان سعيد بن المسيب والحسن وقتادة لا يرون به بأسا
وروي عن ابي هريرة انه امر بذلك وقال اسمعتم ان قولا منا قولا احدث صلاة
ولسنا ما روي جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثني في حاجة
فرجعت وهو يصلي على راحلته وجهه الى غير القبلة فسلمت فلم يرد علي
فلما انصرف قال انه لم يمنعني ان ارد عليك الا اني كنت اصلي وقول ابن
مسعود قلنا يا رسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا قال ان في الصلاة
لشغلا رواه مسلم ولانه كلام آدمي فاشبه تشميت الصلاة الى ما ذكرنا
فاما هذا فانه كرد السلام بالاشارة وهذا قول مالك والشافعي وعن
ابن عباس انه تأوه على ابن جميل وهو يصلي فقبض ابن عباس على ذراعه
فكان ذلك زجرا من ابن عباس عليه وان رد عليه بعود فرأى ذلك زجرا له
لحسن روى هذا عن ابي ذر وعطاء والنخعي وداود وقد روي ان سعودا قال
فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد علي السلام
فاخذني ما تقدم وما تأخر فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ان الله
يحدث من امره ما يشاء وان الله قد احدث ان لا تكلموا في الصلاة فرد علي السلام

وقد

وقد روى صهيب قال مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه وكلمته
فرد اشارة قال يعقوب الرواة ولا اعلمه الا قال اشارة باصبعه وعن ابن عمر قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء يصلي فيه قال فجاءه الانصار فسلموا عليه وهو يصلي
قال فسألت بلالا كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون
عليه وهو يصلي قال يقول هكذا وبسط يعني كفه وجعل بطنه اسفل وظهره الى فوق
قال الترمذي كلا الحديثين صحيح ورواهما ابو داود وهذا لفظه ٥
فاما ان صلى على قوم وهم يصلون فقيل الامام احمد عن الرجل يدخل على القوم وهم
يصلون اترد عليهم قال نعم وروى ابن المنذر عن الامام احمد انه سلم على المصلي وفعل
ذلك ابن عمر وجرير وعطاء وابو مجلز والشعبي واستحسنه ولم نعلم احدا غلط المصلي فرد
عليه كلاما وقد روى مالك في موطأه ان ابن عمر سلم على رجل وهو يصلي
فرد عليه الكلام فرجع اليه ابن عمر فقال له عن ذلك ومن ذهب الى تخصيص احتج
بقول الله تعالى فاذا حللتم فاصطادوا وبقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
النبي صلى الله عليه وسلم حين سلم اصحابه عليه رد عليهم اشارة ولم ينكر ذلك عليهم ٥
اذا اكل او شرب في الفريضة عامدا بطلت صلاته رواية واحدة
ولا نعلم فيه خلافا قال ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان المصلي ممنوع من الاكل
والشرب واجمع كل من نحفظ عنه من اهل العلم على ان من اكل او شرب في صلاة
الفرض عامدا انه عليه الاعادة ولان ذلك ينقض الصوم الذي لا تفسد
بالافعال فالصلاة اولى فان فعل ذلك في التطوع ابطله في الصحيح من المذهب
وهو قول اكثر اهل العلم لانه اذا ابطل الفرض ابطل التطوع كما لو نوى قطع صلاته
وعن الامام احمد رواية اخرى انه لا يبطلها وبه قال الزهري وشريح لان
جبيرا انما شرب في التطوع وعن طاوس انه لا بأس به وكذلك قال اسحق لانه
معنى يشق فاشبه غير الاكل فاما ان كثر فلا خلاف في انه يفسدها لان غير
الاكل من الاعمال يفسدها اذا كثر فالاكل والشرب اولى وان اكل او شرب ناسيا
او فرضه او تطوعا ناسيا لم تفسد وبهذا قال عطاء والشافعي وقال الاوزاعي
يفسد صلاته لانه فعل منطل من غير جنس الصلاة فاشبه ما لو فعله عمدا وشهوة
كالعمل الكثير ولنا عموم قوله صلى الله عليه وسلم عفي لامتي عن الخطأ والنسيان
ولانه يستوي في قليله وكثيره حال العمد فعفي عنه في الصلاة كالعمل من جنسها

الألوكة
www.alukah.net

النوع الثاني مما لا تعلق به تنبيه اذي لانه ليس من غير الصلاة
مثل من عطس فحمد الله او سمعه عقرب فقال بسم الله او تثاءب او عرى
ما يغطي عورته فقال انا لله وانا اليه راجعون او رأى عجبا فقال سبحان الله
وهذا لا استحباب في الصلاة ولا ابطالها نص عليه الامام احمد في رواية الجماعة
في من عطس فحمد الله لم تبطل صلاته وقال في رواية مهنا في من قيل له وهو
يصلي ولد لك غلام فقال الحمد لله او قيل له احترق دكانك فقال لا اله الا
الله او ذهب كيسك فقال لا حول ولا قوة الا بالله فقد مضت صلاته
ولو قيل له مات ابوك فقال انا لله وانا اليه راجعون فلا يعيد صلاته
وذكر حديث علي حين اجاب الخارجي وهذا قول الشافعي وابي يوسف
وقال ابو حنيفة تفسد صلاته لانه كلام آدمي وقد روي عن الامام احمد
مثل هذا فانه قال في من قيل له ولد لك غلام فقال الحمد لله رب العالمين
او ذكر مصيبة فقال انا لله وانا اليه راجعون قال يعيد الصلاة قال القاضي
هذا محمول على من قصد خطاب آدمي ولما روى عامر ان ربيعة قال
عطس شاب من الانصار خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقال
الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حتى يرضى ربنا وبعد ما يرضى فلما انصرف
والاخره قال من القائل الكلمة فانه لم
يقل بأسا ما تناهت دون العرش رواه ابو داود وعن علي رضي الله عنه انه قال
لرجل من الخوارج وهو في صلاة العداة فناداه لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين قال فانصت لي حتى فهمت اجابه وهو في الصلاة
فصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون احتج به الامام احمد
ورواه ابو بكر النجاد باسناده ولان ما لا يبطل الصلاة ابتداء لا يبطلها
اذا اتى به عقيب شيء كالتسبيح لتنبيه امامه قال الخلال اتفق الجميع
عن ابي عبد الله على انه لا يرفع صوته يعني العاطس لا يرفع صوته بالحمد لله
وان رفع فلا بأس به لحديث الانصاري وقال الامام احمد في الامام يقول
لا اله الا الله فيقول من خلفه لا اله الا الله مرفوعة باصواتهم قال يقولون
ولكن يخفون ذلك في انفسهم وانما اكره للامام تعمد ذلك كما كره القراءة

خلف

خلف الامام لانه يشق لا يمنع الانصات فجرى الثناء بين قبل لاحد ان يرفعوا اصواتهم
بهذا لعل اكرهه قيل فيهم الامام قال لانهم هم قال القاضي لعلم بينهم لانه قد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جهر بمثل ذلك في صلاة الاخفاء فانه كان يسمعهم الاية احيانا
قيل لاحد اذا قرئ اليس ذلك تقادر على ان يحيي الموتى هل يقول
سبحان ربي الاعلى فقال ان شاء قالها فيما بينه وبين نفسه ولا يجهر به في المكتوبة
وغيرها وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قرأ في الصلاة سبح اسم ربك الاعلى
فقال سبحان ربي الاعلى وعن ابن عباس انه قرأ في الصلاة اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى فقال سبحانك اللهم وبلى وعن موسى انزلني غايشه قال كان
رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرئ اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال
سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو
داود ولانه ذكر ورد الشرع به فجاز كالتسبيح في موضعه النوع الثالث
ان يقرأ القرآن يقصد به تنبيه اذي مثل ان يقول لاهله ادخلوها بسلام امنين يريد
الاذن او يقول لرجل استه يحيي هذا الكتاب يقوه او يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا فقد روي عن الامام ان صلاته تبطل بذلك وهو مذهب الشافعي
لانه خطاب آدمي فاشبه ما لو كلمه وروي عنه ما يدل على انها لا تبطل لانه
قال فيمن قيل له مات ابوك فقال انا لله وانا اليه راجعون لا يعيد الصلاة
واحتج بحديث علي حين قال للخارجي فاصبر ان وعد الله حق وروي بخرهد
عن ابن مسعود وابن ابي ليلى فيروى ابو بكر الخلال باسناده عن عطاء ابن السائب
قال استأذنا على عبد الرحمن ابن ابي ليلى وهو يصلي فقال ادخلوا ان شاء الله امنين
فقلما كنت صنعت فقال استأذنا على عبد الله ابن مسعود وهو يصلي فقال
ادخلوا ان شاء الله امنين ولانه قرأ القرآن فلم تفسد صلاته كما لو لم يقصد
بالتنبيه وقال القاضي ان قصد التلاوة دون التنبيه لم تفسد صلاته وان
حصل التنبيه وان قصد التنبيه دون التلاوة فسدت صلاته لانه خاطب
آدميا فان قصدهما جميعا ففيه وجهان احدهما لا تفسد صلاته وهو مذهب
الشافعي لما ذكرنا من الآثار والمعنى والثاني تفسد صلاته لانه خاطب آدميا
اشبه ما لو لم يقصد التلاوة فاما ان اتى بما لا تتعلق به القرآن من غير

اثيب على ما اخلصه لله لا على علم للناس ولا نظم زينا احدا ولا تطول القلاه
بكلام الناسي والجاهل وصوره وايه عن احمد ولا باس اذا ابدل لحنا يسيرا
وهو وجه في مذهب احمد وقال به طائفة من العلماء ولا باس للقراء لحنا غير
يحيل للمعنى عجزا وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم المتشهد في الصلاة الحيه
والعقرب ٥ ف ... اذا الى تذكر شروع ... شبيه بصوته
فذاك ثلاثة انواع الاول مشروع في الصلاة مثل ان يشهد امامه فيسبح به
ليذكره او يترك امامه ذكرا فيرفع المامور صوته ليذكره بذلك دون غيره
اثنان في الصلاة وكلمة بشيء او بوجه شيء فتنحنح او نحوه او تحنحي بغير
اثنان الوقوع في شيء ويتنح ليوهم غيره انه يتنحنح ان يتلفظ شيئا فيتنح ليتبين
فهذا لا يوثر في الصلاة في قول اكثر اهل العلم منهم الاوزاعي واسحاق
وابو ثور وحكي عن ابي حنيفة ان من فهم عن امامه بالتسبيح فسدت صلاته
لانه خطاب آدمي فدخل في عموم اخبار النهي عن الكلام وانما قول
النبي صلى الله عليه وسلم من نابه شيء في الصلاة فليقل سبحان الله فانه لا يسمعه احد يقول
سبحان الله الا التفت وفي لفظ اذا نابكم امر فليسبح الرجال وليصفق النساء
وهذا عام في كل امر ينوب المصلي وفي الاستئذان على حتى اذا استاذنت على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو في صلاة سبح وان كان في غير صلاة اذن ولانه نبه
بالتسبيح اشبه ما لو نبه الامام ولو كان تنبيه غير الامام كلاما مبطلا لكان
تنبيه الامام كذلك ... في معنى هذا النوع اذا فتح على الامام
اذا ارتج عليه او ردد في القراءة او التبس عليه في الفرض والنفل روي ذلك
عن عثمان وعلي وابن عمر وبه قال عطاء والحسن وابن سيرين وابن معقل وابن
ابن جبير وابن مطيع وابو اسحاق الهجري وابو عبد الرحمن السلمي وكرهه ابن مسعود
وشريح والشعبي والثوري وقال ابو حنيفة تبطل الصلاة به لما روى
المغيرة عن علي قال ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلتة يفتح على الامام ولنا
ما روى عاصم بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فقرأ فيها فلتبس عليه فلما
انصرف قال لابي اصليت معنا قال نعم قال ما منعك رواه ابو داود
قال الخطابي واسناده جيد وعن ابن عباس قال لم تزد رسول الله صلى الله عليه وسلم

في

في القراءة في صلاة الصبح فلما قضى الصلاة قلنا يفتح عليه فلما قضى الصلاة قطرني وجوه القوم
فقال انا شهد الصلاة معكم ابي ابن كعب قالوا لا فراى القوم انه انما فقده
ليفتح عليه رواه الاثرم ورواه النسائي ولما قال مالك شهدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم افتتح في الصلاة فتركه من القرآن فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكرت
تركها فقال فهلا اذكرتنيها رواه ابو داود ولانه تنبيه لامامه
ما هو مشروع في الصلاة فاشبه التسبيح وحديث علي مرويد الحارث
وقال الشعبي كان كذابا وقد قال علي يتبعه اذا استطعم الاطعم فاطعمه
يعني اذا تقايا نارد عليه رواه الاثرم وقال الحسن ان اهل الكوفة يستحلون
لا يفتح على الامام وما يامن به ان يقول سبحان الله وبحمده ليس بقول ابو اسحق من الحارث الا ربعة احاديث ليس هذا منها
واذا ارتج على الامام في الفاتحة لزم من ورائه ان يفتح عليه كما لو تيقن سجوده
لزمه تسبيحه بالتسبيح والتسبيح فان عجز عن اتمام الفاتحة فله ان يتخلف
عن يصلي بهم لانه عذر فجاز ان يتخلف من اجله كما لو شق عليه الحدث وكذلك
لو عجز في اثناء الصلاة عن ركن مع الامام كالركوع والسجود فانه يتخلف
من يتم بهم الصلاة كمن شق عليه الحدث بل هذا اولى لا اختلاف لان من شق عليه الحدث
قد بطلت صلاته وهذا صلاته صحيحة فهو ان لا يتخلف اولى واذا لم يقدر
على اتمام الفاتحة فقال ناس عقيل ناتي ثم نحن ويسقط عنه ما عجز عنه وتصح
صلاته لان القراءة وكن عجز عنه في اثناء الصلاة فسقط كالقيام فاما المامور
فان كان لبيا عاجزا عن قراءة الفاتحة صحت صلاته ايضا وان كان قارئا
نوى مفارقته وائتم به ولا يصح ائتمام الصلاة خلفه لان هذا قد صار
حكمه حكم الامي والصحيح انه اذا لم يقدر على قراءة الفاتحة ان صلاته تفسد
لانه قادر على الصلاة بقراءة ثم تصح صلاته بدون ذلك لعموم قوله عليه السلام
لا صلاة لمن لا يقرا بفاتحة الكتاب ولا يصح قياس هذا على الامي لان الامي
لعذر لا يقدر على تعلمها قبل خروج الوقت ثم تصح صلاته بدونها وهذا يمكنه ان يخرج
غيث اخر مكانا وقف فيه ويصلي ولا قياسه على ما ان كان الافعال لان خروجه
من الصلاة لا تزيل عجزه عنها ولا يامن عوده مثل ذلك العجز بخلاف هذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الامام احمد تقطع الصلاة اذا انتظم حرفين لانه جعله كلاما ولا يكون كلاما
باقل من حرفين والموضع الذي تقطع الصلاة اذا لم ينتظم منه حرفان وقال
ابو حنيفة ان سمع فهو بمنزلة الكلام والا فلا يضر والصحيح انه لا تقطع
الصلاة ما لم ينتظم منه حرفان لما روى عبد الله بن عمرو قال انكسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث الى ان قال ثم نفخ في سجوده فقال
اف اف رواه ابو داود واما قول ابي حنيفة فانه اراد ما لا يسمعه الانسان
من نفسه فلقن ذلك بنفخ وان اراد ما لا يسمعه غيره فلا يصح لان ما
ابطل الصلاة اظهاره ابطلها استتاره وما لا فلا كالكلام
واما النخنخة فقال اصحابنا ان بان منها حرفان بطلت الصلاة كالنفخ
ونقل المروذي قال كنت آتي ابا عبد الله فينتنح في صلاته لاعلم انه يصلي
وقال سمعنا ولبيك يا عبد الله ينتنح في الصلاة قال اصحابنا هذا محمول على انه
لم ينتظم حرفين وظاهر حال الامام احمد انه لم يعتبر ذلك لان النخنخة
لا تشبه كلاما وتدعو الحاجة اليها وقد روي عن علي رضي الله عنه قال
كانت لي ساعة آتيه فيها فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان في
صلاة تنحنح فكان ذلك اذني وان لم يكن في صلاة اذن لي رواه الخلال
باسناده واختلفت الرواية عن الامام احمد في كراهية تنبيه
المصلي بالتنحنح قال في موضع لا يتنحنح في الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
نابكم شيء في صلاتكم فليسبح الرجال وليصفق النساء وروى عنه المروذي
انه كان يتنحنح ليعلمه انه في صلاة وهذا يدل عليه وهو خاص فيقدم
على العام فيحصل فيما الكاف والتاء والانين الذي ينتظم منه
حرفان فما كان مغلوبا عليه لم يؤثر على ما ذكرنا من قبل وما كان عن غير
غلبة فان كان لغير حرف اسقط الصلاة وان كان من خشية الله
عز وجل صلى ونحو ذلك ان يطلع في الجنة او النار في الصلاة او تذكر
من النار فلا يأثم وقال ابو الخطاب اذا تاوه او انتحب او بكى لخوف الله
تعالى لم تبطل صلاته قال القاضي التأوه ذكر مدح الله تعالى ابراهيم
به فقال ان ابراهيم لاواه حليم والاوه لا تنافي الصلاة ومدح الباكين فقال تعالى

خروا سجدا وبكيا وقال يخرون للاذقان يبكون وروي عن مطرف ابن الشخير
عن ابيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل
من البكاء رواه الخلال وقال عبد الله بن شداد سمعت نشيج عمر وانا
في آخر الصفوف ولم ار عن احمد في التأوه شيئا ولا في الانين والاشبه بقوله
انه متى فحش بحيث ظن ان قارئ صلاته قاطع في رواية مهنا في البكاء الذي لا
يقطع الصلاة ما كان عن غلبة لان الحكم لا يثبت الا بنص او قياس على نص
او اجماع والنصوص العامة تمنع من الكلام كله ولم يرد في التأوه والانين
ما خصها وخبر جهاد من التعوذ والمدح على التأوه لا يجب تخصيصه كتخصيص
القاطن ورد الكلام او الكلمة الطيبة التي هي صدقة وقال الشيخ الامام
علاء الدين في الاختيارات للشيخ تقي الدين والنفخ اذا بان منه حرفان هل
تبطل الصلاة في المسألة عن مالك روايتان وظاهر كلام ابي العباس
ترجيح عدم الابطال والتأوه والعطاس والتثاؤب والبكاء والانين
والذي يمكن دفعه وهذه الاشياء كالنفخ بل هي اولى ان لا تبطل فان النفخ اشبه
بالكلام من هذه والاظهر ان الصلاة تبطل بالمفهم اذا منها اصوات عالية
تنافي الخشوع الواجب في الصلاة وغير المفهم من الاستغاثة والتلاعب ما ينافي قصد
مقصود الصلاة فابطلت بذلك لان الكلام ينقطع الصلاة المراد
والمار والكلب الاسود البهيم وهو مذهب احمد رحمه الله والمشهور عنه
انه اذا غلب الوسواس على اثر الصلاة انها لا تبطل وشقط الفرض بذلك
وقال ابن حامد والغزالي في الاحياء وتبعه ابن الجوزي تبطل وعلى الاول لا
يثاب الا على ما علم بقلبه فلا يكفر من حديث النفس ما لم يقدره والباقي يحتاج الى تكفير
فاذا ترك واجبا استحق العقوبة فاذا كان لتطوع سقط سجوده فكل تواضع
وهذا الكلام في الخشوع الذي تقصد الصلاة لله تعالى مع الوسواس واما
المنافق الذي لا يصلي الا رياء وسمعة فهذا عمل محابط لا يحصل به ثواب
ولا يرتفع به عقاب فهو كمن ترك ركنا من اركانها لانها تسقط عنه الصلاة في الدنيا فيما يتعلق
بها ولا ترتفع عنه عقوبة الآخرة والتسوية بين المؤمن والمنافق في الصلاة خطأ ولا
يأثم المسلم على المصلي ان كان بحيث لو رد ما لاثابه وقال طائفة من
العلماء ولا ثواب على مثل هذه الصلاة وهو قول اكثر العلماء ومن صلى لله فحسنها او كلها للناس

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا فرق بين القليل والكثير في ظاهر كلام الامام احمد لان ما عفي عنه
بالنسيان استوى قليله وكثيره كالاكل في الصيام وهذا قول بعض
الشافعيه ولنا ان دلاله احاديث المنع من الكلام عامه تركت
في اليسير مما ورد فيه من الاخبار فيبقى في ما عداه على مقتضى العموم
ولا يصح قياس الكثير على اليسير لان اليسير لا يمكن التحرز منه وقد
عفي عنه في العمل من غير جنس الصلاه بخلاف الكثير
الا الامام خاصه فانه اذا تكلم لمصلحه الصلاه لم تبطل صلاته وجملته
ان من سلم من نقص من صلاته يظن انها قد تمت ثم تكلم فيه روايتان
ثلاث روايات احداهن ان الصلاه لا تفسد اذا كان الكلام في شان
الصلاه مثل كلام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في حديث ذي اليدين
لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه تكلموا ثم بنوا على صلاتهم ولنا قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شك احدكم في صلاته وهو قول
الحلال وصاحبه ومذهب اصحابنا للراي لعموم احاديث النهي والثالثه
ان صلاه الامام لا تفسد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اماما فتكلم وبنى
على صلاته وصلاه المامومين الذين تكلموا تفسد فانه لا يصح اقتداؤهم
ما بين سهو وعمد لانهما تكلما مجيبين للنبي صلى الله عليه وسلم واجابته واجبه
عليهما ولا مدى اليدين لانه تكلم يسيرا بلا عن تقص الصلاه في وقت
يمكن ذلك فيها وليس موجود في زماننا وهذه الروايه اختيار الخرقي
واختص هذا الكلام في شان الصلاه لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
انما تكلموا في شانها فاختصت باباحه الكلام لوجود النص لان الحاجه
تدعو الى ذلك دون غيره فيمتنع قياس غير عليه فاما من تكلم
في صلب الصلاه من غير سلام ولا ظن التمام فان صلاته تفسد سواء
كان لغير لمصلحه الصلاه او غيرها وذكر القاضي في ذلك الروايات
الثلاث ويحتمل كلام الخرقي لعموم لفظه وهو مذهب الاوزاعي فانه
قال لو ان رجلا قال للامام وقد جهر بالقراءه في العصر انها العصر لم
تفسد صلاته ولان الامام قد يطرقه حال يحتاج الى الكلام فيها وهو ما
لو نبي القراء في ركعه فذكرها في الثانيه وقد قعدت عليه ركعه يحتاج

ان

ان يبدلها بركعه هي في ظن المامومين خامسه لتتم لهم موافقته فيها ولا
سبيل الى اعلامهم بغير الكلام وقد شك في صلاته فيحتاج الى التوال
فلذلك لم يبطله الكلام وما عدا من النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته ولا عن الامام
نصا في الكلام في غير الحال التي شرعت فيها اتمام الصلاه فيتكلم بعدها الكلام
وقياس الكلام في صلب الصلاه على اتمامها على هذه الحال ممتنع لان هذه حال
نسيان غير ممكن التحرز من الكلام فيها وهي ايضا حال يتطرق الجهل الى
صاحبها بخروج الكلام فيها فلا يصح قياس ما يفارقها في هذين الامرين عليها
ولا نص فيها واذا عدم النص والقياس والاجماع امتنع ثبوت الحكم
لان اثباته يكون ابتداء حكم بغير دليل ولا يشير اليه متصل
والكلام المبطل ما انتظم حرفين هذا قول اصحابنا واصحاب الشافعي لان
الحرفين تكون كلمه كقوله اب واخ ويد ودم وكذلك الافعال
والحرف لا ينتظم كلمه من اقل من حرفين ولو كان لا تفسد صلاته لانها
حرفان لام والف وان سمحك فان حرفان فسدت صلاته وكذلك ان
فهمقه وابن حرفان وهذا قول جابر بن عبد الله وعطاء ومجاهد
والحسن وقتاده والنخعي والاوزاعي والثوري واصحاب الراي ولا نعلم
فيه مخالفا قال ابن المنذر اجمعوا على ان الضحك تفسد الصلاه واكثر اهل
العلم على ان التبسم لا تفسدها وقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال القهقهه تنقض الصلاه ولا تنقض الوضوء رواه الدارقطني
في سننه فصل واما النفخ في الصلاه فان انتظم حرفين فسدت صلاته
لانه كلام والا فلا لانه ذكر قال الامام احمد النفخ عندي مثل الكلام
وقال ايضا قد فسدت صلاته حديث ابن عباس من نفخ في صلاته فقد تكلم
وروي عنه ايضا عن ابن عمر انها وسئل ابن جبير وقال ابن المنذر لا ثبت
عن ابن عباس ولا عن ابن عمر وروي عن الامام احمد انه قال اكره ولا اقول
يقطع الصلاه ليس هو كلاما وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس
وابن سيرين والنخعي وبهذا قال ابن خير واحق قال القاضي الوضع الذي

واصحابه فعلوه وسوا على صلاتهم ولان سنة مشروعة في الصلاة فاشبه
الزيادة فيها من جنسها وان لم يكن سلاما فالمنصوص عن الامام احمد
في رواية حامد من اصحابه انه اذا تكلم بشيء يسير لحاجة الصلاة او شيء من
شان الصلاة مثل كلام النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين لم تفسد صلاته وان
تكلم بشيء من غير امر الصلاة عمدا او علم انه شيء ما فسدت صلاته بذلك
في رواية موسى ان موسى من تكلم ناسيا في صلاته فظن ان صلاته قد تمت
ان كان كلامه فيما يتم به الصلاة بنى على صلاته كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين
واذا قال يا غلام اسقني ماء او شبهه اعاد ومن تكلم يعتقد انه قد اتم صلاة
الزبير واسماء عند الله وعروة وحديثه ان عباسا سلم ولا نعلم عن غيرهم
في عصرهم خلافه وفيه رواية ثانية ان الصلاة لا تبطل بكلام قال في رواية
حرب اما من تكلم اليوم واجابه اعاد الصلاة وهذه الروايات اختيار
الخلال وقال على هذا اختيار اكثر اصحابنا وهذا
مذهب اصحاب الرأي لعموم الاخبار في منع الكلام وفيه رواية
ثالثة ان الصلاة لا تفسد بالكلام في تلك الحال سواء كان من شان الصلاة
او لم يكن اماما كان او مأموما وهذا مذهب مالك والشافعي لانه نوع
من الشبان فاشبه المتكلم جاهلا وكذلك تكلم النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وبنوا على صلاتهم ويخرج فيه رواية رابعة هو ان المتكلم
ان كان اماما تكلم لمصلحة الصلاة لم تفسد صلاته وان تكلم غيره فسدت
صلاته القسم الثالث ان يتكلم معلوما على الكلام وهو ثلاثة
انواع احدها ان تخرج الحروف من فيه غير اختيار مثل ان يتثاءب
فيقول هاه او يتنفس فيقول اه او يعطس فينطق في العطاس
وما اشبه هذا او يغلط في القراءة فينعدل الى كلمة من غير القرآن او
يجيب النعاس فينعس ولا يقدر على رده فهذا لا تفسد صلاته بنص
عليه الامام احمد في الرجل يكون في الصلاة فيجيبه النعاس فيقال
اذا كان لا يقدر على رده نعني لا تفسد صلاته وقال قد كان عمر
يبكي حتى تسمع له نشيج وقال انهنا صليت الى جنب احد فتثاءب حتى
مرات وسمعت لتثاؤبه هاه هاه وهذا الان الالم هاهنا لا تثب

اليه

الله ولا يتعلق به حكم من احكام الكلام وقال القاضي في من تثاءب فقال
آه انه تفسد صلاته وهذا محمول على من فعل ذلك غير مغلوب عليه
لما ذكرنا من فعل الامام احمد ولان هذا من نوع مخالفة النوع الثاني لان هذا
قد توقف الامام احمد عن الجواب فيه وينبغي ان لا تبطل صلاته لان
التكلم مرفوع عنه ولا حكم لكلامه فاشبه ما لو اتى واقرا او اعتق ليلزمه حكم
ذلك النوع الثالث ان يتكلم على الكلام يحتمل ان يخرج على كلام
الناسي لان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بينهما في العفو بقوله صلى الله عليه وسلم عفي
لامتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال القاضي هذا اولى
بالعفو وصحة الصلاة لان الفعل غير منسوب اليه ولهذا لو اكره على اتلاف
مال لم يضمنه ولو اتلفه ناسيا ضمنه والصحيح ان شاء الله تعالى ان هذا
تفسد صلاته لانه اتى بما يبطل الصلاة عمدا فاشبه ما لو اكره على صلاة النجم
اربعا او على ان يركع في ركعة ركوعين ولانه يفتقر الى نية فافتقر الى
توجيه احدهما الى الثبات يكثر ولا يمكن التحرز منه بخلاف الاكل
والشرب فانه لو نوى قطع الصلاة او نوى من على ركعة صلاة لم تفسد
صلاته واشبه ما لو اكره القسم الرابع ان يتكلم بكلام واجب
مثل ان يخشى على ضرير او صبي الوقوع في بئر او نار او نحو ذلك فيقصد غافلا
او نائما او مريدا لغير ذلك فان كثر وطال افسد الصلاة وهذا منصوص الشافعي
قال القاضي في المجرد كلام الناسي اذا طال لم يعف رواية واحدة وقال في الجامع

الصلاة بترکها عمدًا فلم یشرع السجود لها کسنن الافعال القسم
الثانی سنن الاقوال وهی رفع الیدین عند الافتتاح والرکوع والرفع
منه ووضع الیمنی علی الیسری وجعلها تحت السرة والنظر الی موضع سجوده
ووضع الیدین علی الرکبتین فی الرکوع والتجافی فیه وفی السجود ومد
ظهره معتدلا وجعل رأسه حیاله والبداءة بوضع الیدین قبل الرکبتین
فی السجود ورفعهما فی القیام والتفریق بین رکبتیه فی السجود ووضع یدیه
حذو منکبیه او اذنیه ونصب قدمیه ونثنیها بما فیه وفی الجلوس
والافتراش فی التشهد الاول وفی الجلوس بین السجدتین والتورک فی الثانی
ووضع الید الیمنی علی الفخذ الیمنی مبسوطة محلقة والاشارة بالسبابة ووضع
الید الیسری علی الفخذ الیسری مبسوطة والالتفات عن الیمین والشمال
فالتسلیمتین والسجود علی الانف وجلسة الاستراحة وهیئة الخروج من الصلاة
فی ثلاثة فی احدی الروایتین فیش فهذه لا تبطل الصلاة بترکها عمدًا او سهوًا
ولا شرع السجود لها لما قلنا لانها لا تمکن التحرز من ترکها فلو شرع السجود
لها لم تخل صلاة من سجود فی الغالب بخلاف غیرها ثم
للصلاة ستة اشیاء الطهارة من الحدث والطهارة من النجس والستر
واستقبال القبلة ودخول الوقت والنیة فمتی اخل ببنی من هذه الشروط
لغیر عذر لم تقبل صلاته ودلیل النیة فی انها لا تصح الصلاة الا بها قوله
حق المعذور وغیر [illegible] من تکلم عامدًا او ساهیا بطلت
صلاته اما الکلام عمدًا وهو ان یتکلم عامدًا انه فی الصلاة مع علمه بتحریم
ذلک لغیر مصلحة الصلاة ولا امر بوجب الکلام فتبطل الصلاة اجماعا
قال ابن المنذر اجمع اهل العلم علی ان من تکلم فی صلاته عامدًا وهو لا یرید
اصلاح صلاته ان صلاته فاسدة وقد قال النبی صلی الله علیه وسلم ان هذه لا
یصلح فیها شیء من کلام الناس انما هی التسبیح والتکبیر وقراءة القرآن
رواه مسلم وعن زید بن ارقم قال کنا نتکلم فی الصلاة یکلم احدنا صاحبه
وهو الی جنبه حتی نزلت وقوموا لله قانتین فامرنا بالسکوت ومنعنا
ونهینا عن الکلام وعن ابن مسعود قال کنا نسلم علی رسول الله صلی الله علیه وسلم

الصلاة

وهو

وهو فی الصلاة فیرد علینا فلما رجعنا من عند النجاشی سلمنا علیه فلم یرد علینا
فقلنا یا رسول الله کنا نسلم علیک فی الصلاة فترد علینا قال ان فی الصلاة
لشغلا متفق علیه زاد ابن ابی داود ولفظه فی حدیث ابن مسعود فلما قضی
رسول الله صلی الله علیه وسلم الصلاة قال ان الله یحدث من امره ما شاء وان الله قد
احدث ان لا تتکلموا فی الصلاة فیما بینکم الکلام غیر ذلک مما ینبغی منه
اقسام احدها ان یتکلم بما لا ینبغی الکلام فی الصلاة فقال الناصی
فی الجامع لا اعرف عن احد نصا فی ذلک ویحتمل ان لا تبطل صلاته لان الکلام
کان مباحا فی الصلاة بدلیل حدیث ابن مسعود وزید بن ارقم ولانه
جنس التسبیح فی حق من لم یعلم بدلیل ان اهل قبا لم یشتوا فی حقهم لعدم سمع
القبلة قبل علمهم فمضوا علی صلاتهم بخلاف الناسی فان الحکم قد ثبت فی حقه
وبخلاف الاکل فی الصوم فانه لا یشبهه فانه لیس مباحا وقد دل علی صحة
هذا خبر ذی الیدین فانه لم یأمرهم بالاعادة مع ان الکلام کان کثیرا
اذ عطس رجل من القوم فقال یرحمک الله فرماهم القوم بابصارهم فقلت
واثکل امیاه ما شانکم تنظرون الی فجعلوا یضربون بایدیهم علی افخاذهم
فلما رأیتهم یصمتونی لکنی سکت فلما صلی رسول الله صلی الله علیه وسلم فبابی هو وامی
ما رأیت معلما قبله ولا بعده احسن تعلیما منه فوالله ما کهرنی ولا ضربنی
ولا شتمنی ثم قال ان هذه الصلاة لا یصلح فیها شیء من کلام الناس انما
هی التسبیح والتکبیر وقراءة القرآن او کما قال رسول الله صلی الله علیه وسلم رواه
فلم یأمره بالاعادة یدل علی صحتها وهذا مذهب الشافعی والاولی ان یخرج
هذا علی الروایتین فی کلام الناسی لانه معذور مثله القسم الثانی
ان یتکلم ناسیا وذلک نوعان احدهما ان یتکلم فی صلاته بقلیل
احدها لا تبطل الصلاة وهو قول مالک والشافعی لان النبی صلی الله علیه وسلم
تکلم فی حدیث ذی الیدین ولم یأمر شعوبا بالاعادة ولان الحکم لا یعلم
وما عذر فیه بالجهل عذر فیه بالنسیان والتشابه نحو صلاته وهو
قول النخعی وما یروی عن ابن مسعود وابن سلمان وصحابة الرأی لعموم احادیث المنع
من الکلام ولانه لیس من جنسه ما هو مشروع فی الصلاة فلم یتاخ منه قلیله
کالعمل الکثیر من غیر جنس الصلاة والمنع للمشقة لان یظن ان صلاته تبطل
فیتکلم فهذا ان کان سلاما لم تبطل الصلاة بروایة واحدة لان النبی صلی الله علیه وسلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انه أخل بالموالاة مستطيل صلاته كما لو ذكر في يوم ثمان ولاحد لطول الفصل
والمرجع في ذلك إلى العرف وهذا قول بعض اصحاب الشافعي وقال بعض
اصحاب الشافعي الفصل الطويل قدر ركعة وهو المنصوص عن الشافعي
وقال بعضهم قدر الصلاة التي تفوت الزمن منها ولنا انه لا حد في الشرع
ويرجع فيه إلى العرف كسائر ما لا حد له ولا يجوز التقدير بالتحكم
فصل ومتى كان المتروك سلاما اتى به فقط وان كان
تشهدا اتى به وسلم وان كان غيرهما اتى بركعة كاملة وتشهد
ويسجد للسهو وقال الشافعي يأتي بالركن وما بعده لغير قال الامام احمد
في من نسي سجدة من الركعة الرابعة ثم قام وتكلم اذا كان الكلام الذي اتى
به من شأن الصلاة قضى ركعة ولا يعتد بالركعة الاخيرة لانها لا تتم الا
بسجدتيها فلم يأت بسجدة من الركعة سجدتها واخذ في عمل بعد السجدة الواحدة
قضى ركعة ثم تشهد وسلم وسجد سجدتي السهو وان تكلم بشيء من غير
شأن الصلاة اتمها الصلاة قال ابو عبد الله وهذا قول مالك ذكره عنه في
ابو عبد الله الحديث ذي اليدين ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم وبنى على الماضي
وعمر احق ما يقول ذو اليدين ثم بنى على ما مضى من صلاته وفي الجملة فالحكم
في ترك ذكر حال في ترك ركعة على ما نص عليه الامام احمد في مواضع
فصل وتختص تكبيرة الاحرام من بين الاركان بان الصلاة
لا تنعقد بدونها لانها تحرمها قال النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير ولا تدخل
في الصلاة بدونها وتختص القيام فتسقط في النوافل وتختص قراءة الفاتحة
تسقط عن المأموم وتختص السلام بانه اذا نابه اتى بغيره
فصل ومن ترك شيئا من التكبير غير تكبيرة الاحرام او التسبيح
في الركوع او التسبيع في السجود او قول سمع الله لمن حمده او قول ربنا
ولك الحمد وربنا اغفر لي او التشهد الاول او الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد الاخير عامدا بطلت صلاته ومن ترك شيئا مما يسجد
لسهوه فعليه سجود السهو هذا النوع الثاني من الواجبات وهي ثمانية
في وجوبها روايتان احداهما هي واجبة وهو قول اسحق والثانية ليست بواجبة
وهو قول الشافعي الان الشافعي اوجب منها الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنها

وضمها الى الاركان وعن الامام احمد رواية اخرى كقولهما وقد روى عن
ابن خلاد عن عمه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتم صلاة لاحد من الناس حتى يتوضأ
فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر ويحمد الله تعالى ويثني عليه ويقرأ ما شاء
من القرآن ثم يقول الله اكبر ثم يركع حتى تطمئن مفاصله ثم يقول سمع الله
لمن حمده حتى يستوي قائما ثم يقول الله اكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم
يقول الله اكبر ويرفع رأسه حتى يستوي قاعدا ثم يقول الله اكبر ثم يسجد حتى
تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر فاذا فعل ذلك فقد تمت صلاته وفي
رواية لا تتم صلاة احدكم حتى يفعل ذلك رواه ابو داود وحكم هذه الواجبات
اذا قلنا بوجوبها انها ان تركها عمدا بطلت صلاته وان تركها سهوا
وجب عليه السجود لسهوه لان النبي صلى الله عليه وسلم لما قام الى ثالثة
وترك التشهد الاول سجد سجدتين وهو جالس قبل ان يسلم ثم سلم
في حديث ابن بحينة ولولا ان التشهد الاول يسقط بالسهو لرجع اليه
ولولا انه واجب لما سجد لتركه لان لا يزيد في الصلاة زيادة محرمة فاليس
بواجب وقسنا عليه سائر الواجبات ولا يمنع ان يكون الشيء واجبا
يجبر اذا تركه وان كان لا يصح الا به كالحج وضم اصحابنا الى هذه الواجبات
شيئا الخروج من الصلاة في سلامه والتسليمة الثانية وقد ذكرنا انهما غير
واجبتين وهو اختيار الخرقي ولكونهما مذكورتين في عدد الواجبات وتختص

قول سمع الله لمن حمده بسقوطه عن المأموم ٥ النوع الثاني من
المشروع في الصلاة وذلك قسمان احدهما ثمان اقوال وهي
الاستفتاح والاستعاذة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وقول آمين
وقراءة السورة بعد الفاتحة وما زاد على التسبيحة الواحدة في الركوع والسجود
وقول ربنا لك الحمد بعد التحميد وما زاد على المرة في سؤال المغفرة بين السجدتين
والتعوذ والدعاء بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير
والتسليمة الثانية والجهر والاسرار في مواضعهما فهذا ان تركها عمدا
لم تبطل صلاته فان تركها ساهيا لم يجب السجود له لان فعلها غير واجب
يجبرها اولى ان لا يكون واجبا وهل يشرع لها السجود فيه روايتان احداهما
تشرع لقوله صلى الله عليه وسلم لكل سهو سجدتان والثانية لا يشرع لانها لا تبطل

متابعا الامام واجبه فليستحل لفعلها كتاب الواجبات ٥
ولا يشرع السجود لشئ فعله او تركه عامدا او بهذا قال ابو حنيفة وقال
الشافعي يسجد لمتروك السهو والقنوت عمدا لان ما تعلق الجبر تسهوه
تعلق بعمده كجبرانات الحج ولنا ان السجود مضاف الى السهو فيدل على
اختصاصه به والشرع انما ورد به في السهو فقال اذا نسي احدكم فليسجد
سجدتين ولا يلزم من ايجاب السهو ايجاب العمد لانه معذور في السهو
غير معذور في العمد وما ذكروه يبطل بزيادة ركن او ركعة او قيام في موضع
جلوس او جلوس في موضع قيام ولا يشرع لحدث النفل لان الشرع
لم يرد به فيه ولان هذا لا يمكن التحرز منه ولانكاد صلاة تخلو منه ولانه معفو
عنه ٥ وحكم النافلة حكم الفرض في سجود السهو في قول
عامة اهل العلم لا نعلم فيه مخالفا الا انس بن مالك لا يشرع في النافلة وهذا
مخالف عموم قوله النبي صلى الله عليه وسلم اذا نسي احدكم فليسجد سجدتين ولم
يفرق ولانها صلاة ذات ركوع وسجود فيسجد لسهوها كالفريضة
والقيام في صلاة الليل حكمه حكم القيام الى الثالثة في الفرض على الامام
احد وقال مالك يتمها اربعا ويسجد للسهو ليلا كان او نهارا وقال الشافعي
بالعراقي كقوله وقال الاوزاعي في صلاة النهار كقولنا وفي صلاة الليل
ان ذكر قبل ركوعه في الثالثة جلس وسجد للسهو وان ذكر بعد
ركوعها اتمها اربعا ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى
ولانها صلاة شرعت ركعتين فكان حكمها ما ذكرنا كصلاة الفجر
فاما صلاة النهار فبنيتها اربعا ٥ ولا يشرع السجود
للسهو في صلاة جنازة لانها لا سجود في صلبها فغيرها اولى ولا
سجود تلاوة لانه لو شرع لكان الجبر رابعا على الاصل ولا سجود
سهو على نص عليه الامام احمد وقال اسحق هو اجماع لان ذلك يفضي
الى التسلسل ولو سهى بعد سجود السهو لم يسجد لذلك ٥
المشروع في الصلاة قسمان واجب وسنن فالواجب نوعان
احدهما لا يسقط في عمد ولا سهو وهو عشرة اشياء تكبيرة الاحرام
والقيام وقراءة الفاتحة للامام والمنفرد والركوع حتى تطمئن والاعتدال

عنه

عنه حتى تطمئن والسجود حتى تطمئن والاعتدال بين السجدتين حتى
تطمئن والتشهد في اخر الصلاة والجلوس له والسلام وترتيب الصلاة
على ما ذكرنا فهذه متى ذكرها لا تسقط في عمد ولا سهو وفي وجوب
بعض ذلك اختلاف وقد دل على وجوب اكثرها ما روى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد
وقال ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ارجع فصل فانك لم تصل ثلاثا فقال الذي بعثك بالحق ما احسن غير هذا
فعلمني فقال اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع
حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع
حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك
كلها رواه البخاري ومسلم وقال اذا قمت الى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر وهذا
يدل على ان هذه الاشياء في هذا الحديث لا تسقط بحال فانها لم تسقط
عن الاعرابي لجهله بها والجاهل كالناسي واما احكامها في الترك
فان من ترك منها عمدا بطلت صلاته في الحال فان ترك شيئا منها سهوا
ثم ذكره في الصلاة اتى به وان لم يذكره حتى سلم وطال الفصل بطلت الصلاة
لانه لا عهد بنا سائغا فيها على ما مضى مع طول الفصل وان لم يطل الفصل
بنا على ما مضى من صلاته نص الامام احمد على هذا في رواية جماعة وهذا قول
الشافعي وقال بعض اصحابنا متى ترك ركنا فلم يذكره حتى سلم بطلت صلاته
وعن مكحول ومحمد بن اسحق الطوسي في المصلي خمسا يسجد سجدتين
متى ما ذكرها ويسجد سجدتي السهو وعن الاوزاعي في رجل نسي سجدة
من صلاة الظهر فذكرها في صلاة العصر مضى في صلاته فاذا فرغ سجدها
ولنا على ان الصلاة لا تبطل مع قرب الفصل انه لو ترك ركعة او اكثر
وذكر قبل ان يطول الفصل اتى بما ترك ولم تبطل صلاته اجماعا وقد دل
عليه حديث ذي اليدين فاذا ترك ركنا واحدا فاولى ان لا تبطل الصلاة
فانه لا مزيد على ترك ركعة والدليل على ان الصلاة تبطل بتطاول الفصل

شبكة الألوكة www.alukah.net

حكمه اذا سهى وكذلك اذا لم يشهد واذا سهى الامام فعلى المأموم متابعته
في السجود سواء سهى معه او انفرد الامام بالسهو واجمع كل من يحفظ عنه من
اهل العلم على ذلك وذكر اسحق انه اجماع اهل العلم وسواء كان السجود قبل
السلام او بعده لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا
سجد فاسجدوا والحديث اراد عمر الذي رويناه اذا كان الامام مسيئا قال
فصلى الامام فلم يدع فيه فعليه متابعته في السجود سواء كان قبل السلام
او بعده روي هذا عن عطاء والحسن والنخعي والشعبي وابي ثور واصحاب
الرأي قال ابن سيرين واسحق يقضي ثم يسجد وقال مالك والشافعي
في السجود قبل السلام كقولنا وبقوله نقول ابن سيرين وروي ذلك
عن الامام احمد ذكره ابو داود وذهب زاد المسافر فعل خارج من الصلاة
فلم يتبع الامام فيه كصلاة اخرى ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم انما
جعل الامام ليؤتم به فاذا سجد فاسجدوا وقوله في حديث ابن عمر فان ينصرف امامه فعليه وعلى
من خلفه ولان السجود من تمام الصلاة فتتابعه فيه كالذي قبل السلام
وكغير المسبوق وفارق صلاة اخرى فانه غير مؤتم به فلم ٥ اذا ثبت
هذا فمتى قضى فقد اعاد السجود روايتا واحدا فلا يعيده لانه قد لزمه
حكم السهو وما فعله من السجود مع الامام كان متابعة له فلا تسقط
به ما لزمه كالتشهد الاخير والثانية لا يلزمه السجود لان سجود
امامه قد كملت به الصلاة في حقه وحصل به الجبران فلا يحتاج الى سجود
ثان كالمأموم اذا سها وحده قال الشافعي في قولان كالروايتين
فان نسي الامام السجود سجد المسبوق في آخر صلاته رواية واحدة
لانه لم يوجد منا الامام ما تكمل به صلاة المأموم واذا سها المأموم عما
ما ينفرد به لقضاء سجد رواية واحدة لانه قد صار منفردا فلم يحمل
عنه الامام وهذا الذي لم يسه مع امامه تمام فاذا صلاته ثم يسجد
بعد السلام كالمنفرد شوله فصل قام غير المسبوق اذا
سها امامه فلم يسجد له لم يسجد المأموم فيه روايتان احداهما يسجد
وهو قول ابن سيرين والحكم واسحاق والثانية لا يسجد وهو قول مالك والشافعي واي ثور

وقال

وقال ابن عقيل وهي اصح لان صلاة المأموم نقصت بسهو الامام ولم
يجبر بسجوده فلزم المأموم جبرها والثانية لا يسجد وروي ذلك
عن عطاء والحسن والنخعي والقاسم وحماد ابن ابي سليمان والثوري واصحاب
الرأي لان المأموم انما يسجد تبعا فاذا لم يسجد الامام لم يوجد المقتضي
لسجود المأموم وهذا اذا تركه الامام لعذر فان تركه قبل السلام
عمدا او كان ممن لا يرى السجود واجتهد فتركه تركه شهوا او ان
كان يعتقد وجوبه بطلت صلاة وهل تبطل صلاة المأموم فيه وجهان
احدهما تبطل لانه ترك واجبا في الصلاة عمدا فبطلت صلاة المأموم لترك
التشهد الاول والثاني لا تبطل لانه لم يبق من الصلاة الا السلام ٥
فصل اذا قام المأموم لقضاء ما فاته فتحمل امامه بعد السلام
فحكمه حكم القيام عن التشهد الاول ان تحمل امامه قبل استتمامه قيامه
الرجوع وان استتم قياما ولم يشرع في القراءة لم يرجع وان رجع جاز
وان شرع في القراءة لم يكن له الرجوع فرض على هذا الامام لهذا قال الاثرم قيل
لابي عبد الله رجل ادرك بعض الصلاة فلما قام ليقضي اذا كان على الامام
سجود سهو قال ان كان عمل في قيامه وابتدا القراءة مضى ثم سجد قلت
فان لم يستتم قياما فالرجوع ما لم يعتدل قال نعم اذا استتم قائما فلا اذا استتم
قياما واخذ في عمل القضاء سجد بعد ما يقضي وذلك لانه قام عن واجب عليه
ولكن اشبه القيام عن التشهد الاول لما تقدم ان فيه روايات ثلاثا
وهذا اولى وهو منصوص عليه مما قدرويناه ٥ فصل وليس على
المسبوق سجود لذلك في قول اكثر اهل العلم وروي عن
ابن عمر وابن الزبير وابي سعيد وعطاء وطاوس ومجاهد واسحق في من ادرك
وتر امام صلاة امامه سجد لانه محل للتشهد في غير موضع التشهد
ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم ما فاتكم فاتموا وفي رواية وما امركم فاسجدوا
ولانقل ذلك وقد فاتت النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصلاة مع عبد الرحمن بن
عوف فقضى ولم يكن لذلك سجود والحديث رواه مسلم وقد جلس في
غير موضع شهوده ولان السجود يشرع للشهو ولا شهو هاهنا ولان

يسجد للوهم ٥ فصل وان شك في ترك ركن من اركان الصلاة
وهو فيها هل اتى به او لا حكمه حكم من ايقن به اماما كان او منفردا
لان الاصل عدمه وان شك في زيادة توجب السجود فلا يسجد عليه
لان الاصل عدمها فلا يجب السجود لشك فيها وان شك في ترك واجب
يوجب تركه سجود السهو فقال ابن حامد لا يسجد عليه لانه شك
في سببه فلم يلزمه بالشك كما لو شك في الزيادة وقال القاضي يحتمل
ان يلزمه السجود لان الاصل عدمه ولو شك في عدد الركعات او في ركن
ثم ذكره في الصلاة لم يسجد لان السجود لزيادة او نقص واحتمال ذلك
ولم يوجد ٥ فصل اذا سها في سجودين او اكثر من جنس كفاه
للجميع سجدتان لا نعلم احدا خالف فيه وان كان السهو من جنسين فكذلك
حكاه ابن المنذر قولا واحدا وهو قول اكثر اهل العلم منهم مالك والشافعي
واصحاب الرأي وذكر ابو بكر فيه وجهين احدهما ما ذكرنا والثاني
يسجد سجودين وهو قول الاوزاعي وابن ابي حازم وعبثا لغير تراش
اي شيء اذا كان عليه سجودان احدهما قبل السلام والاخر بعده سجد
لهما في محليهما لقول النبي صلى الله عليه وسلم لكل سهو سجدتان رواه ابو
داود وابن ماجه وهذا سهوان فلكل واحد منهما سجدتان ولان محل
سهو يقتضي سجودا وامكن ادخالا في الجنس الواحد لاختلافهما وهذان
مختلفان ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا نسي احدكم فليسجد سجدتين
وهذا يتناول السهو في موضعين ولان النبي صلى الله عليه وسلم سها بعد
سلامه فسجد لهما سجودا واحدا ولان السجود انما شرع في اخر الصلاة
ليجمع السهو كله والا فعله عقيب سببه ولانه شرع للجبر فيجبر نقص الصلاة
وان كثر بدليل السهو مرات من جنس الصلاة واحد واذا اجبرت
لم تحتج الى جابر اخر فنقول سهوان فاكثر اعنها سجود واحد كما لو كانا
من جنس وقوله لكل سهو سجدتان في اسناده مقال ثم ان المراد به لكل
سهو في صلاة والسهو وان كثر دخل في لفظ السهو لانه اسم جنس

فيكون

فيكون التقدير لكل صلاة من سهو سجدتان وكذلك لكل سهو
سجدتان بعد السلام كذا في رواية ابي داود ولا يلزمه بعد السلام سجودان
اذا ثبت هذا فان معنى الجنسين ان يختلف احدهما قبل السلام والاخر بعده
لان محليهما مختلف في ذلك لتسميته اياهما واحكامهما ولم يخص اصحابنا
الجنسان ان يكون احدهما من مقتضى الاخر من زيادة والاولى ما قلناه
ان شاء الله تعالى وعلى هذا اذا اشتبه عليه اسجد لهما قبل السلام لانه اسبق
واكد ولان الذي قبل السلام لو وجب لوجود سببه ولم يوجد قبله
لم يمنع وجوبه ولا يشق عليه فلزمه الاتيان به بخلاف ما لو لم يكن عليه سهو اخر
واذا سجد له سقط الثاني لانه اول فعله وقيامه مقامه ٥ فصل
ولو ادرك مسبوقا فصلى ركعة ثم سها في قضاء امامه قلنا يجوز ذلك فيما اذا
انفرد فيه وسها امامه فيه فانه يسجد لسهو امامه فان صلاته تنتهي قبل صلاة امامه فعلى
قولنا لهما من خلف امامه ان كان سهوا واحدا وعلى قول من قال المتابعة في الزيادة
والنقص يحتمل كونهما من جنسين وهكذا لو صلى مع الرابعة ركعة ودخل في
قضاء متابعة فلما سلم امامه قام ليقضي ما عليه فقد حصل ما سها في وسط
صلاته منفردا في طرفها فاذا انتهى في الوسط الى الطرفين جميعا فعلى
قولنا ان كان محل سجودها واحدا بان من جنس واحد وان اختلف محل السجود
في جنسان وقال بعض اصحابنا هي جنسان هل يجزيه سجدتان او اربع
سجدات على وجهين ولاصحاب الشافعي فيها وجهان كهذين ووجه
ثالث انه يحتاج ان يسجد ست سجدات لكل سهو سجدتان ٥ فصل
وليس على المأموم سجود سها امامه ولا سهو ابه فيسجد وجملته
ان المأموم اذا سها دون امامه لم يسجد عليه في قول عامة اهل العلم
وحكي عن الحسن انه قال يسجد اذا سها امامه ويتحمله ولنا ان معاوية ابن
الحكم تكلم خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأمره بشيء ذكره مسلم في
صحيحه ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به
فلا تختلفوا عليه رواه البخاري ومسلم وقال ليس على من خلف الامام سهو
فان سها امامه فعليه وعلى من خلفه ولان المأموم تابع للامام وحكمه

شبكة الألوكة www.alukah.net

عمدا وان ترك الواجب بعذر كالسلام لم يبطل لانه خرج بعذر
فلم تبطل سنته كتكبيرات الحج وسواء كان محله بعد السلام او كان قبله
فنسيه فصار بعد السلام وقد نقل عن الامام احمد ما يدل على بطلان
الصلاة ونقل عنه الموقف فنقل عنه الاثرم في من نسي سجود السهو
فقال ان كان في شهر خفيف فارجو ان لا يكون عليه شئ وان
كان في شئ فيه التباس فاحب ان يعيد وكما هذا في السهو في العمد اولى
فصل
واذا نسي اربع سجدات من اربع ركعات وذكرها في التشهد سجد
سجدة تصلح لركعة وبنى على ثلاث ركعات ويسجد للسهو في احدى
الروايتين فان كان قد تلبس بفرض الصلاة من اولها هذه المسألة
مبنية على من ترك ركنا من ركعة فلم يذكره الا التي بعدها وقد
ذكرنا انه اذا لم يذكره حتى شرع في قراءة التي بعدها بطلت وان شرع في قراءة
الثانية هاهنا قبل ذكر سجدة الاولى بطلت الاولى ولما شرع في
قراءة الثالثة قبل ذكر السجدة الثانية بطلت الثانية وكذلك الثالثة
تبطل بالشروع في قراءة الرابعة فلم يبق الا الرابعة فلم يسجد منها الا سجدة
فسجد الثانية حين ذكر ثم له ركعة وبنى على ثلاث ركعات وهذا
قول ما لك والليث لان كل ركعة بطلت بشروعه في الاولى قبل
اتمام الاولى وفيه رواية اخرى عن الامام احمد ان صلاته تبطل بتبطل
لان هذا يؤدي الى ان يكون متلاعبا بصلاته ثم يحتاج الى العمل
كثير في الصلاة فان بين التحريمة والركعة المعتد بها ثلاث ركعات
لا غير وهذا قول اسحق وابي بكر الاثرم وقال الشافعي يصح له ركعتان
لانه لما قام الى الثانية سهوا قبل اتمام الاولى لم يعلم فيها لاحتمال
فلما سجد فيها انضمت سجدتها الى سجدة الاولى فكملت له ركعة وهكذا
الثالثة والرابعة يحصل له منهما ركعة وحكى ابو عبد الله هذا
القول عن الشافعي ثم قال هو اشبه مما يقول هو لا يعني اصحاب
الرأي قال الاثرم وقلت له فانه اذا فعل لا يستقيم لانه انما نوى بهذه

السجدة

السجدة عن الثانية لا عن الاولى قال فكذلك اقول انه يحتاج ان يسجد لكل ركعة
سجدتين ويحتمل ان يكون هذا القول المحكي عن الشافعي هو الصحيح وان
يكون مذهبا لاحمد لانه قد حكاه واما اعتذر عن المضي اليه بكونه انما
نوى بالسجدة الثانية عن الركعة الثانية وهذا لا يمنع جعلها عن الاولى
كما لو سجد في الركعة الاولى يحتسب انه في الثانية او سجد في الثانية يحتسب
انه في الاولى وقال الثوري واصحاب الرأي يسجد في الحال اربع سجدات
وقال الحسن بن صالح في من نسي من كل ركعة سجدتها يسجد في الحال ثماني سجدات
وهذا فاسد لان ترتيب الصلاة شرط فيها فلا يسقط بالنسيان كما لو
قدم السجود على الركوع ناسيا وان لم يذكر حتى سلم ابتدأ الصلاة فان
بقي له غير ركعة تنقص بسجدة فاذا سلم بطلت ايضا نص الامام احمد
على بطلانها في رواية الاثرم فعلى هذا تبطل الصلاة
فصل
واذا ترك ركنا ثم ذكره ولم يعلم موضعه بنى الامر على اليقين
مثل ان يترك سجدة لا يعلم امن الركعة الرابعة هي من ركعة قبلها جعلها
من التي قبلها لانه يلزمه حينئذ ركعة كاملة ولوجبها من الركعة الرابعة
احتاج ان يسجد واحدة فان ترك سجدتين لا يعلم امن ركعتين هن من
ركعة جعلها من ركعتين ليلزمه ركعتان وان علم انه ترك ركنا
من ركعة هو فيها لا يعلم اركوع هو ام سجود جعل تركه ركوعا ليلزمه
الاتيان به وبما بعده وعلى قياس هذا باقي ما يشتبه به اتمام الصلاة
ليلا يخرج منها وهو شاك فيها فيكون متمما وتركها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا عمار في صلاته ولا تسليم رواه ابو داود وقال الاثرم سألت ابا عبد الله
عن معنى هذا الحديث قال اما انا فاري ان لا خرج منها الا على يقين
لا اخرج منها على غرر حتى استيقن انها قد تمت وذكر لو ترك سجدة من الاولى
وذكرها في التشهد اتى بركعة واجزأته وقد روي الاثرم باسناده عن الحسن
في رجل صلى العصر او غيرها فشك ان يركع في الثانية حتى ركد الى
الارض قال يمضي في صلاته ويتمها اربع ركعات ولا يحتسب بالتي لم يركع فيها

الثانية

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الظهر والعصر ولم يسجد وكذلك علقمة والاسود وهذا مذهب الاوزاعي
والشافعي لانه تشهد فلا يشرع السجود لترك كرفع اليدين والثانية
يشرع وهو مذهب مالك وابي حنيفة في الامام لقول النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نسي احدكم فليسجد سجدتين ولانه اخل بتشهد فتوليه فشرع السجود
لها كترك القنوت وما ذكروه يبطل بالقنوت وبالتشهد الاول
فانه عند الشافعي تشهد ويسجد تاركه فاذا قلنا بهذا فان السجود يسجد
غير واجب نص عليه الامام احمد قال الاثرم سمعت ابا عبد الله يسئل
عن رجل سهى فجهر فيما خافت فيه هل عليه سجدتا السهو قال اما عليه
فلا اقول عليه ولكن ان شاء سجد وذكر ابو عبد الله الحديث عن عمران عن
انه كان يسمع منه شيئا في صلاة الظهر فاذا سر وانس جهر ولم يسجد وقال
انما السهو الذي يجب فيه السجود ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال صالح
قال ابي ان سجد فلا باس وان لم يسجد فليس عليه ولانه جهر لما ليس
بواجب فلم يكن واجبا كما يسر الثنتين و[illegible] قوله او
صلى خمسا يعني في صلاة رباعية فانه متى قام الى الخامسة في الرباعية
او الى الرابعة في المغرب او الى الثالثة في الصبح لزمه الرجوع متى ما ذكر
فيجلس فان كان قد تشهد لعقيب الركعة التي تمت بها الصلاة سجد
للسهو ثم سلم وان كان تشهد ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه
ثم سجد للسهو وسلم وان لم يكن تشهد تشهد وسجد للسهو ثم سلم
فان لم يذكر حتى فرغ من الصلاة سجد سجدتين عقيب ذلك وتشهد
وسلم وصلاته صحيحة وهذا قول مالك والشافعي وقال ابو حنيفة
ان ذكر قبل ان يسجد جلس للتشهد وان ذكر بعد السجود وكان
جلس عقيب الرابعة قدر التشهد صحت صلاته وتضيف اليها ركعة
اخرى لتكون نافلة وان لم يكن جلس في الرابعة بطل فرضه وصارت
صلاة نافلة ولزمته اعادة الصلاة وبحوه قول حماد انما سلمتان
وقال قتادة والاوزاعي في من صلى المغرب اربعا يضيف اليها اخرى
فتكون الركعتان نظوعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذي اليدين

من سجد سجدتين فان كانت صلاته تامة كانت الركعة نافلة له والسجدتين
رواه ابو داود وابن ماجه وفي رواية فان كان صلى خمسا شفعن له صلاته
رواه مسلم ولنا ما روى عبد الله بن مسعود قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا فلما انفتل توشوش القوم بينهم فقال ما شانكم قالوا يا رسول الله
هل زيد في الصلاة قال لا قالوا فانك قد صليت خمسا فانفتل ثم سجد سجدتين
ثم سلم قال انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسي احدكم فليسجد سجدتين
وفي رواية قال انما انا بشر مثلكم انسى كما تذكرون وانتم كما تنسون
ثم سجد سجدتي السهو وفي رواية ثم قال ذاك والرجل ازنقى فاستقبل
فليسجد سجدتين رواه كذلك والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم علم عقيب الرابعة
كما انه لم يستقل ولانه قام الى الخامسة فعقد انقام عن الله وابتطل
صلاته بها ولم يضف الى الخامسة اخرى وحديث ابي سعيد حجة عليهم ايضا
فانه جعل الزيادة نافلة من غير ان يفصل بينها وبين التي قبلها بجلوس فجعل
السجدتين شفعا لها وليضف اليها ركعة اخرى وهذا كله خلاف لهم
فقد رد قولهم من جميع وجوهه وقولنا موافق للخبرين جميعا والله سبحانه اعلم
واذا شك ان عليه سجود سهو او لا كثر وشك هل سجد للسهو او تشهد
وسلم ما كان في المسجد وان تكلم او انصرف او سجد بعد كلام
او طول او خرج من المسجد او استدبر القبلة او نوى الاقامة او سجد بعد
فسي سجود السهو ذكره قبل طول الفصل او استدبر القبلة فانه يسجد
او لم يتكلم وبهذا قال مالك والشافعي وقال ابو حنيفة ان تكلم او انصرف
صرف وجهه عن القبلة او سجد بعد طول الفصل او استدبر القبلة او نوى
شيئا من ذلك لم يسجد لان السجود للسهو فاشبه ما لو ذكره ولنا
ما روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بعد السلام والكلام
وايضا الخبر الذي ذكرناه وقال الاثرم قال ابو عبد الله اذا سجد
المأموم ثم سجد وسجد ما فاته مع الامام ان شاء او ان شاء لم يفعل فان
انفتل وشوش القوم ثم سجد بعد ما انصرف عن القبلة ولا باذا اخبر

من ركوع الثانيه التي الاولى وان المتن والمغني والاوزاعي يرجع الى
حيث كان من الصلاه وبنت ذكرها فمضى فيها وقال اصحابنا الراي ان
من نسي اربع سجدات من اربع ركعات ثم ذكرها في التشهد سجد في الحال
اربع سجدات وتمت صلاته ولنا ان المرجوع في الجمعه اذا ان الزحام
والامام راكع في الثانيه فانه يتبعه ويسجد معه ويكون السجود من الثانيه
دون الاولى كذى هاهنا ٥ قال مضى في موضع يلزمه
الرجوع اورجع في موضع يلزمه المضي عالما بتحريم ذلك بطلت صلاته لانه
ترك واجبا في الصلاه عمدا وان فعل ذلك معتقدا جوازه لم تبطل لانه ترك
عن غير تعمد اشبه ما لو مضى قبل ذكر المتروك لكن اذا مضى في موضع يلزمه
الرجوع فترك الركعه التي ترك ركنها كما لو تذكره الا بعد شروعه في
القراءه فان رجع في موضع المضي يعتد بما يفعله في الركعه التي تركه
منها لانها فاتت شروعه في قراءه غيرها فلم تعد الى الصحه كحال
الثالثه قام عن التشهد الاخير الى ركعه زائده فانه يرجع اليه متى ما
ذكره لانه قام الى زياده غير معتد بها فلزمه الرجوع كما لو لم يذكر قبل السجود
وباقي تفصيل هذه الصوره فيما اذا صلى خمسا وفي هذه الصور الثلاث
يلزمه السجود قبل السلام ٥ قوله او جلس في موضع قيام
وهذا يتصور بان يجلس عقيب الاولى او الثالثه يظن انه موضع التشهد
او جلسه الفصل فمتى ما ذكر قام وان لم يذكر حتى قام اتم صلاته وسجد
للسهو لانه زاد في الصلاه من جنسها ما لو فعله عمدا ابطلها فلزمه السجود
اذا كان سهوا كزياده ركعه ٥ والزياده على ضربين
زياده افعال وزياده اقوال فزيادات الافعال قسمان احدهما زياده
من جنس الصلاه مثل ان يقوم في موضع جلوس او يجلس في موضع قيام
او يزيد ركعه او ركنا فهذا تبطل الصلاه بعمده ويسجد للسهو قليلا
كان او كثيرا لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا زاد الرجل او نقص فليسجد سجدتين
والثاني من غير جنس الصلاه كالمشي والتروح فهذا تبطل الصلاه بكثيره
ويعفى عن يسيره ولا يسجد له ولا فرق بين عمده وسهوه الضرب الثاني

زيادات

الاقوال وهي قسمان ايضا احدهما ما يبطل عمده الصلاه كالسلام وكلام
الآدميين فاذا اتى به ساهيا ثم في غير موضعه سجد على ما ذكرناه في حديث
ذي اليدين وان تكلم في الصلاه ساهيا لم تبطل الصلاه به او يسجد للسهو
على روايتين ٥ القسم الثاني ما لا يبطل عمده الصلاه وهو نوعان احدهما
ان يأتي بذكر مشروع في الصلاه في غير محله كالقراءه في الركوع والسجود
والتشهد في القيام والصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول وقراءه
السوره في الاخريين من الرباعيه والاخيره من المغرب وما اشبه ذلك اذا
فعله سهوا فهل يشرع له سجود السهو على روايتين احداهما لا يشرع له
السجود لان الصلاه لا تبطل بعمده فلم يشرع السجود لسهوه كترك سنن
الافعال والثانيه يشرع له السجود لقوله صلى الله عليه وسلم اذا نسي احدكم
فليسجد سجدتين وهو جالس واذا قلنا يشرع له السجود فذلك مستحب
غير واجب لانه جبر لغيره واجب فلم يكن واجبا كجبران سائر السنن وقال الامام
احمد انما السهو الذي يحب فيه السجود ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان
الاصل عدم وجوب السجود والنوع الثاني ان يأتي فيها بذكر او دعا
لم يرد الشرع به فيها كقوله امين رب العالمين وقوله في التكبير الله اكبر
كبيرا ونحو ذلك فهذا لا يشرع له سجود لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سمع رجلا يقول في الصلاه الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما
قضى صلاته قال ايكم المتكلم بكلمات فسكت القوم ثم قال ايكم المتكلم
فلعله قد رضي فلم يأمره بالسجود ٥ فصل واذا جلس في موضع التشهد
قدر جلسه الاستراحه فعل القاضي يلزمه السجود سواء قلنا جلسه الاستراحه
مسنونه او لم نقل ذلك لانها لم ترد لحاجه انما اراد غيرها فكان سهوا
ويحتمل ان لا يلزمه لانه فعل لو عمده لم تبطل صلاته فلا يسجد لسهوه كالعمل
اليسير من غير جنس الصلاه ٥ فصل قوله او جهر في موضع
خافت او خافت في موضع جهر وجملة ذلك ان الجهر والاخفات في موضعهما
من سنن الصلاه لا تبطل الصلاه بتركه عمدا وان تركه سهوا فهل يشرع
له السجود من اجله فيه عن الامام احمد روايتان احداهما لا يشرع قال
المتن وعطاء وسالم ومجاهد والقاسم والشعبي والحكم لا سهو عليه وجهر الس

حدثنا سعيد ابن هرون ا المسعودي عن زياد ابن علاقة قال صلى بنا المغيرة
ابن شعبة فلما صار ركعتين قام ولم يجلس فسبح به من خلفه فاشار اليهم قوموا
فلما فرغ من صلاته سلم وسجد سجدتين ثم سلم ثم قال هكذا صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدثنا وكيع ا عمران ابن حدير عن نصر ابن عاصم الليثي قال ادخلني
عمر ابن الخطاب في القعدة فسبحوا به فقال سبحان الله هكذا اي قوموا
ورويا باسناده مثل ذلك عن سعد ورواه الاخرى عن معويه وعن عقبة
ابن عامر وقال اني سمعتكم تقولون سبحان الله لكما اجلت ولكنت تلك السنة
انما السنة التي صنعتم ما ان سبحوا به قبل قيامه فلم يرجع تشهدوا
لانفسهم ولم يتبعوه في تركه لانه ترك واجبا تعين فعله عليه فلم يكن
لهم متابعته عليه في تركه ولو رجع الى التشهد بعد شروعه في القراءة لم
يكن لهم متابعته في ذلك لانه خطأ فاما الامام متى فعل ذلك عالما تعمده
بطلت صلاته لانه زاد في الصلاة من جنسها عمدا او ترك واجبا عمدا وان
كان ناسيا او جاهلا بالتحريم لم تبطل لانه زاد في الصلاة سهوا ومتى علم
بتحريم ذلك وهو في التشهد نهض ولم يتم الجلوس ولو ذكر الامام التشهد
قبل انتصابه وبعد قيام المأمومين وشروعهم في القراءة فرجع لزمهم الرجوع
لان الامام رجع الى واجب فلزمهم متابعته ولا اعتبار بقيامهم ٥ قوله
وان نسي التشهد دون الجلوس له فحكمه في الرجوع اليه
حكم ما لو نسيه مع التشهد هو المقصود فاما ان نسي شيئا من الاذكار الجلوس لان
الواجبة كتسبيح الركوع والسجود وقول رب اغفر لي بين السجدتين
وقول ربنا ولك الحمد فانه لا يرجع اليه بعد الخروج من محله لان محل الذكر
ركن قد وقع مجزيا صحيحا فلو رجع اليه لكان زيادة في الصلاة وتكرارا
لركن ثم ان ذكر في ركوع او سجود زائد اعاد مشروعا على خلاف التشهد
ولكنه يمضي ويسجد للسهو لتركه شيئا على ترك التشهد ٥ قوله
الثانية قام من السجدة الاولى او من جلسة الفصل بين السجدتين فهذا قد
ترك ركنين جلسة الفصل والسجدة الثانية فلا يخلو اما ان ذكر احدهما
ان ذكر قبل الشروع في القراءة فلزمه الرجوع وهذا قول مالك والشافعي ولا
اعلم فيه مخالفا فاذا رجع فانه يجلس جلسة الفصل ثم يسجد السجدة الثانية

ثم

ثم يقوم الى الركعة الاخرى وقال بعض اصحاب الشافعي لا يحتاج الى الجلوس
لان الفصل قد حصل بالقيام وليس بصحيح لان الجلسة واجبة ولا ينوب عنها
القيام كما لو عمد ذلك فاما ان كان جلس للفصل ثم قام ولم يسجد فانه يسجد
ولا يلزمه الجلوس وقيل يلزمه الجلوس لياتي بالسجدة عن جلوس ولا يصح
لانه يأتي بالجلسة فلا يبطل بها ما قبلها كالسجدة الاولى ويصير كانه سجد
عقيب الجلوس وان كان يظن انه سجد سجدتين وجلس جلسة الاستراحة لم
تجزه عن جلسة الفصل لانها هيئة فلا تنوب عن الواجب كما لو ترك سجدة
من ركعة ثم سجد للتلاوة وهذا الحكم في ترك ركن غير السجود مثل
الركوع او الاعتدال عنه فانه يرجع اليه متى ما ذكره قبل الشروع في
قراءة الركعة الاخرى فيأتي به ثم بما بعده لان ما اتى به بعده غير معتد به لفوات
الترتيب الحال الثاني ان يتركه فاما ان يسجده او يدعه ساهيا ثم
ذكره بعد الشروع في قراءة الركعة التي تليها بطلت الركعة التي ترك الركن منها
وصارت التي شرع في قراءتها عوضا عنها نص على هذا الامام احمد في رواية الجماعة
قال الاثرم قلت لابي عبد الله عن رجل صلى ركعة ثم قام ليصلي اخرى
فذكر انه انما سجد للركعة الاولى سجدة واحدة قال ان كان اول ما قام
قبل ان يحدث عملا للاخرى فانه يحط ويسجد ويعيدها وان كان قد
احدث عملا للاخرى فلي الاولى ويجعل هذه الاولى ولت فيستفتح او
يجزي الاستفتاح الاول قال لا يستفتح ويجزيه الاول ولت فيسجد سجدتين
من ركعتين قال لا يعتد بتلك الركعتين والاستفتاح ثابت وهو قول ابن سيرين
وقال الشافعي ان ذكر الركن المتروك قبل السجود في الثانية فانه يعود الى
سجدة الاولى وان ذكره بعد سجوده في الثانية وقعت عن الاولى لان
الركعة الاولى قد صح فعلها وما فعله في الثانية سهو لا يبطل الاولى
كما لو قبل القراءة وقد ذكر الامام احمد هذا القول عن الشافعي وقربه
وقال هو احسن معنى من قول اصحاب ابي حنيفة الا انه اختار القول
الذي حكاه عنا الاثرم وقال ما لك ان ترك سجوده ذكرها قبل رفع راسه
من ركوع الثانية سجدها واعتد بركعته الاولى وان ذكرها بعد رفع راسه

اذا شك فلم يدر كم صلى بنى على اليقين قد ذكرنا ان ظاهر المذهب
المنصوص بنى على التحرى ومعناه انه ينظر ما يتحرى انه صلاه من الركعات
فيتم عليه ويلغى ما شك فيه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث عبد الرحمن
ابن عوف اذا شك احدكم فى الثنتين والواحده فليجعلها واحده
واذا شك فى الثنتين والثلاث فليجعلها اثنتين واذا شك فى الثلاث
والاربع فليجعلها ثلاثا ثم ليتم ما بقى من صلاته حتى يكون الوهم فى الزياده
ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل ان يسلم وسواء غلب على ظنه
خلاف ذلك او لم يغلب على ظنه الا ان يكون هذا الوهم مثل الوسواس
فقد قال ابن ابى موسى اذا كثر الشهو حتى يصير مثل الوسواس لم يسجد
وذكرنا ان فى المنصوص رواية اخرى انه بنى على ما يغلب على ظنه والصحيح فى المذهب
هو الاول ما ذكر الخرقى والحكم اذا بنى على اليقين انه يسجد قبل السلام كالمنصوص
واذا حكمنا المنصوص على الروايه الاخرى يسجد بعد السلام ٥ فصل

قوله او قام فى موضع جلوس او جلس فى موضع قيام اكثر اهل
العلم يرون ان هذا يسجد له ومن قال ذلك ابن مسعود وقتاده والثورى
والشافعى واسحق واصحاب الرأى وكان علقمه والاسود يقعدان
فى الشئ يقام فيه ويقومان فى الشئ يقعد فيه فلا يسجدان ٥ ولنا
قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا نسى احدكم فليسجد سجدتين رواه مسلم عن
ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لكل سهو سجدتان
بعد التسليم ولانه سهو فيسجد له بعد فاما القيام فى موضع
الجلوس ففى ثلاث صور احدها ان يترك التشهد الاول ويقوم
وفيه ثلاث مسائل الاولى ذكره قبل اعتداله قائما فيلزمه الرجوع الى
التشهد وممن قال يجلس علقمه والضحاك وقتاده والاوزاعى والشافعى
وابن المنذر وقال مالك ان فارقت اليتاه الارض مضى وقال حماد
ابن ابى سليمان اذا جافت ركبتاه عن الارض مضى ولنا حديث
ابن بحينه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم فى الركعتين فلم يستتم
قائما فليجلس فاذا استتم قائما فلا يجلس ويسجد للسهو ولانه

اخل

اخل بواجب ذكره قبل الشروع فى ركن مقصود فلزمه الاتيان به كما لو
لم تفارق اليتاه الارض ٥ الثانيه ذكره بعد اعتداله
قائما وقبل شروعه فى القراءه فالاولى له ان لا يجلس وان جلس جاز نص عليه
الامام احمد وقال النخعى يرجع ما لم يستفتح القراءه وقال حماد ابن ابى سليمان
ان ذكر ساعه يقوم جلس ٥ ولنا حديث المغيره وما ذكرناه قياسا عليه
ولانه ذكره بعد الشروع فى ركن فلزمه الرجوع كما لو ذكره قبل الشروع
فى القراءه وحملوا انه لا يجوز له الرجوع لحديث المغيره ولانه شرع فى
ركن فلم يجز له الرجوع كما لو شرع فى القراءه الثالثه ذكره
بعد الشروع فى القراءه فلا يجوز له الرجوع ومضى فى صلاته فى قول اكثر اهل
العلم وممن روى عنه انه لا يرجع عمر وسعد ابن ابى وقاص وابن مسعود
والمغيره ابن شعبه والنعمان ابن بشير وابن الزبير والضحاك ابن قيس وعقبه
ابن عامر وهو قول اكثر الفقهاء وقال الحسن يرجع ما لم يركع وليس بصحيح
لحديث المغيره وروى ابو بكر الاجرى باسناده عن معويه انه صلى بهم
فقام فى الركعتين وعليه الجلوس فسبح به الناس فابا ان يجلس حتى اذا
جلس ليسلم سجد سجدتين وهو جالس ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل هذا ولانه شرع فى ركن مقصود فلم يجز له الرجوع كما لو شرع فى الركوع
اذا ثبت هذا فانه يسجد قبل السلام فى جميع هذه المسائل لحديث
معويه ولما روى عبد الله ابن مالك ابن بحينه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم
الظهر فقام فى الركعتين الاوليين ولم يجلس فسجد سجدتين قبل ان يسلم
ثم سلم ٥ اذا علم المأمومون ترك التشهد الاول قبل
قيامهم وبعد قيام امامهم تابعوه فى القيام ولم يجلسوا للتشهد حكاه الاجرى
عن الامام احمد وقال هذا قول مالك والشافعى واى ثور واهل العراق
ولا نعلم فيه خلافا لان النبى صلى الله عليه وسلم لما استتم قائما من التشهد الاول وقام قام
الناس معه وفعل جماعه من الصحابه ممن صلى بالناس نحو ذلك فى الثانيه عن
الجلوس فنهضوا بهم فلم يلتفتوا الى من سبح بهم وبعضهم اومى اليهم بالقيام
فقاموا وقال لما احتج به الامام احمد من فعل الصحابه ثم يسجدون معه قال

الامام صحيحة انقد بزيادته منتظره كما ينتظر الامام المأمومين
في صلاة الخوف ٥ وما عداها من السهو فيسجود ٥
قبل السلام مثل المنفرد اذا شك في صلاته فلم يدر كم صلى فبنى على اليقين
او قام في موضع جلوس او جلس في موضع قيام او جهر في موضع مخافت
او خافت في موضع جهر او صلى خمسا) وما عداه من السهو فكل ذلك يسجد
له قبل السلام وجملة ذلك ان السجود كله عند الامام احمد قبل السلام
الا في الموضعين اللذين ورد النص بسجودهما بعد السلام وهما اذا سلم
من نقص في صلاته وترى الامام فبنى على غالب ظنه وما عداهما يسجد
له قبل السلام نص على هذا في رواية الاثرم وقال انا اقول لكل سهو جاء عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سجد فيه بعد السلام وبأي السهو يسجد فيه
قبل السلام هو واضح في المعنى وذلك انه من شك في الصلاة فصفته
قبل ان يسلم ثم قال سجد النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة مواضع بعد السلام
وفي غيرها قبل السلام يلت اشرح الثلاثة مواضع التي بعد السلام
قال ثم سلم من ركعتين هذا حديث عمران بن حصين وحديث ابن
مسعود في الخرى سجد بعد السلام قال القاضي لا يختلف قول احمد في
هذين الموضعين ان يسجد لهما بعد السلام واختلف قوله في من سهى
فصلى خمسا هل يسجد قبل السلام او بعده على روايتين وما عداهذه
المواضع الثلاثة يسجد لها قبل السلام رواية واحدة وبهذا قال اسحاق ابن
داود وابو خيثمة وابن المنذر وحكى ابو الخطاب عن الامام احمد روايتين
احديهما ان السجود كله قبل السلام روي ذلك عن ابي هريرة ومكحول
والزهري ويحيى الانصاري وربيعة والليث والاوزاعي وهو مذهب
الشافعي لحديث ابن بحينة ولي سعيد وقال الزهري كان آخر الامرين
من النبي صلى الله عليه وسلم ترك التشهد فكان سلامه
كتابرا فعالها والثانية ان كان من نقص سجد له قبل السلام لحديث
ابن بحينة وما كان من زيادة سجد له بعد السلام لحديث ذي اليدين وحديث

ان

وحديث ابن مسعود حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وهذا مذهب مالك
واي ثور وقد روي عن ابن مسعود انه قال كل شيء يشك فيه من صلاتك
من نقصان من ركوع او سجود او غير ذلك فاستقبل الذي تظن واجعل سجدتي
السهو من هذا النقص قبل التسليم فما غير ذلك من السهو فاجعله بعد التسليم
رواه سعيد وقال اصحاب الرأي سجود السهو كله بعد السلام وله
فعلها قبل السلام روي مخود ذلك عن علي وسعد ابن ابي وقاص وابن مسعود
وعمار وابن عباس وابن الزبير وانس والحسن والضبي وابن ابي ليلى لحديث ذي
اليدين وحديث ابن مسعود في الخبري وروي ثوبان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل سهو سجدتان بعد السلام رواه سعيد وعن عبد الله
ابن جعفر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شك في صلاته فليسجد
سجدتين بعد ما يسلم رواهما ابو داود ولنا انه قد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم السجود قبل السلام وبعده في احاديث صحاح متفق عليها
ففي ما ذكرنا عمل بالاحاديث كلها وجمع بينها من غير ترك لشيء منها وذلك
واجب مهما امكن فان خبر النبي صلى الله عليه وسلم حجة يجب المصير اليه
والعمل به ولا يترك الا لمعارض مثله او اقوى منه وليس في سجوده بعد
السلام او مثله في صوره ما ينفي سجوده في صوره اخرى في غير ذلك الموضع
وذكر نسخ حديث ذي اليدين لا وجه له فان رواية ابي هريرة وعمران
ابن حصين وهجرتهما متأخرة وقول الزهري مرسل ثم لا يقتضي نسخا
فانه يجوز ان يكون آخر الامرين سجوده قبل السلام لوقوع السهو في آخر
الامر في ما سجوده قبل السلام وحديث ثوبان يرويه اسمعيل ابن
عياش وفي روايته عن اهل الحجاز ضعف وحديث ابن جعفر فيه ابن
ابي ليلى وهو ضعيف وقال الاثرم لا يثبت واحد منهما ٥ فصل
نفصل التمثيل الذي ذكرها الخرقي في هذه المسالة ٥ قوله المنفرد

فلتبع الحال ولصحح الثاني وروى عبد الله ابن عمر قال قلت لبلال كيف
كان النبي صلى الله عليه وسلم حين كانوا يسلمون عليه في الصلاة قال فكان
يشير بيده ومن صهيب أمرت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت
فرد علي إشارة ومن زيد لا أعلم إلا أنه قال إشارة بأصبعه قال الترمذي
كلا الحديثين صحيح وقد ذكرنا حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى
الصلاة فأما في حديث مالك في رجل قال فإن حديثنا بنفسه لأن فيه تفصيلا
وزيادة بيان تعين الأخذ بها وأما حديث أبي حنيفة فضعيف مردود بأنه
غلط فإن وهو مجهول فلا تعارض به الأحاديث الصحيحة ٥ فصل
فإن شك به اثنان يشق بقولهما لزمه قبوله والرجوع إليه وإن غلب على ظنه
صوابها أو خلافه وقال الشافعي إن غلب على ظنه خطأ وهما لم يعمل بقولهما
لأن من شك في فعل نفسه لم يعمل بقول غيره كالحاكم إذا شك هل علم بشهود
بشاهدان وهو لا يذكره ولنا أن النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى قول ذي اليدين
وعمر في حديث ذي اليدين لما قالا أحق ما يقول ذو اليدين قالا
نعم مع أنه كان شاكا بدليل أنه سألهما فقال ذو اليدين وسألهما عن صحة قوله
وهذا دليل على شكه ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتسليم ليذكرهما الإمام
ويعمل بقولهم وروى أن مسعودا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصلى فزادا ونقصا قال قوله
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وفي حديث ابن مسعود
في الحديث الآخر وكذلك يقول في الحاكم أنه يرجع إلى قول الشاهدين وإن كان
الإمام على يقين من صوابه وخطأ المأمومين لم يجز لهم متابعتهم وعلل أبو الخطاب
بأنه يلزمه الرجوع إلى قولهم كالحاكم يحكم بشاهدين وبترك علمه بأنه وليس
بصحيح فإنه يحرم عليه الحكم بشاهدين في الخطأ وكذلك يقول في الشاهدين
متى علم الحاكم كذبهما حرم الحكم بقولهما لأنه علم أنهما شاهدا زور فلا
يحل له الحكم بقول الزور وإنما اعتبرت العدالة في الشاهدين لغلبة الظن
على الناس صوق الشهود وردت شهادة غيرهم لأنه لا يعلم فيهم مانع
يمنع العمل بالكذب أو لأن العدالة إذا ثبتت هنا فإنما ثبتت بالمأمومين
فلم يرجع في موضع يلزمهم الرجوع بطلت صلاة من خالف الإمام فيه وليس المأمومين

اتباعه

اتباعه فإن اتبعوه لم يخل من أن يكونوا عالمين بتحريم ذلك أو جاهلين به
فإن كانوا عالمين بطلت صلاتهم لأنهم تركوا الواجب عمدا وقال القاضي في هذا
ثلاث روايات إحداهن أنه لا يجوز لهم متابعته ولا يلزمهم انتظاره إن كان
يسيرا لقدر الزيادة فإن فارقوه وسلموا صحت صلاتهم وهذا اختيار الخلال
والثانية يتبعونه في القيام ما شكا فيه والثالثة لا يتابعونه ولا يسلمون قبله
لكن ينتظرونه ليسلم بهم وهو اختيار ابن حامد والأول أولى لأن الإمام يحتمل
في ترك متابعتهم فلا يجوز اتباعه على الخطأ المحال الثاني أن يتابعوه جهلا
بتحريم ذلك فإن صلاتهم صحيحة لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعوه في التسليم في
حديث ذي اليدين وفي الخامسة في حديث ابن مسعود ولم تبطل صلاتهم وروى الأثرم
بإسناده عن الزبير أنه صلى صلاة العصر فلما سلم قال رجل من القوم يا عبد الله
أكذا صليت ركعات ثلاثا قال كذاك قال فانصرف فصلى ركعة ثم سجد
سجدتين وعن إبراهيم مثله صلى بنا علقمة الظهر خمسا فلما سلم قال القوم
يا أبا شبل قصليت قال أجل ما فعلته قالوا بلى قال وكنت في ناحية القوم
وأنا غلام فقلت بلى قد صليت خمسا قال إنما عوراتي تقول ذاك أيضا
قلت نعم فانفتل وسجد سجدتين ثم سلم وأمر وأمرهم بالإعادة فدل على أن
صلاتهم لم تبطل بمتابعتهم وهي على عمل الإمام بغالب ظنه فتبعه المأمومون
فرجع إليهم فإن سجوده قبل السلام لما فعل من الزيادة في الصلاة سهوا
قال الأثرم سمعت أبا عبد الله سئل عن رجل جلس في الركعة الأولى من
الفجر فتنحنح به فقام متى يسجد للسهو قبل السلام ٥
فإن سبح الإمام وأحد لم يرجع إلى قوله إلا أن يغلب على ظنه صدقه
فيعمل بغالب ظنه لا بتسبيحه لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قول ذي اليدين
وحده وإن سبح به فساق لم يرجع إلى قولهم لأن قولهم غير مقبول في
أحكام الشرع وإن افترق المأمومون طائفتين وافقه قوم وخالفه
آخرون سقط قولهم لتعارضهم كالبينتين إذا تعارضتا ومتى لم يرجع
وكان المأموم على يقين من خطأ الإمام لم يتابعه لأنا نما نتابعه
في أفعال الصلاة وليس هذا منها ونبغي أن ننتظره هاهنا لأن صلاة

شبكة الألوكة www.alukah.net

في نفسه انه قد صلى ثلاثا وقد دخل قلبه شيء فهذا يجزيه اعتبارا بذلك
ويسجد بعد السلام قال فيهما فرق ظاهر هذا انه انما يبني على اليقين
اذا استوى عنده الامران ولم يكن له غالب ظن سواء كان اماما او منفردا
روي عن علي ابن ابي طالب وابن مسعود ونحوه قال النخعي وقال اصحاب
الرأي ان تكرر ذلك عليه وان كان اول ما اصابه اعاد الصلاة لقوله
صلى الله عليه وسلم لا عزار في صلاة ولا تسليم والرواية الثالثة عن الامام احمد
انه يبني على اليقين ويسجد قبل السلام اماما كان او منفردا اختارها
ابو بكر وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وعبد الله ابن عمرو وشريح
والشعبي وعطاء وسعيد ابن جبير وابراهيم ابن عبد الله وهو قول مالك والشافعي
لما روى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شك احدكم في
صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا ام اربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم
يسجد سجدتين قبل ان يسلم فان كان صلى خمسا شفعن له صلاته وان كان
صلى تمام الاربع كانتا ترغيما للشيطان وعن عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا شك احدكم في صلاته فلم يدر ازاد او نقص فان كان شك
في الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة فان لم يدر اثنتين صلى او ثلاثا فليجعلها
اثنتين فان لم يدر ثلاثا صلى او اربعا فليجعلها ثلاثا حتى يكون الشك في الزيادة
ثم ليسجد سجدتين وهو جالس قبل ان يسلم قال الترمذي هذا
حديث صحيح ولان الاصل عدم ما شك فيه فينبغي على عدمه كما لو شك في ركوع
او سجود والرواية الاولى هي المشهورة عن الامام احمد لما روى عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شك احدكم في صلاته فلم يدر الصواب
فليبن عليه ثم ليسجد سجدتين وللبخاري بعد التسليم وفي لفظ فليتحر
ذلك للصواب وفي لفظ فليتحر اقرب ذلك الى الصواب وفي لفظ فليتحر
الذي يرى انه الصواب رواه كله مسلم وفي لفظ رواه ابو داود قال
اذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث واربع والظن على اربع تشهدت
ثم تسجد سجدتين وانت جالس وانما جعلناها على الامام دون المنفرد
لان الامام لم من يتبعه ويذكره اذا اخطأ الصواب فيعمل بما يظهر عنده
فان صلى اقرب الى الصواب فيتأكد عنده صواب نفسه وان اخطأ
سجوا به فرجع الهم فحصل له الصواب على كل الحالين وليس ذلك
للمنفرد

لمن يذكره فينبغي على اليقين ليحصل له اتمام صلاته ولا يكون
مغرورا بها وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا عزار في صلاة وعلى هذا يحمل حديث
ابي سعيد وعبد الرحمن ابن عوف على المنفرد وحديث ابن مسعود على الامام
جمعا بين الاخبار وتوفيقا بينها فان استوى الامران عند الامام بنى على اليقين
ايضا وعلى الرواية الثانية يحمل حديث ابي سعيد وعبد الرحمن على من لا ظن
له وحديث ابن مسعود على من له ظن فلما قول اصحاب الرأي فخالف السنة الثابتة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
احدكم اذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فاذا وجد
ذلك احدكم فليسجد سجدتين وهو جالس ولانه شك في الصلاة فلم
يبطلها كما لو تكرر ذلك منه وقوله عليه السلام لا عزار معناه لا يقتصر من صلاته
ويحتمل انه اراد لا خروج منها وهو شاك في تمامها ومن بنى على اليقين لم يسبق
في شك من تمامها وهو نحو ذلك من بنى على غالب ظنه فوافقه الا ان يرد
ما ذكرناه عليه غلطه فلا شك عنده فصل ومن استوى عنده الامران
بنى على اليقين اماما كان او منفردا اتى بما بقي من صلاته وسجد بعد السلام
لان الاصل البناء على اليقين وانما جاز تركه في حق الامام لما عارضه
الظن الغالب فاذا لم يوجد وجب الرجوع الى الاصل فصل واذا سها
الامام فاتى بفعل في غير موضعه لزم المأموم تنبيهه فان كان رجلا
سبح به وان كانوا نساء صفقن ببطن اكفهن على ظهر الاخرى وهذا قول
الشافعي وقال مالك التنبيه للرجال والنساء لقول النبي صلى الله عليه وسلم من نابه
شيء في صلاته فليقل سبحان الله وحكي عن ابي حنيفة ان تنبيه الرجل
بالتسبيح والقرآن والاشارة يبطل الصلاة لان ذلك خطاب ادمي وقد
روي ابو سفيان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشار في صلاته
اشارة تفقد فهم عنه عقل صلاته ولنا ما روى ابو هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم التسبيح للرجال والتصفيق للنساء وعن سهل ابن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التسبيح للرجال والتصفيق للنساء اذا نابكم شيء في صلاتكم

السلام فقال الامام احمد الشك على وجهين اليقين والتحري فمن رجع
الى التحري فالشك وسجد سجدتي السهو قبل السلام على حديث
ابي سعيد الخدري واذا رجع الى التحري وهو اكثر الوهم سجد سجدتي
السهو بعد السلام على حديث ابن مسعود الذي يرويه منصور وانتهى
واما حديث ابي سعيد وهو اذا شك احدكم في صلاته فلم يدر كم صلى
ثلاثا او اربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين
قبل ان يسلم واما حديث ابن مسعود وهو اذا شك احدكم في صلاته
فلم يدر اصواب ثم ليسجد سجدتين متفق عليهما وفي لفظ في الصحيحين
ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين وهذا هو الذي قال الامام احمد واذا رجع
الى التحري سجد بعد السلام والفرق عنده بين اليقين والتحري
ان المصلي اذا كان اماما بنى على غالب ظنه واكثر وهمه وهذا هو
التحري فيسجد له بعد السلام على حديث ابن مسعود وان كان منفردا
بنى على اليقين وسجد قبل السلام على حديث ابي سعيد هذه طريقة اكثر
اصحابه في تحصيل ظاهر مذهبه وعنه روايتان اخريان احداهما انه يبني
على اليقين مطلقا وهي مذهب الشافعي ومالك والاخرى على غالب
ظنه مطلقا وظاهر نصوصه انما تدل على الفرق بين الشك وبين الظن
الغالب القوي مع الشك بني على اليقين مع اكثر الوهم والظن الغالب
تحري وعلى هذا مدار اجوبته وعلى الحالين حمل الحديثين والله اعلم وقال
ابو حنيفه في الشك اذا كان اول ما عرض له استانف الصلاه وان
عرض له كثيرا فان كان لظن غالب بنى عليه وان لم يكن له ظن بنى
على اليقين ٥ ومن شك قبل اتمام صلاته شاهيا تام ثم علم قبل
طول الفصل ونقض وضوه فعليه ان ياتي بما بقي ثم يتشهد ويسلم فان
لم يذكر حتى قام ان كان لينهض الى الاتيان بما بقي عن قعود فان
هذا القيام واجب للصلاه وان مات به قاصدا لها فان عليه الاتيان
به مع البنيه ولا نعلم في جواز اتمام الصلاه في حق من نسي ركعه فزاد
اختلافا ٥ فصل فان زال الفصل او انتقض وضوه استانف

ثم يسجد سجدتي السهو ويسلم فعليه

الصلاه

الصلاه ولذلك قال الشافعي ان ذكر قريبا مثل فعل النبي صلى الله عليه وسلم
يوم ذي اليدين رجعه بني وخرج قال مالك وقال الليث ويحيى الانصاري
والاوزاعي يبني ما لم ينتقض وضوه ولنا انها صلاه واحده فلم يجز
بناء بعضها على بعض مع طول الفصل كما لو انتقض وضوه ورجع في طول
الفصل وقصره الى العاده من غير تقدير بمده ولاصحاب الشافعي في ذلك
خلاف كقولهم في ما اذا ترك ركنا على ما مضى بيانه والصحيح انه لا حد
له لانه لم يرد الشرع بتحديده فيرجع فيه الى العاده والمقاربه لفعل
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذي اليدين ٥ فان لم يذكر حتى شرع
في صلاه اخرى وطال الفصل بطلت الاولى وان لم يطل الفصل عاد الى
الاولى فاتمها وبهذا قال الشافعي وقال الشيخ ابو الفرج في المبهج يعمل ما
شرع فيه من الصلاه الثانيه تماما للاولى فيبني احداهما على الاخرى ويكون
وجود السلام كعدمه لانه سهو وقعد وقيه وقد كان ما شرع فيه نفلا
او فرضا وقال الحسن وحماد اذا ذكر في خلالها ان شرع في تطوع بطلت المكتوبه
وقال مالك احب الي ان يتمها وروي عن الامام احمد رحمه الله مثل قول
الحسن فانه قال في رواية ابي الحارث اذا صلى ركعتين من المغرب وسلم
ثم دخل في التطوع انه يستقبل الكلام ويستانف الصلاه قلنا انه عمل عملا
من جنس الصلاه ثم قام بنى صلاته كما لو زاد خامسه واما اتمام الاولى
بالثانيه فلا يصح لانه قد خرج منها بالسلام وبنيه الخروج منها وابنوها
بعد ذلك وبنيه غيرها لا تجزئ عن نفلها كما لو ابتدأ ٥ ومن كان
اماما فشك فلم يدر صلى ثلاثا او اربعا فتحرى فبنى على اكثر وهمه ثم سجد بعد السلام كما
روى عبد الله ان مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله على اكثر وهمه اي على
ما يغلب على ظنه انه صلاه وهذا في الامام خاصه وعلى ما عبد الله رحمه الله
رواية اخرى انه يبني على غالب ظنه اما ما كان منفردا فانه في رواية الاثرم
بين التحري واليقين فرق اما حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا اذا لم يدر
ثلاثا صلى او اربعا فليجعلها اثنتين فانه عمل على اليقين فبنى عليه والذي
تحرى يعمل فتحرى ثلاثا فتردد قلبه شك انه اتم على اثنتين الا ان اكثر

قام من اثنتين من الظهر ولم يجلس منهما فلما تم صلاته سجد سجدتين
ثم سلم بعد ذلك وفي رواية متفق عليها يكبر في كل سجدة وهو جالس
قبل ان يسلم وفي المسند من حديث يزيد بن هرون عن السعودي عن
زياد بن علاقة قال صلى بنا المغيرة بن شعبة فلما صلى ركعتين قام
ولم يجلس فسبح به من خلفه فاشار اليهم ان قوموا فلما فرغ من صلاته
سلم ثم سجد سجدتين وسلم ثم قال هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصححه الترمذي وذكر البيهقي من حديث عبد الرحمن بن شماسة
المهدي قال صلى بنا عقبة بن عامر الجهني فقام وعليه جلوس فقال الناس
سبحان الله سبحان الله فلما جلس ومضى على قيامه فلما كان في آخر صلاته
سجد سجدتين وهو جالس فلما سلم قال اني سمعتكم تقولون سبحان
الله لعلكم اجللتم لكن السنة الذي صنعت وحديث عبد الله بن بحينة
اولى للاثة اوجه احدها انه اصح من حديث المغيرة ويحتمل الثاني
انه اصرح منه فان قول المغيرة هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجوز ان يرجع الى الجميع ما فعل المغيرة ويكون قد سجد صلى الله عليه وسلم
في هذا السهو مرة قبل السلام ومرة بعده فكان بحسبه ما شاهده
وحكي المغيرة شاهده ويكون كلا الامرين جايزا ويجوز ان يريد
بقول المغيرة انه صلى الله عليه وسلم قام ولم يرجع ثم سجد للسهو السالف
المعنى لعله نسي السجود قبل السلام فسجد بعده وهذا شد السهو
وهذا اليكن ان يقال في السجود قبل السلام والله اعلم فصل
وسلم من ركعتين في احدى صلاتي العشي اما الظهر واما العصر
ثم تكلم ثم اتمها ثم سلم ثم سجد سجدتين بعد السلام والكلام يكبر
حين يسجد ثم يكبر حين يرفع ثم يسلم وذكر ابو داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى بهم فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حسن غريب
وصلى يوما فسلم وانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة فادركه طلحة بن
عبيد الله فاخبره فرجع اليه فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين
ثم سلم ثم قال هكذا فعل بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الاثرم
ولان قيام الصلاة فصلى للناسي ركعة ذكر الامام لحدوث الظهر

خيرا قيل له زيد في الصلاة فعلى وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد
سجدتين بعد ما سلم متفق عليه وصلى العصر بلاما ثم دخل منزله فذكره
الناس فخرج وصلى بهم ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم فهذا مجموع
ما ضبط عنه صلى الله عليه وسلم من سهوه وهو ستة مواضع وقد تضمن سجوده
في بعضه قبل السلام وفي بعضه بعده فقال الشافعي كل قبل السلام
وقال ابو حنيفة كله بعده وقال مالك كل سهو كان نقصانا في الصلاة
فان سجوده قبل السلام وكل سهو كان زيادة في الصلاة فان سجوده
بعد السلام واذا اجتمع سهوان زيادة ونقصان فالسجود لهما قبل
السلام قال ابو عمر بن عبد البر هذا مذهب لا خلاف عنه فيه ولو سجد
عنه احد لسهوه خلاف ذلك لجعل السجود كله بعد السلام او كله
قبل السلام لم يكن عليه شيء لانه عنده من باب قضا القاضي باجتهاده
لاختلاف الآثار المرفوعة والسلف من هذه الامة في ذلك وقال الامام احمد
قال الاثرم سمعت احمد بن حنبل يئل عن سجود السهو قبل السلام
ام بعده فقال في مواضع قبل السلام وفي مواضع بعده كما صنع النبي
صلى الله عليه وسلم ويحيى بن سلم من اثنين سجد بعد السلام على حديث ابي هريرة
في قصر ذي اليدين ومن شك في ثلاث سجدا بعد السلام على
حديث عمران بن حصين وفي المتربص يسجد بعد السلام على حديث
ابن مسعود وفي القيام من اثنين يسجد قبل السلام على حديث ابن بحينة
وفي الشك مبني على اليقين ويسجد قبل السلام على حديث ابي سعيد
الخدري وحديث عبد الرحمن بن عوف قال الاثرم قلت لاحمد ابن حنبل
فما كان سوى هذه المواضع فلا يسجد فيها الا قبل السلام لانه تم ما
نقص من صلاته قال لو لا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لرايت السجود كله
قبل السلام لانه من شان الصلاة فليقضه قبل السلام ولكن اقول كل ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سجد فيه بعد السلام فانه يسجد فيه بعد السلام
وسائر السهو يسجد فيه قبل السلام وقال داود لا يسجد احد للسهو
في الخمسة المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى واما الشك
فلم يعرض له وانما امر فيه بالبناء على اليقين واسقاط الشك والسجود قبل

شبكة الألوكة www.alukah.net

وما اعلم بين التطوع والفريضة فرقا الا ان التطوع يصلى على الدابة ٥
فان كان الكلب الاسود البهيم واقفا بين يدي المصلي
اوناياما ولم يمر بين يديه صفيه روايتان احداهما تبطل لانه بين يديه اشبه
المار وقد قالت عايشه عدلتمونا بالكلاب والحمر وذكرت في معارضه
ذلك انها كانت تعترض معترضه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي كاعتراض الجنازه فيدل ذلك على التسويه بينهما ولان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تقطع الصلاه المراه والحمار ولم يذكر مرورا والثانيه لا تبطل الصلاه
لان الوقوف والنوم يخالف حكم المرور بدليل ان عايشه كانت تنام
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلا يكرهه ولا ينهره وقد قال في المار كان ان يقف
اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه وكان يصلي الى البعير ولو مر بين يديه
لم يدع عنه ولهذا منع البهيمه من المرور وكان ابن عمر يقول لنافع ولبني ظهري
ليستتر به ممن يمر بين يديه وتقعد عمر بين يدي المصلي يستتر من المرور
فدل على ان الوقوف ليس في حكم المرور فلا تقاس عليه وقول النبي صلى الله عليه وسلم
تقطع الصلاه لا بد فيه من اضمار المرور او غيره فانه لا تقطعها الا تفعل
يفعل فلا بد من اضمار ذلك الفعل وقد جاء في بعض الاخبار ذكر المرور
فيتعين حمله عليه ٥ ومن صلى الى سترة فمر من وراءها
ما تقطع الصلاه ثم تقطع وان مر وراءها غير ما تقطعها لكبره لما مر من
الاحاديث وان مر بعيدا منها قطعها وان كان مما لا تقطعها وان لم يكن
بين يديه سترة فمر بين يديه قريبا منه ما تقطعها قطعها وان كان مما
لا تقطعها كره وان كان بعيدا لم يتعلق به حكم ولا اعلم احدا من اهل
العلم حد البعيد من ذلك ولا القريب الا ان عكرمه قال اذا كان بينك
وبين الذي تقطع الصلاة قدر فدجر ثم تقطع الصلاه وقد روى عبد
ابن حميد في مسنده وابو داود في سننه عن عكرمه عن ابن عباس قال
احتبد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم الى غير ستره
فانه تقطع صلاته الكلب والحمار والخنزير والمجوسي واليهودي والمرأه
ويجزي عنه اذا مر وبين يديه قدر فجر هذا لفظ رواية ابي داود وفي مسند

كن وان كانت لا تقطعه

عبد

عبد ابن حميد والنصراني والمرأه الحايض وهذا الحديث لو ثبت
لتعين المصير اليه غير انه لم يجزم برفعه وفيما هو موقوف بالاجماع
وهو ما عدا الثلاثه المذكوره فلا يمكن تقييد ذلك بموضع السجود
فان قوله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن بين يديه مثل اخره الرحل قطع
صلاة الكلب الاسود يدل على ان ما هو ابعد من ذلك لا تقطع
صلاة بمروره الكلب فيه والسترة تكون ابعد من موضع السجود
والصحيح تحديد ذلك بما اذا مشى اليه ودفع المار بين يديه لا تبطل
صلاته لان النبي صلى الله عليه وسلم امر بدفع المار بين يديه فقيد بدلاله
الاجماع بما يقرب منه بحيث اذا مشى اليه لم تبطل صلاته واللفظ والدليل
واحد وقد تعذر حملها على اطلاقها وقد قيد احدهما بدلاله الاجماع فيقيد
فيقيد الاخر به والله اعلم فصل اذا صلى الى ثوب مغصوب فاصابه
وبر الكلب الاسود فهل تبطل صلاته فيه وجهان ذكرهما ابن حامد احدهما
تبطل صلاته لانه ممنوع من تصيير الصلاه اليها فوجودها كعدمها والثاني
لا تبطل لقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك مثل اخره الرحل وهذا قد وجد واصل
الوجهين اذا صلى في ثوب مغصوب هل تصح صلاته على روايتين ٥

فصل في قوله صلى الله عليه وسلم في سجود السهو ثبت عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
فكان سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاه من انعام الله تعالى عليه وعلى امته واكمال
دينهم ليقتدوا به فيما يشرع له عند السهو وهذا معنى الحديث
المنقطع الذي في الموطا انما انسى لاسن فكان على هذا في الاصل
لسني وسن على سهوه احكام شرعيه تجري على سهوه وسهو
البشر فقام صلى الله عليه وسلم مقام من لا سن في الاصل ولهذا سن في
صلاته سجدتين قبل السلام ثم اختلف من قال انه ان ترك
شيئا من افعال الصلاه التي لا تبطل عمدها تركه سهوا هل يجبر بالسجود
من بعض طرقه انه اذا ترك ذلك وشرع في ذكر الله رجع الى الترتيب
لانه لما قام مقام ما ترك سدا مسده فاجزاه واختلف عنه في محل
السجود في الصحيحين ان حديث عبد الله بن بحينه انه صلى الله عليه وسلم

الى

نقله الخطابي عنه قال لا ادري شيل ابو عبد الله يقطع الصلاة قال لا يقطعها
عندي شيء الا الكلب الاسود البهيم وهذا قول عائشة وحكي عن طاوس
وروي عن معاذ ومجاهد انهما قالا الكلب الاسود البهيم شيطان
وهو مقطع الصلاة ومعنى البهيم الذي ليس في لونه شيء سوى السواد
وعن الامام احمد رواية اخرى انه يقطعها الكلب الاسود والمرأة اذا
مرت والحمار قال وحديث عائشة مما لا شك فيه ليس يجد على هذا
لان المار عابث وهو مأمور بالتطوع وهما سهل والغرض اكبر وحديث
ابن عباس مر وسيل بين يدي بعض الصف ليس بحجة لان شغل الامام
لمن خلفه وروي هذا القول عن انس وعكرمة والحسن وابي الجوزاء ووجه
هذا القول ما روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع الصلاة
المرأة والحمار الكلب ويبقى ذلك مثل مؤخرة الرحل وعن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم يصلي فانه يستتره مثل آخرة الرحل
فاذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل فانه يقطع صلاته المرأة والكلب
الاسود قيل يا عبد الله ابن الصامت ما بال الكلب الاسود من الكلب
من الكلب الاحمر من الكلب الاصفر قال ابن اخي سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال الكلب الاسود شيطان رواهما
مسلم وابو داود وعنها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرين قلبه على حمار
تقطع صلاته وكان ابن عباس وعطا يقولان تقطع الصلاة الكلب
والمرأة الحائض ورواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو
داود وابن ماجه قال ابو داود ورفعه شعبة ووقفه سعيد وهشام
وهما على ابن عباس ورواه عن عروة الشعبي والثوري وذلك قال الشافعي
واصحاب الرأي لا تقطع الصلاة بشيء لما روى مسلم عن سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يقطع الصلاة شيء رواه ابو داود وعن الفضل بن
عباس قال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن غلمان يدفع في عجاف
بين يديه سترة وحمارة لنا وكلبة يعبثان بين يديه فما بالى ذلك رواه
ابو داود وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وانا

وانا معترضة بينه وبين القبلة وحديث ابن عباس اقبلت راكبا على
حمار اتان والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمنى فمررت على بعض الصف ونزلت وارسلت
الاتان ترتع فدخلت في الصف فلم ينكر علي احد وحديث زينب بنت
ام سلمة حين مرت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقطع صلاته وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فجاءت جاريتان من بني عبد المطلب حتى
اخذتا بركبتيه فقرع سنهما فما بالا ذلك قلنا حديث ابي هريرة وابي
ذر وحديث ابي سعيد لا تقطع الصلاة شيء رويه المجالد بن سعيد
وهو ضعيف فلا معارض به الحديث الصحيح ثم حديثنا اخص فيجب تقديمه
لصحته وخصوصه وحديث الفضل ابن عباس في اشتداده يحتمل
ان الكلب لم يكن اسود ولا بهيما ويجوز ان يكونا بعيدين ثم هذه الاحاديث
كلها في المرأة والحمار تعارض حديثي ابي هريرة وابي ذر منهما فيبقى الكلب
الاسود خاليا عن معارض فيجب القول به لثبوته وخلوه عن معارض

ولا يقطع الصلاة شيء سوى ما ذكرناه من الكلاب
ولا من غيرها لان النبي صلى الله عليه وسلم خصها بالذكر وقيل لها بالكلب
الاسود من الكلب الاحمر من الكلب الاصفر قال الكلب الاسود شيطان
وكذلك الكلب الاسود اذا لم يكن بهيما لم يقطع الصلاة لتخصيصه
البهيم بالذكر ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها
فاقتلوا منها كل اسود بهيم فانه شيطان فيتبين ان الاسود البهيم
قال تغلب البهيم كل لون يخالطه لون آخر فهو بهيم حتى كان فيه لون
آخر فليس ببهيم وان كان بين عينيه شعيرتان مختلفان لونه لم يخرج
بهذا عن كونه بهيما يتعلق به احكام الاسود البهيم من قطع الصلاة
وتحريم صيده واباحة قتله فانه قد روي في حديث عليه بالاسود
البهيم ذي الغرتين فانه شيطان ولا فرق في بطلان
الصلاة بين الفرض والتطوع لعموم الحديث في كل صلاة ولان مبطلات
الصلاة تستوي فيها الفرض والتطوع في غير هذا فكذلك هذا وقد
روي عن الامام احمد كلام يدل على التسهيل في التطوع والصحيح
التسوية وقد قال الامام احمد معتجون في حديث عائشة فانه في التطوع

فانا

والمرور بين يدي المصلي ينقص الصلاة ولا يقطعها قال
الامام احمد يضع من صلاته ولكن لا يقطعها وروى عن ابن سعود ان ممر
الرجل ليضع نصف الصلاة وكان عبد الله اذا مر بين يديه رجل التزمه
حتى يرده رواه البخاري باسناده قال القاضي يتبع ان محل نقص الصلاة
على من امكنه الرد فلم يفعل اما اذا رد فلم يحنه الرد فصلاته تامة لانه لم
يوجد منه ما ينقص الصلاة فلا يؤثر فيها ذنب غيره ٥
ولا باس بالعمل اليسير في الصلاة للحاجة قال الامام احمد لا باس ان يحل
الرجل حلة في الصلاة الفريضة لحديث ابي قتادة وحديث عائشة انها
استفتحت الباب لمشي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة حتى فتح لها
وامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الاسودين في الصلاة قال الامام احمد وغيره
يجوز لمن ينهب الى الفعل فياخذه ويقتل به الحية والعقرب ثم يعيده
الى مكانه وكذلك ما يومأ يحتاج اليه المصلي من الافعال وكان ابو برزة
معه فرسه وهو يصلي كلما خطا خطوة معه خشية ان سقطت قال الامام
احمد ان فعل كما فعل ابو برزة فلا باس وظاهر مذهب الامام احمد
وغيره ان هذا لا يقدر بثلاث خطوات ولا ثلاث فعلات كما مضت
به السنة ومن قيده بثلاث كما يقوله من يقوله من اصحاب الشافعي واحد فانما
ذلك اذا كانت متصلة واما اذا كانت متفرقة فيجوز وان زادت
على ثلاث والله اعلم ٥ ومن هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم خفق نائما وهو في
الصلاة ٥ ولا باس ان سقط رداء الرجل ان يرفعه وان اخل ازاره وان
يشده واذا عتقت الامة وهي تصلي اختمرت وبنت على صلاتها وقال من فعل
كفعل ابي برزة حين مشى الى الدابة وقد افلتت منه فصلاته جايزة وهذا
النبي صلى الله عليه وسلم هو المشرع فما فعله او امر به فلا باس به ومثل هذا ما
روى سهل ان سعدان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على منبر فاذا اراد ان يسجد
نزل عن المنبر فسجد بالارض ثم رجع الى المنبر كذلك حتى قضى صلاته
وحديث جابر في صلاة الكسوف قال ثم تاخرنا تاخر الصفوف حتى نحقق
انتهينا الى النساء ثم تقدم وتقدم الناس معه حتى قام في مقامه وعن ابي بكرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فكان اذا جاء يجر وهو صغير

فكان كلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ذهب علي ظهره ويرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه
كذلك حتى فرغ حتى صنع ذلك ركعة رواه الاثرم وحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يدري البهيمة حتى لصق الجدر وحديث ابي سعيد
بالامر بدفع المار بين يدي المصلي ومقاتلته اذا ابى الرجوع فكل هذا
واشباهه لا باس به في الصلاة ولا يبطلها ولو فعل هذا لغير حاجة
كره ولا يبطلها ايضا ولا تتقدر الحاجة من هذا بثلث ولا بغيره وهاهنا
العدد دلان فعل النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر منه انه دنته على ثلاث كخطوات
حتى تاخر الرجال فانتهوا الى الثنا وفي حمل امامة وضعها في كل ركعة
وهذا في الغالب يزيد على الثلاث فعال وكذلك شيء الى مرة مع كثرته
ولان التقدير بالثلاث توقيف وهذا لا توقيف فيه ولكن يرجع في الكثير
والقليل الى العرف فما يعد كثيرا او قليلا او كثيرا او قليلا فهو كذلك
وكل ما شابه فعل النبي
صلى الله عليه وسلم فهو معفو ويسيرا وان فعل ما لا يشبهه لو جمعت
كانت كثيرة وكل واحدة منها مفرقة يسيرة هي في حالة يسيرة مثل
حمل النبي صلى الله عليه وسلم امامة في كل ركعة ووضعها وما اشبهه وزاد على فعل
النبي صلى الله عليه وسلم ابطل الصلاة سواء كان لحاجة او غيرها الا ان يكون اليسير
فيكون جمعه حكم الخائف فلا تبطل صلاته وان احتاج الى الفعل
الكثير في الصلاة لغير ضرورة قطع الصلاة وفعله قال الامام احمد
اذا راى صبيين يقتتلان يجوز ان يلتقط احدهما حصاة حصاة في الدور
فانه يذهب اليها فيخلصها ويعود في صلاته وقال الامام ويعمل رجلا
ونحو هذا استحب وقد اتفقت الصلاة فما سجد امام خرج المزحوم
فان الذي كان يليه يخرج في طلبه معه ويبتدي الصلاة وهكذا لو
راى حريقا او سيل الطعام او غير ذلك خرج اليه وابتداء الصلاة
ولو شغل الحريق اهله او المال وهو في الصلاة خفف منه بنى على صلاته
وانها صلاة خائف لما ذكرنا من قبل واما اذا قتل ولا يقطع
الصلاة الا الكلب الاسود على ما ورد به هذا المنهور عن الامام احمد

شبكة الألوكة www.alukah.net

فيمر بين يديه الرجل والمراه فعال اولا يرى الناس يبتلى بعضهم بعضا
واذا هو يرى ان لهذا البلد حالا ليس لغيره من البلدان وذلك
لان الناس تتباكون اى تزدحمون ويدفع بعضهم بعضا فلو
منع المصلى من مجتاز بين يديه لشق على الناس وحرج الحرج كله حكمه
في هذا دليل لما روى ان عمر بن ال قلت ذلك على جواز ذلك والنبي
صلى الله عليه وسلم ما ترك يصلي الناس بمنى الى غير ذلك ٥ ولان الحرم فعله عمل الشاعر
والناس فيه مجرى مجرى مكة فيما ذكرناه ٥ فصل ولو صلى في غير
مكة الى غير سترة لم يكن به باس لما روي عن ابن عباس قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم في فضاء ليس بين يديه شيء ٥ وروي عن الفضل ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في بادية لنا فصلى الى غير سترة ولان السترة
ليست شرطا في الصلاة وانما هو مستحب ولا اتمام لعهد في الرجل يصلي في
فضاء ليس بين يديه سترة ولا يقطع صلاته حائض ولا كلب الا ان يفعل
فان لم يفعل لجزيه ٥ فصل ولكن لا حد ان يمر بين يدي
المصلي اذا لم يكن بين يديه سترة فان كانت بين يديه سترة لم يمر احد
بينه وبينها لما روى ابو جهيم الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم
المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الاثم لكان ان يقف اربعين خيرا له
من ان يمر بين يديه ولانه لا ان يقف احدكم مائة عام خير من ان يمر بين
يدي اخيه وهو يصلي وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم الذي يمر بين يدي
المصلي شيطانا وامر برده ومقاتلته وروي عن زيد ابن عمر ان قال
رايت رجلا يقود بعيرا متعمدا فقال مررت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وانا على حمار وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت عليها بعد وفي
لفظ قال قطع صلاتنا قطع الله اثره وان اراد احد المرور بين يدي
المصلي فله منعه في قول اكثر اهل العلم منهم ابن مسعود وابن عمر وسالم
وهو قول الشافعي واهل نور واصحاب الراي ولا اعلم فيه خلافا والاصل
فيه ما روى ابو سعيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام احدكم
يصلي الى شيء ستره من الناس فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان

ابا

ابا فليقاتله فانما هو شيطان ورواه ابو داود ولفظ رواته اذا كان
احدكم يصلي فلا يدع احدا يمر بين يديه وليدرأ ما استطاع فان ابا فليقاتله
فانما هو شيطان ومعناه اي ليدفعه وهذا في اول الامر لما تقدم على
دفعه فان اتى وجب فليقاتله اي يعنف في دفعه عن المرور فانما هو شيطان
اي فعله فعل الشيطان او الشيطان حمله على ذلك وقيل ان معه شيطانا معناه
والكثير الروايات عن ابي عبد الله ان المار بين يدي المصلي داخل في المرور
وان الرجوع ان المصلي شدد عليه في الدفع ويجتهد في رده ما لم يخرجه
ذلك الى افساد صلاته بكثرة العمل فيها وروي عنه انه قال يدرأ ما
استطاع والكف العتال في الصلاة وذلك لما يفضي اليه من التشويش وفساد
الصلاة والنبي صلى الله عليه وسلم انما امر برده ودفعه حفظا للصلاة عما
ينقصها فعلم انه لم يرد ما نقدرها وتقطعها بالكلية فيحمل لفظ القاتلة على
دفع ابلغ من الدفع الاول والله اعلم وقد روت ام سلمة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجرة فمر بين يديه عبد الله ابن ابي سلمة فقال بيده
فرجع فمرت زينب بنت ام سلمة فقال بيده هكذا ومضت فلما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هن اغلبن وهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يجتهد في الدفع ٥ فصل ويستحب ان يرد ما مر بين يديه
من كبير وصغير وانسان وبهيمة لما روينا من رد النبي صلى الله عليه وسلم
عمر وزينب وهما صغيران وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى جدار فاراد حمار ان يجوز بين يديه فاخذ بقبله فجاء بهمة بين
يديه فجاء ليدرأها حتى لصق بطنه بالجدار فمرت من ورائه ٥ فصل
فان مر بين يديه انسان فغير له ان يجتذبه من حيث رده من حيث جاء ٥ وروي عن
ابن مسعود انه يرده من حيث جاء وفعله سالم لان النبي صلى الله عليه وسلم امر
برده ويتناول الاعابر ولنا ان هذا مرور فلا ينبغي ان لا يتسبب اليه
كالاول ولان المار لو اراد ان يعود من حيث جاء لكان ممنوعا بمنعه فلم
يجز للعابر العود والحديث لم يتناول العابر انما في الخبر فاراد احدكم
ان يمر بين يديه فليدفعه وبعد العبور فليس هذا مريدا للاجتياز ٥

اى لاستقبله مصعدا وحطا ومعنى الصمد القصد ٥ فصل
تكره الصلاة الى المتحدثين ليلا لشغل عدتهم واختلف فى الصلاة
الى النيام فروى انه يكره وروى ذلك عن ابن مسعود وسعيد بن جبير
وعن الامام احمد ما يدل على انه يكره فى الفريضة خاصة ولا يكره
فى التطوع لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى من الليل وعائشة معترضة
بين يديه كاعتراض الجنازة قال الامام احمد هذا فى التطوع والفريضة
اشد وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة الى النيام والمتحدث
مخرج التطوع من عموم حديث عائشة بقى الفرض على اصل المنع العموم
وقيل لا يكره فيهما لان حديث عائشة صحيح وحديث النهى ضعيف قال
الخلال وقد قال الامام احمد لا فرق بين الفريضة والنافلة الا فى
صلاة الراكب وتقدم فيما مضى الخبر الصحيح والخبر الضعيف ٥
فصل ويجوز ان يصلى مستقبلا وجهانسان لان عمر اذب
على ذلك وفى حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى والوتر
الشريف وانا مستلقية بينه وبين القبلة تكون الحائضة كذلك اذا قامت
فاعتقبل فاسئل شيئا الا وانا شديدة النعاس وذلك لئلا يشغل المصلى ويكره
ان يصلى الى نار وقال الامام احمد اذا كان التنور قبلته لا يصلى اليه وكره
ابن سيرين ذلك وقال الامام احمد فى السراج والسبيل يكون فى القبلة
اكرهه وانى كل شئ يشغل فاكره ان يجعل شيئا فى القبلة حتى
المصحف وانما كره ذلك لان النار تعبد من دون الله فكره ان يشبه
شيئا من الصلاة وقال الامام احمد لا يصلى الى صورة منصوبة فى وجهه
وذلك لان الصورة تعبد من دون الله وقد روى عن عائشة قالت
كان لنا ثوب فيه تصاوير فجعلناه سترا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصلى فيه فكان يقطعه ذلك ويأمرنا ان نقطعه
ما شاء لان التصاوير تشغل المصلى فيكره لذلك كما يكره
صلاته وقال الامام احمد يكره ان يكون فى القبلة شئ معلق يحركه

غيره ولا باس ان يكون موضوعا بالارض وقد روى مجاهد قال لم يكن
عبد الله ابن عمر يدع شيئا بينه وبين القبلة لا تزعه لا شيئا ولا مصحفا
رواه الخلال باسناده قال الامام احمد ولا يكتب فى القبلة بشئ وذلك لانه
يشغل قلب المصلى وربما اشتغل بقراءته عن صلاته ولذلك يكره تزويقها
وكل ما شغل المصلى عن صلاته وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى
خميصة لها اعلام فلما قضى صلاته قال اذهبوا بهذه الى ابى جهم ابن حذيفه
فانها الهتنى انفا عن صلاتى وائتونى بانبجانيته وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لعائشة ابعثى الى ابى جهم فائتينى بانبجانيته تعرض لى فى صلاتى واذا كان
النبى صلى الله عليه وسلم مع ما ايده الله به من العصمة والخشوع يشغل ذلك
قلبه من الناظر فى ٥ ويكره ان يصلى وامامه امرأة تصلى
لقول النبى صلى الله عليه وسلم اخروهن من حيث اخرهن الله وصلاتها عن الصلاة
فلا يكره لخبر عائشة وروى ابو عبيد باسناده عن ام سلمة قالت كان فراشى
حيال مصلى النبى صلى الله عليه وسلم وان حائضة عن جنبه او ثوبه لم يكره وان كانت
فى صلاته وكره الامام احمد ان يصلى وبين يديه كافر وروى ذلك عن اسحق لان
الشر من نجس ٥ ولا باس ان يصلى بمكة الى عورة وروى
ذلك عن ابن الزبير وعطاء ومجاهد لان الاثم قبل لاحد الرجلين يصلى بمكه ولا يستتر
بشئ فقال قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى ثم ليس منه وبين الطواف شئ
قال الامام احمد لان مكة لم تستتر بغيرها فان مكة مخصوصة وذلك لما
روى كثير ابن كثير ابن المطلب عن ابيه عن جده المطلب قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلى حيال الحجر والناس يمرون بين يديه رواه الخلال باسناده
وروى الاثرم باسناده عن المطلب قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى
اذا فرغ من سبعه حتى يحاذى الركن يمنه وبين الثقيفة فصلى ركعتين
فى حاشية المطاف وليس بينه وبين الطواف احد وقال انا رأى عمار
رايت ابن الزبير جاء يصلى والطواف بينه وبين القبلة فمر المراه بين
يديه فمنعها حتى مر ثم وضع جبهته فى موضع قدمها رواه خنبل
فى كتاب المناسك وقال المغيرة قلت لطاوس الرجل يصلى بعض بيوت

الامام احدهما قدر عظم الذراع وهذا قول مالك والشافعي والظاهر ان
هذا على سبيل التقريب لا التحديد لان النبي صلى الله عليه وسلم قدرها باخره
الرجل واخره المرتفل تختلف في الطول والقصر فتارة تكون ذراعا
وتارة تكون اقل منه فما قارب الذراع اجزاه الاشتتار به والله اعلم ٥
فاما قدرها في الغلظ والدقة فلا حد له فما يسمونه ان يكون رقيقة
كالسهم والحربة وغليظة كالحائط فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستتر بالعنزة
وقال ابو سعيد كنا نستتر بالبهيم والمجر في الصلاة وروي عن شعبة بالرحل
النبي صلى الله عليه وسلم قال استتروا في الصلاة ولو بسهم رواه الاثرم وقال الاوزاعي
يجزيه السهم والسوط قال الامام احمد وما كان اعرضه فهو اعجب الي وذلك
لان قوله ولو بسهم يدل على ان غيره اولى منه ٥ وتستحب
للمصلي ان يدنو من سترته لما روى سهل ابن ابي حثمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا صلى احدكم الى سترة فليدن منها لا يقطع الشيطان عليه صلاته ٥
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليصل الى سترة
وليدن منها رواه الاثرم وعن سهل ان بين مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
وبين القبلة ممر الشاة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارهقوا
القبلة ٥ رواه الاثرم وذكر الخطابي في معالم السنن ان سترة الامام
سترة من خلفه فمر به رجل لا يعرفه فقال له المصلي
ادن من سترتي فعل ما لك تتقدم وهو يقول وعلى ما لم تكن تعلم وكان
من ء فصل الله عليك عظيما ولان قرب السترة اصون لصلاته وابعد من ان
عرض به وبينها شيء يحول بينه وبينها ان ثبت هذا فانه يجعل بينه
وبين سترته ثلاثة اذرع فما دون قال سهل سئلت ابا عبد الله عن
الرجل يصلي عن ينبغي ان يكون بينه وبين القبلة قال يدنو من القبلة
ما استطاع ثم قال بعد ان ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة
فكان بينه وبين الحائط ثلاثة اذرع قال المروذي قدرنا ذلك على نحو من
اربعة قال الشهود وكان عبد الله ابن مسعود يجعل بينه وبين سترته
اذرع قال اعطاك ما لكفيك ثلاثة اذرع وبه قال الشافعي لخبر ابن عمر

عن

عن بلال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في قبل البيت وبينه وبين الجدار ثلاثة
اذرع وكلما دنا منها فهو افضل لما ذكرنا من الاخبار والمعنى ٥ فصل
ولا باس ان تستتر ببعير او حيوان وفعله ابن عمر وانس وروي عن الشافعي
انه لا تستتر ببداية ولنا ما روى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى بعير
وفي لفظ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض ناقته ويصلي اليها قال
ملت فاذا ذهبت الركاب قال كان عرض الرحل ويصلي الى اخرته فان
استتر بانسان نائم فانه يقوم مقام غيره من السترة وقد روي
عن ميمونة ان هلال قال لي عمر ان الخلاء تحضره فصل الناس يمرون
بين يديه فقال هو وما شاء هدى وستره هدى وقال صل ولا
تبالي ولا تعبأ بمن مر ذا لم يجد سبيلا الى سارية من سواري المسجد
تصلي وعن نافع قال كان ابن عمر اذا لم يجد سبيلا الى سارية من سواري المسجد
قال ولي فلم ير رواها البخاري باسناده ٥ فصل فان لم يجد
سترة خط خطا وصلى اليه وهذا ذكر مقام السترة نص عليه الامام احمد
وانكر مالك الخط وابو حنيفة وقال الشافعي الخط بالعراق وقال عصر
لا خط المصلي خطا الا ان يكون فيه شبه شيء لما روي ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فان
لم يجد فلينصب عصا فان لم تكن معه عصا فليخط خطا ولا يضر ما
مر امامه ٥ فصل وان
كان معه عصا فلم يغرزها فقال الاثرم قلت للامام احمد الرجل يكون
معه عصا يقلد على عنزة فاتاها بين يديه اطولا هو اعرضا
قال لا بل مرضا ذكره ابن عبد البر وقال سعيد ابن جبير والاوزاعي ركزة العنزة
ان عنا في معنى الخط فيقوم مقامه وقد ثبت استحباب الخط بالحديث
الذي رويناه ٥ فصل فاما ما لا عود او عنزة شيء في
معناها اختلف اصحابنا فيه فقال القاضي يخط بين يديه خطا طولا
عن المتوارث لان الاعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في
ارض فلاة فامرنا ان نخط بين ايدينا خطوطا ثم لنكن

السلام وهوان لابعده وبطوله قال ابو عبدالله حذف السلام تشهد
وهوان لايطول به صوته وطول ابو عبدالله صوته والاصل في
هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم حذف السلام رواه ابو داود والترمذي
وقال هو حديث حسن صحيح وعليه اهل العلم قال ابرهيم النخعي التكبير
جزم والسلام جزم ص ـــــ وينوي بتسليمة الخروج من
الصلاة وان نوى مع ذلك الرد على الملكين وعلى من خلفه ان كان
اماما او على من معه ان كان ماموما فلا بأس نص عليه الامام احمد وقال
تسلم في الصلاة نوت لامة الرد على الامام وقال ايضا ينوي السلام الخروج
من الصلاة فان نوى الملكين ومن خلفه فلا بأس والخروج من الصلاة
مختار وقال اذا نوى تسليمة الرد على الحفظة وقال ابن حامد يأتي نوى
في السلام الرد على الملائكة وغيرهم من الناس مع الناس الخروج فهل
تبطل صلاته على وجهين احدهما تبطل لانه نوى السلام على ادعى اشبه
ما لو سلم على من لا يصلي معه وقال ابو حفص ابن السلمة من اصحابنا ينوي بالتسليمة
الاولى الخروج من الصلاة وبالثانية السلام على الحفظة والمأمومين ان
كان اماما وبالرد على الامام والحفظة ان كان ماموما ولنا ما روى
جابر بن سمرة قال كنا اذا صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا السلام عليكم
السلام عليكم فنظر الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شأنكم تشيرون بأيديكم
كأنها اذناب خيل شمس اذا سلم احدكم فليلتفت الى صاحبه ولا يومي بيده
ومن لغط انما يكفي احدكم ان يضع يده على فخذه ثم يسلم على اخيه من على
يمينه وشماله رواه مسلم وفي لفظ قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نرد على الامام وان يسلم بعضنا على بعض رواه ابو داود وهذا يدل
على انه يسن التسليم على من معه وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي
فان لم ينو الخروج من الصلاة ولا شيئا غيره صحت صلاته وقال
ابن حامد لا تصح وهو ظاهر مذهب الشافعي لانه نطق في احد طرفي
الصلاة فافتقر الى النية كالتكبير ولنا انه جزء من اجزاء الصلاة غير
اولها فلم يفتقر الى نية تخصه كسائر اجزائها ولان الصلاة عباده فلم تفتقر

الى

لعله
جعفر

الى نية الخروج منها كالصوم وهذا لان النية اذا وجدت في اول العباده
استصحبت حكمها باقي اجزائها واستغنى عن ذكرها وقياس الجزء الاخير على
الاول فاما خبر ابن مسعود فلم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تغميض
عينيه في الصلاة وقد تقدم انه كان في التشهد يرمي ببصره الى اصبعه
في الدعاء ولا يجاوز ببصره اشارته روى البخاري في صحيحه عن عائشة
قالت كان قرام لعائشة ستروت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي ولو كان
تغميض عينيه لما عرضت له في صلاته وفي الاستدلال بهذا الحديث نظر
لان الذي كان يعرض له في صلاته هو ترك ذلك التصاوير بعد
رويتها او مثل رويتها هذا محتمل وبين دلالة منه حدث عائشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها اعلام فنظر الى اعلامها نظرة
فلما انصرف قال اذهبوا بخميصتي هذه الى ابي جهم وائتوني بانبجانية فانها
الهتني انفا عن صلاتي وفي الاستدلال به ايضا ما فيه اذ غايته انه حالت
منه التفاتة انها شغلته تلك الالتفاتة ولا دليل في حديث التفاته
الى الشعب لما ارسل النار س اليه طبيعة لان ذلك النظر والالتفات
منه كان للحاجة لاهتمامه بامر الجيش وقد يدل على ذلك مديده
في صلاة الكسوف لتناول العنقود لما رأى الجنة وكذلك رؤيته النار
وصاحبة الهرة فيها وصاحب المحجن وكذلك حديث عائشة للبعير
الذي اراد ان يمر بين يديه ورده فالظاهر والله اعلم ان الحائلين
وكذلك الحديث رده السلام لا اشارة على من سلم عليه وهو في الصلاة
فانه انما كان شغلا عن مراعاة ذلك حديث تعوض الشيطان له
فاخذه فخنقه وكان ذلك رؤيا عين بدليل الاحاديث وغيرها واستفاد
من مجموع الاحاديث ان من تعوض في الصلاة وقد اشتغل قلبه
في غير ما هيئة فذهب الامام احمد وغيره وقالوا هو من فعل الجهد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الصلاة المفروضة اما صلاة الجنازة والنافلة وسجود التلاوة
فلا خلاف في انه يخرج منها تسليمة واحدة قال الشافعي هذا رواية واحدة
نص عليها الامام احمد في صلاة الجنازة وسجود التلاوة ولان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم لم ينقل في صلاة الجنازة الا تسليمة واحدة ٥ فصل
السنة ان يقول السلام عليكم ورحمة الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يسلم كذلك في رواية ابن مسعود وجابر ابن سمرة وغيرهما وقد روى
وائل ابن حجر قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يسلم عن يمينه السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وعن شماله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
رواه ابو داود وان قال ذلك فحسن والاول اختصر لان راويه اكبر
وطرقه اصح فان قال السلام عليكم ولم يزد فظاهر كلام الامام احمد انه
يجزيه قال القاضي ونص عليه الامام احمد في صلاة الجنازة وهو مذهب
الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم قال وتحليلها التسليم والتسليم يحصل بهذا القول
وقد روي عن سعد قال كنت ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه
وشماله حتى ارى بياض خده السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم
رواه ابو داود وروى عبد الله ابن زيد نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي انه كان يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله
ولان ذكر الرحمة تكرير الثنا فلم يجز كقوله وبركاته وقال ابن عقيل
الاصح انه لا يجزيه لان الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول السلام
عليكم ورحمة الله ولانه سلام في الصحيح الصلاة ورد مقرونا بالرحمة فلم
يجز بدونها كالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد ٥ فصل فان
نكر السلام فقال عليكم السلام لم يجزه وقال القاضي فيه وجه انه يجزيه
وهو مذهب الشافعي لانه حصل منه المعنى وليس بقرآن فيعتبر
له النظم ولنا ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بها وامره بذلك وقال
لابي بكرة لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى رواه الامام احمد
في المسند ولانه ذكر يؤتى به في احد طرفي الصلاة فلم يجز منكرا كالتكبير
فصل فان قال سلام عليكم منكرا ومنونا ففيه وجهان احدهما

يجزيه

يجزيه وهو مذهب الشافعي لان اكثر ما ورد من السلام في القرآن بغير
الف ولام كقوله تعالى سلام عليكم ما صبرتم وقوله يقولون سلام عليكم
وقوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم ولانا اجزنا التشهد بتشهد
ابن عباس وابي موسى وفيهما سلام عليكم التحيات واحد والاخر
لا يجزيه لانه يغير صيغة السلام الوارد وكل تخريف يقتضي الاسترقاق
فيغير المعنى فلم يجز كما لو اثبت اللام في التكبير قال الامدي لا فرق
بين ان ينون السلام او لا ينونه لان حذف التنوين لا يخل بالمعنى بدليل
ما لو وقف عليه ٥ فصل ويستحب ان يلتفت عن يمينه في التسليمة
الاولى وعن شماله في الثانية كما جاءت السنة في حديث ابن مسعود ووائل
وجابر ابن سمرة وغيرهم وقال الامام احمد ثبت عندنا من غير وجه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده
ويكون التفاته في الثاني اوفى لما روى عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يسلم عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن واذا سلم عن شماله حتى
يرى بياض خده الايمن والايسر رواه يعني ابن محمد ابن صاعد باسناده ورواه
ابو بكر باسناده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عقيل يبتدي
بقوله السلام عليكم الى القبلة ثم يلتفت عن يمينه وشماله في قوله ورحمة الله
لقول عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم تسليما وجهه معناه ان ابتداه بالتسليم
تلقاء وجهه والتفاته في اثنا سلامه ٥ فصل وروى عن ابي
عبد الله ان التسليمة الاولى ارفع من الثانية وميل الى التسليمتين
ارفع قال الاولى واختار هذا ابو بكر الخلال وابو حفص العكبري
وحمل الامام احمد حديث عايشة انه كان يسلم تسليمة واحدة على انه
كان يجهر بواحدة فتسمع منه والمعنى في هذا ان الجهر في غير القراءة
انما كان للاعلام بالانتقال من ركن الى غيره وقد حصل العلم بالجهر بالاولى
فلا حاجة الى الجهر بغيرها وكان ابن حامد يرى الجهر بالثانية واختار الاولى
للاتباع المأمومون في السلام ٥ فصل ويستحب حذف

انه صلى الله عليه وسلم كان تسليمه واحده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
حتى يرقطنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه كان في قيام الليل
والذين رووا عنه التسليمتين رووا اما شاهده في الفرض والنفل
على ان حديث عائشة ليس صريحا في الاقتصار على التسليمه الواحده بل اخبرت
انه كان يسلم تسليمه يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس
سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم اكثر عددا واوثق احاديثهم
اصح وكثير من احاديثهم صحيحه والباقي حسان قال ابو عمر بن عبد البر
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمه واحده من حديث سعد بن
ابي وقاص ومن حديث عائشه ومن حديث انس لانها معلوله والصحيح
اهل العلم بالحديث ثم ذكر حديث سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم في صلاته
تسليمه واحده وقال هذا وهم وغلط وانما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن
يمينه وعن شماله ثم ساقه من طريق ابن المبارك عن مسعر بن كدام
عن اسمعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن ابيه قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى اصفح خده قال الزهري
سمعنا هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسمعيل ابن محمد
اكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمعته قال لا قال فنصفه قال لا قال
فاجعل هذا في النصف الذي لم تسمع قال واما حديث عائشه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمه واحده فلم يرفعه احد الا زهير بن محمد
وحده عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشه رواه عنه عمر بن عبد الله
وغيره وزهير بن محمد ضعيف عند الجميع كثير الخطا لا يحتج به وذلك
لنحيي بن معين هذا الحديث فقال عن عمر بن ابي بكر وزهير ضعيف ان
لا يحتج فيها قال واما حديث انس فليس يأتي الا من طريق ابي بكر السختياني
عن انس ولم يسمع ايوب من انس شيئا قال وقد روي مرسلا عن الحسن
ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يسلمون تسليمه واحده وليس يصح
في التسليمه غير عمل اهل المدينه قالوا وهو عمل قد توارثوه
كابر عن كابر ومثله يصح الاحتجاج بعمله لانه نقل عموم عن كل عموم مرارا

وهذه

وهذه طريقه قد خالفهم فيها سائر الفقها والصواب معهم والسنن الثابته
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدفع ولا تترك لعمل احد كائنا من كان وقد
احدث الامرا بالمدينه وغيرها في الصلاه امورا استمر عليها العمل
ولا ملتفت الى اعتراضه وعمل اهل المدينه الذي يحتج به ما كان في زمن الخلفا
الراشدين واما عملهم بعدهم وبعد تقارض عصر من هم من الصحابه
فلا فرق بينه وبين عمل غيرهم والسنه تحكم بين الناس لا عمل احد
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفايه وبالله التوفيق ٥ ف والواجب
تسليمه واحده والثانيه سنه قال ابن المنذر اجمع كل من احفظ عنه
من اهل العلم ان صلاه من اقتصر على تسليمه واحده جايزه وقال القاضي
فيه روايه اخرى بالثانيه واجبه وقال هي اصح لحديث جابر بن سمره
ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعلها ويداوم عليها ولانها عباده ولها حالان
فكانا واجبين كتحلل الحج ولانها احدى التسليمتين فكانت واجبه كالاولى
والصحيح ما ذكرناه وليس عن الامام احمد تصريح بوجوب التسليمتين انما
قال التسليمتان اصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ابن مسعود وغيره
اذهب اليه ويجوز ان يذهب اليه في المشروعيه والاستحباب دون الايجاب
كما ذهب الى ذلك غيره وقد دل عليه قوله في رواية مهنا اعجب الي
التسليمتان ولان عايشه وسلمه بن الاكوع وسهل بن سعد قد
رووا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمه واحده وكان المهاجرون
يسلمون تسليمه واحده وبما ذكرناه جمع بين الاخبار واقوال الصحابه
رضي الله عنهم في ان يكون المشروع والمسنون تسليمتين والواجب واحده
وقد دل على صحه هذا الاجماع الذي حكاه ابن المنذر لا معدل عنه وفعل
النبي صلى الله عليه وسلم محمول على المشروعيه والسنه فان اكثر افعال النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلاه مسنونه غير واجبه فلا يمتنع حمل فعله لهذه
التسليمه على النبي عند قيام الدليل عليها والله اعلم ولان التسليمه الواحده
يخرج بها من الصلاه فلم يجب عليه شيء اخر فيها ولان هذه صلاه فتجزيه
فيها تسليمه واحده كصلاه الجنازه والنافله ٥ وهذا الخلاف الذي ذكرناه

وقل من عمل مذهبا وانتصر له في كل شيء لا اعتبر الى هواه الحق ويقول
وبالله التوفيق احاديث ان كل واحد منها صحيح يصدق بعضها بعضا ولا تناقض
فالقنوت الذي ذكره قبل الركوع هو اطالة القيام للدعاء الذي كان فيه
النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القيام والذي ذكره بعده هو اطالة
القيام للدعاء فجعله شهرا يدعو على قوم ويدعو القوم ثم استمر يطيل
هذا الركن للدعاء والثناء الى ان فارق الدنيا كما في الصحيحين عن ثابت عن انس
قال انى لا الوا ان اصلي لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا قال فكان انس
يصنع شيئا لا اراكم تصنعونه حتى كان اذا رفع راسه من الركوع انتصب
قائما حتى يقول القائل قد نسي واذا رفع راسه من السجدة مكث حتى يقول
القائل قد نسي فهذا هو القنوت الذي ما زال عليه حتى فارق الدنيا ومعلوم
انه لم يكن يمكث في مثل هذا الوقت الطويل الا لان شيئا يقوله ويدعو به
وهذا غير القنوت الموقت شهرا فان ذاك دعاء على رعل
وذكوان وعصية وبني لحيان بدعاء المستضعفين الذين كانوا بمكة
واما تخصيص هذا المعنى بقنوت الفجر فلما سئل انس عن القنوت
الفجر اجابه بما سئل عنه وايضا فانه كان يطيل صلاة الفجر دون سائر
الصلوات ويقرؤها بالستين الى المائة وكان في الغالب عقيب ركوعه
واعتداله وسجوده وقيامه مقدارا يمكن بظهر من تطويل بعد الركوع
في صلاة الفجر ما لا يظهر في سائر الصلوات ومعلوم انه كان يدعو فيه
فيتفق بعليه ويحمله في ذلك الاعتدال كما تقدمت الاحاديث بذلك
وهذا قنوت مسنه بلا ريب يخفى لا يشكل ولا يرتاب احد علم ما ثبت في الصحيح
حتى فارق الدنيا وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة حملوا
القنوت في لفظ الصحابة على القنوت في اعتدال الركوع وشذ من لا يعرف
غير ذلك فلم يشك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا مداومين على هذا
كل غداة وهذا هو الذي نافاه من نفاه من العلماء وقالوا هو في الركن من
فعل الزنبل ولا ثبت عنه انه فعله وغايته ما روي عنه في هذا القنوت
انه علمه الحسن ابن علي كما في السنن والترمذي عن الاربعة عنه قال علمني رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في قنوت الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني

فيمن

فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر
ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز
من عاديت تباركت ربنا وتعاليت قال الترمذي حديث حسن ولا يعرف
عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت شيء احسن من هذا ورواه البيهقي
بعد ولا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ومما يدل على ان مراد انس
بالقنوت بعد الركوع هو الدعاء والثناء ما رواه سليمان ابن حرب حدثنا ابو
هلال قال حدثنا حنظلة امام مسجد قتادة قلت هو الذي يسمى قال
اختلفت انا وقتادة في القنوت في صلاة الصبح فقال قتادة قبل الركوع
وقلت انا بعد الركوع فاتينا انس ابن مالك فذكرنا له ذلك فقال ابيت
النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الفجر فكبر وركع ورفع راسه ثم سجد
ثم قام في الثانية فكبر وركع ثم رفع راسه فقام ساعة ثم وقع ساجدا
وهذا مثل حديث ثابت عنه سواء وهو بين مراد انس بالقنوت فانه
ذكره دليلا لمن قال انه قنت بعد الركوع بهذا القيام والتطويل
هو كان مراد انس فاتفقت احاديثه كلها وبالله التوفيق
واما المروي عن الصحابة فنوعان احدهما قنوت عند النوازل
كقنوت الصديق في محاربة الصحابة ليسيلمة وعند محاربة اهل الكتاب
وكذلك قنوت عمر وتبت على عند محاربته لمعوية واهل الشام
والثاني مطلق سادس عن جملة عنهم به تطويل هذا الركن للدعاء والثناء
والله اعلم فصل وكان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه السلام
عليكم ورحمة الله وعن يساره هذا كان فعل الراشدين رواه عنه نحو
عشرين صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابي وقاص وشهل
ابن سعد الساعدي ووائل ابن حجر وابو موسى الاشعري وحذيفة
ابن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبرا
ابن عازب وابو مالك الاشعري وطلق ابن علي وادرس ابن ادرس
وابو رمثة وعدي ابن عميرة وقد روي عنه انه كان يسلم تسليمة واحدة
تلقاء وجهه لكن لم يثبت عنه ذلك من وجه صحيح والعهدة ما فيه حدث عائشة

يعرف تضعيف قيس عن جهي وذكر سبب تضعيفه قال الحميدي وسعد
ابن ابي مريم سئلت يحيى عن قيس ابن الربيع فقال ضعيف لا يكتب حديثه كان
حدث بالحديث عن عبيده وهو عنده عن منصور ومثل هذا لا يوجب رد
حديث الراوي لان غاية ذلك ان يكون غلط وهم في ذكر عبيده بدل
منصور وهي الذي ذكر من هذا من المحدثين الثالث ان انسا انما اخبرهم
لم يكونوا يقنتون وان بدئ القنوت هو قنوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وعلى وذكوان عن الصحيحين من حديث عبد العزيز ان سمعت انسا
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم
حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بير يقال لها بير معونة فقال القوم
والله ما إياكم اردنا وانما نحن مجتازون في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقتلوهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهرا في صلاة الغداة نبذل يدعو
القنوت وما كان يقنت وهذا يدل على انه لم يكن من هديه صلى الله عليه وآله وسلم القنوت
دائما وقول انس فذلك بدء القنوت مع قوله قنت شهرا ثم تركه دليل على
انه اراد بما عائشته من القنوت قنوت النوازل وهو الذي قنت فيه شهرا وهذا
كما قنت في صلاة العتمة شهرا كما في الصحيحين من حديث انس ابن ابي عتبة عن انس
سئله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قنت في صلاة العتمة شهرا يقول
في قنوته اللهم انج الوليد ابن الوليد اللهم انج سلمة ابن هشام اللهم انج عياش بن
ابي ربيعة اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخبر ابو هريرة وانصرف ذات يوم فابطأ
لهم فقدرت ذلك لبطئه اراهم قد قتلوا فقتلوا في النجاء هذا
خوفا لاجل امر عارض وزال ذلك وقد انس شهرا وقد روى
ابو هريرة انه قنت لهما في الفجر شهرا وكلاهما صحيح وقد تقدم ذكره
حديث عكرمة عن ابن عباس قنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهرا متتابعا في
الظهر والعصر والمغرب والعشاء الصبح رواه ابو داود وعلى
وهو حديث صحيح وقد ذكر الطبراني في معجمه من حديث عمار انس قال
عطرف ابن طريف عن ابي الجهم عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان

لا يصلي صلاة مكتوبة الا قنت فيها قال الطبراني لم يرده عن حميد عن مطرف الا
محمد بن انس وهذا الاختلاف وان كان لا يقوم به حديث صحيح
من جهة المعنى لان القنوت هو الدعاء ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صلى صلاة مكتوبة الا دعا فيها كما تقدم وهذا هو الذي اراده انس في حديث
ابي جعفر ان صح انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا وحتى لا تشكل ولا ترتاب
في صحة ذلك وان دعاءه في الفجر شيئا الى ان فارق الدنيا الوجه الرابع
ان طرق احاديث انس يتبين المراد وتصدق بعضها بعضا ولا تناقض
وفي الصحيحين من حديث عاصم الاحول قال سألت انسا ان مالكا عن القنوت
في الصلاة قال نعم قلت كان قبل الركوع او بعده قال قبله قلت فان فلانا
اخبرني عنك انك قلت قنت بعده فقال كذب انما قنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعد الركوع شهرا وقد ظن ان هذا حديث معلول تفرد به عاصم وليس كما
الرواه عن انس غير عاصم فقالوا عاصم ثقة جدا غير انه خالف اصحاب انس في
موضع القنوت بين الحافظ فهمهم والجواد ربما عثر وحكوا عن الامام احمد
تعليله فقال الاثرم قلت لابي عبد الله نعمى احمد ابن حنبل يقول احد في حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنت قبل الركوع غير عاصم الاحول فقال ما علمت
احدا يقوله بخبره قال ابو عبد الله فالناس عاصم كلهم عن قتادة
عن انس والنبي عن ابي مجلز عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنت بعد الركوع
وايوب عن محمد قال سألت انسا وخالد الحذاء عن ابي بعده وجوه وانس
عاصم فقالا نعم قلت له فانكم كنتم تقنتون بعد الركوع شهرا قبل ان يزدك
عن عاصم قال ابو معاوية وغيره يقول لابي عبد الله وتختار الاحاديث
ليس انما هي بعد الركوع فقال بل كلها حتى قال ابن ابي رحمه فابو هريرة
قلت لابي عبد الله فلم يرخص احد في القنوت قبل الركوع وانما صح الحديث
بعد الركوع فقال القنوت في الفجر بعد الركوع وفي الوتر مختار بعد الركوع
ومن قنت قبل الركوع فلا بأس لفعل اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم واختلافهم
فما في الفجر بعد الركوع معقول من العجب تعليل هذا الحديث الصحيح
المتفق على صحته ورواته ائمة ثقات اثبات حفاظ والاحتجاج بمثل ان يختصر
الرازي وقيس ابن الربيع وعمر بن ايوب وعمر بن عبيد ودينار وجابر المعلى

واما حديث ابي جعفر الرازي عن الربيع ابن انس عن انس قال ما زال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا وهو في المسند
والترمذي وغيرهما فابو جعفر الرازي قد ضعفه الامام احمد
وغيره وقال ابن المديني كان يخلط وقال ابو زرعة كان يهم كثيرا
وقال ابن حبان كان متفردا بالمناكير عن المشاهير وقال ابن القيم قال شيخنا
ابو العباس ابن تيمية قدس الله روحه وهذا الاسناد هو اسناد
حديث واذا اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الطويل وفيه وكان
روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها العهد والميثاق في زمان
ادم فارسل تلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا
فارسل الله في صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا قال فحملت بالملك الذي
خاطبها فدخل من فيها وهذا غلط محض وانما الذي ارسل اليها الملك
الذي قال لها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما ولم يكن الذي خاطبها
بهذا هو عيسى هذا محال والمتعين ان ابا جعفر الرازي صاحب مناكير
لا يحتج بما ينفرد به احد من اهل الحديث البتة ولو صح لم يكن فيه دليل
على هذا القنوت المعين البتة فانه ليس فيه ان القنوت هو الدعاء فان القنوت
يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والخشوع والخضوع
كما قال تعالى ولله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى من هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى
وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة طول القنوت وقال زيد ابن ارقم لما نزل قوله تعالى وقوموا
لله قانتين امرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وانس رضي الله عنه لم يزل
يقنت بعد الركوع رافعا صوته يا اللهم اهدنا فيمن هديت الى اخره وبعض
من خلفه ولا ريب ان قوله ربنا ولك الحمد ملء السموت وملء الارض وملء
ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد الى اخر الدعاء
والثناء الذي كان يقوله قنوت وتطويل هذا الذكر قنوت تطويل والقراءة
قنوت وهذا الدعاء المعين قنوت فمن اين لكم ان تفقوا انا دهذا الدعاء

المعين

المعين دون سائر اقسام القنوت ولا قال تخصيصه القنوت بالفجر
دون غيرها من الصلوات دليل على ارادة الدعاء المعين فسائر
ما ذكر من اقسام القنوت مشترك بين الفجر وغيرها وان خص
الفجر دون سائر الصلوات بالقنوت ولا يمكن ان يقال انه الدعاء على الكفار
ولا الدعاء للمستضعفين من المؤمنين لان هذا قد اخبر انه كان شهرا
ثم تركه فتعين ان يكون هذا الذي داوم عليه هو القنوت المعروف
وقد قنت ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والبراء بن عازب وابو هريرة
وعبد الله ابن عباس وابو موسى الاشعري وانس بن مالك وغيرهم
والجواب من وجوه احدها ان انسا رضي الله عنه قد اخبر انه على ما كان
كان يقنت في الفجر والمغرب كما ذكره البخاري فما خصص القنوت بالفجر وكذلك
ذكر البراء بن عازب سواء قال القنوت اعتدل الفجر فلم يقنت المغرب
مفتوح قال لكم منا وعدكم من اهل الكوفة وكذلك قنوت الفجر سواء
ولا ما يؤيد تخصيص قنوت المغرب الا ما ثبت دليلا على سنية قنوت الفجر
سواء لا يعتبر بما ان يقنتوا دليلا على سنية قنوت المغرب وكما ان قنوت
الفجر اذا لم يقنت قنوت الفجر كان سنة للنوازل لا قنوتا دائما فكذلك
من اهل الحديث ثم كذلك قنوت الفجر سواء والمغرب قالوا ويدل على ان
قنوت الفجر كان قنوت نازلة لا قنوتا دائما ان انسا اخبر بذلك بعد ما
نسخ القنوت الراتب انما هو انس وانس اخبر انه كان قنوت نازلة ثم تركه
وفي الصحيحين عن انس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو على احياء
من احياء العرب ثم تركه فاخبر ان ما داوم عليه من القنوت هو الدعاء على اعيان
معينين من الكفار وانس لم يخبر ان ما داوم عليه هو القنوت المعروف
وقد ثبت في الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من
بئر معونة وقنت شهرا يدعو على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله
وانس هو الذي روى ان ابا جعفر الرازي فكيف يكون ابو جعفر حجة في
قوله لم يقنت شهرا فانه اخبر انه قنت شهرا وقنوت شهر في هذا الحديث وهما وقع
مثله والذين ضعفوا ابا جعفر اكثر من الذين وثقوه فاذا تعارض

دايما مستمرا ثم يضيع اكثر الامة ذلك ويخفى عليها هذا من اجل المحال
بل لو كان ذلك واقعا لكان نقله كنقل عدد الصلوات وعدد الركعات
والجهر والاخفات وعدد السجدات ومواضع الاذكار وسائر هيئاتها والله
الموفق والانصاف الذي يريضيه العالم المنصف انه جهر واستمر وقنت
وترك وكان اشتهاره اكثر من جهره وتركه للقنوت اكثر من فعله
فانه انما قنت عند النوازل للدعاء للقوم وللدعاء على اخرين ثم تركه لما
قدم من دعائهم وخلصوا من الاسر واخذ من دعا عليهم وجاؤا تائبين
فكان قنوته لغرض فلما زال ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت
في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس وذكره ايضا عن البرا
وذكر الامام احمد عن ابن عباس انه قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا
متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح دبر كل صلاة اذا
قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخرة يدعو على حي من احياء العرب
وعصيه وبؤمن من خلفه ورواه ابو داود فكان هذا هو القنوت
في النوازل خاصة وتركه عند زوالها ولم يكن مختصا بالفجر بل كان اكثر
قنوته فيها لاجل ما يشرع فيها من الطول ولانها كانت بصلاة الليل وفيها
من التهجد وساعة الاجابة والنزول الالهي ولانها الصلاة المشهودة
التي تشهدها الله وملائكة او ملائكة الليل والنهار كما روي هذا وهذا
في تفسير قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا واما حديث انس وقد ذكر
عن عبد الله بن سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رفع راسه من الركوع من صلاة الصبح في الركعة الثانية رفع يديه
فدعا بهذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني
فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا
يقضى عليك انه لا يذل من والت تباركت ربنا وتعاليت فلا يتم
الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان
الحاكم صحح حديثه في القنوت عن احمد بن عبد الله المزني قال ابو حاتم لا يحتج به
قال ابو احمد بن صالح قال النسائي منديل فذكره نعم صح عن ابي هريرة انه قال والله لاقربن
اقربكم

من ٢

اخرى ٢ م

اقربكم صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابو هريرة يقنت في الركعة
الاخرة من صلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين
ويلعن الكفار ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فاحب
ابو هريرة ان يعلم ان تلك القنوت سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
وهذا رد على اهل الكوفة الذين يكرهون القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل
وغيرها ويقولون هو بدعة وفعل ما فعله فاهل الحديث متوسطون
بين هؤلاء وبين من استحب هذا النوازل وغيرها وهم استعدوا الاحاديث
من الطائفتين فانهم يقنتون حيث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتركونه
حيث تركه فقد رأى بعينه في فعله تركه ويقولون فعله سنة وتركه سنة
ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة
ولا تراهم يسمون الفاعلين كما لا يفعلون على من ترك عند النوازل ولا
يرون تركه بدعة ولا تارك سنة بل من قنت فقد احسن ومن
ترك فقد احسن وكل هذا لاعتدال العمل للدعاء والثناء وقد جمعهما النبي
صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت ثنى ودعا فهو اولى بهذا المحل واذا
جهر بالامام احيانا ليعلم المأمومين فلا باس بذلك فقد جهر عمر بالاستفتاح
ليعلم المأمومين وجهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ليعلمهم انها
سنة ومن هذا جهر الامام بالتامين وهذا من الاختلاف المباح
الذي لا يعنف فيه من فعل ولا من تركه وهذا كرفع اليدين في الصلاة وكالجهر
وتركه وكالاختلاف في انواع التشهدات وانواع الاذان والاقامة
وانواع التلبية والاقامة والافراد والقران والتمتع ولكن المقصود انا الاذكر
هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يفعله هو فانه قتل القصد والبه
المتوجه في هذا الكتاب وعليه مقدار التفتيش والطلب وهذا شيء
والجائز الذي لا يستحق فاعله ولا تاركه شيء فمن اعترض في هذا الكتاب بما
يجوز ولا يستحب وانما مقصودنا فيه هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان
يختاره لنفسه فانه افضل الهدي وافضل واذا قلنا لم يكن من هديه المداومة
على القنوت في الفجر ولا الجهر بالبسملة لم يدل ذلك على كراهة احد من
ولا انه بدعة ولكن هديه صلى الله عليه وسلم افضل الهدي وافضله والله الموفق

لحاجة ثم أدركه وهو يصلي فسلمت عليه وأشار إلى ذكره
في صحيح وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يشير في الصلاة ذكره الإمام
أحمد وقال صهيب مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه
فرد إشارة قال الراوي لا أعلم إلا أنه قال إشارة بإصبعه وهو في السنن
والمسند وقال عبد الله كان عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقبرة فتبعه
فلما جاء انصرف فسلمت عليه وهو يصلي فلما فرغ أتيته رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه وهو يصلي فأتيته فسلمت عليه فلم يرد علي حتى إذا سلم
ورفع يده قال ما منعك أن تسلم علي لقد ظننت أنك أحدثت شيئا من السماء
وهو في السنن وقال الترمذي لفظه كان يشير بيده وقال عبد الله بن مسعود
قلت من الحبشة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فلم يرد علي
فأخذني ما قدم وما حدث فلما قضى صلاته قال إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء
وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه
وصححه ابن خزيمة وغيره والله أعلم وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه وهو
في الصلاة فدعا أبي بن كعب وهو يصلي فالتفت خفيفا ثم أجابه
وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء شيطان ليقطع عليه صلاته فأخذه فخنقه
حتى نظر الصحابة إلى لسانه يسيل على شفته السفلى وكاد أن يخرج فيسجد عليه
ثم ذكر أنه تذكر دعوة أخيه سليمان فرده خاسئا رواه البخاري ومسلم
وكان يصلي على المنبر ويركع عليه فإذا جاء السجود
سجد على الأرض قصد عليه وكان صلى الله عليه وسلم يشير
بيده من وراء ظهره فمد الرجل التي تلي الجدار فطويت ومرت من
وكان يرد إذا سلم عليه من الناس وهو في الصلاة رواه النسائي
من حديث عبد المطلب بن ربيعة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
وهو يرد الصلاة ولفظ الإمام أحمد فأخذ بأذني فعركها ثم ركع فوضع
يديه على ركبتي وفرج بين أصابعه فأخذ بأصابعي من خلفه
فوضعها على ركبتي اليسرى ثم وضع يده اليمنى على ركبتي اليمنى
فرجع البنت بين يديه فجاء يمر فقال بيده هكذا فصنعت كما صنع
قال هشيم فعلمت أنه أراد أن يفرج بين أصابعه رواه أحمد وهو

في السنن وأما حديث النفخ في الصلاة كلام فلا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإنما رواه سعيد في سننه عن ابن عباس قوله إن صح وكان يبكي في صلاته
وكان ينفخ في صلاته قال علي ابن أبي طالب كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ساعة آتيه فيها فإذا أتيته استأذنت فإن وجدته يصلي تنحنح ودخلت وإن
وجدته فارغا أذن لي ذكره الثناي والإمام أحمد ولفظ الإمام أحمد كان
لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان بالليل والنهار وكنت إذا دخلت
عليه وهو يصلي تنحنح فهذا رواه الإمام أحمد وعمل به فكان تنحنح في صلاته
ولا يرى التنحنح مبطلا للصلاة وكان يصلي حافيا تارة ومنتعلا أخرى كذلك
قال عبد الله بن عمر وعنه وأمرنا بالصلاة في النعل مخالفة لليهود وكان يصلي
في الثوب الواحد تارة وفي الثوبين تارة وهو أكثر وقنت في الفجر بعد الركوع
شهرا ثم ترك القنوت ولم يكن من هديه القنوت فيها دائما ومن المحال أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في كل غداة بعد عند الرفع من الركوع يقول اللهم
اهدنا فيمن هديت وتولنا فيمن توليت إلى آخره ويرفع بذلك صوته ويؤمن
عليه الصحابة دائما إلى أن فارق الدنيا ثم لا يكون ذلك معلوما عند الأمة
بل تضيعه أكثر الأمة وجمهور الصحابة بل كلهم حتى يقول من يقول منهم إنه بدعة
كما قال سعد بن طارق الأشجعي قلت لأبي يا أبة إنك قد صليت خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ها هنا بالكوفة نحوا من خمس
سنين وكانوا يقنتون في الفجر أفأي بني محدث رواه أهل السنن والإمام
أحمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح وذكر الدارقطني عن سعد بن عبيدة
قال أشهد أني سمعت ابن عباس يقول إن القنوت في صلاة الفجر بدعة
وذكر البيهقي عن أبي مجلز قال صليت مع ابن عمر صلاة الصبح فلم يقنت فقلت
لابن عمر لا أراك قنت قال لا أحفظه عن أحد من أصحابنا ومن المعلوم بالضرورة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان يقنت كل غداة ويدعو بهذا الدعاء وكان
الصحابة لكان نقلا لا مة لذلك كنقلهم لجهره بالقراءة وعددها وفيها
وإن جاز عليهم تضييع عليهم أمر القنوت فيها جاز عليهم ذلك ولا فرق تضييع
وهذا الطريق علمنا أنه لم يكن هديه الجهر بالبسملة كل يوم وليلة ستة مرات

شيخ الاسلام وعدم الاعتداد في الدعا لقوله تعالى انه لا يحب المعتدين وقد يكون الاعتداد في نفس الطلب وقد يكون في نفس المطلوب ولا يكره رفع بصره الى السما في الدعا لفعله صلى الله عليه وسلم وهو قول مالك والشافعي واذا لم يتصنع ولا يتمطى واذا لم يخلص الداعي في الدعا ولم يجتنب الحرام استبعد اجابته الا مضطرا او مظلوما ولا يفرد المنفرد ضمير الدعا لانه يدعو لنفسه وللمؤمنين ويكون دعا الاستخارة قبل السلام وقيل انه يأتي به بعده والدعا بشيء لجلب المنافع ودفع المضار لانه عبادة شاب عليها الداعي ولا يحصل بها جلب المنافع ودفع المضار وهو مذهب اهل السنة واذا اطمأنت نفس العبد على الطاعة وانشرحت بها وتنعمت بها وبادرت اليها طواعية ومحبة كان افضل ممن يجاهد نفسه على الطاعات ويكرهها عليها وهو قول الجنيد وجماعة من عباد البصرة والتكبير مشروع في الاماكن العالية وحال ارتفاع العبد وحيث يقصد الاعلان كالتلبية في الاوان والاعياد واذا علا شرفا او اذا رقى الصفا والمروة واذا ركب دابة والتسبيح في الاماكن المنخفضة كما في الحديث عن جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلاة على ذلك وفي نفيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع والسجود دليل على ان القراءة اشرف الكلام اذ هو كلام الله وحالتا الركوع والسجود ذل وانخفاض من العبد فمن الادب منع كلام الله ان لا تقرأ في هاتين الحالتين والانتصاب اولى به ويستحب للمصلي نافلة اذا مرت به اية رحمة ان يسأل الله ويستعيذ منها لما روى حذيفة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما مر باية رحمة الا وقف عندها وسأل ولا باية عذاب الا وقف عندها وتعوذ وعن عوف بن مالك قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ فكان ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ولا يستحب ذلك في الفريضة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم في الفريضة مع بحثه من وصف قراءته فيها ويستحب للامام ان يرتل القراءة والتسبيح

والتشهد

والتشهد بقدر ما يرى ان من خلفه ممن يثقل لسانه قد اتى عليه وان يمكن في ركوعه وسجوده قدر ما يرى ان الصغير والضعيف والثقيل قد اتى عليه فان خالف واتى بقدر ما عليه كره واجزاه ولا يستحب له التطويل كثيرا فيشق على من خلفه لقول النبي صلى الله عليه وسلم من الناس فليخفف واما المنفرد فله الاطالة في ذلك ما لم يخرج الى حال يعاف الناس فيها وقد روي عن عائشة رضي الله عنها صلاة ارخرفها فقيل لها في ذلك فقالت ان الثوب يزري والحسن يستحب للامام اذا عرض في الصلاة عارض لبعض المأمومين يقتضي خروجه ان يخفف فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لأقوم في الصلاة واريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاخفف كراهية ان اشق على امه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة طاطأ رأسه ذكره الامام احمد وكان في التشهد لا يجاوز بصره اشارته وكان قد جعل الله قرة عينه وتعيمه وسروره وروحه في الصلاة وكان يقول يا بلال ارحنا بالصلاة وكان يقول جعلت قرة عيني في الصلاة ومع هذا فلم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة احوال المأمومين وغيرهم مع كمال ابتهاله وتقربه الى الله وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه فكان يدخل في الصلاة وهو يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة ان تشق على امه فارسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت الى الشعب الذي جاء منه الفارس وانشغل قلبه عن مراعاة حال فارسه وكذلك كان يصلي الفرض وهو هادل امامة بنت ابي العاص ابن الربيع اسامة على عاتقه اذا قام حملها واذا ركع وسجد وضعها فكان معها في الصلاة كأحد المأمومين فتطويل الشيخ كراهيته ان يلقى عن عجزه وكلاله فيشغل قلبه عن مراعاة حاجاته والباب مغلق فمشى فتحها ثم رجع الى مصلاه وكان يرد السلام بالاشارة على من سلم عليه وهو في الصلاة قال ابن بطال في شرح البخاري

الشبكة الدلوة www.dalukah.net

ان يعون عليه اياه ولما ما للنبي صلى الله عليه وسلم اما الشهود فلكثروا
فيه من الدعا لم يعين لهم ما يدعون به فيدل على انه اباح لهم كل الدعا
الا ما خرج منه بالدليل في الفصل الذي قبل هذا وقد روى عن عائشة
انها كانت اذا قرات من الله علينا ووقانا عذاب السموم قالت
من علينا ووقانا عذاب السموم وعن حبيب بن بقير انه سمع ابا الدرداء
وهو يقول في اخر صلاته وقد فرغ من التشهد اعوذ بالله من الفاقة
ولانه دعا تقرب به الى الله تعالى اشبه الدعا المأثور وهل يجوز
وهل يجوز ان يدعو الانسان بعينه في صلاته على واحد او على احدهما يجوز
قال الميموني سمعت ابا عبد الله يقول لابن اخ له وقد اراد ان يقنت
مذ حزنين في صلاتي ابو حازم وقد روي ذلك عن علي رضي الله عنه ردا
اعتباره بان القنوت لقنوت النبي صلى الله عليه وسلم في قنوته اللهم انج الوليد
الوليد وعياش بن ابي ربيعة وسلمة بن هشام والمستضعفين من
المؤمنين اللهم ولانه دعا لبعض المؤمنين فاشبه ما لو قال رب اغفر
لي ولوالدي والاخبر لا يجوز وكرهه عطاء والنخعي لشبهه بكلام
الادميين ولانه دعا للعين فلم يخرج كتشهد العاطس وقد دل على المنع
من تشميت العاطس حديث معوية ان هذا لا يصلح فيها شيء من كلام
واما دعاؤه المواضع التي كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيها في الصلاة
فشبيه مواطن اخرها بعد تعيين الاحرام في محل الاستفتاح الثناء
قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة في الوتر والقنوت الفارض في
الصبح قبل الركوع ان من عنه ذلك وفيه فلما رفع راسه من الركوع
الاعتدال من الركوع كما تقدم ذكره في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن
ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع قال
سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء
ما شئت من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد اللهم
طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس رواه

في

في ركوعه كان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي الخامس
في سجوده وفيه كان غالب دعائه الخامس بين السجدتين السابع بعد
التشهد وقبل السلام وبذلك امر من حديث ابي هريرة وحديث فضالة بن
عبيد وامر ايضا بالدعا في السجود وامر الدعا بعد السلام من الصلاة
مستقبل القبلة اما الموتى فلم يكن ذلك من هديه اصلا ولا روي عنه باسناد
صحيح ولا حسن واما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر فلم يفعله هو
ولا احد من خلفائه ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان راه من راه
عوضا من السنة بعدهما والله اعلم وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها
فيها فلو فعلها في غيرها انقطعت تلك المناجاة والاقبال عليه عز وجل اذا انصرف
عنه ولا ريب ان عكس هذه الحال هو الاولى بالمصلي الا ان هنا نكتة لطيفة
وهي ان المصلي اذا فرغ من صلاته وذكر الله وهلله وسبحه ووحده وكبره
بالاذكار الشروعة عقيب الصلاة استحب له ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك وان يدعو اما شا ويكون دعاؤه عقيب هذا لعبادة الثانية لا
للكونه دبر الصلاة كما في حديث فان كل من ذكر الله وحده واثنى عليه وصلى على
رسوله صلى الله عليه وسلم استحب له الدعا عقيب ذلك كما في حديث فضالة بن عبيد
اذا صلى احدكم فليبدا بحمد ربه والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع
بعد ما شا قال الترمذي حديث صحيح ٥ والمحفوظ في ادعيته
صلى الله عليه وسلم في الصلاة كلها بلفظ الافراد كقوله رب اغفر لي وارحمني واهدني
وسائر الادعية المحفوظة فمنها قوله في دعا الاستفتاح اللهم نقني
من خطاياي بالثلج والماء البارد اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث وروى
الامام احمد واهل السنن من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرئ
قوما فيخص نفسه بدعوة فان فعل فقد خانهم وقال ابن خزيمة في صحيحه وقد
ذكر حديث اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث قال في هذا دليل على
رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل
فقد خانهم قال العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله وسمعت شيخ الاسلام
ابن تيمية يقول هذا الحديث عندي في الدعا الذي يدعو به الامام لنفسه
وللمؤمنين ويشتركون فيه كدعا القنوت ونحوه والله اعلم فان
المأموم اذا امن كان داعيا قال الله تعالى لموسى قد اجيبت دعوتكما وكان احدهما
يدعو والاخر يؤمن والمأموم انما امن لاعتقاده ان الامام يدعو الها فان لم يفعل فقد خان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وجلوسه واعتداله في الركوع ان قال لا ثم قلت لابي عبد الله ان هؤلا
يقولون لا يدعو في المكتوبة الا بما في القرآن فنضر بذلك المعصب وقال
من يقف على هذا وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف
ما قالوا ٥ قلت لابي عبد الله اذا جلس في الرابعة يدعو بعد التشهد
بما شاء ام لا ادري قال لكن يدعو بما يعرف ويتجا ٥ قلت على حديث عمر
ابن مسعود قال سمعت عبد الله يقول اذا جلس احدكم في صلاته ذكر التشهد
ثم ليقل اللهم اني اسالك من الخير كله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك
من الشر كله ما علمت منه وما لم اعلم اللهم اني اسالك من خير ما سالك منه
عبادك الصالحون واعوذ بك من شر ما عاذ منه عبادك الصالحون ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سياتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا
تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد رواه الاثرم وعن عبد الله قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن
قال وعلمنا ان نقول اللهم اصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام واخرجنا
من الظلمات الى النور واصرف عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك
لنا في اسماعنا وابصارنا وقلوبنا وازواجنا وذرياتنا وتب علينا انك
انك انت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك
قابليها واتمها علينا رواه ابو داود وعن ابي بحر الصديق رضي الله عنه
انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعا ادعو به في صلاتي قال قل اللهم اني
ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة
عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للرجل ما تقول في الصلاة قال اتشهد ثم اسال الله الجنة
واعوذ به من النار اما والله ما احسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
علمهم التشهد قال في اخره اسال الله الجنة واعوذ بالله من النار
وذهب الامام احمد الى حديث ابن مسعود في الدعا وهو موقوف عليه وقال

يدعوا

يدعوا بما جا وما عرف ولم يتبع بما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
عبد الله بن احمد سمعت ابي يقول في سجوده اللهم عافني وعن سيئات
لغيرك فصل وجمع من الدعا لغيرك وقال كان عبد الرحمن يقول في سجوده
قال سمعت الثوري يقول في سجوده ٥ فصل ولا يجوز ان يدعوا
في صلاته بما يقصد به ملاذ الدنيا وشهواتها مما يشبه كلام الادميين
واما يشبههم اللهم ارزقني جارية حسنا وداراً واسعة وطعاما طيبا
وسقانا انيقا وقال الشافعي يدعوا بما احب لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
ابن مسعود في التشهد ثم ليتخير من الدعا اعجبه اليه وسلم ثم ليتخير من
المسالة ما شا او ما احب وفي حديث ابي هريرة اذا تشهد احدكم فليتعوذ
من اربع ثم يدعو لنفسه ما بدا له ولقوله صلى الله عليه وسلم ان صلاتنا هذه
لا يصلح فيها شيء من كلام الدنيا انما هي التسبيح والتحميد وقراءة القرآن
وهذا من كلام الادميين ولان كلا دعي بخاطب بملابسه يشتهيه
وذلك ملاق والخبر محمول على انه خير من الدعا المأثور وما اشتهه ٥
فصل واما الدعا بما يتقرب به الى الله عز وجل مما ليس بمأثور
ولا يقصد به ملاذ الدنيا فظاهر كلام جماعة من اصحابنا انه لا يجوز وتحتمله
كلام الامام احمد فانه قال ولكن يدعو بما جا وبما يعرف معنى
عن ابن المنذر انه قال لا ينبغي ان يدعو الرجل بجميع حوائج دنياه واخرته
وهذا هو الصحيح ان شا الله تعالى لظاهر الاحاديث فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثم ليتخير من الدعا وقولهم يدعو لنفسه بما بدا له وقولهم يدعوا
بعد ما شا وروى عن انس قال جاءت ام سليم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله علمني دعا ادعو به في صلاتي فقال اللهم رب الله عشرا وتحمد الله عشرا
ثم سل ما شئت تقل نعم نعم رواه الاثرم ولانا رأينا الناس يدعون في صلاتهم
كانوا يدعون في صلاتهم بما يتعلق بمنافع الدنيا فلم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل ما تقول في صلاتك قال اتشهد ثم اسال الله
الجنة واعوذ به من النار فصوب به النبي صلى الله عليه وسلم ما دعا به في صلاته

www.alukah.net

حديث ابن عمر وهو صحيح وقوى غيره وعلى اني صفته
اني بالصلاة عليه مما ورد في اخبار يخالف قولنا في التشهد وظاهره
انه اذا اخل بلفظ شرط في بعض الاخبار جاز لانه لو كان واجبا لما
اغفله النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو يعلى ظاهر كلام الامام احمد
ان الصلاة واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقوله في خبر ابي زرعة
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امر ومن شروطها على الصلاة ولم يذكر
الصلاة على اله وهذا مذهب الشافعي ولنا في وجوب الصلاة على اله
وجهان وقال بعض اصحابنا تجب الصلاة على اله في خبر كعب
لانه امر به والامر يقتضي الوجوب والاول اولى لان النبي صلى الله عليه وسلم
انما امرهم بهذا حين سألوه تعليمهم ولم يشترط عليهم ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه على دينه كما قال فرعون عني اتباعه من آل
وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن آل محمد فقال كل تقي
وقيل لاحمد اله اتباعه فقال ارجو فقيل له اليس هم قرابته فقال وعلي
آل محمد كما ان آل احمد اخواه عند الشافعي وقال بعضهم واحد وكذلك لو
صغر قيل اهيل قال ومعناها جميعا اهل دينه وقال ابن خالد وابو
حفص لا يجزي لما فيه من مخالفة لفظ الاثر ومعنى المعنى فان الاهل
انما يعتبر به عن القرابة والاول يعتبر به عن الاتباع في الدين قال
شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين ابن تيمية قد نص احمد رحمه ونور ضريحه
ان آل النبي صلى الله عليه وسلم اهل بيته ونص عليه الامام احمد واختارها
الشريف ابو جعفر وغيره منهم بنوها شمي وفي بني المطلب روايتان
في الزكاة وفي دخول ازواجه في اهل بيته روايتان والمختار الدخول
وافضل اهل بيته علي وفاطمة وحسن وحسين الذين قال فيهم الكسا
وخصهم بالدعاء وظاهر كلام الشيخ محمد في موضع اخر ان حمزة افضل من حسن
وحسين واختاره بعض العلماء ولا يجوز الصلاة على غير الانبياء اذا انفردت
شعارا وهو قول بعض من قال لا يمنع مطلقا وهو قول طائفة من
اصحابنا ومن قال بالجواز مطلقا وهو منصوص عن الامام احمد

ولما

التحيات

واما تسمية التحيات فروى عن ابن عباس التحية العظمة والصلوات
الصلوات الخمس والطيبات الاعمال الصالحة وقال ابو عمر والتحيات الملك
واستشهد لكلمات التي قد تثلثه الا التحية وقد قال بعض اهل اللغة البقا
واستشهد بهذا البيت وقال ابن الانباري التحيات السلام والصلوات الرحمة
والطيبات من الكلام

انه اخفا التشهد لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يكن يجهر اذا جهر به لنقل كما نقلت القراءة وقال عبد الله بن مسعود
من السنة اخفاء التشهد رواه ابو داود ولانه ذكر غير القراءة لا ينقل به من ركن الى ركن
فاستحب اخفاؤه كالتسبيح وهذا الاعلم فيه خلافا

ولا يجوز لمن
قدر على العربية ان يتشهد بما ترجمه عن التشهد وبنى على قول القاضي ان
لا يتشهد ويحتمل ان من قدر على تعلم التشهد والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم لزمه لدلالة من فروض الاعيان فلزمه كالقراءة وان
صلى قبل تعلمه مع امكانه لم تصح صلاته وان خاف فوات الوقت او عجز عن تعلمه
اتى بما يمكنه منه واجزأه للضرورة وان لم يحسن شيئا بالكلية سقط كله

والسنة ترتيب التشهد وتقديمه على الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فان لم يفعل واتى به منكسا من غير تغيير شيء من معناه ولا
اخلال بشيء من الواجب فيه ففيه وجهان احدهما يجزيه ذكره القاضي وهو
مذهب الشافعي لان المقصود المعنى وقد حصل كالو رتبه والثاني
لا يصح لانه اخل بالترتيب في ذكر ورد الشرع به مرتبا فلم يصح كالاذان

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو في صلاته فيقول اللهم اني اعوذ
بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا
والممات اللهم اني اعوذ بك من المغرم والمأثم وكان يقول في صلاته ايضا
اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي فيما رزقتني اللهم اني اسألك
الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك
واسألك قلبا سليما ولسانا صادقا واسألك من خير ما تعلم واعوذ بك من
شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم وقد ذكر بعض ما كان يقوله في ركوعه وسجوده

تقدم

معانيه

شبكة الألوكة www.alukah.net

فان الوسطى فى هذا العقد تكون مضمومة ولا تكون مقبوضة
مع البنصر وقد استثقل كثير من الفضلا هذا العقد ثلاثة وخمسين
لا يلايم واحدة من الصفتين المذكورتين فان المتصر لا بد ان تترك
البنصر فى هذا العقد وقد اجاب عن هذا بعض الفضلا بان الثلاثة
لها صفتان فى هذا العقد قديمة وهى التى ذكرت فى حديث ابن عمر وهى
فيها الاصابع الثلاث مضمومة مع تحليق الابهام مع الوسطى وحديثة
وهى المعروفة اليوم بين اهل الكتاب واصحابنا وكان ينبغى ان
على تحفظه ولا عجب فيها فتكون حذفت عند اخذ تحفظه وما الذى
محمود وضع الاصابع على الفخذ اليسرى وكان ينبغى ان يقول باصابعه القبلة
فى رفع يديه وفى ركوعه وفى سجوده وفى التشهد وتستقبل باصابع تشهده
رجليه القبلة فى سجوده وكان يقول فى كل ركعتين التحية تصل بجع
ويتشهد بالتشهد الاول ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وحملت اذا جلس
فى اخر صلاته فانه يتشهد بالتشهد الذى ذكرناه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وهى واجبة فى صحيح المذهب وهو قول الشافعى وعن احمد انها غير
واجبة قال المروذى قيل لابى عبد الله ابن راهويه يقول لو ان رجلا
ترك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد بطلت صلاته قال سا
حسبى ان اقول هذا وقال فى موضع هذا شديد وهذا يدل على انه لم
يوجبها وهذا قول مالك واصحاب الراى وقال ابن المنذر هو قول
جل اهل العلم الا الشافعى وكان اسحق يقول لا جزيه اذا ترك ذلك
عامدا قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول لانى لا اجد الا الدليل له
موجودة فى الجواب الاعادة عليه واحتجوا بحديث ابن مسعود ان
النبى صلى الله عليه وسلم علمه التشهد ثم قال اذا قلت هذا او قضيت هذا
فقد تمت صلاتك وفى لفظ فقد قضيت صلاتك فان شئت ان تقوم قم

وان

وان شئت ان تقعد فاقعد رواه ابو داود وقال النبى صلى الله عليه وسلم
اذا تشهد احدكم فليتشهد من اربع ثم ليتعوذ من اربع مما يتعوذه عقيب التشهد
من غير فصل ولان الصحابة كانوا يقولون التشهد قولا فتقدم عنه
النبى صلى الله عليه وسلم على التشهد وحده دل على انه لا يجب غيره ولان الوجوب
من الشرع ولم يرد به الا بهذا وظاهر مذهب الامام احمد وجوبه فان ابا
بكر عبد العزيز غلام الخلال نقل عن الامام احمد انه قال كنت اتهيب ذلك ثم تبينت
فى ذا الصلاة واجبة فظاهر هذا انه رجع عن قوله الاول الى هذا القول
روى كعب بن عجرة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وروى الاثرم عن فضالة بن عبيد
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يحمد ربه ولم يصل على
النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه النبى صلى الله عليه وسلم
فقال اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبى عباده
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ولان الصلاة شرط فيها ذكر الله
بالشهادة وشرط فيها ذكر النبى صلى الله عليه وسلم كالاذان فاما حديث
ابن مسعود فقال الدارقطنى الزيادة فيه من كلام ابن مسعود
وصفة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكر كعب بن عجرة
وقد رواه النسائى كذلك الا انه قال كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم
وكما باركت على ابرهيم وال ابرهيم وفى رواية كما صليت على ابرهيم انك حميد
مجيد وكما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد قالت هو حديث حسن
صحيح وفى رواية ابى مسعود كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابرهيم فى العالمين انك حميد مجيد رواه مسلم
وعن ابى حميد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا قولوا اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه
وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد رواه البخارى والاولى
ان ياتى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على الصفة التى ذكرنا لان ذلك فى

شبكة الألوكة www.alukah.net

القبلة وركبته اليمنى على الارض ملزوقه وهكذا ذكر ابو الخطاب
واصحاب الشافعي وانما فعل لمحزون وهذا التشهد
والجلوس له من اركان الصلاة وممن قال بوجوبه الشافعي ولم يوجبه
مالك ولا ابو حنيفة الا ان ابا حنيفة اوجب الجلوس قدر التشهد
وتعلقنا بان النبي صلى الله عليه وسلم لما علم المسئ في صلاته دل على انه غير واجب
ولنا ان النبي صلى الله عليه وسلم امر به فقال قولوا التحيات وامره يقتضي
الوجوب وفعله ودلوم عليه وقد روى عن ابن مسعود انه قال كنا
نقول قبل ان نفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام
على جبريل السلام على ميكائيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله
ولكن قولوا التحيات لله الى اخره وهذا يدل على انه فرض بعد ان لم يكن
مفروضا وحديث الاعرابي يحتمل انه كان قبل فرض التشهد ويحتمل انه
ترك تعليمه لانه لم يره واجبا في تركه ولا يتورك
الا في صلاة فيها تشهدان في الاخير منها وجملته ان جميع جلسات الصلاة
لا يتورك فيها الا التي تشهد بعدها سلام وقال الشافعي كل تشهد
سلم فيه وان لم يكن بعده سلام كتشهد الصبح والجمعة وصلاة التطوع
لانه تشهد بين تطويل فتن فيه التورك كالثاني ولنا حديث
وائل ان حجرا النبي صلى الله عليه وسلم جلس للتشهد الاول فرش رجله اليسرى
ونصب رجله اليمنى ولم يعب بين ما يجهل فيه ولانه سلام
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في كل ركعتين التحية وكان يفرش
رجله اليسرى وينصب اليمنى وهذان يقتضيان على كل تشهد لافتراش
الا ما خرج منه لحديث ابي حميد في التشهد الثاني ويبقى فيما عداه
على مقتضى الاصل ولان هذا ليس تشهدتان فلا يتورك فيه كالاول
وهذا ليس التشهد الثاني انما تورك فيه للفرق بين التشهدين
وما ليس فيه الا تشهد واحد لا اشتباه فيه فلا حاجة الى الفرق
وما ذكره من المعنى ان صح فيضم اليه هذا المعنى الذي ذكرناه ٥

ويعلل الحكم بهما والحكم اذا علل بعلتين لم يجز تعديته لتعدي
احداهما دون الاخرى والله اعلم ٥ فصل قيل لابي عبد الله
فما تقول في تشهد سجود السهو قال يتورك فيه ايضا هو من
بقية الصلاة يعني اذا كان من السجود في صلاة رباعية لان تشهدها
يتورك فيه وهذا تابع له وقال القاضي يتورك في كل تشهد للسجود
التشهد بعد السلام حيث كانت الصلاة رباعية او ركعتين لانه
تشهد ان في الصلاة يحتاج الى الفرق بينه وبين تشهد سلب الصلاة
وقال الاثرم قلت لابي عبد الله الرجل يجيء فيركع مع الامام ركعة
يجلس الامام في الرابعة يتورك معه الرجل الذي جاء في هذه
الجلسة قال ان شاء تورك قلت فاذا قام بعض جلسة في الرابعة
هو فينبغي له ان يتورك قال نعم يتورك هذا الان هي آخر
له نعم يتورك ويعلل الخلوس في التشهد الاخير وقال القاضي قوله ان
شاء تورك على سبيل الجواز لانه مسنون وقد صرح بذلك في رواية
مهنا في من ادرك من صلاة الظهر ركعتين لا يتورك الا في الاخير
ويحتمل ان يكون هذان روايتين ٥ فصل وكان صلى الله
عليه وسلم اذا جلس في التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ووضع
اصابعها الثلاث وقبض اصبعين منها وفي لفظ وقبض اصبعها الثلاث
ووضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ذكره مسلم عن ابن عمر وقال وائل
ابن حجر جعل حد مرفقه الايمن على فخذه اليمنى ثم قبض ثنتين من اصابعه
وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرأيته يحركها وهو يدعو ولابي داود
ابن عمر في صحيح منه وعقد ثلاثا وخمسين وهذه الصفات كلها واحدة
فاما من قال قبض اصابعه الثلاث اراد به ان الوسطى كانت معقودة
الى ابهامه كالشاير من قال قبض ثنتين من اصابعه اراد ان
الوسطى لم تكن مقبوضة مع البنصر والخنصر بل كانت بينهما
في القبض دون الرسغ وقد صرح بذلك من قال وعقد ثلاثا وخمسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صحيحه واصله في صحيح البخاري وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في شعار
صلوته اطاله اولها على آخرها كما يفعل في الكسوف وفي قيام الليل لما صلى
ركعتين طويلتين ثم ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم ركعتين طويلتين
وهما دون اللتين قبلهما حتى اتم صلاته ولا ينافي هذا افتتاحه صلى الله عليه وسلم
صلاة الليل بركعتين خفيفتين وامره بذلك لان هاتين الركعتين مفتاح
قيام الليل فهي بمنزله سنة الفجر وغيرها وكذلك الركعتان اللتان
كان يصليهما احيانا بعد وتره تاره جالسا وتاره قائما مع قوله اجعلوا
آخر صلاتكم بالليل وترا فان هاتين الركعتين لا تنافي هذا الامر كما ان
المغرب وتر النهار وصلاه اثنتا عشره بعدها الآخر عن يمينه
وتر النهار وكذلك الوتر لما كان عباده مستقله وهو وتر الليل كانت الركعتان
بعده جاريه مجرى سنه المغرب ولما كانت المغرب فرضا كانت
محافظته صلى الله عليه وسلم على سنتها اكد من محافظته على سنه الوتر وهذا
على اصل من يقول بوجوب الوتر ظاهرا وسيأتي مزيد كلام في هاتين
الركعتين ان شاء الله تعالى وهي مسئله شريفه لعلك لا تراها في
مصنف وبالله التوفيق ٥ فصل وكان صلى الله عليه وسلم اذا
جلس في التشهد الاخير جلس متوركا فان قضى بورك على الارض
ونصب قدمه اليمنى واخرج قدميه من ناحيه واحده وهذه احد الثلاثه التي رويت عنه
صلى الله عليه وسلم في التورك ذكرها ابو داود وفي حديث ابي حميد من طريق
عبد الله بن عيسى عن ابي حميد وقد ذكر ابو حاتم في صحيحه هذه الصفه في حديث
ابي حميد من طريق يعقوب بن عبد الرحمن القاري وقد تقدم حديثه الوجه الثاني ذكره البخاري
في صحيحه من حديث ابي حميد ايضا قال واذا جلس في الركعه الاخره
قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته قال وكانوا يأمرون
الاولى ان يجلس على تورك وفيه زياده وصف من اهل العلم بمثل
لم يتعرض الروايه الاولى لها الوجه الثالث مما ذكره مسلم في صحيحه
من حديث عبد الله بن الزبير انه صلى الله عليه وسلم كان يجعل قدمه اليسرى بين فخذه

وساقه

وساقه ويفرش قدمه اليمنى وهذه هي الصفه التي اختارها ابو القاسم الخرقي
في مختصره وهذا محتمل للصفتين الاوليتين في اخراج اليسرى من جانبه
وفي نصب اليمنى ولعله كان يفعل هذا تاره وهذا تاره وهذا اظهر ويحتمل
ان يكون من اختلاف الرواه ولم يذكر عنه هذا التورك الا في التشهد
الذي يلي السلام ثم قال الامام احمد ومن وافقه هذا مخصوص بالصلاه التي
فيها تشهدان وهذا التورك جعل فرقا بين الجلوس في التشهد الاول
الذي يتبين تخفيفه ويكون الجالس فيه متهيئا للقيام وبين الجلوس
في التشهد الثاني الذي يكون الجالس فيه مطمئنا وايضا فيكون هيئه
الجلوسين فارقه بين التشهدين مذكره للمصلي حاله فيهما وايضا
فان ابا حميد انما ذكر هذه الصفه عنه صلى الله عليه وسلم في الجلسه في التشهد الى
الثاني فانه ذكر صفه جلوسه في التشهد الاول وانه كان يجلس مفترشا
ثم قال واذا جلس في الركعه الاخره وفي لفظ فاذا جلس في الركعه
الرابعه واما قوله في بعض الفاظه حتى اذا كانت السجده التي فيها التسليم
اخرج رجليه وجلس على شقه متوركا فهذا قد يحتج به من يرى التورك
شرعا في كل تشهد يليه السلام فيتورك في الثانيه وهذا قول الشافعي
وليس بصريح في الدلاله بل سياق الحديث يدل على ان ذلك انما كان
في التشهد الذي يلي السلام من الرباعيه والثلاثيه فانه ذكر صفه جلوسه
في التشهد الاول وقيامه منه ثم قال حتى اذا كانت السجده التي فيها التسليم
جلس متوركا فهذا السياق ظاهر في اختصاص هذا الجلوس بالتشهد
الثاني والله اعلم ٥ والسنه عند امامنا الامام ابي عبد الله احمد بن حنبل
رضي الله عنه التورك في التشهد الثاني وبه ذهب مالك والشافعي
وقال اصحاب الرأي يجلس مفترشا كما رسمته في التشهد لما روى من حديث
وائل بن حجر وابي حميد في صفه جلوس النبي صلى الله عليه وسلم وروى الاثرم
في صفته قال رأيت ابا عبد الله يتورك في الرابعه في التشهد فيدخل
رجله اليسرى يخرجها من تحت ساقه الايمن ولا يقعد على شيء منها
وينصب اليمنى ويفتح اصابعه ويحني عجزه كله ويستقبل باصابعه اليمنى

في الاقتصار الظهر فانه في معرض التفصيل فاذا قال كان يقرأ في
الاولتين بالفاتحة وشيء وفي الاخريتين بالفاتحة كان كالتصريح
في اختصاص كل قسم بما ذكر فيه وعلى هذا فيمكن ان يقال ان هذا كان
اكثر فعله وربما قرأ في الركعتين الاخريتين بشيء فوق الفاتحة كما دل
عليه حديث ابي سعيد وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم تطويل القراءة في
الفجر وكان يخففها احيانا وخفف القراءة في المغرب وكان يطيلها احيانا
وترك القنوت في الفجر وكان يقنت فيها احيانا والاسرار في الظهر
والعصر بالقراءة وكان يسمع الصحابة فيها الاية احيانا وترك الجهر
بالبسملة وكان يجهر بها احيانا شيء العارض لم يكن من فعله الراتب ومن
هذا المتابعة صلى الله عليه وسلم فارسا طليعة ثم قام الى الصلاة وجعل
يلتفت في الصلاة الى الشعب الذي جاء منه الطليعة ولم يكن من هديه
الالتفات في الصلاة وفي صحيح البخاري عن عائشة قالت سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان
من صلاة العبد وفي الترمذي من حديث سعيد ابن المسيب عن انس قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني اياك والالتفات في الصلاة فان الالتفات
في الصلاة هلكة فان كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة ولكن الحديث
علتان احداهما ان راويه سعيد عن انس لا يعرف الثابتان
على طريقة علي ابن زيد ابن جدعان وقد ذكر البزار في مسنده من حديث
يوسف ابن عبد الله ابن سلام عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا صلاة للملتفت واما حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يلحظ في الصلاة يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره فهذا
حديث لا يثبت قال الترمذي فيه حديث غريب ولم يرد وقال الخلال
اخبرني المسوني ان ابا عبد الله قيل له ان بعض الناس اسند ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ في الصلاة فانكر ذلك انكارا شديدا حتى
تغير وجهه وتغير لونه وتحرك بدنه ورأيته في حال ما رأيته في
حال قط سواها وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ في الصلاة يعني

انه

يعني انه انكر ذلك واحتبه قال ليس له اسناد وقال من روى هذا انما هذا
عن سعيد ابن المسيب ثم قال لي بعض اصحابنا ان ابا عبد الله ذهب حديث سعيد
هذا وضعف اسناده وقال انما هو عن رجل عن سعيد وقال عبد الله كان
احمد حدث ابي حدث حسان ابن ابراهيم عن عبد الملك اللوني قال سمعت
العلاء قال سمعت محمولا يحدث عن ابي امامة وواثلة كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا قام في الصلاة يلتفت يمينا وشمالا ورمى ببصره في موضع سجوده
فانكره جدا وقال اضرب عليه فالامام احمد رحمه الله انكر هذا وهذا
وكان انكاره للاول اشد لانه باطل سندا ومتنا والثاني انما انكر سنده
والافمتنه غير منكر والله اعلم ولو ثبت الاول لكان حكاية فعل العمل
كان لمصلحة تتعلق بالصلاة كقوله لصلى الله عليه وسلم هو ابو بكر وعمر وكقوله
الدين في الصلاة لمصلحة المسلمين كالحديث الذي رواه ابو
داود عن ابي بكرة التلوي عن ابن المنطفيه قال توضأ لصلاة
يعني صلاة الصبح فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب
قال ابو داود يعني وكان ارسل فارسا الى الشعب من الليل يحرس
فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في جملة
العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني
لاجهز جيشي واني في الصلاة فهذا جمع بين الجهاد والصلاة وتنظيره
التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه في الصلاة فهذا
جمع بين الصلاة والعلم فهذا لون والتفات الغافلين اللاهين
وافكارهم لون آخر وبالله التوفيق فهديه الثابت صلى الله عليه وسلم اطالة
الركعتين الاولتين من الرباعية على الاخريين واطالة الاولى من الاولتين
على الثانية ولهذا قال سعد والله انا فاطول الاولتين واحذف
في الاخريين ولا آلو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
كان هديه صلى الله عليه وسلم في صلاة الفرض على سائر الصلوات كما تقدم
قالت عائشة رضي الله عنها فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين
فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد في صلاة الحضر فيها اقرت على حالها الا الفجر
من اجل طول القراءة والمغرب لانها وتر النهار رواه ابو حاتم ابن حبان في

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وان الصحيح من التشهدات ليس
فيه تشهد ولا شيء من هذه الزيادات فيقتصر عليها ولا يصح التشهد
عند اصحاب الحديث ولا غيرهما ما وقع الخلاف فيه وان فعله جاز
لانه ذكر وكان صلى الله عليه وسلم يخفف هذا التشهد حتى كانه على
الرضف ولم ينقل عنه في حديث قط انه كان يصلي عليه وعلى الزمن هذا
التشهد ولا كانا يضيفان شيئا فيه من عذاب القبر وعذاب النار
وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ومن اعجب ذلك قولهما
فيه من عمومات واطلاقات قد صح بيان موضعها وتقييدها
بالتشهد الاخير بعد التحلل واذا ادرك بعض الصلاة مع الامام
فجلس في الركعتين اخر صلاته لم يزد الا ما يجزيه على التشهد الاول بل
يقتصر فيه على ما يجزيه في مذهب من ادرك مع الامام جهد في من ادرك
فلم يكبر التشهد ولا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدعو بشيء
به في التشهد الاخير لان ذلك انما يكون في التشهد الاخير
ولم يثبت هذا كله ثم كان صلى الله عليه وسلم ينهض معتمدا على صدور
قدميه وعلى ركبتيه معتمدا على فخذيه كما تقدم ولم يقعد احد من
رجليه عند النهوض كذلك قال ابن عباس ورويت عن ابن عباس ان
ذلك يقطع الصلاة ورخص فيه مجاهد واستحق بعض الشيوخ وقلت انه
لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد كرهه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
معتمدا على يديه فنهى عنه ولا تبطل الصلاة لانه ليس بعمل كثير
ولا ورد فيه ما يقتضي البطلان وقد ذكر مسلم في صحيحه من حديث
عبد الله بن عمر انه كان يرفع يديه في هذا الموضع وهي زيادة يعضد
طرق البخاري ايضا على ان هذه الزيادة لم يتفق عليها في حديث
عبد الله بن عمر فانها كثيرة رواية لا يذكرونها وقد جاء ذكرها صريحا
به في حديث ابي حميد الساعدي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام الى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ويقيم
كل عظم في موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه
ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه معتمدا لا يصوب رأسه

ولا

ولا يقنع به ثم يقول سمع الله لمن حمده ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه
حتى يقر كل عظم الى موضعه ثم يهوي الى الارض ونحا بين يديه عن جنبيه
ثم يرفع رأسه ويثني رجليه فيقعد عليهما ويفتح اصابع رجليه
اذا سجد ثم يسجد ثم يكبر ويجلس على رجله اليسرى حتى يرجع
كل عظم الى موضعه ثم يقوم فيصنع في الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام
من الركعتين رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع عند
افتتاح الصلاة ثم يصلي بقيه صلاته هكذا حتى اذا كانت السجدة التي
فيها التسليم اخرج رجليه وجلس على شقه الايسر متوركا هذا لفظ
البخاري وهو في صحيح مسلم ايضا وقد ذكره الترمذي
في صحيحه من حديث علي ابن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يديه
في هذا الموطن ايضا ثم يصلي الثالثة والرابعة كالتي قبلها
الا انه لم يقرأ فيهما شيئا بعد الفاتحة ولا جهر فيهما في صلاة الجهر ولم يثبت
عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ في الركعتين الاخريتين بعد الفاتحة شيء وقد
ذهب الشافعي في احد قوليه وعامة اصحاب القراءة ما زاد على الفاتحة
في الاخريتين واحتج لهما القول بحديث ابي سعيد الذي في الصحيح
حزرنا قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر في الركعتين الاوليين قدر
قراءة الم تنزيل السجدة وحزرنا قيامه في الاخريتين من الظهر قدر الاخريتين
من العصر على النصف من ذلك وحديث ابي قتادة المتفق عليه
ظاهره الاقتصار على فاتحة الكتاب في الركعتين الاخريتين قال
ابو قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فيطول في الظهر والعصر
في الركعتين الاوليين بفاتحة الكتاب وسورتين وسمعنا الاية
احيانا قد مسلم وقرأ في الاخريتين بفاتحة الكتاب والحديثان غير
صريحين في محل النزاع اما حديث ابي سعيد فانما حزر منهم وتخمين
ليس اخبارا عن تقدير فعل صلى الله عليه وسلم واما حديث ابي قتادة فيمكن
ان نراد به ان كان يقتصر على الفاتحة وان يراد به انه لم يكن يحل بها
في الركعتين الاخريتين بل كان يقرأ وهاتين كما كان يقرأ وهما في
الاوليتين فكان يقرأ الفاتحة في كل ركعة وان كان حديث ابي قتادة

شبكة الألوكة www.alukah.net

نقول قولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الترجمه
سلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح الا انه في رواية مسلم واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ولهما روى عبد الله بن مسعود علمني رسول الله
صلى الله عليه وسلم التشهد كفي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله وفي لفظ اذا قعد احدكم في الصلاة فليقل التحيات
لله وفيه فانكم اذا فعلتم ذلك فقد سلمتم على كل عبد لله صالح في السما
والارض وفيه فليتخير من المسألة ما شاء فيتعلق به قال النووي
حديث ابن مسعود قد روى من غير وجه وصححه جماعة من
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر
وجابر وابو موسى وعائشة وعلم اكثر اهل العلم يستحبون الاخذ به
وبعدهم فاما حديث عمر فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انما هو من
قوله واختار اهل العلم من الصحابة على خلافه فحينئذ يكون اجماعا
على انه ليس بخلاف في اجزاء في الصلاة انما الخلاف في الاولى والاحسن
تشهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي علمه اصحابه واخذوا به فاما حديث ابن
عباس فانفرد به واختلف عنه في بعض الفاظه وفي رواية مسلم انه قال
واشهد ان محمدا عبده ورسوله وروى ابن مسعود في رواية ابن
مسعود صحيح اسناده واكثر رواه وقد اتفق على روايته جماعة من
الصحابة فيكون اولى وهو يتضمن الزيادة وفيه العطف
بالواو العطف وهو اشهر في كلام العرب وفيه السلام بالالف واللام
وهما للاستغراق قال عبد الحق ازار الاسود عن اسود قال اخذ بيدي
عبد الله بن مسعود فاقعدني على التشهد في الصلاة
قال فحفظت عن عبد الله كما تحفظ حروف القرآن الواو
والالف وهو دليل على ضبطه فكان اول فصل في باب صفة

تشهد

تشهد مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاز نص عليه الامام احمد قال
تشهد عبد الله بن مسعود الى وان تشهد بغير فهو جائز لان النبي صلى الله عليه وسلم
لما علمه الصحابة تشهدا دل على جواز الجميع كالقراءات المختلفة التي
اشتمل عليها المصحف قال القاضي وفيه دليل على انه اذا اسقط لفظة
هي شاقطة من بعض التشهدات المروية صح تشهده فعلى هذا يجوز ان
يقال اقل ما يجزئ من التشهد التحيات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا عبده ورسوله وان محمدا رسول الله وقد قال احمد في رواية ابي داود
قال وان قال اشهد انه رسول ولم يذكر واشهد اجزاه ان يجزيه وقال ابن
حامد ان ترك شيئا مما نقل لم يجزه واوا وجوبا اعاد الصلاة
لنقل الاكثر وقيل لا يعيد لنقل الاقل وقال ابو حفص العكبري يستحب ان
يقول الاجود وذكر استحبابه عن عبد الله كما تحفظ حروف القرآن والاول
اصح لانا ذكرنا دليل الاجود دليل على ان الاول والاحسن الاتيان بلفظه
وحروفه وهو الذي ذكره الخرقي وعلى ان عبد الله كان يرخص
في ابدال الالفاظ بين المتقاربة انما ابيح تشهدا فلي وقد روي عنه ان انسانا
كان يقعد على سجادة الجرفي طعام الامير كان اهل تفلي في الطعام فيقول
طعام الامير فقال له عبد الله قل طعام الفاجر فاما ما اجتمعت عليه التشهدات
كلها فتتعين الاتيان به وهذا مذهب الشافعي
ولا يستحب الزيادة على هذا التشهد ولا تطويله وعن الشعبي انه لم ير باسا
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه وكذلك قال الشافعي وعن عمر انه كان اذا
تشهد قال بسم الله خير الاسماء وعن ابن عمر كان يتشهد في اول وقال
زدت فيه وبركاته لا شريك له وامتاح المنع عن ذلك عابد الله وقال مالك ذلك
واسع وسمع ابن عباس رجلا يقول بسم الله فانتهره وقال مالك والشافعي
وهو الصحيح لما روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في
الركعتين الاولتين كانه على الرضف حتى يقوم والرضف حجارة
المحماة يعني لما تحفظه وهذا يدل على انه يطوله ولم يزد على التشهد شيئا
وروى عن مسروق انه قال كنا اذا جلسنا مع ابي بكر كانه على الرضف
حتى يقوم وقال خيثمة يا عبد الله يصلى اذا جلس في الملك بعد
الركعتين اخف الجلوس ثم يقوم كانه جالس على الرضف وانما قصد

يده على ركبته وقبض ثنتين من اصابعه وحلق حلقه ثم رفع اصبعه
يدعو بها ويحركها هكذا اقال وايل ابن حجر عنه واما حديث ابي داود عن
عبد الله ابن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشير باصبعه اذا دعا
ولا يحركها فهذه الزيادة في صحتها نظر وقد ذكر مسلم الحديث بطوله
في صحيحه عنه ولم يذكر هذه الزيادة بل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه وفرش
قدمه اليمنى ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده
اليمنى على فخذه اليمنى واشار باصبعه وايضا فليس في حديث ابي داود
عنه ان هذا كان في الصلاة وايضا فلو كان في الصلاة لكان ناسخا
وحديث وايل ابن حجر مثبتا وهو مقدم ولم يروه عنه في هذه الجلسة
غير هذه الصفة واما حديث عبد الله ابن الزبير الذي رواه مسلم
في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى
بين فخذه وساقه وفرش قدمه اليمنى فهذا في التشهد الاخير كما تاتي
وهو احدى الصفتين اللتين رويت عنه في الصحيحين من حديث
ابي حميد صفة صلاة صلى الله عليه وسلم واذا جلس في الركعتين جلس على
رجله اليسرى ونصب الاخرى واذا جلس في الركعة الاخرة قدم
رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته فذكر ابو حميد
انه كان ينصب اليمنى وذكر ابن الزبير انه كان يفرشها ولم يقل احد
عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد الاول ولا
اعلم احدا قال به بل من الناس من قال يتورك في التشهدين وهذا مذهب
مالك ومنهم من قال يفترش فيهما فينصب اليمنى ويفرش اليسرى
ويجلس عليها وهذا قول ابي حنيفة ومنهم من قال يتورك في كل تشهد
يلي السلام ويفترش في غيره وهو قول الشافعي ومنهم من قال يتورك
في كل تشهد صلاة فيهما تشهدان في الاخير منهما فرقا بين الجلوسين وهو
قول الامام احمد ومعنى حديث ابن الزبير انه فرش قدمه اليمنى انه كان
في هذا الجلوس يجلس على مقعدته فيكون قدمه اليمنى مفروشة وقدمه

اليسرى

اليسرى بين فخذه وساقه ومقعدته على الارض فوقع الاختلاف
في قدمه اليمنى في هذا الجلوس هل كانت مفروشة او منصوبة وهذا
والله اعلم ليس باختلاف في الحقيقة فانه كان لا يجلس على قدميه بل يخرجهما
عن يمينه فتكون بين المنصوبة والمفروشة فانها تكون على باطنها
الايمن فهي مفروشة بمعنى انه ليس ناصبا لها جالسا على عقبه ومنصوبة
بمعنى انه ليس جالسا على باطنها وظاهرها الى الارض فصح قول ابي حميد
ومن معه وعبد الله ابن الزبير وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا وهذا
فكان ينصب قدميه ويثني فرشها احيانا وهو اروح لها والله اعلم
ثم اختلف المتشهد دبر ما في هذه الالفاظ وبعد اصحابه ان يقولوا التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله اسئل الله الجنة واعوذ بالله من النار ولا يجهر بذكر
التشهد الا وقد ذهب الشافعي من حديث ابي الزبير عن
جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة
من القرآن باسم الله وبالله التحيات لله والصلوات والطيبات السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اسئل الله الجنة
واعوذ بالله من النار ولم يذكر التشهد في اول التشهد الا في هذا
الحديث ولم يعله عنه احد الا ابن الزبير وتشهد عبد الله ابن مسعود هو
المختار عند اصحابه وعليه اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن بعدهم من التابعين قاله الترمذي وبه يقول اصحاب الرأي وقال
مالك افضل التشهد تشهد عمر ابن الخطاب وهي رضي الله عنه التحيات لله
الزاكيات لله الصلوات لله وساقه وقال الشهد ان محمودا ان مسعود قال في
قالها المنبر بحضرة من الصحابة وغيرهم فلم ينكره وهذا اجماعا
وقال الشافعي التشهد افضل التشهد روي ان ابن عباس كان
يعلمهم كما يعلمهم السورة من القرآن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فاما المكتوب متروعنا بالتكبير جميع الركن المشروع فيه وعلى هذا
بقية التكبيرات الا من جلس جلسة الاستراحة فانه ينتهي بتكبير
عند انتهاء جلوسه ثم ينهض للقيام بغير تكبير قال ابو الخطاب ينهض
مكبرا دليل مصحح فانه يقتضي الاتيان بتكبيرتين في ركن
واحد لم يرد الشروع بعضها وينه ٥ فصل وفعل في الثانية
مثل ما فعل في الاولى يعني يصنع في الركعة الثانية من الصلاة مثل ما
صنع في الركعة الاولى على ما وصفنا لان النبي صلى الله عليه وسلم
الاولى المستحب في صلاته ثم قال افعل ذلك في صلاتك كلها وهذا لاخلاف
فيه الا ان الثانية تنقص النية وتكبيرة الاحرام والاستفتاح لان
ذلك غير ولا تستباح الصلاة ٥ فكان على ما وصفنا يصلي الثانية كالاولى
شيئا الا في اربعة اشياء السكوت والاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويلها
كالاولى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يستفتح ولا يسكت ولا يكبر للاحرام
فيها ويقصرها عن الاولى فتكون الاولى اطول منها في كل صلاة ٥ وكان
اذا نهض افتتح القراءة ولم يسكت كما كان سكت عند افتتاح الصلاة
وهذا يدل على انه لم يكن يستفتح ولا يستعيذ ولا نعلم في ترك هذه
الامور الثلاثة خلافا في ما عدا الركعة الاولى واختلفوا فيها هل هذا
موضع استعاذة او لا بعد اتفاقهم انه ليس بموضع استفتاح وفي ذلك
قولان هما روايتان عن الامام احمد وقد ذكرنا هما بعض اصحابه على ان القراءة
الصلاة هل هي قراءة واحدة فيكفي فيها استعاذة واحدة او قراءة كل ركعة
مستقلة بنفسها والاشباع بينهم ان الاستفتاح لموضع الصلاة والاكتفاء
باستعاذة واحدة اظهر للحديث الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت وكما يكفي
افتتاح واحد ولانه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللهما ذكر هي
كالقراءة الواحدة اذ لم يخل احدهما او تهليل او صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وان شرع في القراءة قبل الاستعاذة اتى بها
في تلك الركعة لانها محل فصل المشروع اذا ادرك
الامام فيها بعد الركعة الاولى استفتح واما الاستعاذة فان تلنا
تختص الركعة الاولى استعاذ لان ما يدركه المأموم مع الامام اخر صلاته
فاذا

فاذا قام للقضاء استفتح واستعاذ نص على هذا الامام احمد فان قلنا
تستعيذ في كل ركعة استعاذ لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ٥ فاذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه
اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى واشار باصبعه السبابة وكان
لا يحركها تحريكا ولا يقيمها بل يعنيها شيئا وحركها وهذا الجلوس والتشهد
فيه مشروعان بلا خلاف وقد نقله الخلف عن السلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
تعلما متواترا والامة تفعله في صلاتها فان كانت الصلاة مغربا او رباعية
فيهما واجبان فهما على احدى الروايتين ٥ والاخرى ليسا بواجبين وهو
قول ابي حنيفة ومالك وان في احدى الروايتين بالتشهد الاول
ولنا ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله وداوم على فعله وامر به في حديث ابن مسعود
فقال قولوا التحيات لله وسمى التشهد حتى نسيه وقد قال صلوا كما رأيتموني
اصلي وانما سقط بالسهو الى بدل فاشبه جبرانات الحج تجبر بالدم بخلاف
السنن ولانه احد التشهدين فكان واجبا كالاخر وصفة الجلوس
لهذا التشهد كصفة الجلوس بين السجدتين يكون مفترشا كما وصفنا
وسواء كان اخر صلاته او لم يكن وبهذا قال اصحاب الراي وقال مالك
يكون متوركا على كل حال لما روي ان مسعودا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يجلس في وسط الصلاة وفي اخرها متوركا وقال الشافعي ان
كان موسطا كقولنا وان كان اخر صلاته كقول مالك ٥ وكان صلى الله
عليه وسلم يقبض اصبعين وهما الخنصر والبنصر ويحلق حلقة وهي
الوسطى مع الابهام ويرفع السبابة يدعو بها ويومي ببصره اليها وينبغي
اللف اليسرى ويحامل عليها قال ابو الحسن الآمدي وقد روي عن
ابي عبد الله انه يجمع اصابعه الثلاث ويعقد الابهام كعقد الثلثين
لما روي ان عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على ركبته اليمنى
وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة قال الآمدي وروي انه يبسط
الخنصر والبنصر لتكون مستقلا بهما البتة والاول اولى افتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان يضع يديه على فخذيه ويحاذي بصره موضع سجوده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذا لا اعلم فيه خلافا وان شبقه ركع كاملا واكثر فانه يتبع
امامه وتقضي ما شقه الامام به قال الامام احمد في رجل يعس خلف
الامام حتى صلى ركعتين قال كانه ادرك ركعتين فاذا سلم الامام
صلى ركعتين وان شبقه باكثر من ركن وافتر من ركعه ثم نال
عذره فالمنصوص عن الامام احمد انه يتبع امامه ولا يعتد بتلك الركعه
قال في رجل رفع امامه وسجد وهو قائم لا يشعر ولم يركع حتى سجد
الامام فقال يسجد معه ويأتي بركعة مكانها وقال المروذي قلت لابي
عبد الله الامام اذا سجد ورفع راسه قبل ان يسجد قال ان كانت سجده

واحد

الرد
عن ال
لم يخف
ما فا
صلاة
ما لصف
فسجد
وقال
بها و
فليقض
الاوزا
ما كان
فسبيل
عذره
معتبر
ذكرى
والقيا

اي سجدة في صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قعد رجل ورفع
واعتدل حتى رجع كل عضو في موضعه ثم نهض وهذا اصح
في كيفية جلسة الاستراحة فتتعين للصغير لانه لا يقوى
الخلال روي عن احمد ما يدل على انه لا يجلس كثيرا انه يجلس على
البيته قال القاضي يجلس على قدميه والبيته مفضيا بها الى
الارض لانه لو جلس مقترشا لم ينهض الا من المتورك هل
تسمى جلسة الاولى او الثانية وهذا ما من ذلك
وقال ابو الحسن الآمدي لا خلاف اصحابنا انه لا يلصق
البيته بالارض في جلسة الاستراحة بل يجلس معلقا عن الارض
وعلى قولنا الرواية تنهض الى القيام على صدور قدميه
معتمدا على ركبتيه ولا يعتمد على يديه قال القاضي لا مخالف
قوله انه لا يعتمد على الارض شيء انما جلس للاستراحة
او لا يجلس وقال الخلال اخبرني يوسف بن موسى ان ابا
عبد الله سئل عن النهوض فقال على صدور القدمين على حديث
رفاعه وحديث ابن عجلان يدل على انه كان ينهض على صدور
قدميه وقد روي عن عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من وصف صلاة النبي صلى الله عليه وآله لم يذكر هذه الجلسة وانما
ذكرت في حديث ابي حميد وحديث مالك بن الحويرث ولو كان هديه
صلى الله عليه وآله فعلها دايما لذكرها كل من وصف صلاته صلى الله عليه وآله

ومجرد

ومجرد فعله صلى الله عليه وآله لها لا يدل على انها من سنن الصلاة الا اذا كان
قد علم انه فعلها شد يقتدي به فيها واما اذا قدر انه فعلها للحاجه
لم يدل ذلك على كونها سنة من سنن الصلاة الا اذا كان قد علم
بحقق المناط في هذه المسالة وقال مالك والشافعي السنة ان يعتمد
على يديه في النهوض لان مالكا روى الحويرث قال في صفة صلاة رسول الله
صلى الله عليه وآله انه لما رفع راسه من السجدة الثانية استوى قاعدا
ثم اعتمد على الارض رواه النسائي ولان ذلك اعون للمصلي ولما روى
وايل ابن حجر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سجد وضع ركبتيه قبل
يديه واذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه رواه النسائي والاثرم وفي لفظ
واذا نهض نهض على ركبتيه واعتمد على فخذيه وعن ابن عمر قال في رسول الله
صلى الله عليه وآله كان يعتمد الرجل على يديه اذا نهض في الصلاة رواها ابو داود
وقال علي كرم الله وجهه من السنة في الصلاة المكتوبة اذا نهض
الرجل في الركعتين الاوليين ان يعتمد بيديه على الارض الا ان يكون
شيخا كبيرا لا يستطيع رواه الاثرم وقال الامام احمد جاء الاثر عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله كان في الصلاة
ينهض على صدور قدميه رواه الترمذي وقال ابو بريدة خالد بن الحارث
قال الامام احمد ترك الناس حديثه ولا ناشئ خان افضل كالنجاني
والاشتر اشئ وحديث مالك محمول على انه كان من النبي صلى الله عليه وآله لمشقة
القيام عليه لضعفه وكبر سنه قال صلى الله عليه وآله اني قد بدنت فلا
تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فصل في ذاشق عليه النهوض
على الصفة التي ذكرناها فلا باس باعتماده على الارض بيديه لا
نعلم احدا خالف في هذا وقد دل عليه حديث مالك الحويرث
وقول علي رضي الله عنه الا ان يكون شيخا كبيرا ومشقة ذلك تكون
لكبر او ضعف او مرض او سمن او نحوه فصل ويسن
ان يكبر اذا كبر مع ابتدا رفع راسه من السجود وانهاوه

وهذا لا اعلم فيه خلافا وان شفعه بركعة كاملة او اكثر فانه يتبع
امامه وينصرف ما شفعه الامام به قال الامام احمد في رجل نعس خلف
الامام حتى صلى ركعتين قال كانه ادرك ركعتين فاذا سلم الامام
صلى ركعتين وان شفعه بأكثر من ركن وافعل من ركعة ثم زال
عذره فالمنصوص عن الامام احمد انه يتبع امامه ولا يعتد بتلك الركعة
قال في رجل ركع امامه وسجد وهو قائم لا يشعر ولم يركع حتى سجد
الامام فقال يسجد معه ويأتي بركعة مكانها وقال المروذي قلت لابي
عبد الله الامام اذا سجد ورفع راسه قبل ان يسجد قال ان كانت سجدته
واحدة فاتبعه اذا رفع راسه وان كانت سجدتان فلا يعتد بتلك
الركعة وظاهر هذا انه متى شفعه بركعتين بطلت تلك الركعة وان
شفعها قبل من ذلك وغفله وان ادرك امامه وقال اصحابنا في من زحم
عن السجود يوم الجمعة ينتظر زوال الزحام ثم يسجد ويتبع الامام ما
لم يخف فوات الركوع في الثانية مع الامام وهذا يقتضي انه يفعل
ما فاته وان كان اكثر من ركن واحد وهذا قول الشافعي لان النبي
صلى الله عليه وسلم فعله باصحابه في صلاة عسفان حين قام بهم خلفه صفين فسجد
بالصف الاول والصف الثاني قيام حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم الى الثانية
فسجد الصف الثاني ثم تبعه وكان ذلك جائزا للعذر فهذا مثله
وقال مالك ان ادركهم المتوفى اول سجوده سجد معهم واعتد
بها وان علم انه لا يقدر على الركوع وادراكهم في السجود حتى يستووا قياما
فليتبعهم في ما بقي من صلاتهم ثم يقضي ركعته ثم ليسجد للسهو وحكوه قال
الاوزاعي ولم يجعل عليه سجدتي السهو والاول في هذا والله اعلم
ما كان على قياس فعل النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف فان ما لا نص
فيه يرد الى اقرب الاشياء به من المنصوص عليه وان فعل ذلك لغير
عذر بطلت صلاته لانه ترك الايتمام بامامه عمدا والله اعلم

فصل ثم كان صلى الله عليه وسلم نهض على صدور قدميه ورجليه
معتمدا على فخذيه كما ذكر وائل عنه وابو جحيفة ولا معتمد عليه وقد
ذكر عنه مالك انه كان لا نهض حتى يستوي جالسا
والقيام ركن والتكبير واجب في احدى الروايتين وهذه هي التي

جلسة

وبمجرد فعله صلى الله عليه وسلم لها لا يدل على انها من سنن الصلاة اذا كان
قد علم انه فعلها لسبب يختص به فيها واما اذا لم نعلم انه فعلها لسبب
فهذا يدل على كونها سنة من سنن الصلاة الا اذا قام الدليل
يخص ذلك الفعل من هذه الصلاة وقال مالك والشافعي السنة ان يعتمد
على يديه في النهوض لان ما كان المرفق قال في صفة صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما رفع راسه من السجدة الثانية استوى قاعدا
ثم اعتمد على الارض رواه البخاري ولان ذلك اعون للمصلي

جلسة الاستراحة واختلفت الرواية عن الامام احمد هل يجلس
للاستراحة فروي عنه لا يجلس وهو اختيار الخرقي وروي
ذلك عن ابي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وبه يقول
مالك والثوري واسحق واصحاب الرأي وقال الامام احمد
اكثر الاحاديث على هذا وذكر عن عمر وعلي وعبد الله وقال
النخعي ان عليا رأى رجلا لم يرفع عجز رأسه من صلاته فقال له ارفع
صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك اي لا تجلس قال الترمذي وعليه
العمل عند اهل العلم وقال ابو الزناد تلك السنة والرواية الثابتة
انه يجلس اختارها الخلال وهو احد قولي الشافعي قال الخلال
رجع ابو عبد الله الى هذا يعني ترك قوله بترك الجلوس لما
روى مالك عن الحويرث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس اذا
رفع رأسه من السجود قبل ان ينهض رواه ابو حميد في
صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث حسن صحيح
فيتعين العمل به والصير اليه وقبل ان كان المعلى
ضعيفا فجلوس الاب تمامه لحاجته الى الجلوس وان كان
قويا لم يجلس لغناه عنه وحمل جلوس النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان في آخر عمره عند كبره وضعفه وهذا فيه جمع بين الاخبار
وتوسط بين القولين فاذا قلنا يجلس فمحله اذا جلس فمقتضى
على صفة الجلوس بين السجدتين وهذا مذهب الشافعي لقول

نسخة
الألوكة
www.alukah.net

تسبيح الركوع والسجود وان قال ربنا اغفر لنا او اللهم اغفر لنا جاز ان
رب اغفر لي جاز ن وكان هديه ان الذكر بقدر السجود
هكذا الثابت عنه في جميع الاحاديث وفي الصحيح عن انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقعد بين السجدتين حتى يقول قد اوهم وهذه السنة تركها
اكثر الناس من بعد تقراض عصر الصحابة ولهذا لو قيل ثابت وكان
انس يصنع شيئا لا تراكم تصنعونه يمكث بين السجدتين حتى تقول قد
نسي او قد اوهم وامامن حكم السنة ولم يلتفت الى ما خالفها ولا يعبأ
بما خالف هذا الهدي ثم يكبر ويخر ساجدا له وحكمة انه اذا شرع
من الجملة بين السجدتين سجد سجدة اخرى على صفة الاولى سواء وهي
واجبة اجماعا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد سجدتين لم يختلف عنه في
ذلك ○ والمستحب ان يكون شروع المأموم في الفعل
الصلاة من الرفع والوضع بعد شروع الامام فيه بيسير بحيث يعلم انه فعله معه في قول
اكثر اهل العلم واستحبابا لكان يكون لفعله اثر في فعل الامام ولنا
ما روى البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم
نر احدا منا حتى نراه قد وضع جبهته في الارض ثم نتبعه وللبخاري نحن
احدث ناظرهن حتى يقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده ○
وعن ابي موسى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطبنا فعن لنا سنتنا
وعلمنا صلاتنا فقال اذا صليتم فاقيموا صفوفكم وليؤمكم احدكم
فاذا كبر فكبروا الى قوله فاذا ركع فاركعوا فان الامام يركع
قبلكم وترفع قبلكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك بتلك وفي لفظ
فمهما استفتح به اذا ركعت تذهبون به اذا رفعتم وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه
فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده
فقولوا ربنا ولك الحمد واذا سجد فاسجدوا واذا صلى جالسا فصلوا
جلوسا اجمعون ومتى فاذا ركع فاركعوا يقتضي ان يكون
ركوعهم بعد ركوعه لانه عقبه به بفاء التعقيب فيكون
بعده حقيقة لكن جاز يسير وان وافق امامه في الفعل
الصلاة فركع وسجد معه ساهيا او صحت صلاته ○ ولا يجوز
ان

ان يسبق امامه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود
ولا بالقيام ولا بالانصراف وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما يخشى احدكم اذا رفع راسه قبل الامام ان يجعل الله صورته صورة
حمار ولما زوينا من الاخبار في الفصل الذي قبله ولانه تابع له فلا ينبغي
ان يسبقه كما في تكبيرة الاحرام فان سبق امامه فعليه ان يرفع ليأتي
بذلك موتما بامامه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال اذا رفع احدكم
راسه والامام ساجد فليسجد واذا رفع راسه فلم يملك فقد رفع
فان لم يفعل حتى لحقه الامام سهوا او جهلا فلا شيء عليه لان هذا سبق يسير
وان سبق امامه عمدا عالما بتحريمه فقال الامام احمد في رواية البتي ليس
لمن سبق الامام صلاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اما يخشى الذي يرفع راسه
قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار ولو كانت له صلاة لرجي له الثواب
ولم يخش عليه العقاب وعن ابن مسعود انه نظر الى من سبق الامام فقال
لا وحدك صليت ولا بامامك اقتديت وعن ابن عمر نحو من ذلك قال
وامره بالاعادة ولانه لم يأت بالركن موتما بامامه فاشبه ما لو سبقه
بتكبيرة الاحرام او ان لام وقال ابن حامد في ذلك وجهان قال
القاضي عندي انه تصح صلاته لانه اجتمع معه في الركن فصحت صلاته
كما لو رفع معه ابتداء ○ فان ركع ورفع قبل ركوع امامه
الامام فقال ابو الخطاب ان فعل عمدا فهل تبطل صلاته على وجهين
لانه شبيه بمن كبر واحدة فاشبه ما لو رفع قبله حتى وان فعل سهوا
فصلاته صحيحة وهل يعتد بتلك الركعة فيه روايتان فاما ان سبقه
بركنين فركع قبله فلما اراد ان يركع رفع فلما اراد ان يرفع
سجد عمدا بطلت صلاته لانه لم يقتد بامامه في اكثر الركعة وان فعله
سهوا لم تبطل صلاته لانه معذور وهل يعتد بتلك الركعة لعدم
اقتدائه بامامه فيها ○ فصل فان سبق الامام المأموم بركن مثل
كما لو ركع ورفع قبل ركوع المأموم لعذر من نعاس او زحام
او غلط الامام فانه يفعل ما سبق به ويدرك امامه ولا شيء عليه نص عليه
الامام احمد قال المروذي قلت لابي عبد الله الامام اذا سجد فرفع
راسه قبل ان يسجد قال ان كانت سجدة واحدة فاتبعه اذا رفع راسه

دل على ان الدعاء من دعائه ودعاء الذي
صلاته دعاء كان يكثر في سجوده من الدعاء الذي امر به
في السجود وقال النووي والاحاديث بهذا مع النووي تدل على
دعاء الطالب باعطائه حوله واستجابة دعائه في الثواب وكل
واحد من النوعين قربة لقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان
والصحيح بهذا النوعين فان ورد دعاء مأثور امتثل ما ورد في ذلك
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى [illegible]

من الشهر والله اعلم [illegible] ثم كان صلى الله عليه وسلم
يرفع راسه فيكبر ثم يغير رجله اليسرى ويرفع رجله اليمنى
قيل يجزئه وهذا الرفع والاعتدال عنده واجبان وبهذا
قال الشافعي وقال مالك وابو حنيفة ليسا بواجبين
بل يكفي عند ابي حنيفة ان يرفع راسه مثل هذا القدر
لان هذا فصل بين شيئين فلم يكن واجبا كما بعده
الى التشهد الاول ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته
ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يفعله ولم يفعل الا ما نقل عنه قالت عائشة وكان معنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من السجدة لم يسجد حتى تستوي
قاعدا ولانه رفع واجب فكان الاعتدال عنه واجبا
كالرفع من السجدة الاخيرة ولان الله ان جعل التشهد
غير واجب ثم جلس قدر شاء يفترش رجله اليسرى
وهو ان يثني رجله فيقعد عليها وينصب رجله اليمنى
ويخرجهما من تحته ويجعل بطون اصابعها على الارض
معتمدا عليها ليكون اطراف اصابعها الى القبلة وذلك
الثاني عن الجلوس من سنة الصلاة حتى ينصب القدم
اليمنى واستقبل باصابع القبلة والجلوس على اليسرى
ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع جلسة غيرهذه

وستحب

ويستحب ان يفتح اصابع رجله اليمنى فيستقبل بها القبلة ومعناه ان يثنيها
حتى تقبل القبلة قال الاثرم سئلت ابا عبد الله فاينه يفتح اصابع رجله اليمنى
فيستقبل بها القبلة وروى باسناده عن عبد الرحمن ابن زيد قال كنا
نعلم اذا جلسنا في الصلاة ان يفترش قدمه فان كانت ايهام اخذ
باليمنى فيدخل يده حتى يعدلها وقال نافع وكان ابن عمر اذا صلى استقبل
القبلة بكل شيء حتى بنعله رواه الاثرم [illegible] ويكره الاقعاء
وهو ان يفرش قدميه ويجلس على عقبيه هذا وصفه الامام احمد
قال ابو عبيد هذا قول اهل الحديث والاقعاء عند العرب جلوس الرجل
على اليتيه ناصبا فخذيه مثل اقعاء الكلب والسبع ولا اعلم احدا قال باستحباب
الاقعاء على هذه الصفة غير ما الاول ذكره عن علي وابو هريرة وقاده
ومالك والشافعي واصحاب الرأي وعليه العمل عند اكثر اهل العلم وفعله ابن
عمر وقال لابنه واقد اني قد كبرت وقيل نقل بعضا عن احمد انه قال لا
افعله ولا اعيب من فعله وقال الخلال كانوا يفعلونه وقال طاوس
رأيت العبادلة يفعلونه ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعن ابن عباس
انه قال من السنة ان تمس اليتيك قدميك وقال طاوس قلنا لابن عباس
الاقعاء على القدمين في السجود فقال هي السنة قال قلنا انا لنراه جفاء
بالرجل فقال هي سنة نبيك وفي حديث الحارث عن علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقع بين السجدتين وعن انس قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رفعت راسك من السجود فلا تقع كما تقع الكلب وفي صفة جلوس
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي حميد ثم ثنى رجله اليسرى وقعد
عليها وفي حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفرش رجله اليسرى
وينصب اليمنى ونهى عن عقبة الشيطان وهذه الاحاديث اكثر
واصح فتكون الصحاولى واما ابن عمر فكان يفعل ذلك لكبر ويقول
لا تقدوا بي ثم يقول اللهم اغفر لي وارحمني واهدني
وارزقني هكذا ذكر ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم وذكر حذيفة انه كان
يقول رب اغفر لي رب اغفر لي والمستحب عند ابي عبد الله ان
يقول بين السجدتين رب اغفر لي رب اغفر لي يكرر ذلك مرارا
وفيه من اختلاف الروايتين واختلاف اهل العلم مثل ما ذكرناه في

فاعرفه

حمل عليه الحديث ان الدعاء عن دعا شاء ودعا يته الدعا النبي
صلى الله عليه وسلم كان يكثر في سجوده من النوعين والدعا الذي امر به
في السجود يتناول النوعين والاستجابة ايضا نوعان استجابة
دعا الطالب باعطائه سؤله واستجابة دعا الثني بالثواب ولكل
واحد من النوعين شرط قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان
والصحيح انه يعم النوعين وان لم ار دعا ماثورا مثل ما روي عن ابي
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا دانا وصعت وجعل يتاجدا
اوذكر اه
فقال اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال عليه السلام
احب الكلام الى الله ان يقول العبد وهو ساجد سبحانك اللهم وبحمدك
فاغفر لي رواهما سعيد في سننه وهذا لفظ لابي داود صلى الله عليه وسلم
قال واما السجود فاكثروا فيه من الدعا فقمن ان يستجاب لكم
فصل وقد اختلف الناس في القيام والسجود ايهما افضل
فرجحت طايفة القيام لوجوه احدها ان ذكره افضل الاذكار
فكان وكنه افضل الاركان الثاني قوله تعالى وقوموا لله قانتين
الثالث قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت وقالت طايفة
كثرة السجود افضل واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد وبحديث معدان بن ابي طلحة قال لقيت
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت حدثني حديث عسى ان
ينفعني الله به فقال عليك بالسجود فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه
بها خطيئة قال معدان ثم لقيت ابا الدرداء فسالته فقال لي مثل ذلك
وقال صلى الله عليه وسلم لربيعة ابن كعب الاسلمي وقد سالته مرافقته في الجنة
فقال اعني على نفسك بكثرة السجود وقد انزلت على النبي
صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك واسجد واقترب
وباب السجود لله تعالى من المكروهات عند العلماء وخصوصا وباب
التاجد ادلة ما يكون لربه واخضع له وذلك اشرف حالات
العبد فهذا كان اقرب ما يكون من ربه في هذه الحال وباب السجود

هو

ويستحب ان يفتح اصابع رجله اليمنى فيستقبل بها القبلة ومعناه ان ينشرها
نحو القبلة قال الاثرم سئلت ابا عبد الله فذاته يفتح اصابع رجله اليمنى
فيستقبل بها القبلة وروى باسناده عن عبد الرحمن ابن زيد قال كنا
نعلم اذا حلنا في الصلاة ان يفترش قدمه فان كانت ابهام اخذ
باليمنى فيدخل يده حتى يعدلها وقال نافع وكان ابن عمر اذا صلى استقبل
القبلة بكل شيء حتى بنعليه رواه الاثرم
وصفته الاقعا
وهو ان يفرش قدميه ويجلس على عقبيه هذا وصفه الامام احمد
واما عبد [illegible] هذا فانها الحديث والاثار [illegible] جلسين الرجل

هو شعار العبودية فان العبودية هي الذل والخضوع يقال
طريق معبد اي ذللته الاقدام ووطاته واذل ما يكون
العبد واخضع اذا كان ساجدا وقالت طايفة طول
القيام بالليل افضل وكثرة الركوع والسجود بالنهار
افضل واحتجت هذه الطايفة بان صلاة الليل قد خصت
باسم القيام كقوله تعالى قم الليل وقول النبي صلى الله عليه وسلم
من قام رمضان ايمانا واحتسابا وانما يقال قيام الليل
ولا يقال قيام النهار قالوا وهذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم
فانه ما زاد في الليل على احدى عشرة ركعة او ثلاث عشرة
ركعة وكان يصلي الركعة في بعض قيامه البقرة وآل عمران
والنساء واما بالنهار فلم يحفظ عنه شيء من ذلك بل كان يخفف
الست وقال شمس الدين ابن القيم قدس الله روحه وقال
شيخنا رضي الله عنه الصواب انهما سواء والقيام افضل
بذكره وهو القراءة والسجود افضل بهيئته فهيئة السجود
افضل من هيئة القيام وذكر القيام افضل من ذكر السجود
قال وهذا كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا اطال
القيام اطال الركوع والسجود كما فعل في صلاة الكسوف
وفي صلاة الليلة وكان اذا خفف القيام خفف الركوع
والسجود وكذلك كان يفعل في الفرض كما قال البراء بن
عازب كان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريبا

في جباههم واكفهم والمنكب مباشرة المصلي بجبهته واليدين لخرج
من الخلاف ويأخذ بالعزيمة قال الامام احمد لا يعجبني الا في الحر والبرد
وكان ابن عمر يبحث بالسجود على كور العمامة وكان يعيبه ان الصحابة
كانوا العمامة اذا قام الى الصلاة ٥ وكان صلى الله عليه وسلم يسجد على الارض
كثيرا وعلى الماء والطين والحمرة المتخذة من خوص النخل وعلى
الحصير المتخذ منه وعلى الفروة المدبوغة وكان اذا سجد مكن
جبهته من الارض ونحى يديه عن جنبيه ووضع يديه حذو منكبيه رفع
ابطيه ولوشئت بهمة وهي الشاة الصغيرة بين يديه لمرت وكان يعتدل
في سجوده ويروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعتدلوا في السجود ولا يسجد
احدكم وهو باسط ذراعيه انبساط الكلب وهذا هو الافتراش المنهي عنه
في الحديث وهو ان يضع ذراعيه على الارض كما يفعل السباع وقد
كره اهل العلم وكان صلى الله عليه وسلم يضع يديه حذو منكبيه واذنيه وفي
صحيح مسلم عن البراء صلى الله عليه وسلم اذا سجدت فضع كفيك وارفع
مرفقيك وكان بسط كفيه واصابعه لا يضم بينهما ويقبضهما
وفي صحيح ابن حبان كان اذا ركع فرج اصابعه واذا سجد ضم اصابعه
ويستحب ان يضع راحتيه على الارض مستقبلا بهما القبلة ويضمهما
بعضها الى بعض مستقبلا بهما القبلة ويضمهما جدا ويمكنهما ذكره القاضي
وهو مذهب الشافعي وروي انه رأى ابنا لعبد الله يسجد
ويداه محذاء اذنيه فقال هكذا استقبل بهما القبلة
قال الامام احمد ويفتح اصابع رجليه لتكون اطرافها الى القبلة
ويستحب السجود على صدور قدميه
والكمال في السجود على
الارض ان يضع جميع بطن كفه واصابعه على الارض ويرفع مرفقيه
فان اقتصر عن بعض ذلك اجزاه قال الامام احمد ان وضع من
اليدين قدر الجبهة اجزاه وان جعل ظهور كفيه الى الارض وسجد
عليهما او سجد على اطراف اصابع يديه فظاهر الخبر انه يجزيه لانه امر ان يسجد
على اليدين وقد سجد عليهما وهذا لم يسجد على ظهور قدميه فانه قال
سجد على القدمين ولا يخلو من اصابعه بعض اطراف قدميه الارض

فيكون

وكذلك

سبعا

فيكون ساجدا على اطراف القدمين ولكنه يكون تاركا للافضل
الاحتياط فصل ويستحب بين ركبتيه ورجليه
لما روى ابو حميد قال واذا سجد فرج بين فخذيه غير حامل بطنه على
شئ من فخذيه فصل واذا اراد السجود وقع على وجهه
فاستقبلت جبهته الارض اجزاه ذلك وان لم يتوال السجود
فلا يجزيه وان انقلب على جنبه ثم انقلب فاستقبلت جبهته الارض اجزيه
ذلك الا ان ينوي السجود والفرق بين الالتين انه خرج عن شئ
الصلاة وهيئتها ثم كان انقلابه الذي عاد الى الصلاة فاقتصر
الى تجديد النية وفي التي قبلها هو على هيئة الصلاة وسننها
فاكتفي باستدامة النية ٥ وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال سبحان ربي
الاعلى وامر به وكان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر
لي وكان يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح وكان يقول سبحانك
وبحمدك لا اله الا انت وكان يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك وكان يقول اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت
سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله
احسن الخالقين وكان يقول اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله واوله
واخره وعلانيته وسره وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي
واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي
وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت انت الهي لا اله الا انت وكان يقول اللهم
اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا ومن يميني نورا
ومن شمالي نورا وامامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا
واجعل لي نورا فامر بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال انه قمن
ان يستجاب له ويقال ان سر ان بعض الدعاء في السجود وقال ان الداعي
اذا دعى في عمل فليجتهد في السجود وفرق بين الامرين واحتج

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والسجود على جميع هذه الاعضاء واجب الا الانف فان فيه خلافا
وبهذا قال الشافعي في احد قوليه وقال مالك وابو حنيفة والشافعي
في القول الاخر لا يجب السجود على غير الجبهة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
سجد وجهي وهذا يدل على ان السجود على الوجه ولان الساجد
على الوجه يسمى ساجدا ووضع غيره على الارض لا يسمى به ساجدا
ولان ما لا يسجد عليه لا يسجد دون ما يسجد عليه ولانه
لو وجب السجود على هذه الاعضاء لوجب كشفها كالجبهة وذكر الامدي
هذا رواية عن الامام احمد قال القاضي في الجامع وهو ظاهر كلام احمد
فانه قد نص في المريض يرفع شيئا يسجد عليه انه يجزيه ومعلوم
انه قد امر بالسجود على يديه ولنا ما روى ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اسجد على سبعة اعضاء الحديث وروى
عن ابن عمرو رفعه ان اليدين تسجدان كما يسجد الوجه وتسجد الوجه
لا ينبغي سجود ما عداه وسقوط الكف لا يمنع وجوب السجود دفانا
نقول يكره ذلك في الجبهة على رواية وعلى الرواية الاخرى فان الجبهة
هي الاصل وهي يكشفونه عادة بخلاف غيرها فان حائل السجود بعضو
من الاعضاء لا تصح صلاته سجد من اوجبه وان عجز عن السجود على بعض
هذه الاعضاء سجد على بقيتها وقرب العضو المريض من الارض عايه
ما امكنه ولا يجب عليه ان يرفع اليه شيئا لان السجود هو الهبوط
ولا يحصل ذلك برفع المسجود عليه وان سقط على الجبهة لعارض
من مرض او غيره سقط عنه السجود على غيره لانه الاصل وغيره
تبع له فاذا سقط الاصل سقط التبع ولهذا قال احمد في المريض
يرفع الى جبهته شيئا يسجد عليه يجزيه ٥ فصل وفي
الانف روايتان احداهما يجب السجود عليه لما روي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة
واشار بيده الى انفه واشارته الى انفه يدل على انه اراده وروى
عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لا يصيب انفه ما يصيب

الجبهة

الجبهة رواه الاثرم ورواه ابو بكر عبد العزيز والدارقطني في الافراد
مستصلا عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح
انه مرسل قال الامام احمد اخشى ان لا يكون ثبت هو مرسل
والرواية الثانية لا يجب السجود عليه وهو قول الشافعي وصاحبي
ابي حنيفة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم
ولم يذكر الانف فيها وروى ان جابرا قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد على جبهته على قصاص الشعر رواه تمام في فوائده وغيره
واذا سجد على جبهته لم يستحب السجود على الانف وروي عن ابي حنيفة انه
ان سجد على انفه دون جبهته اجزاه فلان المنذر لا اعلم احدا سبقه
الى هذا القول ولعله ذهب الى ان الجبهة والانف عضو واحد لان
النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الجبهة اشار الى انفه والعضو الواحد غير به
السجود على بعضه وهذا قول يخالف الحديث الصحيح والاجماع الذي
قبله فلا يصح ٥ [illegible] ولا يجب مباشرة المصلي بشيء من
هذه الاعضاء قال القاضي اذا سجد على كور العمامة اجزأه وذيله
فصلا نه صحيحة رواية واحدة وهذا مذهب مالك وابي حنيفة ورخص
رخص في السجود على الثوب في الحر والبرد عطاء وطاوس والنخعي
والشعبي والاوزاعي ومالك واسحق واصحاب الراي ورخص في
السجود على كور العمامة الحسن ومكحول وعبد الرحمن بن يزيد وسجد
شريح على ارنبته وقد روي ذلك عن ابن عمر قال سألت ابا عبد الله عن
السجود على كور العمامة فقال لا يسجد على كورها ولكن يحسر
العمامة وهو مذهب الشافعي لما روى خباب قال شكونا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا ولانه سجود على
ما هو حائل لا عنه فاذا سجد على يديه ولنا ما روي انس قال
كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع احدنا طرف الثوب من شدة
الحر في مكان السجود وقال لمن كان القوم ليسجدون على العمامة والقلنسوة
ويديه في كمه فاما حديث خباب فالظاهر انهم طلبوا منه تاخير
الصلاة او تشقيق المسجد ونحو ذلك مما يزيل عنهم ضرر الرمضاء

شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت ورسول الله
ن غياث عن عاصم الاحول عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخط بالتكبير حتى سبقت ركبتاه يديه قال الحاكم على شرطهما
ولا اعلم له علة قال ابن القيم قال عبد الرحمن ابن ابي حاتم سالت ابي عن
هذا الحديث فقال هذا حديث منكر انهى وانما انكره والله اعلم لانه
من رواية العلاء ابن اسمعيل العطار عن حفص ابن غياث والعلاء
هذا مجهول لا ذكر له في الكتب الستة فهذه الاحاديث المرفوعة
من الصحيحين كما ترى واما الآثار عن الصحابة فالمحفوظ عن عمر
الخطاب انه كان يضع ركبتيه قبل يديه ذكره عنه عبد الرزاق
وابن المنذر وغيرهما وهو المروي عن عبد الله ابن مسعود ذكره
الطحاوي عن فهد عن عمر ابن حفص عن ابيه عن الاعمش عن ابراهيم عن
اصحاب عبد الله علقمة والاسود قالا حفظنا من عمر في صلاته انه خر بعد
ركوعه على ركبتيه قبل يديه ثم ساق من طريق الحجاج ابن ارطاة قال
قال ابراهيم النخعي حفظ من عبد الله ابن مسعود ان ركبتيه كانتا
بقعان الى الارض قبل يديه وذكر عن ابن مرزوق عن وهب عن شعبه
عن منصور قال سالت ابراهيم عن الرجل يبدا بيديه قبل ركبتيه اذا
سجد قال اويضع ذلك الا احمق او مجنون قال ابن المنذر وقد تعلق
اهل العلم في هذا الباب بمن راى ان يضع ركبتيه قبل يديه عمر ابن
الخطاب وبه قال النخعي ومسلم ابن يسار والثوري والشافعي
واحمد واسحق وابو حنيفة واصحابه واهل الكوفة وقالت طايفة
يضع يديه قبل ركبتيه وبه قال مالك وقال الاوزاعي ادركت الناس
يضعون ايديهم قبل ركبهم قال ابن داود وهو قول اصحاب الحديث
قال ابن القيم وقد روى حديث ابي هريرة بلفظ اخر ذكره البيهقي
وهو اذا سجد احدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه
على ركبتيه قال البيهقي فان كان محفوظا كان دليلا على انه يضع
يديه قبل ركبتيه عند الاهوا الى السجود وحديث وايل ابن حجر
اولى لوجوه احدها انه اثبت من حديث ابي هريرة قال الخطابي وغيره

الثاني

الثاني ان حديث ابي هريرة مضطرب المتن كما تقدم منهم من يقول
منه وليضع يديه قبل ركبتيه ومنهم من يعرف هذه اللفظة ايضا
بالعكس ومنهم من يقول وليضع يديه على ركبتيه ومنهم من يحذف
هذه الجملة بالثالث ما تقدم من تعليل البخاري وابي داود قطني
وغيرهما الرابع انه على تقدير ثبوته قد ادعى فيه جماعة من اهل العلم
النسخ قال ابن المنذر وقد زعم اصحابنا ان وضع اليدين قبل الركبتين بعض
منسوخ وقد تقدم ذلك الخامس انه الموافق لفعل النبي صلى الله عليه وسلم
عن يروى كبر وعلل الصلاة بخلاف حديث وايل ابن حجر
السادس انه الموافق للمنقول عن الصحابة كعمر ابن الخطاب وابنه
وعبد الله ابن مسعود واستقل عن احد منهم ما يوافق حديث ابي هريرة
الا عن عمر التابع ان له شواهد من حديث ابن عمر وابن عمر تقدم
وليس حديث ابي هريرة شاهد فكيف وقد تقدم حديث وايل من
اجل بيوتها له فكيف وحديث وايل اقوى كما تقدم السابع ان
اكثر الناس عليه والقول الاخر انما حفظ عن الاوزاعي ومالك وابي
قول ابن ابي داود انه قول اهل الحديث فانما اراد به بعضهم والا فاحمد
واسحق والشافعي على خلافه ولله الحمد الثامن ان حديث ابي هريرة
محكيه سبقت حكاية فعله صلى الله عليه وسلم فهي اولى ان تكون محفوظة
لان الحديث اذا كان فيه قصة دل على انه حفظ العاشر ان
الافعال المجتمعة قد علم ثابتة محكمة من روايته غير مهيأ فعال
معروفة صحيحة وهذا واحد منها فلا تدفع ومعارضه ليست مثلها
لم تتعين ترجيحه والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يسجد على جبهته
وانفه دون كور العمامة ولهيئت عن السجود على كور العمامة في
حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابن عمر
قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يسجد على كور عمامته وهو من رواية
عبد الله ابن نجيح وهو متروك وذكر ابو احمد من حديث جابر قال مر
رواية عن عمر عن ابن نجيح عن عطاء عن جابر عن ابن عمر وقد ذكر
ابو داود في المراسيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسجد بجبينه
وقد اعتم على جبهته فاشهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبهته

شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا وضع يديه قبل ركبتيه ولم تقل بروك كبروك البعير فان البعير انما
يضع يديه اولا ولما علم اصحاب هذا القول ذلك قالوا ركبتا البعير
في يديه لا في رجليه منه اذا برك وضع ركبتيه اولا فهذا هو المنهي
عنه وهذا فاسد لوجوه احدها ان البعير اذا برك فانه يضع يديه
اولا وتبقى رجلاه قائمتين واذا نهض فانه ينهض برجليه اولا وتبقى
يديه على الارض وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم وفعل خلافه
وكان اول ما يقع منه على الارض اقربها اليها فالاقرب واول ما يرتفع على
الارض منها الاعلى فالاعلى فكان يضع ركبتيه اولا ثم يديه ثم جبهته
واذا رفع رفع رأسه اولا ثم يديه ثم ركبتيه وهذا عكس فعل
البعير وهو صلى الله عليه وسلم نهى في الصلاة عن التشبه بالحيوانات نهى عن
بروك كبروك البعير والتفات كالتفات الثعلب وافتراش
كافتراش السبع واقعاء كاقعاء الكلب ونقر كنقر الغراب ورفع الايدي
وقت السلام كاذناب الخيل الشمس فهذي المصلي مخالف لهدي الحيوانات
الثاني ان قولهم ركبتا البعير في يديه كلام لا يعقل ولا يعرفه اهل
اللغة وانما الركبة في الرجلين وان اطلق على الثاني من يديه اسم الركبة
فعلى سبيل التغليب الثالث انه لو كان كما قالوه لقال فليبرك كما يبرك
البعير فان اول ما يمس الارض من البعير يداه وسل اليه ان من تامل
بروك البعير وعلم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بروك كبروك البعير
علم ان حديث وايل أن جرهو الصواب والله اعلم قال العلامة ابن القيم وكان
يتبع لي ان حديث ابي هريرة مما انقلب على بعض الرواة متنه ولعله وليضع ركبتيه قبل يديه كما انقلب على بعضهم
حديث ابن عمر ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم
فقال ان ابن ام مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال
وكما انقلب على بعضهم حديث ابي هريرة لا يخالي يلقى في النار وتقول هل
من مزيد الى ان قال واما الجنة فينشئ الله لها خلقا تسكنهم اياها فقال
واما النار فتنشئ الله لها خلقا تسكنهم اياها حتى رأيت الملك ابن ابي شيبة
قد رواه كذلك فقال ابن ابي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد

عن

عن جده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سجد احدكم
فليبدا بركبتيه قبل يديه ولا يبرك بروك الفحل ورواه الاثرم في
سننه عن ابي بكر وقد روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا ما
يصدق ذلك ويوافق حديث وايل ابن حجر قال ابن ابي داود وحدثنا
موسى ابن علي حدثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد عن جده عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد يبدا بركبتيه قبل يديه وقد روى ابن خزيمة
في صحيحه من حديث مصعب ابن سعد عن ابيه قال كنا نضع اليدين
قبل الركبتين فامرنا بالركبتين قبل اليدين وعلى هذا فان كان حديث
ابي هريرة محفوظا فانه منسوخ وهذه طريقة صاحب المغني وغيره ولكن
للحديث علتان احداهما انه من رواية يحيى ابن سلمة ابن كهيل وليس
ممن يحتج به قال النسائي متروك وقال ابن حبان منكر الحديث لا
يحتج به وقال ابن معين ليس بشيء الثانية ان المحفوظ من رواية
مصعب ابن سعد عن ابيه هذا انما هو في قصة التطبيق وقول سعد
كنا نضع هذا فامرنا ان نضع ايدينا على الركب واما قول صاحب المغني
وروي عن ابي هريرة كنا نضع اليدين قبل الركبتين فامرنا بوضع
الركبتين قبل اليدين وانما هو في قصة التطبيق والله اعلم واما حديث
ابي هريرة المتقدم فقد علله البخاري والترمذي والدارقطني قال
البخاري محمد عبد الله رجل لا يتابع عليه وقال لا ادري سمع من ابي الزناد
ام لا وقال الترمذي غريب لا نعرفه من حديث ابي الزناد
الا من هذا الوجه وقال الدارقطني تفرد به الدراوردي عن محمد عبد الله
ابن الحسن العلوي عن ابي الزناد وقد ذكر الثاني عن سهيلة حدثنا عبد الله
ابن نافع عن محمد ابن عبد الله ابن حسن عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سجد احدكم في صلاته فليبرك كما يبرك الجمل
ولم يرفعه وقال ابو بكر ابن ابي داود وهذه سنة متوارثة باهل المدينة
ولهم فيها اسناد ابن هذا احدها والاخر عن عبيد الله عن نافع عن
ابن عمر انه كان يضع يديه قبل ركبتيه ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك رواه الحاكم في المستدرك من طريق ابن سمعان عن
الدراوردي وقال على شرط مسلم فقد روى الحاكم من حديث حفص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انتا فيه ولا يلزم من التساوي في الوجوب التساوي في الاحكام بدليل
واجبات الحج ۞ فصل ومن ادرك الامام في الركوع فقد
ادرك الركعة لقوله النبي صلى الله عليه وسلم من ادرك الركوع فقد ادرك الركعة
رواه ابو داود ولانه لم يفته من الاركان الا القيام وهو باق به مع تكبيرة
الاحرام ثم يدرك مع الامام بقيته الركعة وهذا اذا ادرك الامام
في حالة يشتبه الركوع او انتهى الى قدر لا يجزئه من الركوع قبل ان يزول الامام
عن قدر ما يجزئه فهذا يعتد له بالركعة ويكون مدركا لها فاما ان
كان المأموم مع ركوع الامام يرفع قبل ان يأتي بما يجزئه عليه ان يأتي به منتصبا
فان اتى به ثم ان انتهى في الانحناء الى قدر الركوع او بعضه لم يجزئه لانه
اتى به في غير محله الا في الحالة ولا يعتد به القيام وهو من اركان الصلاة الاولى
ثم يأتي بتكبيرة اخرى للركوع في حال انحطاطه اليه ۞ فصل
ركن لا تسقط حالا والثانية تكبيرة الركوع والمنصوص عن احمد انها
تسقط هاهنا وتجزيه تكبيرة واحدة نقلها ابو داود فصل وان
ادرك الامام في ركن غير الركوع كبر للافتتاح وانحط
غير مكبر ولا يعتد له بما فاته من التكبير وان ادرك في السجود
او التشهد الاول كبر في حال قيامه مع الامام بالنية لانه مأموم له
يتابعه في التكبير ومن ادرك ركعة من الرباعية
شيئا من ادرك الامام في حال متابعته فيه وان لم يعتد به لما
روي ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا جئتم الى الصلاة ونحن سجود
فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن ادرك الركوع فقد ادرك الركعة رواه
ابو داود وروى الترمذي عن معاذ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى
احدكم والامام على حال فليصنع كما يصنع الامام واعمل على هذا عند
اهل العلم قال احمد اذا كبر الرجل والامام ساجد فليسجد ولا يجزئه
حتى يعلم ان امامه لم يرفع رأسه من السجود ۞ فصل
والرفع من الركوع والاعتدال عنه واجب وبهذا قال الشافعي وقال
ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان من ترك الطمأنينة في صلاته وداوم على فعله فدخل في

عموم قوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ۞ ويسن مشروع
الجهر بالتسميع للامام كما يسن الجهر بالتكبير لانه ذكر شرع عند
الانتقال من ركن فيشرع الجهر به للامام كالتكبير ۞
ويشرع ثم كان يكبر ويرتسا جدا ولا يجهر ثم يرفع يديه وقد روي عنه
انه كان يرفعهما ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم وهو وهم لم يصح
فلذلك عنه البتة والذي غره ان الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل
خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو غلط ولم يفطن
لسبب غلطه وهم فصححه والله اعلم ۞ اما السجود فثبت بالنص
والاجماع لما ذكرنا في الركوع والطمأنينة فيه ركن لقوله النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث المسيء في صلاته ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا والخلاف فيه كالخلاف
في طمأنينة الركوع ويحط الى السجود مكبرا لما ذكرنا من الاخبار وكلا
الهوي الى السجود ركن ولا عمل من ركن كسائر الاركان ويكون ابتدا
تكبيره مع ابتداء انحطاطه وانتهاؤه مع انتهائه ولا يستحب رفع يديه فيه
في المشهور من المذهب ونقل عنه المروذي انه يرفع يديه وقيل عن رفع
اليدين في الصلاة حسن في كل خفض ورفع وقال فيه عن ابن عمر اسناد جيد
احاديث صحاح والعمل الاول ان ابن عمر فعل ولا يفعل في ذلك الا السجود
في حديثه الصحيح ولما وصف النبي صلى الله عليه وسلم صلاته لم يذكر رفع
اليدين في السجود والاحاديث الثابتة مشتهرة بالاحاديث المفصلة فلا
يبقى فيها اختلاف ۞ وكان يضع ركبتيه قبل يديه ثم يديه بعد هما ثم
جبهته وانفه وهذا هو المشهور عن الامام احمد وعن احمد رواية اخرى
انه يضع يديه قبل ركبتيه لما روى مالك ۞ والصحيح الذي رواه شريك
عن عاصم ابن كليب عن ابيه عن وائل ابن حجر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه واذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه
ولم ير في فعل ما يخالف ذلك واما حديث ابي هريرة يعرض احدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه فالحديث
والله اعلم قد وقع فيه وهم من بعض الرواة قال وله يخالف اخره فانه

شبكة الألوكة www.alukah.net

البيت باصحابه سفرا ذان ولا اقامه لاجل تاخير الامراو ايراد الاحاديث
في خلاف ذلك من الاحاديث التي في الرفع كثيره وصحيحه وصراحه لعلا
وبالله التوفيق وكان دايما يتم صلبه اذا رفع من الركوع ومن
السجدتين ويقول لاتحزي صلاه لاينقيم الرجل فيها صلبه من الركوع
والسجود ذكره ابن خزيمه في صحيحه وكان اذا استوى قايما قال ربنا
ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنهم
ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فما يصح وكان يقدر هذا الركن
الركن بقدر الركوع والسجود فصح عنه انه كان يقول فيه سمع الله لمن
حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد
اهل الثنا والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا
معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وصح عنه انه كان يقول فيه
اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ونقني من الذنوب والخطايا
كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت
بين المشرق والمغرب وصح عنه انه كان يكبر فيه وقول ربنا لك الحمد
حتى كان يقدر ركوعه وصح عنه انه كان اذا رفع راسه من الركوع
لم يكد حتى يقول القايل قد نسي من اطالته لهذا الركن وقد تقدم عن انس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى يقول قد
اوهم ثم يسجد ويفعل بين السجدتين حتى يقول قد اوهم وصح عنه انه كان
يفعل بين السجدتين حتى يقول قد اوهم وصح عنه انه كان في صلاته
الكسوف انه اطال هذا الركن نحوا من ركوعه حتى كان قريبا من ركوعه
وكان ركوعه قريبا من قيامه وهذا هو المعلوم الذي لا معارض
له بوجه واما حديث البراء اذا رفع كان ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسجوده بين السجدتين واذا رفع راسه من الركوع ما بين السجدتين
والقعود قريبا من السواء رواه البخاري فقد تشبث به من يقول بتقصير
هذين الركنين ولا متعلق له بهذا الحديث بصريح لفظه
بالتسوية بين هذين الركنين وبين سايرا الاركان فلو كان القيام
والقعود المستثنى هو القيام بعد الركوع والقعود بين السجدتين

ناقص

لنا قضى الحديث الواحد بعضه بعضا فيتعين قطعا ان يكون المراد بالقيام
والقعود قيام القراءه وقعود التشهد وهذا كان هديه في صلاته
اطالتها على سايرالاركان كما تقدم بيانه وهذا لله الحمد واضح وهو
مما خفي من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صلاته على من شاء الله ان يخفى عليه
قال يشتمل الدليل من القرآن قدس الله روحه وقال شيخنا وتقصير هذين
الركنين مما تصرف فيه امراء ليس في الصلاة احدثوا نهاكما
احدثوا تركهم اتما التكبير وما احدثوا التاخير الشديد وكما احدثوا
غير ذلك مما خالف هديه صلى الله عليه وسلم وفي ذلك من ربي حتى يظن انه من ملح
السنه ٥ فصل والمشهور عن الامام احمد ان تكبير
الخفض والرفع وتسبيح الركوع والسجود وقول سمع الله لمن حمده
وربنا ولك الحمد وقول رب اغفر لي بين السجدتين والتشهد الاول واجب
وهو قول اسحق وداود وعن احمد انه غير واجب وهو قول اكثر الفقهاء
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم المسيء في صلاته ولا غيره ولانه خبر البيان عن وقت الحاجه
ولانه لو كان واجبا لسقط بالسهو كالاركان ولنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر به وامره للوجوب وفعله وهو اكمل احواله يقتضي الصلاة وقد روى
داود عن علي ان يحيى بن خلاد عن عمه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى
احدكم فلم يذكر اسم الله في اول صلاته قال الشيطان اذكروا صلاته
ثم قولوا الله اكبر ويرفع راسه حتى يستوي قاعدا ثم يقول الله اكبر فيسجد
حتى يطمئن ساجدا ثم يقول الله اكبر ويرفع راسه حتى يستوي قاعدا
ثم يقول الله اكبر فيسجد حتى يطمئن ساجدا ثم يرفع راسه فيكبر
فاذا فعل ذلك فقد تمت صلاته وهذا نص في وجوب التكبير ولان
مواضع هذه الاذكار ان كان من الصلاة فانها اذكار واجبه كالقيام
واما حديث المسيء في صلاته وقد ذكرنا في الحديث تعليمه ذلك وفي
زياده يجب فيقول ان انتقص من هذا شيئا فقد انتقص من صلاته
بدليل انه لم يعلمه السهو ولا السلام ثم انه انتقص على نفسه بما تركه

الركوع واجب بالنص والاجماع وان يكبر في كل خفض ورفع وهو
قول ابن مسعود وابن عمر وجابر وابو هريرة وقيس بن عباد ومالك
والاوزاعي وابن جابر والشافعي وابو ثور واصحاب الرأي وعوام العلما
من الامصار وروي عن عمر بن عبد العزيز وسالم والقاسم وسعيد بن
جبير انهم كانوا لا يتمون التكبير ولعلهم يحتجون بان النبي صلى الله عليه وسلم
المسيء في صلاته ولم يكن قد علم اباه ولم تبلغهم السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولما روي ابو هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة
يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول سمع الله لمن حمده حين يرفع
صلبه من الركعة ثم يقول وهو قائم ربنا ولك الحمد ثم يكبر حين يهوي
ثم يكبر حين يرفع راسه ثم يفعل ذلك في الصلاة كلها حتى يقضيها
ويكبر حين يقوم من الثنتين بعد الجلوس ٥ واما الركوع فانه
واجب بالنص والاجماع قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
واجمعت الامة على وجوبه في الصلاة على القادر عليه ٥ وكان يقول
صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وتارة يقول مع ذلك او مقتصرا عليه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وكان ركوعه المعتاد مقدارا
عشر تسبيحات وسجوده كذلك ٥ واما حديث البراء بن عازب قال
الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قيامه فركوعه فاعتداله فسجدته
فجلسته بين السجدتين قريبا من السواء فهذا قد فهم منه بعضهم انه كان
يركع بقدر قيامه ويسجد بقدره ويعتدل كذلك وفي هذا الفهم شيء لانه
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالمائة اية ونحوها وقد تقدم انه قرأ في الغرب
بالاعراف والطور والمرسلات ومعلوم ان ركوعه وسجوده لم يكن بقدر
هذه القراءة ويدل عليه حديث انس الذي رواه اهل السنن قال
صليت خلف احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات
وفي سجوده عشر تسبيحات هذا مع قولنا انه كان يوهم الصفات
فمراد البراء والله اعلم ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا
اطال القيام اطال الركوع والسجود واذا خفف القيام خفف الركوع
والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام لكن كان فعل

ذلك

ذلك احيانا في صلاة الليل وحده ونعلم ايضا قريبا من ذلك في صلاة الكسوف
وهديه صلى الله عليه وسلم يقلل الصلاة وتمامها وكان يقول ايضا في ركوعه
سبوح قدوس رب الملائكة والروح وتارة يقول اللهم لك ركعت وبك امنت
ولك اسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وهذا انما حفظ
عنه في قيام الليل فتامل ويستحب ان يجافي عضديه عن جنبيه
قال ابو حميد ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع يديه على ركبتيه كانه قابض
عليها ويريد بهما عن جنبيه حديث صحيح ٥ قال وجبار
يطمئن في ركوعه ومعناه ان يعتدل اذا بلغ حد الركوع قليلا وهذا
قال الشافعي وقال ابو حنيفة الطمانينة غير واجبة لقوله تعالى اركعوا
واسجدوا ولم يذكر الطمانينة والامر المطلق يقتضي حصول الاجزاء به ولنا
قول النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته اركع حتى تطمئن راكعا متفق عليه
وروى ابو قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسوا الناس سرقة الذي يسرق
من صلاته قيل وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال
لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل صلبه فيها في الركوع والسجود رواه الخارك
والاية محتملة لان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الركوع بفعله وقوله فالمراد بالركوع
ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم ٥ فصل واذا رفع راسه وشبك
ملز رفع اولا او هما في يقدر الاخر اولا لم يعتد به وعليه ان يعود فيركع
حتى يطمئن لما ذكرنا ان الاصل عدم ما شك فيه الا ان يكون ذلك
وسواسا فيستحب ان يعود حتى يطمئن راكعا فلا التفات اليه كما ذكرنا في الحكم
في سائر الافعال ثم كان صلى الله عليه وسلم يرفع راسه بعد ذلك قائلا
سمع الله لمن حمده ويرفع يديه كما تقدم وروي رفع اليدين في هذه
المواطن الثلاثة عشرين نفسا واتفق على رواياتها العشرة ولم
يثبت عنه معارض ذلك فان كان ذلك لبيان جواز ذهبنا الى ان تارك الرفع
ولم يصح عنه حديث البراء لا يعيد وهي من زيادة مزيد وليس
تركها مسقطا للرفع مما تقدم في هديه المعلوم فقد يترك من فعل
ان مسنونا في الصلاة اشياء ليس معارضها مثابا ولا مذنبا
للرفع فترك من بعد التطبيق قد لا قتاش في السجود وقوله
اماما بين الاثنين في وسطهما دون التقدم عليهم وصلاة الفرض في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رجل من جهينة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصبح اذا زلزلت
في الركعتين كليتهما فلا ادري امنسي رسول الله صلى الله عليه وسلم ام قرأ
ذلك عمدا ۞ فصل والمستحب ان يقرأ في الركعة الثانية
سورة بعد السورة التي قرأها في الركعة الاولى في المنظم لان ذلك هو
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابن مسعود انه خيل عن من يقرأ
القرآن منكوسا فقال ذلك منكوس القلب وقرأ ابو عبيد بان
يقرأ خواتمه ثم يقرأ بعدها اخرى هي قبلها في المعنى وان قرأ خلاف ذلك
فلا باس به ۞ قال الامام احمد لما سئل عن هذه المسألة لا باس به الذي يعلم
الصبي على هذا وقال في رواية مهنا اعجب الي ان يقرن السور التي تقرأ
وقد روي ان الاحنف قرأ الكهف في الاولى وفي الثانية يوسف وذكر
انه صلى مع عمر الصبح بهما احتج به البخاري ۞ ووقوف القارئ على
رؤس الايات حسنة وان كانت الاية الاولى متعلقة بالاولى لتعلق الصفة
بالموصوف او غير ذلك والقراءة قليلا بتفكر افضل من الكثير بلا
تفكر وهو المنصوص عن الصحابة صوبها ونقل عن احمد ما يدل عليه
نقل عنه مشتى بن جامع رجل اكل فشبع واكثر الصلاة والصيام رجل
اقل الاكل فقلت مواظبة ان اكثر فكرا يها افضل فذكر ما في
الفكر تفكر ساعة خير من قيام ليلة قال فرايت عنده هذا اكثر للفكر
وما خالف المصحف وصح سنده صحت الصلاة به وهو اتصال الرواية
عن الامام لهم ومصحف عثمان احد الحروف الستة وقال عامة السلف
وجمهور الخلف يجب ان يقول مع امامه يا رب لك الحمد وايا ك نستعين
وعنه ۞ ولا باس بالجمع بين السور في صلاة النافلة قال النبي صلى الله عليه وسلم
فواتح سورة البقرة قال الحسن والنخعي لان يقرأ سورة واحدة احب
الي من ان يقرأ عشرين سورة في ركعة وقد صلت
الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم ما يقرب ستين مذكر عشرين سورة
من المفصل سورتين في ركعة متفق عليه وكان عثمان يقرأ في
صبح الثانية في ركعة وروي ذلك عن جماعة من التابعين واما

الفريضة

الفريضة فالمستحب ان يقتصر فيها على سورة مع الفاتحة من غير زيادة
عليها لان النبي صلى الله عليه وسلم هكذا كان يصلي اكثر صلاته ۞ ويجمع بين
سورتين في ركعة فيه روايتان احداهما يكره لذلك والثانية
لا يكره لان حديث عبد الله بن مسعود مطلق في الصلاة فيحتمل
انه اراد الفرض وقد روى الخلال باسناده عن ابن عمر انه كان يقرأ في
المكتوبة بالسورتين في ركعة وان قرأ في ركعة سورة ثم اعادها
في الثانية فلا باس ۞ فصل وكان يطيل الركعة الاولى
على الثانية من صلاة الصبح وربما كان يطيلها حتى لا يسمع وقع قدم
وكان يطيل صلاة الصبح اكثر من سائر الصلوات وهذا الان قرآن
الفجر مشهود وقيل تشهده الله وملائكته وقيل تشهد ملائكة
الليل والنهار والقولان مبنيان على ان النزول الالهي هل يدوم الى انقضاء
صلاة الصبح او الى طلوع الفجر وقد ورد فيه هذا وهذا واضافاتها لما انقضت
عدد ركعاتها جعل تطويلها عوضا عما نقصته من العدد واضافاتها
تكون عقيب النوم والناس مستريحون واضافاتهم اياخذوا
بعد في اشتغال المعاش واسباب الدنيا واضافاتها تكون في وقت
تواطي فيه السمع والقلب لفراغه وعدم تمكن الاشتغال فيه فيهم
القرآن وتدبر واضافاتها تكون استئناف العمل واول ما عطيت فضلا
من الاهتمام بها وتطويلها وهذه اخبار انما يعرفها من له التفات الى اسرار
الشريعة ومقاصدها وحكمها والله المستعان ۞ فصل
وكان صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما ترتد اليه نفسه
ولا يصل قراءة بتكبير الركوع ۞ ثم يرفع يديه كما تقدم ويكبر راكعا
ويضع كفيه على ركبتيه كالقابض عليها ويتربع فيهما من جنبيه
ويبسط ظهره ومده واعتدل فلم يصب راسه ولم يخفضه بل يجعل حيال
ظهره معادلا لهما ويبين الجهر بالتكبير ليسمع المأموم ليقتدي وفي حال الجهر
والاسرار جميعا فان الجهر الامام بحيث يسمع الجميع اشعب لبعض المأمومين
رفع صوته ليسمعهم لفعل ابي بكر رضي الله عنه حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا وهم قيام
وصلى ابو بكر الى جنبه يقتدي به والناس يقتدون بابي بكر ۞ والتكبير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهو فعل مروان ان الحكم واما عثمان الاخر فقرأ صلى الله عليه وسلم وانيها بالتين
والزيتون ووقت لعاذ فيها الشهر وضحاها وسبح اسم ربك الاعلى
والليل اذا يغشى ونحوها وانكر عليه قراءة فيها بالبقرة بعد ما صلى معه
ثم ذهب الى بني عمرو فاعادها بهم بعد ما مضى من الليل ما شاء الله وقرأ
البقرة فلما رأى انه اقتدان انت يا معاذ فتاق الفتانون بهذه الكلمة
ولم يلتفتوا الى ما قبلها ولا ما بعدها واما الجمعة فكان قرأ فيها سورة
الجمعة والمنافقين كاملتين وسورتي سبح والغاشية واما الاقتصار
على قراءة واحدة من السورتين من ذكرنا الى اخرها فلم يفعله قط وهو
مخالف لهديه الذي كان يحافظ عليه واما قراءة الاعياد فقد
كان يقرأ سورتي ق واقتربت كاملتين وقد سورتي سبح والغاشية
وهذا هو الهدي الذي ختم عليه الى ان لقي الله ولم ينسخه شيء ولهذا
اخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده فقرأ ابو بكر الصديق رضي الله عنه في
الفجر سورة البقرة حتى سلم منها قريبا من طلوع الشمس فقالوا يا خليفة رسول الله
كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين وكان عمر رضي الله عنه
يقرأ فيها بيوسف والنحل وبهود وبني اسرائيل ونحوها من السور ولو كان
تطويل صلى الله عليه وسلم منسوخا لم يحث على خلافه ويطلع عليه القارئين
واما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن سمرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بق والقرآن المجيد وكانت صلاته بعد
تخفيفا فالمراد بقوله بعد اي بعد الفجر اي انه كان يطيل قراءة الفجر
اكثر من غيرها وصلاته بعدها تخفيفا ويدل على ذلك قول ام الفضل
وقد سمعت ابن عباس يقرأ والمرسلات فقالت يا بني لقد ذكرتني
بقرائك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ بها في المغرب وهذا لفظ احد الامرين اللذين قالهما وكانت صلاته
بعد غلبه قد حذف ما هي مضافة اليه ولا يجوز اضمارها لا يدل عليه
السياق وترك اضمار ما تقتضيه السياق والسياق انما يقتضي ان
صلاته بعد الفجر كانت تخفيفا لا تقتضي ان صلاته كلها بعد ذلك

اليوم

اليوم كانت تخفيفا هذا ما لا يدل عليه اللفظ ولو كان هو المراد
لم يخف على خلفائه الراشدين فيتركون به المشروع ويدعون الناسخ
واما قوله صلى الله عليه وسلم ايكم ام الناس فليخفف وقوله ان منكم منفرين
صلى الله عليه وسلم اخف الناس صلاة في تمام فالتخفيف مرتبي يرجع الى
ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليه الى شهوده المأمومين
فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأمر بأمر ثم يخالفه وقد علم ان من ورائه
الكبير والضعيف وذا الحاجة الذي فعله هو التخفيف الذي
امر به فانه كان يمكن ان تكون صلاته اطول من ذلك باضعاف مضاعفة
فهي خفيفة بالنسبة الى اطول منها وهديه الذي كان يواظب عليه
هو الحاكم في كل ما تنازع فيه المتنازعون ويدل عليه امره ولام الثاني
وعن عمرو ابن عمرو ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا
بالصافات فالقراءة بالصافات من التخفيف الذي كان يأمر به والله اعلم

فصل وكان صلى الله عليه وسلم لا يعين في الصلوات سورة بعينها
لا يقرأ بها الا في الجمعة والعيدين واما في سائر الصلوات فقد
ذكر ابو داود من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال ما من المفصل
سورة صغرى ولا كبرى الا قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الناس
في الصلاة المكتوبة وكان من هديه قراءة السورة كاملة ودعا قراءتها
في ركعتين وزعم اول السورة واما قراءة اواخر السور واوساطها
فلم يحفظ عنه واما قراءة السورتين في ركعة فكان يفعله في النافلة
واما في الفرض فلم يحفظ عنه واما حديث ابن مسعود الذي لا اعرف
الطايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن السورتين في ركعة
الرحمن والنجم في ركعة واقتربت والحاقة في ركعة والطور والذاريات
في ركعة واذا وقعت ونون في ركعة الحديث فهذا حكاية فعل
لم يتبين محله هل كان في الفرض او في النفل وهو محتمل واما قراءة
سورة واحدة في ركعتين معا فقل ما كان يفعله وقد ذكر ابو داود عن
المنقول عنه قراءة السورة واحدة في ركعتين

يقرأ بكل حال والثالث وهو قول اكثر السلف اذا سمع قراءة الامام
انصت واذا لم يسمع قرأ لنفسه فان قراءته افضل من سكوته والاستماع
لقراءة الامام افضل من السكوت وعلى هذا فهل القراءة حال مخافته الامام
واجبة على المأموم او مستحبة على قولين هما في مذهب الامام احمد اشهرهما
انها مستحبة ولا تقرأ حال تنفل امامه واذا سمع همهمة الامام ولم يفهم
قراءته قرأ لنفسه وهو رواية عن الامام احمد وغيرها سمعت في صلاة
الجهر والقراءة اذا سمع هل هي محرمة او مكروهة وهل تبطل الصلاة
ان قرأ على قولين في مذهب الامام احمد وغيره احدهما القراءة محرمة
وتبطل الصلاة بها حكاه ابن حامد والثاني لا تبطل وهو قول الاكثرين
وهو المشهور من مذهب الامام احمد وهل الافضل للمأموم قراءة الفاتحة
للاختلاف في وجوبها ام غيرها لانها مقتضى نصوص الامام احمد
والكثير اصحابه ان القراءة بغيرها افضل قال المقتضي هذا انما يكون
غيرها افضل اذا سمعها واما فهي افضل من غيرها واما اعادة ولا
تستفتح ولا تستعيذ حال جهر الامام وهو رواية عن الامام احمد ومن اصحاب
احمد من قال لا تستفتح ولا تستعيذ حال جهر الامام رواية واحدة وانما
الخلاف حال سكوت الامام والمعروف عند اصحابه ان النزاع في حال
الجهر لانه بالاستماع يحصل مقصود القراءة خلاف الاستفتاح والتعوذ
وما ذكره ابن الجوزي من ان قراءة المأموم وقت مخافته الامام افضل
من استماعه غلط بل قول احمد واكثر اصحابه الاستفتاح اولى لان
استماعه بدل عن قراءته وكان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة تارة ويخففها
لعارض من سفر وغيره وتوسط فيها غالبا وكان يقرأ في الفجر نحو
ستين اية الى مائة وصلاها سورة ق وصلاها بالروم وصلاها اذا
الشمس كورت وصلاها اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما وصلاها
بالمعوذتين وكان في السفر وصلاها بفاتحة سورة المؤمنين حتى
بلغ ذكر موسى وهرون في الركعة الاولى اخذته سعلة فركع وكان
يصليها يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة وسورة هل اتى كاملتين ولم
يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وهذه
وقراءة السجدة وحدها في الركعتين وهو خلاف السنة واما ما

يظنه

يظنه كثير من الجهال انه صبح الجمعة فصلت بسجدة فجهل عظيم وانما
كره بعض الائمة قراءة سورة السجدة لاجل هذا الظن وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ بهاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق
آدم ودخول الجنة والنار وذلك كان ويكون يوم الجمعة فكان يقرأ
بغير ما كان ويكون في ذلك اليوم تذكيرا للامة بحوادث هذا
اليوم كما كان يقرأ في المجامع العظام كالاعياد والجمعة سورة ق
واقتربت وسبح والغاشية فصل واما الظهر
فكان يطيل قراءتها حتى قال ابو سعيد كانت صلاة الظهر
تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي اهله فيتوضأ
ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى مما يطيلها وكان
وكان يقرأ في العصر على النصف من قراءته في الظهر اذا طالت وتقدر هذا اذا
قصرت واما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم
فانه صلاها مرة بالاعراف فرقها في الركعتين ومرة بالطور ومرة بالمرسلات
قال ابو عمر بن عبد البر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ في المغرب
بالمص وانه قرأ فيها بالصافات وانه قرأ فيها بحم الدخان وانه قرأ فيها بسبح
اسم ربك الاعلى وانه قرأ فيها بالتين والزيتون وانه قرأ فيها بالمعوذتين
وانه قرأ فيها بالمرسلات وانه كان يقرأ فيها بقصار المفصل قال وهي عمل
اهل صحاح مشهوره انتهى واما المداومة فيها على قراءة قصار
المفصل دائما فما هو فعل مروان ابن الحكم ولهذا انكر عليه زيد بن ثابت
وما ذكره من قراءة في المغرب بقصار المفصل فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قرأ في المغرب بطولى الطولين ما لك ما طولى الطولين قال
الاعراف هذا هو الصحيح وقال الشافعي وذكر انه رأى
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في احدى ركعتي المغرب سورة الاعراف فرقها في ركعتين
قال فطننت انه اخذ الآية الغضبى والسورة من قصار المفصل خلاف ما ظنه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعنى قال ولا تختلف المذهب انه اذا اتى بها ولم يحققها على الكمال
انه لا يعيد الصلاة لان ذلك لا يخل المعنى ويختلف باختلاف
الناس ولعله انما اراد في الجامع هذا المعنى فيكون قوله على قدر
حرف ساكن لانها في كل موضع اتصلت بتمام حرف ساكن فانها زادها
على ذلك زادها على ما اتصلت بتمامه فيكون مكروها وفي بسم الله
الرحمن الرحيم ثلاث سكتات وفي ما عداها احد عشر شده يسيرا
خلاف ان كان قطع قراءة الفاتحة بذكر من دعا او قراءة وسكوت
يسيرا وفرغ الامام من الفاتحة في اثنا قراءة المأموم قال امين
ولا تقطع قراءته لقول الامام احد اذا مرت بهذه آية رحمة سأل واذا
مرت به آية عذاب استعاذ وان كثر ذلك لاستئناف قراءتها الا ان
يكون السكوت مأمورا به كالمأموم يشرع في قراءة الفاتحة ثم يسمع
قراءة الامام منصتا له فاذا سكت الامام اتم قراءتها واجزأته او ما
اليه الامام احد وكذلك ان كان السكوت نسيانا او نوما او لانتقاله
الى غيرها فاطال لم تبطل فيما ذكرناه فان تمادى فيما هو فيه
بعد ذكره ابطلها ولزمه استئنافها كذلك فان قطع قراءتها من غير ان تقطعها
استئناف لان فعله مخالف لنيته والاعتبار بالفعل لا بالنية وكذا
ان سكت مع النية سكوتا يسيرا الا ما ذكرناه من انه لا عبرة بالنية
موجودها كعدمها وذكر القاضي في الجامع انه متى سكت مع النية
ابطلها ومتى عدل الى قراءة غير الفاتحة عمدا او دعا غير ما ورد به
بطلت قراءته ولم يفرق بين القليل والكثير وان قدم آية منها في
غير موضعها عمدا ابطلها وان كان غلطا رجع الى موضع الغلط
فاتمها والاولى ان شاء الله ما ذكرناه لان المعتبر في القراءة وجودها
لا نيتها متى قرأها متواصلة تواصلا قريبا صحت كما لو كان ذلك عن
غلط ويجب قراءة الفاتحة في كل ركعة في الصحيح من المذهب
وهذا مذهب مالك والاوزاعي والشافعي فان اقرع من قراءة الفاتحة
قال امين فان كان الجهر بالقراءة رفع بها صوته وقالها من خلفه فان فتتني
الامام التأمين امن المأموم ورفع بها صوته ليذكر الامام فيأتي به لانه
سنة قولتها اذا تركها الامام اي بها المأموم كالاستعاذة وان

اتاها

اتاها الامام جهر بها المأموم لما ذكرنا ولان ترك التأمين نسيانا
او عمدا حتى شرع في قراءة السورة لم يأت به لانه سنة فات محلها
وكان صلى الله عليه وسلم له سكتتان سكتة عند التكبير والقراءة وعنها سأل ابو هريرة
واختلف في الثانية فروي انها بعد الفاتحة وروي انها بعد القراءة وقبل
الركوع وقيل هي سكتتان غير الاولى فتكون ثلاثة والظاهر انها
اثنتان فقط واما الثالثة فلطيفة جدا لاجل تراد النفس ولم يكن
يصل القراءة بالركوع بخلاف السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح
والثانية قد قيل عنها انها لاجل قراءة المأموم فعلى هذا سنعي بتطويلها بقدر
قراءة الفاتحة واما الثالثة فللراحة والتنفس فقط فهي سكتة من لم
يذكرها لقصرها ومن عبرها جعلها سكتة ثالثة فلا اختلاف بين
الروايتين وهذا اظهر ما قيل في الحديث بين ذلك كان احد من روى
حديث السكتتين عمران بن حصين وقد قال حفظت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سكتتين سكتة اذا كبر وسكتة اذا فرغ من قراءة غير
المغضوب عليهم ولا الضالين فمن بعض طرق الحديث واذا فرغ من
القراءة سكت وهذا المجمل واللفظ الاول مفسر مبين ولهذا قال
ابو سلمة بن عبد الرحمن للامام سكتتان فاغتنموا فيها القراءة فاتحة
الكتاب اذا افتتح الصلاة ولو قال ولا الضالين على ان تعيين محل
السكتتين انما هو من تفسير قتادة فانه روى الحديث عن الحسن عن
سمرة قال سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكر ذلك عمران
فقال حفظنا سكتة فكتبنا الى ابي بن كعب بالمدينة فكتب ابي ان
قد حفظ سمرة قال سعيد فقلنا لقتادة ما هاتان السكتتان قال
اذا دخل في الصلاة واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك اذا قال
ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يرتد
اليه نفسه فمن يحتج بالحسن عن سمرة يحتج بهذا ولم يستحب ان يسكت
سكتة تتسع لقراءة المأموم ولكن بعض اصحابنا استحب ذلك
فاذا فرغ من قراءة الفاتحة اخذ في سورة غيرها وقراءة المأموم خلف الامام
اصولا لا تقال فيها ثلاثة طرفان ووسط فاحذ الطرفين لا يقرأ حال الثاني

شبكة الألوكة www.alukah.net

لما اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وتاره
يقول اللهم لك الحمد انت نور السموت والارض ومن فيهن الحديث
شاذ وان في بعض طرقه الصحيح عن ابن عباس انه كبر ثم قال ذلك وتاره
يقول الله اكبر الله اكبر والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا الحمد لله
كثيرا سبحان الله بكرة واصيلا سبحان الله بكرة واصيلا سبحان الله
بكرة واصيلا اللهم اني اعوذ بك من الشيطان من همزه ونفخه ونفثه
وتاره يقول الله اكبر عشرا ثم تسع عشرا ثم حمد عشرا وهلل عشرا
وستغفر عشرا ثم يقول اللهم اعفني واهدني وارزقني عشرا ثم يقول
اللهم اني اعوذ بك من ضيق المقام يوم القيمة عشرا فهذه انواع
قد صحت عنه وروي عنه انه كان يسكت سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ذكر ذلك عنه مالك من
حديث علي ابن علي الرفاعي عن ابي المتوكل عن ابي سعيد على انه ربما
ارتجل وقد روي مثله من حديث عائشة والاحاديث التي قبلها اثبت منه
ولكن صح عن عمر ابن الخطاب انه كان يستفتح به في مقام النبي صلى الله عليه وسلم
ويجهر به يعلم الناس فالامام احد اما اذا ذهبت الى ما روي عن عمر
ولو ان رجلا استفتح ببعض ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاستفتاح
كان حسنا وانما اختار احمد هذا لكثرة اوجه منها ما ذكره من علمه بعلة
الصحابة ومنها اشتماله على افضل الكلام بعد القرآن فان افضل الكلام
بعد القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد تضمنها
هذا الاستفتاح مع تعظيم الاحرام ومنها انه استفتاح اطفل الثنا
على الله وغنى مستصحبا للدعا والثنا افضل من الدعا ولهذا كانت
سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لانها اخلصت لوصف الرحمن تبارك
وتعالى والثناء عليه ولهذا كان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر افضل الكلام بعد القرآن فنبه بها على ما تضمنها من الاستفتاح
افضل من غيرها من الاستفتاحات ومنها ان غيره من الاستفتاحات عامتها
انما هي لقيام الليل فلذلك وهذا كان عمر رضي الله عنه يعلمه الناس في

الفرض

الفرض ومنها ان هذا الاستفتاح انشا الثناء على الرب تعالى متضمن
للاخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله والاستفتاح بوجهت وجهي
اخبار عن عبوديه العبد وبينهما من الفرق ما بينهما ومنها ان من اختار الاستفتاح
بوجهت وجهي ذهب الى ما اخذ قطعة من الحديث وبذر باقيه خلاف
الاستفتاح سبحانك اللهم وان ذهب اليه بعضه كله الى آخره وان الامام
احمد لا يجهر الامام بالاستفتاح وعليه عامة اهل العلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يجهر به واما جهر به عمر ليعلمه الناس واذا انتهى الاستفتاح او تركه عمد
حتى شرع في الاستعاذه لم يعد اليه لانه سنة فات محلها وكذلك ان
نسي التعوذ حتى يشرع في القراءة لم يعد اليه كذلك وكان صلى الله عليه وسلم
يقول بعد ذلك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ٥ والاستعاذه
قبل القراءة في الصلاة سنة ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم
تاره ويخفيها اكثر ما يجهر بها والغالب انه لم يكن يجهر بها دائما كل يوم
وليلة ست مرات ابدا حضرا وسفرا وعلى ذلك جرى خلفاؤه الراشدين
وعلى جهور الصحابة واهل بلده في الاعصار الفاضلة هذا من محل المحال التي
حين يحتاج الى التثبت فيه بالفاظ مجملة واحاديث واهيه فصحيح تلك
الاحاديث غير صريح وصريحها غير صحيح وهذا موضع تتدحض فيه مجادلا
ضحاك ٥ ولا اختلف الرواية عن الامام احمد ان الجهر بها غير مسنون وكانت
قراءته مدا تقف عند كل اية ويمد بها صوته فاذا فرغ من قراءة الفاتحة
قال امين ومعنى قراءة الفاتحة مرتله مشدده غير ملحون فيها لحنا يحيل
المعنى فان ترك ترتيبها او شدده منها او لحن لحنا يحيل المعنى مثل ان
يكسر كاف اياك او يضم تاء انعمت او يفتح الف اهدنا لم يعتد
قراءته الا ان يكون عاجزا عن غير هذا ذكر القاضي في الجامع لا تبطل
ترك شدده لانها غير ثابته في خط المصحف وانما هي صفة للحرف
وسيجيء تاركها قارئا والصحيح الاول لان الحرف المشدد اقيم مقام حرفين
بدليل ان شدده الرحمن اقيمت مقام اللام وشدده دال الذين اقيمت
مقام اللام ايضا فاذا ادغم بها اخل بالحرف وما يقوم مقامه وغير
المعنى الا ان يريد انه اظهر المدغم مثل من يقول الرحمن مظهر اللام
فهذا يصح صلاته لانه انما ترك الادغام وهو معدود لحنا لا يغير

شبكة الألوكة www.alukah.net

ابي يحيى عن فاطمة بنت حسين عن ابيها قال عبد الرحمن حسبت ان علي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للنائل حق وان جاء على فرس ٥ وفي رواية وهم المكاتبون
الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم ٥ وقال ابن ابي حاتم حدثنا
ابي قال ثنا يحيى بن عبد الحميد قال انا شريك عن ابي حمزة عن الشعبي
حدثتني فاطمة بنت قيس انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقي المال لحقا
سوى الزكاة قالت فتلى علي واتى المال على حبه ورواه ابن مردويه
من حديث آدم ابن ابي اياس ويحيى بن عبد الحميد كلاهما عن شريك عن
ابي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المال حق سوى الزكاة ثم قرأ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة
والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ٥ وقوله تعالى واقام الصلاة
اي دائما فعالا للصلاة في اوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها
على الوجه الشرعي المرضي ٥ وبيان ذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان اذا قام الى الصلاة كبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا
قال الصلاة كذا مستقبل القبلة اربع ركعات اداء ولا قضاء ولا فرض الوقت اصلى الله صلاة كذا
وهذه عشر بدع لم ينقل عنه احد قط بسند صحيح ولا ضعيف ولا يقال اصلي كذا
مسند ولا مرسل لفظ واحدة منها البتة بل ولا عن احد من الصحابة ولا
استحبه احد من التابعين ولا الائمة الاربعة وانما غر بعض المتاخرين
قول الشافعي رحمه الله في الصلاة انها لبيت كالصيام ولا يدخل
فيها احد الا بذكر طن ان التلفظ للصلاة بالنية وانما مراد الشافعي
رحمه الله بالذكر تعيين الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا
لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا احد من خلفائه واصحابه
وهذا هديهم وسيرتهم فان اوجدنا احدا منهم فعل واحدا منهم في ذلك قبلناه
وقلنا به بالقبول والتسليم ولا هدى اكمل من هديهم ولا سنة الا
ما تلقوه عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ٥ ولا خلاف بين الامة في وجوب
النية للصلاة وانما الصلاة لا تنعقد الا بها والاصل فيه في ذلك قول الله

تعالى

تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ٥ فالاخلاص
هو افراد المعبود عز وجل وتنقية العبادة لله عز وجل بتبيان احدها تمييز
العبادة عن العادة والثانية تمييز مراتب العبادات بعضها عن
بعض ٥ والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
وانما لامرئ ما نوى ومعنى النية القصد ومحلها القلب فان كانت
الصلاة مكتوبة لزمته النية الصلاة بعينها ظهرا او عصرا او غيرهما وان
وكان دابه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظة الله اكبر لا غيرها وانما
ينقل عنه احد قط سواها وكان يرفع يديه معها مبسوطة الاصابع
مستقبلا بها القبلة الى فروع اذنيه ثم يرسلهما الى منكبيه وكذلك كان ابن عمر
الصحابي يفعل من معه فالواحد يحاذي بهما منكبيه وكذلك كان ابن عمر
وقال وائل ابن حجر الى حيال اذنيه وقال البراء قريبا من اذنيه
فقيل هو من الجمع المحرر فيه وقيل كان اعلاها الى فروع اذنيه
وكفاه الى منكبيه فلا يكون اختلافا ولم يختلف عنه في عمل هذا الرفع
ثم يضع اليمنى على اليسرى وكان يستفتح قائما بقوله اللهم باعد بيني
وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلني من
خطاياي بالماء والثلج والبرد اللهم نقني من الذنوب والخطايا كما ينقى
الثوب الابيض من الدنس وكان يقول وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم انت
الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي
فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن
الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر
ليس اليك انا بك والبك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك
ولكن المحفوظ ان هذا الاستفتاح كان يقوله في قيام الليل فقط
فيقول الله رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم
ثم يقرأ ما تيسر من القرآن وهو قول الشافعي وغيره ويجهر في ذلك
لان بلالا روى انه امر في ذلك فصنع

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ليس البر ان تصلوا قبل
تعلموا انها ستحول من مكة الى المدينة ونزلت الفرائض والحدود
فامر الله بالفرائض والعمل بها وروي عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك
وقال ابو العالية كانت اليهود تقبل قبل المغرب وكانت النصارى
تقبل قبل المشرق فقال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب يعني هذا احكام الايمان وحقيقة العمل وروي عن
الحسن والربيع ان الناس مثلوا ولم يجاهروا ولكن البر ما ثبت في القلوب
من طاعة الله عز وجل وقال الضحاك ولكن البر اتقوى ان تؤدوا
الفرائض على وجوهها وقال الثوري ولكن البر من امن بالله الآية
قال هذه مواضع البر كلها وصدق رحمه الله فان من تتصفح هذه الآية
فقد دخل في عرى الاسلام كلها واخذ بجوامع الخير عليه وهو الايمان
بالله وهو انه لا الٰه الا هو وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة
بين الله ورسله والكتاب وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السما
على الانبيا حتى ختمت بافضلها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من
الكتب الذي اتى بالحق اليقين واشتمل على كل سعادة في الدنيا والاخرة
ومتضمن به كل ما سواه من الكتب قبله ومن بلغنا الله علمه من اولهم الى
خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين ﴿ وقوله
وآتى المال على حبه اي اخرجه وهو محب له راغب فيه نص على ذلك
ابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف والخلف ﴿ حدثنا
جرير ابن عبد الحميد عن عمارة ابن القعقاع عن ابي زرعة عن ابي هريرة
قال قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال لتتان ان تصدق
وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخاف الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان ﴿ وقد روى
الحاكم في مستدركه من حديث شعبة والثوري عن منصور عن زبيد
عن مرة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتى المال على حبه
ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل الغنى وتخشى الفقر ثم قال صحيح
على شرط الشيخين ولم يخرجاه ﴿ وقد رواه وكيع عن الاعمش وسفيان

عن

عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود موقوفا وهذا اصح والله اعلم وقال
تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة نمط اخر ارفع من هذا وهو انهم اثروا باهم مضطرون
اليه وهو لا اعطوا واطعموا اياهم محبون له ﴿ وقوله
ذوي القربى وهم قرابات الرجل هم اولى من اعطى من الصدقة ﴿ حدثنا
وكيع قال ابنا ابن عون عن حفصة بنت سيرين عن الرباب ام الرائح سمعت
عن سلمان ابن عامر الضبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين
صدقة وهي على ذي القربى اثنتان صلة وصدقة ﴿ فهم اولى الناس بك
وبرك واعطائك وقد امر الله تعالى بالاحسان اليهم في غير ما موضع من كتابه
العزيز ﴿ وقوله تعالى واليتامى هم الذين لا كاسب لهم وقد مات اباؤهم
وهم صغار صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب وقال عبد الرزاق
انا معمر عن هوبر عن الضحاك عن المنهال ابن عنبسة عن علي عن رسول الله صلى الله
عليه وقال لا يتم بعد احتلام وقوله تعالى والمساكين وهم الذين لا
يجدون ما يكفيهم في قوتهم وحوائجهم وشكناهم فيعطون ما تسد
به حاجتهم وخلتهم ﴿ حدثنا عبد الرحمن قال انا حماد عن محمد بن زياد
سمعت ابا هريرة يقول سمعت ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ليس المسكين
بالطواف الذي ترده التمرة والتمرتان والاكلة والاكلتان ولكن المسكين
الذي لا يجد غنا يغنيه ولا تعلم به فيتصدق عليه
وان تسئل وهو الملح فالملحفا الذي قد فرغت نفقته فتعطى
ما يوصله الى بلده وكذلك الذي يريد سفرا في طاعة فيعطى ما يكفيه
في ذهابه وايابه ويدخل في ذلك الضيف كما قال علي ابن ابي طلحة عن ابن
عباس انه قال ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل المسلمين وكذا قال مجاهد
وسعيد ابن جبير وابو جعفر الباقر والحسن وقتادة والضحاك
والزهري والربيع ابن انس ومقاتل ابن حيان ﴿ والسائلين
وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات
حدثنا وكيع وعبد الرحمن لا ناشفين عن مصعب بن محمد عن علي ابن

قوله تعالى فما اصبرهم على النار

خبر تعالى انهم في عذاب شديد عظيم هائل يعجب من دوامه من صبرهم على ذلك من شدة ما هم فيه من العقاب والنكال والاغلال نعوذ بالله من ذلك وقوله فما اصبرهم على النار ما في موضع رفع والكلام تعجب عجب الله به المؤمنين واصبر فعل فيه ضمير الفاعل وهو العايد على ما ويجوز ان يكون ما استفهاما هنا وحكى في الاعراب عجبا اذا كانت تعجبا وهي نكرة غير موصوفة تامة سقطها وصل هي بمعنى اي اصبرهم الله على النار

قوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب

بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد اي انما استحقوا هذا العذاب الشديد لان الله تعالى انزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء قبله كتبه تحقيق الحق وابطال الباطل وهو لا محالة واقع بهذا وهذا هزوا فكتبا بها يامرهم باظهار العدل ونشره ونهاهم عن المنكر الذي تحاولها عليهم الامم قبلهم فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر يحللون ويحرمون ويحكمون بصفته فاختلفوا في الكتاب الذي انزله على نبيه فلهذا استحقوا العذاب والنكال لهذا قال تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم

قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ٥ قال

والرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ٥ اشتملت هذه الاية الكريمة على اجمل عظيم وقواعد علم ومعقده مستفهه كما قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي قال ثنا عبيد بن هشام الحلبي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عامر بن شقيق عن عبد الكريم عن مجاهد عن ابي ذر قال سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فتلا عليه ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ٥ قال ثم سال ايضا فتلا عليه ثم سال فقال اذا عملت حسنة احبها قلبك واذا عملت سيئة ابغضها قلبك وهو امنقطع في مجاهد ثم مرسل ابو ذر غفار مات قديما ٥ وقال المسعودي حدثنا القاسم ابن عبد الرحمن ان رجلا جاء رجل الى ابي در فقال له الايمان فقرا عليه هذه الاية ليس البر ان تولوا وجوهكم حتى قرء عنها فقال الرجل ليس عن هذا سالتك فقال ابو ذر ما رايت رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليه هذه الاية فابا ان يرضى حتى علم ان قد رضي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار بيده المؤمن اذا عمل حسنة سرته وزجرته واذا عمل سيئة احزنته وجاءت عقابها رواه ابن مردويه وهذا ايضا منقطع والله اعلم ٥ وقال ابن جرير في هذه الاية قال الله تعالى لما امر المؤمنين اولا بالتوجه الى بيت المقدس ثم حولهم الى الكعبة شق ذلك على كثير من طائفة من اهل الكتاب وبعض المسلمين فانزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك وقوان المراد انما هو طاعة الله عز وجل وامتثال الامر في التوجه حيث ما وجه وابتاع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل وليس في لزوم التوجه الى جهة من الشرق او المغرب بمجرد لا طاعة لان لم يكن عن امر الله وشرعه ولهذا قال ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الاية كما قال تعالى في الاضاحي والهدايا لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينال التقوى منكم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالمله فلا يجوز الاكل منه والاولى فى النار وغيرها انها لا يأكلها الا ملفها
من الخلاف والاخبار على التحريم ٥

من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا
النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ان
يقول تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب يعنى اليهود
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم التى بايديهم ويشترون به
بالرشا والسحت فكتموا ذلك لئلا يذهب رياستهم وما كانوا
يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف لتعظيمهم اياهم فيقول الله
ان اظهروا ذلك ان شعشعة النار تزيد بطونهم نارا فعلموا ذلك بقاء
على ما كان يحصل لهم من ذلك وهو شئ يسير فاعدا ان يشتهر بذلك
واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق واتباع الرشد والاعراض عما عند
الله من ذلك الشئ اليسير فخابوا وخسروا فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا
فان الله اظهر لعباده صدق رسوله بما ضمنه وجعل معه من الايات
الظاهرات والدلايل القاطعات فصدقه الذين كانوا اخافون ان
يتبعوه وصاروا عونا له على قبايلهم وما عصفت على عصفت لوذعيهم الله
فى كتابه فى غير ما موضع من ذلك هذه الاية الكريمة ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك
ما يأكلون فى بطونهم الا النار اى انما ياكلون
ما يأكلونه فى مقابلة كتمان الحق نارا تاجج فى بطونهم يوم القيمة
كما قال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وفى الحديث الصحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الذى يأكل او يشرب فى انية الذهب والفضة
انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ٥ وقوله تعالى ولا يكلمهم الله
يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وذلك لانه غضبان اليهم

لانهم

لانهم كتموا وقد علموا فاستحقوا الغضب فلا ينظر اليهم ولا يزكيهم اى يثنى
عليهم ويمدحهم بل بعد ذلك عذاب اليم ثابت حديث وضيع قال الاعمش عن
ابى عازم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة
ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر
ثم قال تعالى مخبرا عنهم واولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى اعتاضوا
عن الهدى وهو ما شرع فى كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة
به فى كتب الانبياء واتباعه وتصديقه استبدلوا عن ذلك واعتاضوا عنه
بالضلالة وهو تكذيبه والكفر به وكتمان صفاته فى كتبهم والعقاب
بالعفو اى اعتاضوا عن المغفرة بالعذاب وهو ما تعاطوه من اتباعه
المذكوره

الضروره ما تزال ولكن الضروره امر معتبر وجوده حقيقته لا يكتفى
فيه بالمظنه بل متى وجدت الضروره ولو تحققت سواء وجدت المظنه او
لم توجد ومتى انتفت لم يبح الاكل لوجود مظنه الحال ٥ قال
اصحابنا ليس للمضطر في شبع المعصيه الا اكل الميته كقاطع الطريق
والابق لقول الله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ٥ قال مجاهد
غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم وقال سعيد بن جبير اذا خرج قاطع
الطريق فلا رخصه له في ذلك ولو تاب ولو قلع عن معصيته حل له الاكل ٥ قيل
وهل للمضطر التزود من الميته على روايتين اصحهما له ذلك لان هو تناول
ذلك لانه لا ضروره في استصحابها ولانه في اعدادها لدفع ضروره توقعا
حاجته ولا يأكل منها الا عند ضروره ٥ والثانيه لا يجوز لانه يتوسع
فيها بيع الا للضروره وفي اباحته تصيد اقوال قيل يحرم لانه صيد
اباه ولانه لما يبح له منها ما يدفع الضروره ولا ضروره الى البيع ولانه لا
يمكنه دفعه اعطاء الا خر عوضا والمكن هو متصيد الى المال
فاشبه ما لو لان ضروره الذي معه موجوده وحاملها في الضروره تبارح
الحال ٥ فتصل ومن قال ان يأكل منها ولا يحمل هذا
محتمل انه اراد في حال الجوع والحاجه لانه ذكر عقيب من الا المضطر قال
احمد اذا لم يكن عليها حايط يأكل اذا انتجعا واذا لم يكن جايعا فلا يأكل
وقال قد فعله غير واحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اذا كان عليه حايط
لم يأكل لانه قد صار كشبه الحرز وقال في موضع اخر اذا كان عليه حايط
انه لم يعتبر هاهنا حقيقة الاضطرار لان الاضطرار يبيح ما وراء الحايط
وروي عنه الرخصه في الاكل من غير الحوط مطلقا من غير اعتبار
جوع ولا غيره وروي عن ابي ذويب التيمي قال سافرت مع انس بن
مالك وعبد الرحمن بن سمره واتي بسره فجعلوا يأكلون من الثمار فيلقون
نواهم وهو قول عمر وابن عباس وابي موسى قال عمر يأكل ولا يتخذ خبنه
وروي عن احمد انه قال يأكل ما نحت النسر واذا لم يكن تحت النسر فلا يأكل
ثمار الناس وهو غني عنه لا ضرب بحجر ولا يرمي لان هذا يفسد وقد روى

عن

عن رافع بن عمرو قال كنت اريي نخل الانصار فاخذوني فذهبوا بي الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع لم ترمي نخلهم قلت يا رسول الله الجوع قال لا ترم وكل
ما وقع تحتك اسناده واه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
وقال اكثر الفقهاء لا يباح الاكل لا في الضروره هذا رواي العرض ان شاء الله تعالى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا واني اوتيت هذا القرآن ومثله معه الا يوشك رجل
الا يأذن ولا يوشك رجل متكئ على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال
فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم لحوم الحمر الاهليه ولا كل ذي ناب من السباع
ولا لقطه معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه
فله ان يعقبهم بمثل قراه رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب سنه من ذي
ناب او مخلب فهو حرام رواه مسلم وعن ابي هريره قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل
ذي ناب من السباع رواه الجماعه الا البخاري والترمذي وعن ابي ثعلبه الخشني قال حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشياء فعلم عرامه مثليه
الحاجه ثلاثا فانا جايك والاكل من غير تمر متحد ٥ وروى سعيد باسناده
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ولانه قول من سمينا من الصحابه
من غير مخالف يعلم فكان اجماعا وقد ثبت ان عمر قبل قدامه بن مظعون اكل قلنا امتناع
سعيد من اكله ليس لتحريمه لانه لا الف قد يمتنع من المباح عفه و
تنزها او تقذرا لما فيه من الدسم او لغير ذلك من الاسباب الصحيحه فاما حديثهم فهي مخصوصه
بما ذكرنا من الحديث والاجماع قال ابن عباس اذا كان الصنف محوطا لم يجز الدخول اليها
لقول ابن عباس ان كان عليها حايط فلا يأكل وان لم يكن عليها
حايط فلا بأس ولان اضراره بالحايط وصاحبه وعدم المسامحه فيه
قال بعض اصحابنا اذا كان بينهما طريق فهو كمنزله الحوط في انه لا يدخل
اليه ولا يأكل منه الا في الضروره ومن حصل في الاكل من غير الحوط
الاكل من الزرع وهو ان يأكل ما يحتاج اليه فقط فاما ما يحمله فليس
الزرع وفي اباحة ما يحمله من الزرع ان يمسن منه وجهان كالثمار
خلقها لينبه على الاكل من رطبه والنفوس تتوق اليها والزرع بخلافها والثانيه
لا يأكل من الضريك لانه العاده جاريه بالاكل رطبا اشبه الثمر وكذلك الحكم
في الباقلا والحمص وشبهه مما يؤكل رطبا فاما الشعير وما لم تجر العاده

قال الحلال ما احله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت
عنه فهو مما عفي عنه وذكر القرطبي عن الحسن البصري انه سئل عن امرأة
عملت خرسانا للعبها فحبلت فنه جزورا فقال لا تتوكل لانها ذبحت لصنم
وأورد القرطبي عن عائشة انها سئلت عما يذبحه العجم في اعيادهم فيهدون
منه للمسلمين فقالت ما ذبح لذلك اليوم فلا تاكلوه وكلوا من اشجارهم
فصل ومن اضطر الى الميتة فلا يأكل منها الا ما يمسك معه الموت
اجمع العلماء على تحريم الميتة حال الاختيار وعلى اباحة الاكل منها في
الاضطرار وعلى ذلك سائر المحرمات والاصل في هذا قول الله تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ويباح
له اكل ما يسد الرمق ومن معه الموت بالاجماع ويحرم ما زاد على
الشبع بالاجماع انتصارا في ذلك روايتان لظاهرهما الا ما حرره وهو قولنا في
حنبله واحدى الروايتين عن مالك واحد القولين للشافعي في
المتن يأكل قدر ما يقيمه لان الاية دلت على تحريم الميتة واستثنى ما
اضطر اليه فاذا اندفعت الضرورة لم يحل له الاكل كما لو ابتدأ به بعد
سد الرمق غير مضطر فلم يحل له الاكل الا محققة انه بعد سد رمقه
كهو قبل ان يضطر ولم يبح له الاكل وختي هذا والثانية
يباح له الشبع اختارها ابو بكر لما روى جابر بن سمرة ان رجلا نزل الحرة
فنفقت عنده ناقة فقالت له امرأته اسلخها حتى نقدد شحمها ونأكله
فقال حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فسأله فقال له
يغنيك قال لا فقطعوا واطبخوا ولان ما اباحه
سد الرمق منه جاز الشبع منه كالمسح ويحتمل ان يفرق بين ما اذا
كانت الضرورة مستمرة وبين ما اذا انتهت الى زوال فاذا كانت
مستمرة كحال الاعرابي الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشبع
لانه اذا اقتصر على ما يدفع الضرورة لم يأمن عودها
من النهلة عن الميتة بخلاف الضرورة المنقطعة ويحتمل ان يضعف
بدنه ويزداد ذلك الى الغد فلا يأتي ثانية مستمرة فلهذا جوزنا الشبع

ها هنا على ما علل به والله اعلم اذا ثبت هذا فان الضرورة المبيحة هي
التي يخاف التلف بها لو ترك الاكل فالامام احمد اذا كان يخشى على نفسه
سواء كان من جوع او خاف ان ترك الاكل عجز عن المشي وانقطع عن الرفقة
فهلك او بحث عن الركوب فهلك ولا يتقيد ذلك بزمن محصور
وهل يحب الاكل من الميتة على المضطر فيه وجهان احدهما يجب وهو قول
مسروق واحد الوجهين لاصحاب الشافعي قال الاثرم قيل لابي عبد الله عمن
المضطر يجد الميتة ولم يأكل فيموت قول مسروق من اضطر فلم يأكل ولم يشرب
فمات دخل النار هو هذا اختيار ابن حامد وذلك لقول الله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وترك الاكل مع امكانه في هذه الحال القاء بنفسه الى التهلكة
وقال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ولانه قادر على احياء
نفسه بما احله الله له فلزمه كما لو كان معه طعام حلال والثاني لا يلزمه
لما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
الروح حبة في بيت وجعل معه خمرا وسما وطعاما وطعم خنزير مشوي فاتاه ثلاثة ايام
فاكل ولم يشبع حتى مات رواه سعيد ولانه خوف الجوع والعطش وخشي موته فاشبه
ما لو كان مقيما ولان الله تعالى انما احل له الاكل للاضطرار ولكن لم اكن لاشتهيه عند من الاسلام
ولان اباحة الاكل رخصة فلا تتناول غير الرخص ولان له عوضا في احتمال النجاسة
في الاحد فلم يجز ان يتناول الميتة وخالف غيرها
الاصل ان الله تعالى حرم الخبائث وتبيح المحرمات عند الاضطرار
الى ما حرم من الخبائث فيجب ان يكون ما يباح عند الاضطرار غير مقيد بأحد الحالتين
وقول عمر ليس بمخصص لان الاضطرار يكون في
المخمصة وتخصيص الحاجة بالذكر لانها حاجة الى حفظ النفس عن الهلاك
لكون هذه المخمصة في المدينة فخصص الحاجات الدائمات والصيانة عن تناول
المستخبثات ثم هذا الحكم في الحالين بظاهر كلام احمد ان
لا يحل الا ما يسد الرمق وروي عن احمد انه قال اكل الميتة
انما يكون في الشيء اليسير يتبلغ به المضطر على السؤال وهذا من احمد يدل على
الغالب من حال المضطر بعجلته الطعام الحلال ومن دفع

الى وقوع الضروره ولا يدفعها عنهم وكذلك ان كان لغوا في شفه ومعه
قدر كفايته من غير فضله لم يلزمه بذلها مسامحة للمضطرين ولم يفرق
اصحابنا بين هذه الحال وبين كونه لا يتضرر بدفع ما معه اليهم في ان
ذلك واجب عليه لكونه غير مضطر في الحال والاخر مضطر فوجب
تقديم حاجة المضطر ولنا ان هذا مفض به الى هلاك نفسه وهلاك
عياله فلم يلزمه كما لو امكنه اتخاذ الطعام بتغريق نفسه ولان في بذل
الفاضل عما ذكرنا التعرض للهلاك وقد نهى الله عز وجل عن ذلك ٥ والمضطر حب
عليه اكل الميته في ظاهر مذهب الائمه الاربعه وغيرهم لا النوال والى
ذلك ذهب الامام احمد انه يجب على المضطر اكل الميته لقوله تعالى
فمن اضطر غير باغ ولا عاد قد قيل انهما صفه للشخص مطلقا فالباغي
على امام المسلمين واهل العدل منهم كما قال تعالى فان بغت احداهما على
الاخرى فقاتلوا التي تبغي والعادي كالصائل قاطع الطريق الذي يريد
النفس والمال وقد قيل انهما صفه لضروره فالباغي الذي يبغي المحرم
مع قدرته على الحلال والعادي الذي يتجاوز قدر الحاجه كما قال فمن
اضطر في مخمصه غير متجانف لاثم وهذا قول اكثر السلف وهو الصواب
لا ريب وليس في الشرع ما يدل على ان العاصي بسفره لا ياكل الميته ولا
يقصر ولا يطبل نصوص الكتاب والسنه عامه مطلقه كما هو مذهب
كثير من السلف وهو مذهب ابي حنيفه واهل الظاهر وهو الصحيح
والمضطر الى طعام الغير ان كان فقيرا فلا يلزمه عوض اذ الطعام
الجايع وكسوه العاري فرض كفايه ويصير فرض عين على المعين
اذا لم يقم به غيره فان لم يكن بيده الا ما لا غنى به عنه وقت وما يتم به ووصيه
وبحو ذلك فهل يجوز صرفه في ذلك او يفرق بين ما يكون من جنس
الجهه فيصرف وبين ما يكون من غير جنسها فلا ٥ تردد نظر اي
العباس في ذلك على انه ان كان غنيا لزمه العوض اذا الواجب
معاوضته واذا وجد المضطر طعاما لا يعرف مالكه وميته فانه ياكل
الميته اذا لم يعرف مالكا للطعام وامكن رده اليه بعينه اما اذا تعذر

رده

رده الى مالكه بحيث يصرف الى الفقراء كالمغصوب والامانات
التي لا يعرف مالكها فانه يقدم ذلك على الميته واذا كانت الحاجه
الى عين قد تبعت ولم يمكن المشتري من قبضها فينبغي ان يخير المشتري
بين الامضاء والفسخ كما لو غصبها غاصب لانه في كلا الموضعين اخذت
بغير اختياره على وجه يمكن من اخذ عوضها الا ان الاخذ كان
في احد الموضعين بحق وفي الاخر باطل وهذا انما تاثر في الاخذ
لا في الملك فيرد منه لكن يحتاج الى الفرق بين ذلك وبين استحقاق اخذ
الشقص بالشفعه فيفرق بينهما ان المشتري هناك
يعلم ان الشريك يستحق الانتزاع فقد رضي بهذا الاستحقاق بخلاف
المشتري لفقير من ضيعة ثم حدث مضطر اليها ولو كانت الضروره
الى منافع موجرة مثل ظهر دابه وسكنى دار ونحو ذلك مما يحتاج اليه
الموجر والمتاجر فان قلنا بوجوب القيمه فهي كالاعيان وان
قلنا لا لانه لما استحق اخذها بغير عوض كان ذلك معنوله ملكها بما يسمى ولو تلفت
وحيث اوجبنا الضيافه فالواجب المعروف عاده كالزوجه والقريب
والرفيق ومن امتنع من اكل الطيبات بلا سبب شرعي مبتدع مذموم
وما نقل عن الامام احمد انه امتنع من اكل الطبيخ لعدم علمه بكيفيه اكل
النبي صلى الله عليه وسلم له كذب ٥ فصل روى الشافعي والامام
احمد مرفوعا احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال
وفي المسند والموطا والسنن قوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته فصح اله ولبن الميته
وبيضها المتصل بها نجس للمجاوره وكذلك انفحه الميته فيها الخلاف
والمشهور عندهم انها نجسه وقد اورد على انفحه اكل الصحابه من
جبن المجوس فقال القرطبي في بعض طعامنا ما خالطه اللبن من الانفحه
يسير ويعفى عن قليل النجاسه اذا خالطا لكثير من المايع وقد روى
ابن ماجه عن سلمان سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفرا

بجهدنها وتقديم المنصوص عليه اولى فان لم يجد ميتة ذبح العبيد واكله
نص عليه الامام احمد لانه يضطر اليه عينا وقد قيل ان في الصيد
محرمات ثلاثا تحريم قتله واكله وتحريم الميتة لان ما ذبحه المحرم من الصيد
يكون ميتة فقد ساوى الميتة في هذا وفضل عليها بتحريم القتل والاكل
ولكن يقال على هذا ان الشارع اذا اباح له ذبحه لم يصر ميتة ولهذا
لو لم يجد الا ميتة فذبحه كان ذكيا طاهرا وليس بنجس ولا ميتة ولهذا
تتعين عليه في محل الذبح وتعتبر شروط الذكاة فيه ولا يجوز قتله ولو
كان ميتة لم تتعين ذلك عليه ٥ وان ذبح المحرم الصيد
عند الضرورة جاز له ان يشبع منه لانه لم يذك لاجل غيره لاداي سواه
فاشبه الشبع منه كما لو ذبحه حلال من غير اجله فان لم يجد
المضطر شيئا لم يبح له اكل بعض اعضائه وقال بعض اصحاب الشافعي
له ذلك لان له ان يحفظ الجملة بقطع عضو كما لو وقعت فيه الاكلة
ولنا ان اكله من نفسه ربما قتله فيكون قاتلا لنفسه ولا يتيقن
حصول البقاء بأكله اما قطع الاكلة فانه يخاف الهلاك بذلك العضو فابيح
له ابعاده ودفع ضرره المتوجه منه بدفعه كما ابيح قتل الصائل
عليه ولم يبح له قتله ليأكله ٥ وان لم يجد الا ادميا محقون
الدم لم يبح له قتله اجماعا ولا اتلاف عضو منه مسلما كان او كافرا
لانه مثله فلا يجوز ان يبقي بتلفه وهذا لا خلاف فيه وان كان
مباح الدم كالحربي والمرتد فذكر القاضي ان قتله واكله لان قتله مباح
وهكذا قال اصحاب الشافعي لانه لا حرمة له فهو كمن قتله الشباع
وان وجده ميتا ابيح اكله لان اكله مباح بعد قتله فكذلك بعد موته
وان وجد معصوما ميتا لم يبح اكله في قول اصحابنا وقال الشافعي
وبعض الحنفية يباح وهو اولى لان حرمته الحي اعظم فلا يبعد ان داود
اباح الشافعي اكل لحوم الانبياء واحتج اصحابنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم

كسر

كسر عظم الميت ككسر عظم الحي واحتج به الخطابي ان له اكله وقال
لا حجة في الحديث هذا لان الاكل من اللحم لا من العظم والمراد بالحديث
التشبيه في اصل الحرمة لا في مقدارها بدليل اختلافهما في الضمان والقصاص
ووجوب صيانة الحي عما لا يجب به صيانة الميت ٥ فصل فان
لم يجد الا طعاما لغيره مالكه اخذه وهو المعنى بقوله اعطاه
ثمنه الا ان يكون بثمن مثله في ضرورته ٥ وجملته انه اذا اضطر
فلم يجد الا طعاما لغيره نظر فان كان صاحبه مضطرا اليه فهما
احق به ولم يجز لاحدهما اخذه من الآخر لاستوائهما في الضرورة وان اخذه
احدهما لزمه ضمانه لانه قتله بغير حق وان لم يكن صاحبه مضطرا
اليه لزم بذله للمضطر لانه يتعلق به انقاذ نفس آدمي معصومة
فلزمه بذله كما يلزمه بذل الماء لمن خاف على نفسه من العطش والحر
فان لم يفعل ظلما واخذه منه لم يضمنه لانه مستحق لا يدرأ عن نفسه
اخذه كعين ماله فان اضطر في ذلك الى قتال قاتله عليه فان
قتل المضطر هدر دمه وعلى قاتله ضمانه وان اخذه الى قتاله صاحبه
فهو هدر لانه قاتل دافعا عن نفسه والاولى ان يكلفه المضطر شراء
او استرضاء فان لم يقدر الا بقتاله عليه لم يجز الوصول اليه بقتاله
لجواز ان لا يكون من غرضه قتله وقد ذكرنا فيما ان قتاله الاول لا يجوز
لم يجز له قتاله ثانيا لان الوصول اليه بدونه وان اشتراه باكثر من ثمن مثله
لم يلزمه الا ثمن مثله لانه مضطر مستحق لبقيته وله معه حق
كالجائع اذا وجد رغيفا عند رجل فله اخذه والزامه في ذمته بثمن مثله
لما روى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ما حق الجار على الجار قال
ما حق الاخ على اخيه اذا استطاع يبتاع منه ويعود عليه اذا مرض
وذكر فصلا طويلا اشتمل على ستة اشياء ولانه اذا جاز له اخذه
بغير ثمن كثيرا وكان مخيرا بين اخذه بغير ثمن وبين اخذه بثمن
عليه لم يلزمه بذل المنفعة بغير ثمن فلا يلزمه اخذه بثمن لان ذلك يفضي

قوله تعالى ما حرم عليكم الميتة والدم

ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
عليه ان الله غفور رحيم ۝ لما امتن تعالى عليهم برزقه وارشدهم
الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا الميتة وهي التي تموت بحتف
انفها من غير تذكية وسواء كانت مصفقة او موقوذة او متردية او نطيحة
او قد عدا عليها السبع وكذلك حرم عليهم لحم الخنزير سواء ذكي او مات
حتف انفه ويدخل شحمه في حكم لحمه اما تغليبا وان اللحم يشمل ذلك او
بطريق القياس على راي وكذلك حرم عليهم ما اهل به لغير الله وهو
ما ذبح على غير اسمه تعالى غير الانصاب والازلام والاوثان ونحو ذلك
مما كانت الجاهلية ينحرون له ثم اباح تبارك وتعالى تناول ذلك عند
الضرورة والاحتياج اليها عند فقد غيرها من الاطعمة فقال فمن اضطر
غير باغ ولا عاد اي غير طالب للمحرم ولا متجاوز الحد فلا اثم
عليه اي في اكل ذلك ان الله غفور رحيم قال مجاهد فمن اضطر غير باغ ولا
عاد اي غير باغ على امام جائر ولا متجاوز الحد فلا اثم عليه اي في
اكل ذلك قاطعا السبيل ومفارقا للائمة وخارجا في معصية الله فله
الرخصة ومن خرج باغيا او عاديا او في معصية الله فلا رخصة له وان
اضطر اليه وهذا روي عن سعيد بن جبير وقال سعيد في رواية عنه
ومقاتل بن حيان غير باغ يعني غير مستحل وقال السدي غير باغ يشتهي
فيه شهوته وقال عطا الخراساني في قوله غير باغ قال لا يتوي من الميتة
لشهوته ولا يطيقه ولا ياكل الا العلقة ويحمل معه ما يبلغه الحلال
فاذا بلغه القاه وعن ابن عباس لا يشبع منها وفي رواية عنه
وعن ابن عباس غير باغ ولا عاد قال غير باغ في الميتة ولا عاد في اكله
وقال مجاهد فمن اضطر غير باغ قال غير باغ ولا عاد اي في اكله ان
يتعدى حلالا الى حرام وهو محكي عنه من وجه وقال مقاتل بن حيان
في قوله ولا اثم عليه ان الله غفور رحيم فيما اكل من اضطرار وبلغنا والله اعلم

انه

انه لا زاد على بلاث لقم وقال وسيع حدثنا الاعمش عن ابي الضحى
عن مسروق قال من اضطر فلم ياكل ولم يشرب ثم مات دخل النار ۝
فصل ومن اضطر فاصاب الميتة وخنزيرا لا يعرف مالكه فله اكل
الميتة وبهذا قال سعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وقال مالك ان كان يرتصد فتونه
انه مضطر اكل من الزرع والثمر وشرب اللبن وان خاف ان تقطع يده
او تقتل منه اكل الميتة ولاصحاب الشافعي وجهان احدهما ياكل الطعام
وهو قول عبد الله بن دينار لانه قادر على الطعام الحلال فلم يجز له اكل الميتة
كما لو بذل له صاحبه ۝ ولنا ان اكل الميتة منصوص عليه وماله
الا دمي مجتهد فيه فالعدول الى المنصوص عليه اولى ولان حق الله
تعالى مبنيه على المسامحة والمساهلة وحق الادمي مبني على الشح والتضييق
ولان حق الادمي يلزمه غرامته وحق الله تعالى لا عوض له ۝ فصل
اذا وجد المضطر من يطعمه وتيقن ذلك حل له الامتناع من الاكل والشرب
ولا العدول الى اكل الميتة الا ان يخاف ان يتبعه فيه او يكون الطعام الذي
يطعمه مما يضر ويخاف ان يهلكه او يمرضه ۝ فصل وان وجد طعاما
مع صاحبه فامتنع من بذل له او بيعه منه ووجد ثمنه لم يجز له اكل الميتة
عليه واخذه منه وعدل الى الميتة سواء كان قويا يخاف بمكابرته التلف
او لم يخف فان بذل له بثمن مثله وقدر على الثمن لم يحل له اكل الميتة لانه قادر
على طعام حلال وان بذل له بزيادة على ثمن المثل لا يجحف بماله لزمه شراءه
اضعافا لما ذكرناه وان كان عاجزا عن الثمن اذا وفي حكم العادم وان امتنع
من بذله الا باكثر من ثمن مثله فاشتراه المضطر بذلك لم يلزمه الا ثمن
ثمن مثله لان الزيادة احوج الى بذلها فلم يلزمه كالمكره ۝ فصل
وان وجد المحرم ميتة وصيدا اكل الميتة وبهذا قال الحسن ومالك وابو
حنيفة واصحابه وقال الشافعي في احد قوليه ياكل الصيد ويفديه
وهو قول الشعبي لان الضرورة تبيحه ومع القدرة عليه لا يحل الميتة
لغناه عنها ولنا ان اباحة الميتة منصوص عليها واباحة الصيد

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ٥ وقال
تعالى ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم
وقال تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور ٥ وقال تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف
ايا تعبدون ٥ وقال ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ٥ وقال
يترك على امر عباده المؤمنين الا من الطيبات ما رزقهم
وان يشكروا على ذلك ان هذا من عبده والاكل من الحلال سبب لقبول
الدعاء والعبادة وقد ثبت ان الاكل من الحلال سبب لقبول الدعاء حدثنا
ابو النضر قال حدثنا الفضل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن ابي حازم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا
يقبل الا الطيب وان الله عز وجل امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك
حدثنا هناد وابو زرعة وغير واحد قالوا حدثنا يحيى بن زكريا بن ابي زائدة
عن هلال بن مقلاص الصدفي عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن شعيب
المدني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا وعمل في سنة
الناس ودخل الجنة فقال رجل يا رسول الله ان هذا في الناس اليوم
لكثير قال نعم وفي قرون بعدي اما هذا حديث غريب لا نعرفه
الا من حديث اسرائيل عن محمد بن عبيد عن موسى بن ابي عائشة
ولا نعرف لموسى بن ابي عائشة عن ابي هريرة غير هذا الحديث
مع ما ذكرنا من الاحاديث في الباب دليل على ان من طلب
ما احل الله له من الطيبات ليستعين به على طاعة الله
عز وجل فهو من المجاهدين في سبيل الله

فغسلنا مجالس الغلمان من ايديهم ثم جئ بالطعام فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده ووضع القوم ايديهم فنظر له القوم وهو يلوك لقمته
لا يجيزها فرفعوا ايديهم وغفلوا عنا ثم ذكروا فاخذوا بايدينا فجعل
الرجل يضرب الله ببده حتى تسقط ثم امسكوا بايدينا ينتظرون
ما يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها فالقاها فقال اجد لحم شاه اخذت
بغير اذن اهلها فقامت المرأة فقالت يا رسول الله انه كان في نفسي
ان اجعك ومن معك على الطعام فارسلت الى البقيع فلم اجد شاه
تباع وكان عامة ابل اهل البادية ومن يتبع امر شاه من البقيع فارسلت
اليه ان ابتغ لي شاه في البقيع فلم يوجد فذكر لي انك اشتريت شاه
فارسل بها الي فلم اجده الرسول وجاء اهله فدفعوها الي رسولي ٥
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموها الاسارى ٥ حدثنا عبد الصمد
قال حدثنا حماد عن حميد عن ابي المتوكل عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاه واتخذت لهم طعاما فلما رجع
قالت يا رسول الله انا اتخذنا لكم طعاما فان دخلوا فكلوا فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا لا يبتدؤون حتى يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم
فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هذه شاه ذبحت بغير اذن اهلها فقالت المرأة يا نبي الله انا لا احتشم
منك سمعت ان تعاد ولا تحتشمون منا يأخذون منا ٥

اعلم من افترى على الله كذبا توجب اهل البدع كلهم داخلة تحت هذا
الجنس فلا تتحقق التوبة منه الا بالتوبة من البدع واني بالتوبة منها لمن
لم يعلم انها بدعة او نظنها سنة فهو يدعو اليها ويحض عليها فلا ينكشف
له ذا توبته التي يجب عليه التوبة منها الا بتضليعه من السنة وكثرة الاطلاع
عليها ودوام البحث عنها والتفتيش عليها ولا يترك صاحب بدعة كذلك
ابدا فان السنة بالذات تحقق البدعة ولا تقوم لها فاذا اطلعت شمسها
في قلب العبد قطعت من قلبه صنائب كل بدعة وازالت ظلمة كل ضلالة
اذ لا سلطان للظلمة مع سلطان الشمس ولا يرى العبد الفرق
بين السنة والبدعة ويعينه على الخروج من ظلمتها الى نور السنة
الاجتهاد المتابعة والهجرة بقلبه كل وقت الى الله تعالى بالاستعانة والاخلاص
وصدق اللجا الى الله والى رسوله بالحرص على الوصول الى اقواله واعماله
وهديه وسنته فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن هاجر الى غير ذلك توخطه وتصيبه في الدنيا والاخرة وبالله
المستعان ٥

انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون ٥ الشيء وجدته وتلافيته تداركته ٥
يقول تعالى اذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما انزل الله
على رسوله واتركوا ما انتم فيه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك
بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام والانداد
قال الله تعالى منكرا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعقلون اي الذين
يقتدون بهم ويقتفون اثرهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اي ليس لهم
فهم ولا هداية ٥

ثم قوله تعالى مثل الذين كفروا كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
النعيق صوت الراعي بغنمه وقد نعق الماء بغنه نعقا بالكسر
نعيقا ونعاقا ونعقانا اي صاح بها وزجرها قال الاخطل
وانوء ضاحية ناديتها نعقت كنعق الراعيات بينها
وحكى ابو عبيد نعق الغراب يصاب بين غير معجمة وضرب
تعالى لهم مثلا فقال لهم الذين لا ينتفعون بالاخر مثل البهيمة
وقال ابن عباس مثل الذين كفروا اي بهم من الغي والضلال
والجهل كمثل الناعق اذا دعا شاته فلا ترى الا اقباله
بها اي دعاءها الى ما لا ينفعها لا تعقل ولا تفهم الا
صوت الناطق هكذا روي عن ابن عباس وابي العالية وغير واحد
وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والربيع ابن
انس وهو اختيار ابن جرير وقال ضمرة عن ابي صالح عن ابن عباس
لا يتدبرون ما يقال لهم ولا يعقلونه وقال ابن زيد مثلهم في دعائهم
اي لا يعقلون شيئا مما يدعون

في حقوق العباد والاستطالة عليهم وعلى هذا فاقترن بالعدوان كان البغي ظلمهم بمحرم الجنس كالسرقة والكذب والبهت والايذاء بالاذى والعدوان تعدي الحق في استيفائه الى الزيادة منه فصار البغي والعدوان في حقهم كالاثم والعدوان في حدود الله فهنا اذا بغته امور حق لله ولحد حق لعباده وله حد فالبغي والعدوان والظلم تجاوز الحد الى ما ورائها او التقصير عنها فلا يصل اليها ٥ واما الفحشاء والمنكر فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تقديره التصدر الصفة وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء وهي ما ظهر قبحه لكل احد واستفحشته كل ذي عقل سليم ولهذا قيد بالزنا واللواط وسماه الله فاحشة لتناهي قبحه وكذلك القبيح من القول سمي فحشا وهو ما ظهر قبحه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه واما المنكر فصفة لموصوف محذوف ايضا اي الفعل المنكر وهو الذي تنكره العقول والفطر وتنسبه اليها كتنسمها الرائحة القبيحة الى حاسة الشم والمنظر القبيح الى العين والطعم المنكر الى الذوق والصوت المنكر الاذن فما اشتد انكارا العقول والفطر له فهو فاحشة كما فحش انكار الحواس له من هذه المدركات فالمنكر ما لم يعرف في شريعة ولا عادة فتأمل تفريقه بين ما لم يعرف حسنه ولم يألف وبين ما استقر قبحه في العقول والفطر ٥ واما القول على الله بلا علم وهو اشد هذه المحرمات تحريما واعظمها اثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والاديان ولا يباح بحال بل لا تكون الا محرمة وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال فان المحرمات نوعان محرم لذاته لا يباح بحال ومحرم تحريمه عارض في وقت دون وقت قال الله تعالى في المحرم لذاته قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ثم انتقل منها الى ما هو اعظم منه فقال والاثم والبغي بغير الحق ثم انتقل الى ما هو اعظم منه فقال وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال وان تقولوا على الله ما

لا تعلمون فهذا اعظم المحرمات عند الله واشدها اثما فانه يتضمن الكذب على الله ونسبته الى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما اثبته واثبات ما نفاه وتحقيق ما ابطله وابطال ما احقه وعداوة من والاه وموالاة من عاداه وحب ما ابغضه وبغض ما احبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله وليس في المحرمات اعظم عند الله منه ولا اشد اثما وهو اصل الشرك والكفر وعليه اسست البدع والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين اساسها القول على الله بلا علم ولهذا اشتد نكير السلف والائمة لها وصاحوا بأهلها من اقطار الارض وحذروا منهم اشد التحذير ونهوا في ذلك عما لم يأت لغوا مثله في انكار الفواحش والظلم والعدوان اذ مضرة البدع في الدين ولهذا فانها لم تبتدع قط الا على من نسبها الى شيء او تحريمه من عنده بلا برهان من الله سبحانه ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم فكيف بمن نسب الى وصفه ملك من صفة او نفى عنه ما وصف به نفسه قال بعض السلف ليحذر احدكم ان يقول احل الله كذا وحرم الله كذا فيقول له الله كذبت لم احل هذا ولم احرم هذا ومعنى التحليل والتحريم بالرأي المجرد بلا برهان من الله وهو اصل الشرك والكفر وهو القول على الله بلا علم فان المشرك يزعم انه اتخذه معبودا من دون الله ليقربه الى الله ويشفع له عنده ويقضي حاجته كما تكون الوساطة عند الملوك فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس اذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله وهو اعم من الشرك والشرك فرد من افراده ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبا لدخول النار واتخاذ مقر له منها مبوأه وهذا المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه لانه متضمن للقول على الله بلا علم بل الصريح الكذب عليه لان من اضاف الى الرسول فهو مضاف الى الله والقول على الله صريح افترا الكذب عليه ومن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في حقوق العباد والاستطالة عليهم وعلى هذا فإذا قرن بالعدوان كان
البغي ظلمهم بمحرم الجنس كالسرقة والكذب والبهت والابتدا بالأذى
والعدوان تعدي الحق في استيفائه إلى أكثر منه فيكون البغي والعدوان
في حقهم كالإثم والعدوان في حدود الله فهاهنا أربعة أمور حق لله
وله حد وحق لعباده وله حد فالبغي والعدوان والظلم تجاوز الحدين
إلى ما وراءهما أو التقصير عنهما فلا يصل إليهما ... وأما الفحشاء
والمنكر فالفحشاء صفة لموصوف قد حذف تجريدا لقصد الصفة
وهي الفعلة الفحشاء والخصلة الفحشاء وهي ما ظهر قبحها لكل أحد
واستفحشه كل ذي عقل سليم ولهذا فسرت بالزنا واللواط وسماه الله
فاحشة لتناهي قبحه وكذلك القبيح من القول يسمى فحشا وهو ما ظهر
قبحه جدا من السب القبيح والقذف ونحوه وأما المنكر فصفة
لموصوف محذوف أيضا أي الفعل المنكر وهو الذي تنكره العقول
والفطر ونسبته إليها كنسبة الرائحة القبيحة إلى حاسة الشم والمنظر
القبيح إلى العين والطعم المستكره إلى الذوق والصوت المنكر إلى الأذن
فما اشتد إنكار العقول والفطر له فهو فاحشة كما اشتد إنكار الحواس
له من هذه المدركات فالمنكر لها ما لم تعرفه ولم تألفه والقبيح المستكره
لها الذي تشتد نفرتها عنه هو الفاحشة ولذلك قال ابن عباس الفاحشة
الزنا والمنكر ما لم يعرف في شريعة ولا سنة فتأمل تفريقه بين
ما لم يعرف حسنه ولم يؤلف وبين ما استقر قبحه في العقول والفطر
فصل وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات
تحريما وأعظمها إثما ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب المحرمات
التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال بل لا تكون إلا
محرمة وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون
حال فإن المحرمات نوعان محرم لذاته لا يباح بحال ومحرم تحريمه عارض
في وقت دون وقت قال الله تعالى في المحرم لذاته قل إنما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال والإثم والبغي
بغير الحق ثم انتقل إلى ما هو أعظم منه فقال وأن تشركوا بالله ما لم ينزل
به سلطانا ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال وأن تقولوا على الله ما

لا

لا تعلمون فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما فإنه يتضمن الكذب
على الله ونسبته إلى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما أثبته وإثبات
ما نفاه وتحقيق ما أبطله وإبطال ما أحقه وعداوة من والاه وموالاة من
عاداه وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته
وصفاته وأقواله وأفعاله فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله
منه ولا أشد إثما وهو أصل الشرك والكفر وعليه أسست البدع
والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم
ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار
الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا
مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان إذ مضرة البدع وهدمها
للدين ومنافاتها له أشد وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل
شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال ولا تقولوا لما تصف
ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم
فكيف بمن نسب إلى أوصافه ما لم يصف به نفسه أو نفى عنه منها ما
وصف به نفسه قال بعض السلف ليحذر أحدكم أن يقول أحل الله كذا
وحرم الله كذا فيقول له الله كذبت لم أحل هذا ولم أحرم هذا
يعني التحليل والتحريم بالرأي المجرد بلا برهان من الله ورسوله وأصل
الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم فإن المشرك يزعم أن من اتخذه
معبودا من دون الله يقربه إلى الله ويشفع له عنده ويقضي حاجته بواسطته
كما تكون الوسائط عند الملوك فكل مشرك قائل على الله بلا علم
دون العكس إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع
في دين الله فهو أعم من الشرك والشرك فرد من أفراده ولهذا كان
الكذب على رسول الله صلى الله عم موجبا لدخول النار واتخاذ منزله منها
مبوأ وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه لأنه متضمن
للقول على الله بلا علم بل لصريح الكذب عليه لأن ما أضيف إلى الرسول
فهو مضاف إلى المرسل والقول على الله صريح افتراء الكذب عليه ومن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

[illegible]

الى لامه

اذ لا يجتمع لها البدل والمبدل فتثبت بدلها في ذمته تلزم بتقدير مالها
وهو شبهة في اسقاط القطع فرجحنا القول الاول يقولون
هذه العين تعلق بها حقان حق لله وحق لمالكها وهما حقان متغايران
لمستحقين متباينين فلا يبطل احدهما الاخر ويتوفيان معا
لان القطع حق لله والضمان حق للمالك ولهذا لا يسقط القطع
باسقاطه بعد الرفع الى الامام ولو اسقط الضمان سقط قالوا وهذا
كما اذا اكره امة غيره على الزنا لزمه الحد لحق الله والمهر لحق السيد
وكذلك اذا اكره الحر على الزنا بها لزمه الحد لحق الله والمهر لحق السيد
الزنا وقيمتها لمالكها وهو نظير ما اذا سرق نصابا فقطعت
يده لسرقته وضمنها لمالكها قالوا وكذلك اذا قتل في الاحرام صيدا
مملوكا لمالكه فعليه الجزاء لحق الله وقيمة الصيد لمالكه وكذلك اذا
غصب خمر ذمي وشربها لزمه الحد حقا لله ولزمه عند بعضهم
للذمي ولم يلزمه ضمانها عند الجمهور لانها ليست بمال فلا تضمن بالاتلاف
كالميتة قالوا واما قولكم ان قطع اليد مجموع الجزاء ان اردتم انه
مجموع العقوبة فصحيح ولكنه لم يلزم عليه عقوبة ثانية ولكن الضمان
ليس بعقوبة المسرقة ولهذا اجب في حق غير الجاني لو اتلف ملك
غيره خطأ او اكراها او في حال نومه او اتلفه اتلافا ملجئا اليه
كالمضطر الى اكله او المضطر الى القاء في البحر لثقل السفينة ونحو
ذلك فليس الضمان من العقوبة في شيء واما قولكم ان الله
عز وجل لم يذكر في القرآن تضمين السارق والمحارب فهو لم
ينفه ايضا وانما تلك عنده مما خوذ من قواعد الشرع
ونصوصه كقوله لمن اعتدى عليكم ونحو فانا اعتدى بالاتلاف
فمعتدي عليه بالتضمين ولهذا اوجبنا ارش العين اذا كانت
قائمة ولم يذكر في القرآن وليس هذا من باب الزيادة على النص بل
من باب اعمال النصوص كلها لا يعطل بعضها ويعمل بعضها وكذلك
الجواب عن قولهم في المحارب انما جزاء الذين يحاربون الله اي عقوبتهم
قالوا واما حديث محمد الكلبي عن ابي صالح عن ابي هريرة عن ابن عباس
ابراهيم عن مسروق وقد طعن في الحديث ابن المنذر وقال سعد بن
ابراهيم مجهول وقال ابن عبد البر ليث بالقوي واما استقرار
ذلك في فطر الناس ممن قال انه مستقر في فطرهم ان الغني الواجد
اذا اشرق مال فقير محتاج او يتيم واتلفه وقطعت يده انه لا يضمن
مال هذا الفقير واليتيم مع تمكنه من الضمان قدرته عليه وصرون
صحيحه وصحفه وهل المستقر في فطر الناس الا عكس هذا واما
قولكم لو ثبت في ذمته بعد القطع لكان قد ملكها فضعيف جدا
لانها بالاتلاف قد استقرت في ذمته ولهذا له المطالبة ببدلها
اتفاقا وهذا الاستقرار في ذمته لا يمنع القطع فانه يقطع بعد اتلافها
واستقرارها في ذمته فكيف يزيل القطع ما ثبت في ذمته ويكون
سببا له منه وتوسط فقهاء المدينة مالك وغيره بين القولين وقالوا
ان كان له مال ضمنها بعد القطع وان لم يكن له مال فلا ضمان عليه
وهذا استحسان حسن جدا وما قربه من محاسن الشرع واولاه بالقبول
والله اعلم

فصل

واما الاثم والعدوان فهما قرينان
قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان وكل منهما اذا افرد تضمن الاخر فكل اثم عدوان
اذ هو فعل ما نهى الله عنه وترك ما امر الله به وهو عدوان على
امره ونهيه وكل عدوان اثم فانه يأثم به صاحبه ولكن عنهما عبر انهما
فهما شيآن حسب متعلقهما ووصفهما فالاثم ما كان محرم الحق
كالكذب بحال الناس وشرب الخمر ونحو ذلك والعدوان ما كان
محرم القدر كالزيادة في العدوان تعدي ما ابيح منه الى القدر المحرم
كالاعتداء في اخذ الحق ممن هو عليه اما ان يعتدي على ماله او بدنه
او عرضه فاذا غصبه حشبة لم يرض عوضها الا ابرة واذا اتلف
عليه شيئا اتلف عليه اضعافه واذا قال فيه كلمة قال فيه اضعافها
فهذا حكم عدوان وتعد للعدل فهذا نوعان عدوان في حق الله
وعدوان في حق العبد فالعدوان في حق الله كما اذا تعدى ما

واصلحوا واعتصموا بالله اخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما وكذلك كان الصحيح من
القولين ان توبة القاذف الكتابية لانه ضد الذنب الذي
ارتكبه وهتك به عرض المسلم المحصن فلا تحصل التوبة الا
بالكذب نفسه ليتخلص عن المذموم العار الذي الحقه به بالقذف
وهو مقصود التوبة والماوردي لما رأى توبته ان يقول استغفر الله
من القذف وتعزيره محرم فتبول ضعيف لان هذا لا مصلحة فيه
للمقذوف ولا تحصل المصلحة به مما قدمناه فيه فلا تحصل به
مقصود التوبة من هذا الذنب فان فيه حقين حق الله وهو تحريم
القذف فتوبته منه باستغفاره واعتقاده تحريم القذف وندمه
عليه وعزمه على ان لا يعود وهذا للعبد وهو الحق العائد به
عقوبته منه فتعذيبه نفسه في التوبة من هذا الذنب مجموع الامرين
فان قيل اذا كان صادقا وعاين الزنا فاخبر به كيف يقع
له تعذيب نفسه وقذفها بالكذب ويكون ذلك من تمام توبته
قيل هذا هو الاشكال الذي قال صاحب هذا القول لاجله
ما قال ان توبته الاعتراف بتحريم القذف والاستغفار منه وهو
موضع يحتاج فيه الى بيان الكذب الذي حكم الله به على القاذف
والاستغفار واخبر انه كان به عنده ولو كان خبره مطابقا للواقع
فنقول الكذب يراد به امران احدهما الخبر الغير المطابق
لمخبره وهو نوعان كذب عمد وكذب خطأ فكذب العمد معروف
وكذب الخطأ كخبر ابي السنابل في قوله للمتوفى عنها اذا وضعت حملها
انها لا تحل حتى تتم اربعة اشهر وعشرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب
ابو السنابل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كذب من قالها لمن خيط على عامر
حيث قتل بغير حق خطأ ومنه قول عبادة انا لصمت كذب ابو محمد
حيث قال الوتر واجب ٥ فهذا كله من جنس الخطأ ومعناه اخطأ
قايل ذلك ٥ والثاني من اقسام الكذب الخبر الذي لا يجوز الاخبار
به وان كان مطابقا لمخبر كخبر القاذف المشهود بزوره القاذف والاخبار

به فانه كاذب في حكم الله وان كان خبره مطابقا لمخبر ولهذا قال تعالى فاذلم
يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون فحكم في مثل هذا ان يعاقب
عقوبة المفتري الكاذب وان كان خبره مطابقا وعلى هذا فلا تحقق
توبته حتى يعترف بانه كاذب عند الله كما اخبر الله تعالى به عنه فاذا
لم يعترف بانه كاذب وقد جعله الله كاذبا فاي توبة له وهل هذا
الا محض الاصرار والمجاهرة بما اكذبه حكم الله الذي حكم به عليه
فتسهل واختلف في توبة السارق اذا قطعت يده هل من شرطها
ضمان العين المسروقة ان كانت باقية او ان شرط توبته اداؤها اليه
اذا كانت موجودة بعينها او ان اختلفا اذا كانت تالفة مذهب الشافعي
رحمه الله تمام توبته ضمانها بالمثل او القيمة ويلزمه ذلك كان موسرا او اعسر
وقال ابو حنيفة اذا قطعت يده وقد استهلكت العين
لم يلزمه ضمانها ولا تتوقف صحة توبته على الضمان لان قطع اليد هو
المجعول جزاء لا التضمين بعقوبة زائدة عليه لا شرع قال وهذا الخلاف
انما اذا كانت العين قائمة فان صاحبها قد وجد عين ماله فله ان اخذها
بعقوبة بينه بعلانية التضمين فانه غرامة وقد قطع طريقه فلا يجمع عليه
غرامة القطع وغرامة المال قالوا ولهذا لم يسقط الله عز وجل عفو جناية رق
والمحاربة غير لازمة الحق عليها ولو كان الضمان لما التفت لزاجر الذكر
مع الحد ولما جعل مجموع جزاء المحاربين ما ذكر من العقوبة باداء الزنا التي
هي عندك للمجرد قال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم
ويقول هذا الكلام عبد من يجعل اداء المال للمجني عليه لا جزاء لهم غير ذلك
قالوا وقد روى الثقاتي في سننه من حديث عبد الرحمن ابن عوف عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قضى في السارق اذا اقيم عليه الحد انه لا غرم عليه
قال وهذا هو المتقرر في فطر الناس وعليه عملهم يقطعون
السراق ولا يغرمونهم ما اتلفوه من اكياس وبارك الله الموفق حسبنا الله
عبد الله حسن قالوا ولا يثبت في هذه البقعة القطع الا بشهادة

شبكة الألوكة www.alukah.net

واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما وكذلك كان الصحيح من
القولين ان توبة القاذف الفاسق مقبولة لانه ضد الذنب الذي
ارتكبه وهتك به عرض المحصن فلا تحصل التوبة الا
بالكذب نفسه لتفتضي عن المقذوف العار الذي الحقه به بالقذف
وهو مقصود التوبة واما من قال توبته ان يقول استغفر الله
من القذف ويتقيد بمحرم فيقول ضعيف لان هذا لا يحصل فيه
للمقذوف ولا يحصل لمسلم تبرأ عرضه مما قذف فيه فلا تحصل به
مقصود التوبة من هذا الذنب فان فيه حقين حقا لله وهو تحريم
القذف وتوبته منه باستغفاره واعترافه بتحريم القذف وندمه
عليه وعزمه على ان لا يعود وهذا للعبد وهو الجاني العائب به
وتوبته منه تتعذر به فيه فالتوبة من هذا الذنب مجموع الامرين
فان قيل اذا كان صادقا وغاية الزنا ان خبره كذب يقع
له تعذيب نفسه وقذفها بالكذب ويكون ذلك من تمام توبته
قيل هذا هو الاشكال الذي قال صاحب هذا القول لاجله
ما قال ان توبته الاعتراف بتحريم القذف والاستغفار منه وهو
موضع يحتاج فيه الى بيان الكذب الذي حكم الله به على القاذف
والاستغفار واخبر انه كان به عنده ولو كان خبره مطابقا للواقع
فنقول الكذب يراد به امران احدهما الخبر الغير المطابق
لمخبره وهو نوعان كذب عمد وكذب خطاء فكذب العمد معروف
وكذب الخطا كخبر ابي السنابل بقوله للمتوفى عنها اذا وضعت حملها
انها لا تحل حتى تتم اربعة اشهر وعشرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب
ابو السنابل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لمن خيط عمامة
حيث قتل نفسه خطا ومنه قول عبادة انا لصاحب كذب ابو محمد
حيث قال الوتر واجب ٥ فهذا كله من كذب الخطا ومعناه احطا
قائل ذلك ٥ والثاني من اقسام الكذب الخبر الذي لا تجوز الاخبار
به وان كان مطابقا لمخبره كخبر القاذف المقذوف بريء الساحة والاخبار

به فانه كاذب في حكم الله وان كان خبره مطابقا لمخبره ولهذا قال تعالى فاذ لم
يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون فحكم في مثل هذا ان عاقب
عقوبة المفتري الكاذب وان كان خبره مطابقا وعلى هذا فلا تتحقق
توبته حتى يعترف بانه كاذب عند الله كما اخبر الله تعالى به عنه فاذا
لم يعترف بانه كاذب وقد جعله الله كاذبا فاي توبة له وهل هذا
الا تحصيل الاصرار والمحاماة عما كذبه حكم الله الذي حكم به عليه
فصل واختلف في توبة السارق اذا قطعت يده هل من شرطها
ضمان العين المسروقة ان لها واجبوا على ان من شرط توبته اداؤها اليه
اذا كانت موجودة بعينها واما اذا اتلفها او اتلفت تالفة فقال الشافعي
واحمد في احد قوليه توبته ضمانها للمالك ويلزمه ذلك كان موسرا او معسرا
وقال ابو حنيفة اذا قطعت يده وقد استهلكت العين
لم يلزمه ضمانها ولا تتوقف صحة توبته على الضمان لان قطع اليد هو
المجزي الجناية او التضمين عقوبة زائدة عليه لا شرع قال وهذا الخلاف
انما هو اذا كانت العين قائمة فان صاحبها قد وجد عين ماله فله ان يأخذها
(بعقد به) بخلاف التضمين فانه غرامة وقد قطع طريقه فلا يجتمع عليه
غرامة القطع وغرامة المال قالوا ولانا نعلم ان الله عز وجل شرع عقوبة السارق
هو المحارب غير ملتفت الى حد عليها ولو كان الضمان لما انتفى لتأخر الذكر
مع الحد ولما جعل مجموع حد المحاربين ما ذكره من العقوبة باداء المال الى
هنا عبارة المختصر قال شيخنا انما حد الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون
في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف
او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم
ومن تأمل هذا الكلام حق التأمل اذاه انما الحصر انه لا اجزاء بعد ذلك
قالوا وقد روى الشافعي في حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قضى ان السارق اذا اقيم عليه الحد انه لا غرم عليه
قال وهذا هو المتقرر في فطر الناس وعليه عملهم انهم يقطعون
السراق ولا يغرمونهم ما اتلفوه من اموال الناس وهذا كله الموضوع حتى قرر
عبد الله حتى قالوا او لا ترى انه لو سرق بيته بعد القطع لكان عليه تحريمها

شبكة الألوكة www.alukah.net

هو الخبر الغائب عن المخبر اذا كان له شان والمتبين طلب بيان
حقيقته والاحاطة بها علما وهاهنا فائدة لطيفة وهي ان سبحانه لم
يامر بترديد الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة بل امر بالتبين فان
تبين فسقه او صدقه عمل بدليل الصدق فلو
اخبر من اخبر فهلك لم يتنج الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته وكثير
من الفاسقين يصدقون في اخبارهم وروايتهم وشهاداتهم بل كثير
منهم يتحرى الصدق كما يتحرى فسقه من جهات اخر فمثل هذا لا يرد
خبره ولا شهادته ولو ردت شهادة مثل هذا ورواياته لتعطلت كثير من
الحقوق وبطلت كثير من الاخبار الصحيحة ولا سيما من فسق من جهة
الاعتقاد والرأي وهو يخبر المصدق فهذا لا يخبر ولا شهادته
واما من فسقه من جهة الكذب فان تحرى وصدق في كثير مما يخبر به
كتبه فهل يقبل خبره وشهادته ان ظهر صدقه في ذلك الخبر وتبين في
ردها وجهان وهذا قولان للعلماء وهما روايتان عن الامام احمد
والمقصود ذكر الفسق الذي لا يخرج الى الكفر والفسوق الذي
يجب منه التوبة منه اعم من الفسق الذي ترد به الرواية والشهادة
وعلامة الاول فيما يجب التوبة منه وقوعه على وجه العمل
وفسق الجحد الاعتقاد فسق العاملين وهم المؤمنون بالله ورسوله
ومفرد فالمقرون بالله ورسوله هو ارتكاب ما نهى الله عنه والعصيان
هو عصيان امره كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
موسى لاخيه ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري وقال الشاعر
امرتك امرا جازما فعصيتني فاصبحت مسلوب الامارة نادما
فالفسق اخص بارتكاب النهي ولهذا اطلق عليه كثيرا كقوله تعالى
وان تفعلوا فانه فسوق بكم والمعصية اخص من هذا الاسم
كما تقدم واطلاق كل منهما على مخالفة الامر لا يستلزم
ان الخارج عن امره فاسق او عاص مطلقا بل قد يكون
مؤمنا مطيعا فاسقا او عاصيا وقد يكون كافرا
فالكفر ان اخلص لله فهو الايمان والا خرج الى الامر والتقوى

عاصد قدر

انتا

انتا مجموع الامرين وتحقيقها تصح التوبة من الفسوق والعصيان
بان يعمل العبد بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله وينزك
معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله وفسق الاعتقاد كفسق
اهل البدع الذين يومنون بالله ورسوله واليوم الاخر ويحرمون
ما حرم الله ورسوله ويوجبون ما اوجبه الله ولكن يبتدعون كثيرا مما نبت
الله ورسوله جهلا وتاويلا كتعديل المشيوخ ويثبتون ما لم يثبته الله
ورسوله لذلك وهو لاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والقدرية
والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في النفي واما
غالية الجهمية فكغلاة الرافضة ليسوا من الطائفتين في الاحلام نصيب
ولذلك اخرجهم جماعة من السلف من الثنتين وسبعين فرقة
وفي لواهم مباينون للملة وليس مقصودنا الكلام في احكام هولا
وانما المقصود تحقيق التوبة من هولا الاجناس العشرة فالتوبة
من هذا الفسوق باثبات ما اثبته الله لنفسه ورسوله من غير تشبيه
ولا تمثيل وتنزيهه ما نزه نفسه عنه ونزهه عنه رسوله من غير تحريف
ولا تعطيل وتلقي النفي والاثبات من مشكاة الوحي لعلمهم ان الرجال
ونتائج افكارهم التي هي مثار البدعة والضلالة فتوبة هولا
الثاني من جهة الاعتقادات الفاسدة بمحض اتباع السنة
ولا يكفي منهم بذلك ايضا حتى يتوبوا مما كانوا عليه من البدعة
واذا التوبة من كل ذنب هي بفعل ضده وله شروط الله يعالى في توبة
الكاتمين ما انزل الله من البينات والهدى البيان لان دينهم لما كان
بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان قال الله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم وذنب المبتدع فوق ذنب الكاتم
لان ذاك كتم الحق وهذا كتم ودعا الى خلافه فكل مبتدع كاتم
ولا ينفعك وشرط في توبة المنافق الاخلاص لان دينه بالرياء قال
تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم قال الا الذين تابوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما اوصانا
النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرنا قبور المسلمين ان نترحم عليهم ونسأل لهم
العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وصاروهم زيارة العباد
واستنقصوا الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم اوثانا تعبد
وسموا قصدها حجا واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرؤس وجمعوا
بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة اهل التوحيد ونسبة
اهله الى التنقص بالاموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك واولياءه
الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئا بذمهم وعيبهم ومعاداتهم
وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص اذ ظنوا انهم راضون منهم
بهذا وانهم امروهم به وانهم والونهم عليه وهؤلاء هم اعدا السبل
والتوحيد في كل زمان وما اكثر المستجيبين لهم ولله در خليله ابراهيم
حيث يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا
من الناس وما يخلص من شر هذا الشرك الاكبر الا من رحم ووحد
الله وعادى المشركين في الله وقربهم ممقتهم الى الله واتخذ الله وحده
وليه والهه ومعبوده مجردا حبه لله وهو قد شرع ورجاه لله
وذله له وتوكله على الله واستغاثته بالله والتجاءه الى الله وتعالى
بالله واخلص قصده لله متبعا لامره متطلبا لمرضاته اذا سأل
سأل الله واذا استعان استعان بالله واذا عمل عمل لله
لله وبالله ومع الله والشرك انواع كثيرة لا يحصيها الا الله
ولو ذهبنا نذكر انواعه لاتسع الكلام اعظم اتساع فان العبد
اذا نجا منه ومن التعطيل وهما الداآن اللذان هلكت بهما الامم
فما بعدهما هو ايسر منهما وان هلك بهما فقليل من هلك ولا
اشاعلى الهالكين [illegible] واما النفاق فالنفاق
الباطن الذي يكون الرجل منطويا به وهو لا يشعر به وهو نوعان
اكبر واصغر وقد تقدم ذكر [illegible] واما الفسوق فانه في
كتاب الله نوعان مزدوجان ومقرونان بالعصيان والمفرد نوعان

ايضا

ايضا فسوق كفر يخرج عن الاسلام وفسوق لا يخرج عن الاسلام فالمقرون
كقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون والمفرد الذي
هو فسوق كفر كقوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل
به الا الفاسقين الاية وقوله عز وجل ولقد انزلنا اليك آيات بينات
وما يكفر بها الا الفاسقون وقوله واما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الاية فهذا كله فسوق كفر واما الفسوق الذي
لا يخرج عن الاسلام فكقوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم الاية وقوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ الاية فان هذا لما
نزلت في الوليد بن عقبة ابن ابي معيط لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني
المصطلق بعد الموقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما
سمع القوم بقدومه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم الشيطان انهم يريدون
قتله فلما بلغه خرج من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني المصطلق
منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان
يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
سمعنا برسولك حين رجع الينا فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله
فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاه منك
لغضب غضبته علينا ونحن نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد ابن الوليد حفنة في عسكر وامره ان
يخفي عليهم قدومه وقال له انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ
منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار
ففعل ذلك خالد ورأى منهم ما سرهم فسمع منهم اذان صلاتي المغرب والعشا
فاخذ منهم صدقاتهم ولم يرمهم الا بالطاعة والخير فرجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين والنبا

باذنه فكيف بهذه الامة التي نشأت وترعرعت في جاهلية وتجريد التوحيد وقطعا
لاصول الشرك ومواده لمن تخلى بها والقرآن محلوء من آيات الله ونظيرها
ولكن اكثر الناس لا يشعر بدخول الاشياء تحت ما يضمنه له وبطنه
في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقلوا وارثوها هو الذي يحول بين
المرء وقلبه فالقرآن والحمد لله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم
من هو مثلهم وشر منهم ذراريهم وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك
ولكن الامر كما قال عمر انما الخطاب اثما ينقض الاسلام عروة عروة اذا
نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية وهذه الامة اذا لم يعرف
الجاهلية والشرك وما عابه القرآن ودمه وقع فيه واقره ودعا
اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية
او نظيره او شر منه او دونه فينتقض بذلك عرى الاسلام ويعود
المعروف فيهم منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة
ويصغر الرجل محض الايمان وتجريد التوحيد ويشتد تجريد متابعة
الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى
ذلك عيانا فالله المستعان ... واما الشرك الاصغر
فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد اشرك وقول الرجل
للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وانا بالله وبك وما
لي الا الله وانت وانا متوكل على الله وعليك ولولا انت لم يكن
كذا وكذا وقد يكون هذا شركا اكبر على حال قائله وقصده
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل قل ما شاء الله وشئت اجعلتني
لله ندا قل ما شاء الله وحده وهذا اللفظ اخف من غيره من
الالفاظ ومن انواع الشرك سجود المريد للشيخ فانه شرك من
الساجد والمسجود له والذين يقولون ليس هذا سجودا
وانما هو وضع الرأس قدام الشيخ فيقال لهذا ولمن سماه
ما سميتموه فحقيقة السجود وضع الرأس لمن يسجد له ولذلك

السجود

الشجر والكمثرى والمشمش والمنجم والحجر كله وضع الرأس قدامه
ومن انواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة وهذا
سجود في اللغة وبه فسر قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا اي منحنين
والا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الارض ومنه قول العرب سجدت
الاشجار اذا مالها الريح ومن انواعه حلق الرأس للشيخ فانه
تعبد لغير الله ولا يتعبد بحلق الرأس الا لله تعالى خاصة
ومن انواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم فان التوبة لا تكون
الا لله كالصلاة والصيام والحج والنذر ونحو ذلك وفي
المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بأسير فقال اللهم اني اتوب اليك
ولا اتوب الى محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فالتوبة
عبادة لا تنبغي الا لله كالسجود والصيام ومن انواعه النذر
لغير الله فانه شرك وهو اعظم من الحلف بغير الله وقد كان من حلف
بغير الله فقد اشرك فكيف من نذر لغير الله مع ان في الصحيح
من حديث عقبة ان عامر عند النبي صلى الله عليه وسلم ان النذر حلفه ومن انواعه
الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والانابة
والخضوع والذل لغير الله وابتغاء الرزق من عند غير الله والضراعة
عند على ما اعطا والغنية بذلك عن حمده سبحانه والذم والسخط
على ما لم يفعله والجزع عند القدر واضافة نعمة الغنى واعتقاد ان
يكون في الكون ما لا يشاء ومن انواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة
بهم والتوجه اليهم وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع
عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا لمن استغاث به وسأله
قضاها حتى او سأله ان يشفع له الى الله فهو من جهله يظن ان الشافع
والمشفوع عنده كالمخلوقين فانه لا يعرف ان الشفاعة لا تنفع لاحد الا باذنه
والله لا يأذن الا لمن يشاء وهو لا يشاء الا لاهل التوحيد فلما انتفى
كمال التوحيد فيهم انتفى ما يترتب عليه من الاذن وهو معنى
من استعان في حاجة بما يمنع حصولها وهذا حال كل مشرك

شبكة الألوكة www.alukah.net

التي اثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده
والتي نفاها الله الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين
المتخذين من دون الله شفعاء فيما تلوا نقض قصدهم من شفاعتهم
وبفوزها الموحدون فتامل فقول النبي صلى الله عليه وسلم اسعد
سئاله من اسعد الناس بشفاعتك رسول الله فقال اسعد الناس
شفاعتي من قال لا اله الا الله كيف جعل اعظم الاسباب التي تنال
بها شفاعته تجريد التوحيد حكمة ما عند المشركين ان الشفاعه
تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب
النبي صلى الله عليه وسلم تلك الدعوى الكاذبة واخبر ان سبب الشفاعه
تجريد التوحيد فحينئذ باذن الله للشافع ان يشفع ومن جهل
المشرك اعتقاده ان من اتخذ وليا او شفيعا انه يشفع له وشفعه
عند الله كما تكون حوائج الملوك والرؤساء تشفع من وعلامهم ولم
يعلم ان الله لا يشفع عنده احد الا باذنه ولا يأذن في الشفاعه
الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الاول ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وهي فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا التوحيد
واتباع الرسول وعن هاتين الكلمتين يسال الاولين والاخرين
كما قال الله تعالى فيه كلمتان يسئال عنهما الاولون والاخرون ماذا
كنتم تعملون وبهذا اجتمع المرسلين فيه ولاجله اصول فتفرع شعب
الشرك من قلة من دعاها وعقلها لا شفاعة الا باذنه ولا يأذن
الا لمن رضي قوله وعمله ولا يرضى من القول والعمل الا توحيده واتباع
رسوله فالله تعالى لا يغفر ان يشرك الفاعلين به غيره كما قال تعالى
عن الذين كفروا بربهم يعدلون وامر المتوكلين ان يعدلوا به
غيره في العبادة والموالاة والمحبة كما قال في الاية الاخرى انه
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وكما في اية البقرة
يحبونهم كحب الله وتبرأ المشركين يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول

لا

لا يحبهم كحب الله ولا تسويهم بالله ثم يغضبهم ولحرمانهم اذا انتهكت
اعظم مما يغضبهم لله ويستبشرون بذكرهم ويستبشرون بهم اذا ذكر
عندهم ما ليس شيء من اعانة اللهفان وكشف الكربات وقضاء الحاجات
وانهياب من الله ومن عباده ترى المشرك يفرح ويسر وحين خلصه
وتبهج منه لوائح التعظيم والخضوع لهم والموالاة واذا ذكرت لهم الله
وحده وجردت توحيده لحقته وحشمه وضيق وحرج ورماك
بتنقص الالهة التي ورثوا عن اباءهم واجدادهم وهذا منهم عيانا
ورموا بعداوتهم وبغضائهم العوائل والله مخزيهم في الدنيا والاخرة
ولهتك حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم عباد الهتا فقال هؤلاء
تنقصت مشائخنا وابوا عوائدنا الى الله وهكذا قال النصارى
للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال لهم المسيح عند ما انتقصت المسيح وعبته
وهكذا ما اشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور اوثانا بعد ما جد
وامر بزيارتها على الوجه الذي اذن الله فيه ورسوله ما انتقصت
اصحابها فانظر الى هذه الشبهة عن قلوبهم حتى كانهم قد نسوا صوابه
ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقد
قطع تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها فقطعها لمن
تامل وعرفها ان من اتخذ من دون الله وليا او شفعاء وقال
العنكبوت اتخذ بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذره
في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم ظهير ولا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فالمشرك انما اتخذ معبودا
لما حصل له من النفع والنفع لا يكون الا ممن فضله من هذه
الاربع اما مالك لا يريد عابده منه ذلك لكن ما لك كان شريكا لمالك
فان لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا
ظهيرا كان شفيعا عند من تحتاج الملوك الاربع تقريبا مستقلا
او معاونا على ما يريد منه وفي الملك والشرك هذه المظاهر والشفاعة
التي يظنها المشرك وهي شفاعة لا تصيب في الملك وهي الشفاعة

شبكة الألوكة www.alukah.net

عرفوا كفروا به وقال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهو كحزاي طالب
ايضا فانه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن اخذته الحمية وتعظم
اباه ان يرغب عن ملتهم وشهر عليهم بالكفر واما كفر الاعراض
فان يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يوالي الله
ولا يعاديه ولا يبغي الى ما جاء به الله كما قال الحرشي عبد يا ليل للنبي
صلى الله عليه وسلم والله لا اقول لك كلمة ان كنت صادقا فانت اجل في عيني
من ان ارد عليك وان كنت كاذبا فانت احقر من ان اكلمك ولهذا
كفر الشك فان لا جزم بصدقه ولا بكذبه بل شك في هذا وهذا
لا تشرئب عنقه الا اذا اراد ان يعتاض عن الطيب الذي جاء صدقه
جملة فلا يتبعه ولا يلتفت اليه واما مع التفاته اليه ونظره فانه
لا يبقى معه شك لانه مستلزم للصدق ولا جزم بصدقه فانه لا يقدم
على الصدق كل الاقدام الشتى على النار واما كفر النفاق فهو ان يظهر
لسانه الايمان وينطوي قلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الاكبر
فصل وحصر المحرم بعينه في كفر بطن مهم وتعيين خاص
فالمطلق ان يحكم بجملة ما انزل الله ورسوله الرسول واما الخاص المتبدان
يجحد فرضا من فروض الاسلام او محرما مجمعا على تحريمه او صفة من صفاته
ثبتت او خبرا اخبر الله به عمدا او تقدح القول من خالفه عليه الخوض في
الاعراض واما جحد ذلك جهلا او تاويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر كما
بدل الحديث الذي حدث به عليه واصحابه ان من فعل ومذرون في الحج
ومع هذا فلا ان عمر لم يرجم مجهلة اذ كان ذلك الذي فعله مما
علم بالحد قدره انه يحط اعادته عمدا او تكذيبا فصل
واما الشرك فهو نوعان اكبر واصغر فالاكبر لا يغفر الا بالتوبة
منه وهو ان يتخذ من دون الله ندا يدعوه كما يدعو الله او يذبح له
تعظيما لشانه كما يذبح لله او ينذر له او يحلف باسمه صادقا
في الباطن كاذبا فان هذا من الشرك الخفي بل الحالف بغير الله
بان الله وجده خالق كل شيء ومليكه فان المحلوف لا تحلف الا
ترزق

تزرق ولا تميت ولا تحيي وانما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم
والعبادة كما هو حال اكثر المشركين الهائم يحبون معبوديهم ويعظمونها
ويوالونها من دون الله وكثير منهم بل اكثرهم يحبون الهتهم اعظم من
محبة الله ويشركون ذكرهم اعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده
ويغضبون لانتقاص معبوديهم والتنقص من المشايخ اعظم مما يغضبون
اذا انتقص احد رب العالمين واذا انتهكت حرمة من حرمات الهتهم
ومعبوديهم غضبوا اعجب الليث اذا اهرب واذا انتهكت حرمات
الله عز وجل لم يغضبوا له بل اذا رأوا المنتهك لها يطاعهم شيا رضوا
عنه ولم تنكر قلوبهم وقد شاهدنا هذا نحن وعينا منهم كثيرا ومن تدبر
احوالهم قد اتخذ مع الله ومعبوده من دون الله على ثلاثة اقسام
وان بعد وان عز وان رض وان استوعى ذكر الهتهم ومعبوده
من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه وهو لا يذكر ذلك ويزعم انه
باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته عنده اليه وهكذا كان
عباد الاصنام سواء وهذا القدر هو الذي وقع بقلوبهم وتوارثه المشركون
حسب اختلاف الهتهم فاول ما كانت الهتهم من الحجر وغيرهم اتخذها
من البشر قال الله تعالى حاكيا عن ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اخذ وامن دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله
يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ثم يشهد عليهم بالكذب والكفر واخبر
انه لا يهديهم فقال ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار جهده
حال من اتخذ من دون الله وليا ترعم انه يقربه الى الله وما اعز من
تخلص من هذا بل ما اعز من لا يعادي من ينكره الذي في قلوب
هؤلاء المشركين وشانهم ان الهتهم تشفع عند الله وهذا حق عند الله وهو
الشرك وقد انكر الله عليهم ذلك في محكم كتابه وابطله واخبر ان
الشفاعة كلها لله وانه لا يشفع عنده احد الا لمن ارتضى الله ان يشفع
فيه ورضي قوله وعمله وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون
الله شفعاء فانه يأذن سبحانه في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم
شفعاء من دونه فيكون انتفاع الناس بشفاعة من يأذن الله له
صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله والشفاعة

ولذته بكلي على ايامنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله المستعان وعليه التكلان ولا حول
ولا قوة الا بالله وصاحب هذا المقام اذا نظر الى الشيطان ولاحظه
في الذنب رلغمه بالتوبة النصوح فاحدثت له هذه المرتبة عبوديه
اخرى فهذه نبذة من بعض لطائف اسرار التوبة لا تستغني عنها
فلعلك لا تظفر بها في مصنف البتة ولله الحمد والمنة وبه التوفيق

المحرمات اثنا عشر جنسا مذكوره في كتاب الله
عز وجل ه
عبر سبيل المومنين فهذه الاثنا عشر جنسا
عليها مدار كل ما حرم الله اليها انتهى العالم باسرهم الا اتباع الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم وقد يكون في الرجل اكثرها او اقلها او واحده منها
وقد يعلم بذلك وقد لا يعلم فالتوبه النصوح هي التخلص منها والتخصص
والتحرز من مواقعتها وانما يمكن التخلص منها لمن عرفها وعرف تذكرها وتذكر
ما اجتمعت فيه وما افترقت لتتبين حدودها وحقايقها والله الموفق
لما يراد ذلك كما وفق له ولا حول ولا قوة الا بالله وهذا الفصل من جمع
فصول الكتاب والعبد احوج شيء اليه فاما الكفر فنوعان كفر اكبر
وكفر اصغر فالكفر الاكبر هو الموجب للخلود في النار والاصغر
موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود كما في قوله تعالى وان طايفتان من
مسح لفظه لا ترغبوا عن ابايكم فانه كفر بكم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح اثنتان في امتي هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحه وقوله
في الذي من اتى امراته في دبرها فقد كفر بما انزل على محمد وفي الحديث
من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على محمد وقوله
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا تاويل
ابن عباس وعامة اصحابه في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون قال ابن عباس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله
فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الاخر وكذلك قال عطاء
وقال عطاء هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ومنهم

من

من تاول الايه على ترك الحكم بما انزل الله حاحدا له وهو قول كافر وهو تاويل مرجوح فان جحود الحكم كفر عند الحكم
من تاولها على ترك الحكم جميع ما انزل الله عز وجل ويدخل في ذلك الحكم
بالتوحيد والاسلام وهذا تاويل عبد العزيز الكناني وهو ايضا بعيد
اذ الوعيد على نفي الحكم بالمنزل وهو سنة تاول تعطيل الحكم بجمعه
وبعضه ومنهم من تاولها على الحكم بخلاف النص تعمدا من غير جهل
به ولا خطا في التاويل لجهله بالنص عن العلم وعمومها ومنهم من تاولها على
اهل الكتاب وهو قول قتاده والضحاك وغيرهما وهو بعيد خلاف
ظاهر اللفظ فلا مصار اليه ومنهم من جعله كفرا ينقل عن الملة والصحيح
ان الحكم بغير ما انزل الله تتناول الكفرين الاصغر والاكبر بحسب
حال الحاكم كانه ان اعتقد وجوب الحكم بما انزل الله في هذه الواقعه
وعدل عنه معصية مع اعترافه بانه مستحق للعقوبه فهذا الكفر اصغر
وان اعتقد انه غير واجب وانه مخير فيه مع تيقنه انه حكم الله فهذا
كفر اكبر وان جهله واخطاه فهذا محطوط لحكم المخطئين والتفصيل
ان المعاصي كلها نوع من الكفر الاصغر فانها ضد الشكر الذي هو
العمل بالطاعه فالشكر اما شكر واما كفر واما ثالث لا من هذا ولا من
هذا والله اعلم فصل واما الكفر الاكبر فهو انواع كفر التكذيب
وكفر استكبار واباء مع التصديق وكفر اعراض وكفر شك ونفاق فاما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسول وهذا القسم
قليل في الكفار فان الله تعالى ايد رسله واعطاهم من البراهين والايات
على صدقهم ما اقام به الحجه وازال به المعذره قال الله تعالى عن قوم فرعون
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال للرسول فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وان سمي هذا كفرا فهو تكذيب ايضا
فصحيح انه هو تكذيب بالقلب واما الاباء والاستكبار مع التصديق كفر ابليس
فانه لم يجحد امر الله ولا قابله بالانكار وانما تلقاه بالاباء والاستكبار
ومن هذا اكفر من عرف صدق الرسول وانه جاء بالحق من عند الله
ولم ينقد له اباء واستكبارا وهو الغالب على كفر اعداء الرسل
كما حكى الله تعالى عنهم عن فرعون وقومه انومن لبشرين مثلنا
وقومهما لنا عابدون وقول الامم لرسلهم ان انتم الا بشر مثلنا وقوله
كذبت ثمود بطغواها وهو كفر الهود كما قال تعالى فلما جاءهم ما

العبد وهو ستهين شانها حتى تملكه فان نجى من هذه العقبه
بالتحرز والتحفظ ودوام التوبه والاستغفار واتبع السبيل الحثيثه
طلبه على العقبه الى ما بعدها وهى عقبه المباحات التى لا حرج على فاعلها
وشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد فى التزود
لمعاده ثم طمع فيه ان يتدرج منها الى ترك التنعم الى ترك الراحات
واقل ما ينال ممن نفويته الارباح والمكاسب العظيمه والمنازل العاليه
ولو عرف الشعر لفوت على نفسه شيا من القربات ولكنه جاهل
بالشعر فان نجى من هذه العقبه بصيره تامه ونور هادٍ ومعرفه
بقدر الطاعات والاستكثار منها وقلم التمام عن المشاحطة التجاره
وكرم المشترى وقدر ما يعوض به التجار فيحمل اوفاته وضن بها نفاسته
ان تذهب فى غير ربح طلبا لعدو على العقبه الشاديه وهى
عقبه الاعمال المرجوحه المفضوله من الطاعات فامره بها وحثها فى عينه
وزينها له واراه ما فيها من الفضل والربح لشغله بها عما هو افضل منها
واعظم كسبا وربحا لانه لما عجز عن تحسين اصل الثواب طمع فى تحسين
كماله وفضله ودرجاته العاليه فشغله بالمفضول عن الفاضل وبالمرجوح
عن الراجح وبالمحبوب له عن الاحب اليه وبالمرضى عن الارضى له ولكن
ايس اصحاب هذه العقبه منهم الافراد فى العالم والاكثرون قد ظفر بهم فى
العقبات الاول فان نجى منها فقه فى الاعمال ومراتبها عنده ومنازلها
فى الفضل ومعرفه مقاديرها والتمييز بين عاليها وسافلها ومفضولها
وفاضلها وبينها ومبروريتها وسيدها ومسودها فان فى الاعمال
والاقوال سيدا ومسودا وبينا ومرموسا دروه وما دونها
كما فى الحديث الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى
لا اله الا انت الحديث وفى الحديث الاخر دروه شفاها لامروقى
الحديث الاخر ان الاعمال تفاضلت فذكر كل عمل منها مرتبته وفضله
وكان للصدقه مزيه فى الفم عليهن ولا تقطع هذه العقبه الا اهل
البصاير والصدق من اولى العلم الثابتين على جاده التوفيق قد

اتزلوا الا ان يشاء الله واعطوا كل ذى حق حقه فاما من عجز عنها فسلك هناك
عقبه يظلمه العدو وعليها شرى واحده لا بد له منها ولا نجاة منها
الا بها من رسل الله وانبياءه واكرم الخلق عليه وهى عقبه
تغليظ جنده عليه بانواع الاذى بالبدن واللسان والقلب على حسب
مرتبته فى الجهاد فكلما علت مرتبة اجلب عليه بخيله ورجله وظاهر
عليه خيله ورجله وسلط عليه حزبه واعلمه بانواع التغليط وهذه العقبه
لا حيله فى التخلص منها فانه كما جد فى الاستقامه والدعوة الى الله
والقيام بامر الله جد العدو فى اغوائه واضلاله وهو فى هذه العقبه
قد لبس لامة الحرب واخذ فى محاربه العدو لله وبالله وعبوديته
فيها عبوديه هو امام العارفين وهى تسمى عبوديه المراغمه ولا يثبت
لها الا اولوا البصاير النافذه ولا شى احب الى الله من مراغمه وليه لعدوه
واغاظته له وقد اشار سبحانه الى هذه العبوديه فى مواضع من
كتابه احدها قوله ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما
كثيرا وسعه سمى المهاجر الذى يهاجر فسادا الى عباده الله مراغما
مراغمه به عدو الله وعدوه والله تعالى يحب من وليه مراغمه عدوه
واغاظته كما قال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصه
فى سبيل الله ولا يطاءون موطيا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو
نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال تعالى
فى مثل رسول الله واتباعه وشطاهم فى الانجيل كزرع اخرج شطاه
فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
فمغايظه الكفار عليه محبوبه للرب مطلوبه له فهو احقه بها من
كمال العبوديه شرع النبى صلى الله عليه وسلم للمصلى اذا نهض فى صلاته ان يجافى
وقال ان كانت صلاته تامه كانت ترغيما للشيطان وسماها المرغمتين
من يعبد الله بمراغمه عدوه فقد اخذ من الصدقه بسهم وافر وعلى
قدر محبه العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه
من هذه المراغمه ولاجل هذه المراغمه حمد التبختر بين الصفين والخيلا
والتبختر عند صدمه الشر حيث لا يراه الا الله لما فى ذلك من ارغام
العدو وسبب محبوبه من بعثه وما له عز وجل وهذا باب
من العبوديه لا يعرفه وتملكه الا القليل من الناس ومن ذاق طعمه

قوله تعالى انما يأمركم بالسوء والفحشاء
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ۝ اي انما يأمركم عدوكم الشيطان
بالافعال السيئة واغلظها الفاحشة كالزنا ونحوه واغلظ من
ذلك وهو القول على الله بلا علم ويدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع
ايضا ۝ فالشيطان عدو وكمال الاحتراز منه والتحفظ والتيقظ
والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشفق فانه يريد ان يظفر العبد
في عقبة من جميع عقبات بعضها اصعب من بعض لا يتركه ينزل
من العقبة التي قد اتى بها ذوبها الا اذا عجز عن الظفر به فيها العقبة
الاولى عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه وصفات كماله وما اخبرت به
رسله عنه فان ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح معه
فان افتتح هذه العقبة ودخلها بتصديق الرسل معه نور الايمان
قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون ۝ طلبة على العقبة الثانية وهي عقبة البدعة
المباينة خلاف الحق الذي ارسل الله به رسوله وانزل به كتابه
واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الاوضاع والاعمال والحدث في الدين
التي لا يقبل الله منها شيئا والبدعتان في الغالب متلازمتان فقل ان
تنفك احداهما عن الاخرى كما قال بعضهم تزوجت بدعة الاقوال
ببدعة الاعمال فاشتغل الزوجان بالعرس فلم يفجأهم الا اولاد
الزنا يعيثون في بلاد الاسلام تضج منهم العباد والبلاد الى الله تعالى
قال ابن البيع وقال لي شيخنا اذا تزوجت المبتدعة الكافرة ببدعته
الكافرة فتولد بينهما خزيان الدنيا والاخرة فان تخلع هذه العقبة
وتخلص منها بنور السنة واعتصم منها بعقبة المتابعة وما مشى عليه
السلف اصحاب رسول الله والتابعون لهم باحسان وهما شأن
تشعب الاعمال بالتناقض بواحدة من هذا الضرب فان سمحت به نفسه له

اهل

اهل البدع الحبائل ونحوه الغوائل وقالوا من ابتدع محدثا فاذا وفقه الله
لقطع هذه العقبة طلبة على العقبة الثالثة وهي عقبة الكبائر
التي ظفر به فيها دون ما فوقها في غيبته وتوفي به وفتح له باب الارجاء
وان الايمان هو مجرد التصديق فلا تقدح فيه الاعمال وربما اجرى على
لسانه اذا ذنبه كلمة ظالما اهلكه بها الخلق وهي قوله لا يضر مع التوحيد
ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة والظفر به في عقبة البدعة احب
اليه لما قضتها الدين ودفعها لما بعث الله به رسوله وصاحبها لا يتوب
منها ولا يرجع عنها ويدعو الخلق اليها ولتصحبها العقل على الله تعالى
ومعاداة اصحاب السنة ومعاداة اهلها والاجتهاد على اطفاء نورها
وتوليه من عزله الله ورسوله وعزل من ولاه واعتبار ما رده الله ورسوله
ورد ما اعتبره وموالاة من عاداه ومعاداة من والاه واثبات ما نفاه
ونفي ما اثبته وتكذيب الصادق وتصديق الكاذب ومعارضة
الحق الباطل وقلب الحقائق بحيث صار الحق باطلا والباطل حقا والالحاد
في دين الله وتعمية الحق على القلوب وطلب العوج لصراط الله المستقيم
وفتح باب تبديل الدين جملة لان البدع تتدرج بصغيرها الى كبيرها
حتى تنسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين فما شاء البدع
لا تقف عليها الابصار والعميان في ظلمة العمى ومن اجعل الله
له نورا فما له من نور فان قطع هذه العقبة بعصمة الله او بتوبة نصوح
تنجيه منها طلبة على العقبة الرابعة وهي عقبة الصغائر فكاد لم
منها بالغفران وقال ما عليك اذا اجتنبت الكبائر ما شئت من اللمم
او ما علمت انها تكفر باجتناب الكبائر بالحسنات ولا يزال يهون
عليه امرها حتى يصير عليها فتكون من ارتكب الكبائر الخائف الوجل النادم
احسن حالا منه فان الاصرار على الذنب اقبح منه ولا كبيرة مع التوبة
والاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقد قال علي اسوأ الناس من عدوا
الذنوب ثم ضرب لذلك مثلا بقوم نزلوا فلاة من الارض فاعوزهم
الحطب فجعل يجيء هذا بعود وهذا بعود حتى جمعوا حطبا كثيرا فاضرموا
نارا وانضجوا خبزتهم فكذلك الذنوب تجتمع على

افا الله عليكم الا الخمر والخمس مردود عليكم لكنه ما قال تعالى
ما افا الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه بخيل ولا ركاب صار لفظ
الفيء اذا اطلق في عرف الفقهاء هو ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف
خيل ولا ركاب ولا اي نوع من التحريك واما اذا فعل الجيش ما يبيح
له قاصداً العدول عن الحرام الى الحلال لحاجته اليه فانه ثواب على
ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بضع احدكم صدقة قالوا يا رسول الله
ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام
اكان عليه فيها وزر كذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر وهذا
كقوله في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يؤخذ
برخصه كما يكره ان تؤتى معصيته رواه الامام احمد وابن خزيمة في
صحيحه وغيرهما فاخبر ان الله يحب اتيان رخصه كما يكره فعل معصيته
وبعض الفقهاء يرويه كما يحب ان يؤتى عزائمه وليس هذا لفظ الحديث
وذلك لان الرخصة انما اباحها الله لحاجة العباد اليها والمؤمنون
يستعينون بها على عبادته وطاعته فهو يحب الاخذ بها لان الكريم
يحب قبول الاحسان كما قال في حديث القصر صلاة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته ولانه بها يتم عبادته وطاعته ومعلوم ان الحافظ ابو بكر
ابن مردويه حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا محمد عيسى ابن شنبه المصري
قال حدثنا الهيثم ابن عبد الرحمن الاحسائي حدثنا ابو عبد الله الجوزجاني رفيق
ابرهيم ابن ادهم قال حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال تليت هذه الاية
عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام
سعد ابن ابي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة
فقال يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده
ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما تقبل منه اربعين يوما وايما
عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار اولى به ۞

انه لكم عدو مبين تنفيرا منه وتحذيرا منه كما قال تعالى ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال

تعالى

تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا قال قتادة والسدي في قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان
كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان وقال عكرمة هي نزغات
الشيطان وقال مجاهد خطاياه وقال ابو مجلز هي النذور
في المعاصي وقال الشعبي نذر رجل ان يعوائبه فاتاه مسروق
يذبح عنز فقال هذا من خطوات الشيطان وقال ابو الضحى عن مسروق
اتى عبد الله ابن مسعود بصرع وملح فجعل ياكل فاعتزل رجل من
القوم فقال عبد الله ابن مسعود ما لك اصابتك قال لا اريده فقال
اصائم انت قال لا قال فما شانك قال حرمت ان اكل صرعا ابدا قال
ابن مسعود هذا من خطوات الشيطان فاطعم وكفر عن يمينك رواه
ابن ابي حاتم وقال ايضا حدثنا حسان ابن عبد الله المصري
عن سليمان التيمي عن ابي رافع قال غضبت على امراتي فقالت هي يوما
يهودية يوما نصرانية وكل مملوك لها حر ان لم تطلق امراتك فاتيت
عبد الله ابن عمر فقال انما هذه من خطوات الشيطان وكذلك قالت
زينب بنت سلمة وهي احفظهما امراة في المدينة واثبت عاصم ابن عمر قالا
مثل ذلك ۞ وقال عبد حدثنا ابو نعيم عن شريك عن عبد الكريم
عن عكرمة عن ابن عباس قال اما كان مني يمين او نذر في غضب فهو
من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين ۞ وقال سفيان ابن داود في
سفيان حدثنا داود ابن عبادة المكي عن عاصم الاحول عن عكرمة
في رجل قال لغلامه ان لم اجلدك مائة سوط فانت طالق قال
لا يجلد غلامه ولا تطلق امراته هذا من خطوات الشياطين ۞

للمومنين خاصه والله تعالى انما اباح بهيمه الانعام لمن حرم ما رزقه
الله تعالى من الصيد وهو محرم والمومنون امرهم ان ياكلوا من الطيبات
وشكروه ولهذا نبه الله سبحانه من خطاب الناس مطلقا وخطاب
المومنين فقال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون
فانما اذن للناس فاباح للمومنين الطيبات ولم يحرم عليهم الا ما ذكره
وما سواه لم يكن محرما عليهم ومع هذا فلم يكن احله بخطابه بل كان
عفوا كما في الحديث عن سلمان مرفوعا ومرفوعا الحلال ما احل الله في كتابه
والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفى عنه وفي حديث
ابي ثعلبة الخشني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرايض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن
اشيا رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وكذلك قوله تعالى قل لا
اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميته او دما مسفوحا
او لحم خنزير فنفى التحريم عن غير المذكور فيكون الباقي مسكوتا عن تحريمه
عفوا والتحليل انما يكون بخطاب ولهذا لما نزلت في سورة المايدة التي انزلت
بعد هذه الاية تلك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين الى قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم ففي ذلك اليوم احل لهم الطيبات وقيل
هذا لم يكن حرم عليهم الا ما استثناه وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي
ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ولم يكن هذا نسخا للكتاب
لان الكتاب لم يحل ذلك ولكن سكت عن تحريمه فكان تحريمه ابتداء
شرع ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي من طرق من حديث
ابي رافع وابي ثعلبة وغيرهم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه

الامر

الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه مقولا بيننا وبينكم كتاب الله
هذا القران ما وجدنا فيه من حلال احللناه وما وجدنا فيه من حرام
حرمناه الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه وفي لفظ الا وانه مثل القران
او اكثر الا واني حرمت كل ذي ناب من السباع فبين انه انزل عليه وحي
اخر وهو الحكمة غير الكتاب وان الله حرم عليه في هذا الوحي ما اخبر تحريمه
ولم يكن ذلك منسخا للكتاب فان الكتاب لم يحل هذه قط انما احل الطيبات
وهذه كانت من الطيبات وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
فلم تدخل هذه في العموم لكنه لما حرمها بعد ان كانت معفوا عن تحريمها ما ذوقنا
في اكلها واما الكتاب فلم ياذن الله لهم في اكل شيء ولا احل لهم شيا ولا عفى
لهم عن شيء بل قال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فشرط
فيما ياكلونه ان يكون حلالا وهو الماذون فيه من جهة الله ورسوله
والله لم ياذن في الاكل الا للمومنين به فلم ياذن لهم في اكل شيا الا اذا
امنوا وهذا لم يكن اموالهم مملوكة لهم ملكا شرعيا لان الملك الشرعي
هو القدرة على التصرف الذي اباحه الشارع والشارع لم يبح لهم
تصرفا في الاموال الا بشرط الايمان وكانت اموالهم على الاباحة فاذا
تاب طايفة منهم طايفة فهم يستحلون دمي دمهم واخذ اموالهم صارت اموالهم ولا
فيها كما كان اولياء المسلمين اذا استولوا عليها فعموها ملكوها
شرعا لان الله اباح لهم المغانم ولم يبحها لغيرهم
ويجوز لهم ان يعاملوا الكفار فيما اخذه بعضهم من بعض بالهبة الذي
يستحلونه في دينهم ويجوز ان يشتري من بعضهم ما شاء من غير كراهة لان
هذا انما حرم لكونه اعانة على المحرمات ولهذا سمى الله ما عاد من ابي اليهم
الى المسلمين فيا لان الله تعالى افاءه الى مستحقيه اي رده الى المومنين
به الذين يعبدونه وحده ويستعينون برزقه على عبادته فانه انما خلق
الخلق ليعبدوه وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ
الفيء قد يتناول الغنيمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم في غنايم حنين ايكم ايما

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا تتعدي وقوله عز وجل ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي خطبنا لكم الظفر
والغلبة والكرة الرجعة ومنه قتال كر في الحرب اذا رجع اليها
مرة بعد اخرى ۝ وقوله تعالى لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا
منا اي لو ان لنا عودة الى الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم
فالتفت اليهم بل يوحد الله وحده بالعبادة وهم كاذبون في هذا
بل تؤدي العادة الى ما نهوا عنه كما اخبر تعالى عنهم بذلك وقوله
تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ۝

قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۝ خطوات
الشيطان تتراءى بضم الطاء اتباع الضم الضم قبلها للتخفيف ويكون
في غير القرآن ساكنا وقرئ في الشاذ بهن الطاء والجاء وزنها الضمة
وهو ضعيف وقرأ شاذا بتبع الخ والطاء بدل ان يكون الواحد
خطوة والخطوة بالفتح مصدر خطوت وبالضم ما بين القدمين
وقيل هما لغتان بمعنى واحد ۝ وقوله تعالى لا تتبعوا خطوات
الشيطان يعني مسالكه ومذاهبه والمعنى لا تسلكوا الطريق
الذي يدعوكم اليها الشيطان وواحد الخطوات خطوة واجمعه
خطوات ۝ لما بين تعالى انه الآمر والمنعم انتقل الى ما شرع
بين انه الرازق لجميع خلقه وذكر مقام الامتنان انه اباح لهم ان ياكلوا مما
في الارض حلالا من الله طيبا اي مستطابا في نفسه غير مضر للابدان
ولا للعقول ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه
فيما اضل اتباعه فيه من تحريم البحائر والتلبيب والوصائل ونحو ذلك
مما كان زينه لهم في جاهليتهم كما في حديث عمرو بن لحي الذي في صحيح
عن

مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله كل ما نحلته عبادي فهو
لهم حلال وفيه واني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم
عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم ۝ قال شيخ الاسلام ابو
العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه في كتاب الايمان اذن الله
للناس ان ياكلوا مما في الارض بشرطين ان يكون طيبا وان يكون حلالا
ثم قال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان
كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
به لغير الله فاذن للمؤمنين في الاكل من الطيبات ولم يشترط الحل
واخبر انه لم يحرم عليهم الا ما ذكره فدل على ان ما لم يكن محرما على المؤمنين
لكن كان مقصوده عبادة غير الله لم تكن الطيبات مباحة له فان
الله تعالى انما اباحها للمؤمنين من عباده بل الكفار واصحاب الذنوب
والجرائم واهل الشهوات يحاسبون يوم القيامة على نعم الله تعالى التي
تنعموا بها فلم يشكروه ولم يعبدوه بها وقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وقال تعالى ثم لتسالن يومئذ عن
النعيم اي عن شكر والكافر لم يشكر على النعيم الذي انعم الله عليه به
فيعاقبه على ذلك والله تعالى انما اباحها للمؤمنين وامرهم بها بالشكر
كما قال تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله وفي صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة
فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي سنن ابن ماجه وغيره
الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وكذلك قال للرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا
ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم وقال للخليل وارزق اهله من
الثمرات من امن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فالخليل انما دعا بالطيبات

لله ۝

القوة مستأنفة وهما وقيل المفعولان محذوفان وان القوة معمول
جواب لو اي لو علم الكفار انداده لا ينفع لعلموا ان القوة لله في النفع
والضر ويجوز ان يكون يرى بمعنى علم المتعدية الى مفعول واحد
فيكون التقدير لو عرف الذين ظلموا بطلان عبادتهم الاصنام
او لو عرفوا انواع العذاب لعلموا ان القوة او لو عرفوا ان القوة لله لما
عبدوا الاصنام وقيل يرى هنا من رؤية البصر اي لو شاهدوا
اثار قوته لله فيكون ان وما عملت فيه مفعول يرى ويجوز ان يكون
مفعول يرى محذوفا تقديره لو شاهدوا العذاب لعلموا ان القوة ودل
على هذا المحذوف قوله تعالى اذ يرون العذاب ويرون العذاب
من رؤية البصر لان التي بمعنى العلم تتعدى الى مفعولين واذا ذكر احدهما
لزم ذكر الاخر ويجوز ان يكون بمعنى العرفان اي اذ يعرفون
شدة العذاب ٥ وقد حصل مما ذكرنا ان جواب لو يجوز ان يقدر
قبل ان القوة لله جميعا وان بعده وليلها الماضي ولكن وضع
لفظ المستقبل موضعه اما على حكاية الحال واما لان خبر الله تعالى
صدق فيما لم يقع مخبر في حكم ما وقع ٥ ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ المشركين
به الظالمين لانفسهم بذلك تعالى ولو تري الذين ظلموا الا يرون
العذاب ان القوة لله جميعا اي ان الحكم لوحده لا شريك له وان
جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه وان الله شديد العذاب
كما قال تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد
يقول لو علموا ما يقاسونه هنالك وما يحل بهم من الامر الفظيع المنكر
الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال ثم اخبر
عن كفرهم بأتباعهم وتبري المتبوعين من اتباعهن فقال
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا تبرات منهم الملائكة الذين كانوا
يزعمون انهم يعبدونهم في الدار الاخرة الدنيا فتقول الملائكة تبرأنا
اليك ما كانوا ايانا يعبدون ويقولون سبحانك انت ولينا من دونهم
بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم يؤمنون والجن ايضا تتبرأ

منهم

منهم وتتحلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى ومن اضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا وقال الخليل لقومه انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ٥ وقال
تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما رأوا العذاب
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون
وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي
اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم ٥
﴿ورأوا العذاب﴾ وتقطعت بهم الاسباب اي علموا
عذاب الله وتقطعت بهم الحبال واسباب الخلاص فلم يجدوا عنه
النار معدلا ولا مصرفا ٥ قال ابن عباس وتقطعت بهم الاسباب
قال المودة وكذا قال مجاهد في رواية ابن نجيح ٥

﴿ليجزي الله كل نفس ما كسبت﴾

كبره فتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما
هم بخارجين من النار ٥ ﴿سريع الحساب﴾ الرجوع يقال الكرة وكرنة تتعدى

باطل على كل تقدير وان الشوق بالحقيقة انما هو شوق الخواص
العارفين بالله والعبد اذا كان له مع الله حال ومقام وكشف له عما
هو افضل منه واجل اشتاق اليه بالضرورة ولم يكن شوقه
علة له وتقضي حاله بزيادة وكما لا يكون ترك الشوق هو العلة
وقد تقدم انه لا غاية للمعرفة ينتهي اليها فيبطل الشوق بنهايتها
بل لا يزال العارف في مزيد من معرفته وشهوده والله المستعان

فصل واما المسألة الثالثة وهي هل يزول الشوق باللقاء
ام يقوى فقالت طايفة الشوق يزول باللقاء لانه طلب فاذا حصل
المطلوب زال الطلب لان تحصيل الحاصل محال ولا معنى للشوق
الى شيء حاصل وانما يكون الشوق الى شيء مراد الحصول المحبوب الادراك
وقالت طايفة اخرى ليس كذلك بل الشوق يزيد بالوصل واللقاء
ويتضاعف بالدنو ولهذا قال القايل

واعظم ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ولهذا قال بعضهم شوق اهل القرب اتم من شوق اهل المحبوبين
واحتجت هذه الطايفة ان الشوق من آثار الحب ولوازمه وكما
ان الحب لا يزول باللقاء فكذا الشوق الذي لا انفكاك له عنه قالوا
ولهذا لا يزال الرضى والحمد والاجلال والمهابة التي هي من آثار المحبة
باللقاء فكذا الشوق متضاعف ولا يزول والتحقيق ان يقال
المطلب في المسألة ان المحب اذا اشتاق الى لقاء محبوبه فاذا حصل له
اللقاء زال ذلك الشوق الذي كان متعلقا بلقائه وخلفه شوق
اخر اعظم منه فالمحب لا يبلغ الى مزيد قربه والتمتع بوجهه واما اذا قدر انه
لقيه ثم احتجب عنه ازداد شوقه الى لقائه اخر فلا يزال الحاصل
له الشوق كلما حجب عنه فهذا لا ينقطع شوقه ابدا انما ذا
رآه قل شوقه برويته فاذا غاب عنه الطرف عاوده الشوق
كما قيل ما يرجع الطرف عنه عند رويته حتى يعود اليه الطرف
مشتاقا وانما الشان في دوام الشوق حال الوصول واللقاء

فاعلم

فاعلم ان الشوق نوعان شوق الى اللقاء هذا يزول باللقاء وشوق
في حال اللقاء وهو تعلق الروح بالمحبوب تعلقا لا ينقطع ابدا
فلا تزال الروح مشتاقة اليه بهذا التعلق وقوة اشتياقا
لا بعدا وقد افصح سعيد المجيد للخلوق عن هذا المعنى بقوله

اعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تداني
والثم فاها كي تزول لوعتي فيشتد ما القى من الهيمان

فالشوق في حال الوصل والقرب الى مزيد القرب واللذة لا ينقطع
والشوق في حال البعد الى اللقاء ينقطع وتتغير له من الالام
فيما لستنا بامل فالخوف ادنى بالمتيم اذ انال والحزن
والحب يجمل بالفتى وبالفتى من الدرن لكن اذا لم يسكم المتيم
اذا من واذا احب فطالما فعل المحب شيئا مرجح وجبا كم
كلا ولم اجد من تابى محبته بانواع المحن والتعذيب فانح
والقلب فيها ممتحن دون الذي في حبه بلاك تعاده والمتن
ومحل بدر جمالها شعلا تتعود هو الوطيء والقلب يحمل في تلك
النار والدمن سقى ورصيح من رضاه ومن مناه في وطن
احبهم قلب وعشى ان يضام فلا اذن ٥

قوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
ان القوة جميعا وان الله شديد العذاب قال ابو العتاهية
ولو يرى جواب لو يعلمون ذو الفقار لو عدلوا لو عيد الا لو عود
والمتيم عند اذا عرف ذو الفقار وقف ذهنه مع ذلك المعنى
واذا لم يعرف ذهب وهمه الى ما هو الاعلى من ذلك وتقدير الجواب
لعلموا ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ولو علموا ان الله لا يضر ولا ينفع وان الخير
على يديه بالبادية هناك تذهب القلب وتقترن التعليل بان

هذا الاستماع عليه بعد علمه بعدم وقوعه المثل الاعلى سبحانه
وتعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا فالسبب الذي ان هذا القايل
يلزمه ان يجعل من اسمائه الاعز والحالي والاتي والذاهب والثابت
والمقابل والصابر والمبري والبارئ والمذموم والمدمر اضعاف
اضعاف ذلك مستحيل لمسلم من كل وجه اخبر به عن نفسه والا
تناقض تناقضا بينا ولا يمكنه ولا لاحد من العقلاء رد ذلك مع علمه
ببطلان قوله والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وأما المسالة
الثانية وهي هل يطلق على العبد انه مشتاق الى الله والى لقايه فهذا
غير ممتنع وقد ورد في الاحاديث الصحيحة ما يدل على ذلك
من حديث عمار الذي تقدم في عزمه الثاني من احاديث الصابرين
عمار بن ياسر رضي الله عنه وارضاه عنا وعنه وعن جميع اصحابنا
وما على من ذلك لقد دعوت الله بدعوات سمعتها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما كان يدعو بها لنفسه رجل من المسلمين اعلم الدعوات قال
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي
وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم اني اسالك خشيتك في الغيب
والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب والرضا واسالك القصد
في الفقر والغنا واسالك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع واسالك
الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت واسالك لذة النظر الى
وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة
اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين يهتدى بنا فيه
اثبات لذة النظر الى وجهه الكريم وشوق اهل الجنة اليه والى لقايه
فان حقيقة الشوق اليه هو الشوق الى لقايه قال ابو القاسم القشيري
سمعت الاستاذ ابا علي يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اسالك الشوق
الى لقائك قال اية الشوق غاية جزوعه وتشوقون له وجزوعه
مشفق في الناس فاما ان يكون ذلك الجزع وايصاله فقد ان
يكون مسلبه من الشوق لغيبوبته عنه وسمعته يقول في قول عيسى عليه السلام

وعجلت

شوقا الى من انقطعت اوصالي من محبتي يا داود هذه ارادتي في
المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي وهذا خفوق العلم
واما اللقاء والقرب فامر احرق الشوق فيه بالاعتبار الثاني وهو قرب
الحبيب ولقاؤه والدنو منه وهذا اجل مضروب لا ينال قبله كل
نفس من كان يرجو القائه فان اجل آت قال ابو عثمان المغربي
غالب هذا تعريف للمشتاقين معناه الى اعلم انا شيقناكم الي واني احب لقائكم
اجلا عن قريب يقرب وصولكم الى من تشتاقون اليه فالصواب
ان نقال اطلاق اللفظ متوقف على السمع ولم يرد به فالنبي لا يطلقه
وهذا لفظ العشق اضافي لا يطلق عليه شيء فانه ممنوع عليه اطلاقه
عليه سبحانه واللفظ الذي اطلقه سبحانه على نفسه واخبر به عنها تم
من هذا واجل شانا وهو لفظ المحبة فانه سبحانه يوصف من كل صفة كمال
باجلها واجلها واعلاها فيوصف من الارادة باكملها وهو الملك وحصول
كل ما يريد كما قال تعالى فعال لما يريد وبارادة اليسر لا العسر
كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وبارادة الاحسان
وتمام النعمة بقوله تعالى والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
على عباده الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما فاراد التوبة لمن اراد الميل المبتنى
الشهوات وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون وكذلك الاحسان يصف
سبحانه بالاراده كما تصدق به العبد والحق ولذلك الفضل
يصف سبحانه بكل هذا العدل والملك والفضل والنعمة وهكذا
المحبة وصف سبحانه بها نفسه واخبر بها عنها تعالى يحبهم ويحبونه يحب
التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ولم
يصف نفسه بغير ما من العلاقة والميل والصلة والعشق والغلمة
ونحوها فان مسمى هذه الالفاظ عند المتيمين فاحشة في حقه
اطلاقها عليها ومن هذه المعاني لا ينتقل عن لسانه وسبحانه وتعالى
عنها وعن الاتصاف بها وهذا جميع ما اطلقه على نفسه من صفاته

العلي

العلي الكل معنى ولفظا هما اطلقه على نفسه العظيم الجبير الكل من المتفضل العارف
والكريم الجواد الكل من المنشئ البارئ المصور الكل من الصانع الفاعل
ولهذا المعنى هذه الاسماء الحسنى والرحيم والرؤف الكل من المتفضل
والمشفق وقليل عما اطلقه سبحانه على نفسه من الاسماء والصفات
والوقوف معها وعدم اطلاق ما لم يطلقه على نفسه سبحانه ما لكن مطابقا
لمعنى اسمائه وصفاته وحقيقة وفاطلق المعنى المطابق له وقف اللفظ
ولا سيما اذا كان مجملا او موهما ما يليق بالمخلوق فاطلاقه
لا يجوز فهذا اصل عظيم في باب اسمائه وصفاته فانه لا يطلق عليه من اسمائه الحسنى
الا اطلاقا مقيدا لانه اطلقه على نفسه مقرونا بما يقتضي ان فعاله لما يريد ويفعل
الله ما يشاء وقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء فرق بين الصانع والفاعل
فسبحانه المعنى الذي يمدح عليه ويذم ولهذا المعنى والله اعلم لم يجيء
في اسمائه المعنى المريد كما جاء في السميع البصير ولا المتكلم ولا الآمر
ولا الناهي لانتفاء ما يسمى هذه الاسماء له وصفه به خالقها واشرف
اسمائها ومن هنا غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في
اشتقاقه له سبحانه من كل فعل اخبر به عن نفسه اسما مطلقا وادخله
في اسمائه الحسنى فاشتق له اسم المكر والخادع والفاتن والمضل
والكائد فشرها من قوله ومكروا ومكر الله ومن قوله وهو خادعهم ومن
قوله لنفتنهم فيه ومن قوله نضل من يشاء ونهلكت انه لا يحب بعد
خطأ من نحوه احدها انه سبحانه اطلق على نفسه هذه الاسماء
مطلقا غير مقيدة فلا يجوز ان يشتق له منها اسم ولا وصف بل يخبر عن نفسه بفعل
مختص مقيد فلا يجوز ان يشتق له منه اسم يسمى الا بمعنى الاطلاق
الثالث ان مسمى هذه الاسماء منتف ان يتصف به المسمى عليه
والمايذم ممتنع في حقه ومنتف في وصفه فيمتنع اطلاقه
عليه سبحانه فلا يجوز ان يسمى بشيء من اسماء الرب تعالى كما
لم يسم تعالى ولله الاسماء الحسنى وهي التي يحب سبحانه ويثني عليه
ويحمد ويمجد بها دون غيرها الى هنا من ان هذا القابل لو سمى
بهذه الاسماء وقيل هذه مدحتك وثنا عليك بها انت الماكر
الخادع المضل الامر الفاعل الصانع ونحوها اكان يرضى باطلاق

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكلما كان ترقان العبد وتميزه اتم كان حاله اكمل وسيره اصح وطريقه
اقوم واقرب والحمد لله رب العالمين ۞ قال ابو العباس
واما الشوق فهو هبوب القلب الى غايب واعواز الصابر عن فقده
وارتياح النفس الى طلبه وهو من مقامات العوام فاما الخواص فهو عندهم
علة عظيمة لان الشوق انما يكون الى غايب ومذهب هذه الطايفه
انما قام على المشاهده والطريق عندهم ان يكون العبد غايبا والحق ظاهرا
ولهذا المعنى لم يطلق الشوق قالوا لانه صحيح لان الشوق يجامع
عن بعد ونشر الى غايب وهو يطلع الى المراد وهو معلم انه لم يقع وقيل
ولا معنى لكلوي الشوق ومتى الى من لا يزول عن العيان ۞
اختلف الناس في الشوق والمحبة ايهما اعلى فقالت طايفه المحبة اعلى
من الشوق هذا قول ابن عطا وغيره واحتجوا بان الشوق غايته ان يكون
اثرا من آثار المحبة وسؤلد عنها فهي اصل وهو فرعها قالوا والمحبة توجب آثارا
كثيره من آثارها الشوق وقالت طايفه منهم شيخ المنتطي وغيره الشوق
اعلى قال الجنيد سمعت السري يقول الشوق اجل مقاما تا العارف
اذا احقق به واذا احقق في الشوق لهى عن كل شي شغلني شاق اليه
وانما نظهر صحة المسالة بذكر فصلين الاول في حقيقة الشوق
والثاني الفرق بينه وبين المحبة وتتبع ذلك حتى نذكر دليل احدها
هل يجوز اطلاقه على العبد فقال شاق الى الله كما يقال المحبة الثالثة
انه هل يتفاوت بالوصول والقرب ام يضعف بهما فاما الشوقين على شوق
القرب الباقي ام شوق البعيد الطالب الرابعة الفرق بينه وبين
الاشتياق فهل هما بمعنى واحد ام بينهما فرق الخامسة في بيان مراتبه
واقتاما وهي منازل اهل فيه الاول في حقيقة الشوق
هو سفر القلب في طلب محبوبه حيث لا مقر قراره حتى يظفر به ويحصل
له وقيل هو لهب مشاهين اثنا الحشى سببه الغرقة اذا وقع
اللقا اطفا ذلك اللهيب وقيل الشوق هبوب القلب الى محبوب غايب
عنه وقال ابن خفيف الشوق ارتياح القلوب الى الوصل ومحبة اللقا والقرب
وقيل الشوق نزوع القلب نحو المحبوب من غير تعريج وقال الشوق
انتظار اللقا بعد البعاد وهذه الحدود ونحوها مشتركة في ان الشوق انما يكون

مع

مع الغيبة عن المحبوب واما مع حضوره ولقايه فلا شوق وهذه مجتبى
جعل المحبة اعلى منه فان المحبة لا تزول بالقا وهذا يتبين الكلام في الفصل
وهو الفرق بينه وبين المحبة والفرق بينهما فرق ما بين المتبي واثره
فان الحامل على الشوق هو المحبة ولهذا يقال
لمحبتي اشتقت اليه واحببته فاشتقت الى لقايه ولا يقال لشوقي
اليه احببته ولا اشتقت الى لقايه فاحببته فالمحبة بذر في القلب
والشوق بعض ثمرات ذلك البذر ولذلك من ثمراتها هذا المحبوب
والصاغه وشعره وحوفه وزجاره والتنعم بذكره والسكون
اليه والانس به والوحشة بغيره وكل هذه من احكام المحبة وثمراتها
وموجباتها فمن لا شوق من المحبة مثل الهرب من البغضة والكراهة
فان القلب اذا ابغض الشي وعرهه جدي الهرب منه واذا احبه
جدي الهرب اليه وطلبه فهو حركة القلب في الظفر بمحبوبه
ولهذه ارتباط الشوق بالمحبة وقع كل واحد منهما موضع صاحبه
ويعبر عنه به فصل واما الثاني فاعراها
هل يجوز اطلاقه على الله فنهاهم لا يرد به القران ولا النبي يصح
لعظمه واصحابه بهذا زلل كثيرين وغيرهم وسبب ذلك ان الشوق
انما يكون لغايب وهذه الطايفه انما قام على المشاهده
ولهذا السبب عندهم لم يجي في حق الله ولا في حق العبد وهو زلت
طايفه الطلاقه كما يطلق سبحانه المحبة وروى انه في اثر الهي سبحانه
وتعالى يقول طال شوق الابرار الي وانا الى لقايهم اشوق قالوا
وهذا الذي تقتضيه الحقيقه وان لم يرد به لفظ صريح فالمعنى
حق فان كل محب هو شاق الى لقا محبوبه علموا او لم يعلموا الشوق
انما يكون الى غايب وهو تعالى لا يغيب عن عبد ولا يبعد العبد
عنه وفي اثر اخر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام قل
لشبان بني اسرايل يطهروا انفسهم بعفاري وانا مشتاق اليهم
هذا الجفاري اثر اخر اوحى الله تعالى الى داود ليعلم المذنبون
عني حين انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى توبة معاصيهم لانوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فكانت فتنة في الارض وفساد كبير وكم قد ضل واضل بحكم الحال على العلم
بل الواجب تحكيم العلم على الحال ورد الحال اليه بما زكاه شاهدا العلم
وهو المقبول وبما خرجه شاهدا العلم وهو المردود وهذه وصية اياك
الاستنامة من مشائخ الطريق رضي الله عنهم كلهم موصوف بذلك ومخبرون
ان كل ذوق ووجد لا يقوم عليه شاهدان اثنان من العلم فهو باطل
ويقال ثانيا ليس من شرط قبول العالم بالشيء من العالم به ان يكون
خاليا قاله اشتراك لا يقبل معرفة الالام والاوجاع وادويتها الا من قد
مرضها وتداوى بها فيقول هذا عاقل ويقال ثالثا ايضا بل الذوق ان
يكون القابل قد بلغ الغاية القصوى في هذه المرتبة فلا يقبل الا
ممن هذا شانه او يريد بيانه لابد ان يكون له اذواق اهله من حيث
الجملة فان اردت الاول لزمك ان لا يقبل من احد اذعان من ذوق الا
وفوقه اكمل منه وان اردت الثاني فمن اين لك تفتيه عن صاحب العلم
ولكن لا عراضك عن العلم واهله صرت تظن ان اهل العلم لهم العلم والكلام
والوصف والمعرض عنه الذوق والحال والانصاف فالظن يخطئ
تارة ويصيب والله اعلم فصل قال ابو العباس وعند
القوم كل ما هو من العبد وهو على تطبيق بحر العبد وفاقته وانما عين
الحقيقة عندهم ان يكون قائما باقامة الله اياه محبته له ناظرا بنظره
له من غير ان يبقى معه بقية تناط باسم او تقف على رسم او تعلق
باثر او تتعت بنعت او توصف بوصف او تنسب الى وقت هم بحكم عمى
لاينا محصورون فيقال لهذا هو مقام الفناء الذي تشير اليه كثير من المتاخرين
ويجعلونه غاية الغايات ونهاية النهايات وكل مناد دونه مرمى اليه وعليه
عليه ولهذا كانت المحبة عندهم اجر منازل الطريق واول اودية الفناء
والعقبة التي يصدر منها على منازل الصحو وهي اخر منزل للمتوسطة معدودة
العامة مناقة الخاصة وما دونها اعراض لا اعراض ويجعلون المحبة
منزلة من المنازل ليست غاية ويجعلونها اول الاودية التي يسلك فيها
اصحاب الفناء فهي اول اودية الفناء والعقبة التي يصدرون منها الى
منازل الفناء والمحو فليست في الغاية عندهم واصلها عندهم هم

تقدمه

تقدمه الغاية وشاقة اصحاب الفناء عندهم متقدمون عليهم سابقون لهم
فانهم شاقة الخاصة وهو لا تقدمه العامة وهذا كله بناء على ان الفناء هو
الغاية التي لا غاية للعبد دونها ولا كمال له يطلبه فوقها وقد بين
ما في ذلك وبما هو الصواب بحمد الله وقوله رحمه الله كلما هو
من العبد فهو على طريق بحر العبد وفاقته يقول اذا كان تمام العبودية
التي يحبها الله حسبما ومأمورة هو قائم بها شاهد لمقيمه بها مطالع
لمنة وفضله قائم على هذا سوى وقوفه مع شهود منه وغيبته
عن شهود اقامة الله له وتحريكه اياه. وبوقفه له فالعلم هذا
الشهود وهذه الغيبة المنافية لكمال الافتقار والفاقة الى الله واما
شهود فقره وفاقته في مجموع حالاته وحركاته وسكناته الى ربه
ومولاه مستعينا به ان يقيمه في عبوديته خالصة له فلا علم هناك
قوله وانما عين الحقيقة ان يكون قائما باقامة الله اياه الى آخر كلامه يقال
ان اردت بالشاهد قام الله لحق قام وبحيثه له حتى احبه ونظره
الى عبده حتى اقبل عبده عليه ناظرا اليه بقلبه فهذا حق فان ما من
الله سبق ما من العبد وهو الذي احب عبده أولا فاحبه العبد وانما
عبده في طاعته فقام باقامته ونظر اليه فاقبل العبد عليه وتاب عليه
اولا فتاب اليه العبد وان اردت انه لا يشهد فعل الله به بل يعمى
عليه حاله وشهود ان الله وحده هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب
لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير علما صرفا في شهوده
وان افنى وتعدم في الخارج وهذا هو مراد القوم فدعوى ان هذا
هو الكمال الذي لا كمال فوقه ولا غاية وراءه دعوى مجردة لا تستند
عليها سند عليها بكثير من الذوق والوجد وقد تقدم ان هذا ليس
بغايته وانما غايته ان يكون من عوارض الطريق وان شهود الاشياء
في مراتبها ومنازلها التي انزلها الله سبحانه اليها اكمل واتم ويكفي في بعض
هذا الاحتجاج عليه بصفات الكمال فان الله تعالى ذمهم بانهم صم بكم
عمي فهذه صفات نقص وذم لا صفات كمال ومدحة وهل الكمال الا في
حضور السمع والبصر والقول وكمال المميز وتنزيل الخلق والامر
منازلها والتفريق بين ما فرق الله بينه فالامر كله فرقان وتمييز وتبيين

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصفات والنظر في الايات والارتياض بالمقامات وانما جعل هو
هذه المحبة اقصى مراتب المحبة الثالثة بناء على اصوله في ان الفناء هو
غاية السالك الى الله وكمالها وهذه المحبة هي التي استغرقت
روحه بحيث غيبته عن شهوده وفنى فيها المحب والمحبوب ومن ما الكلية
ولم يبق هناك الا المحبوب وحده فكان هو الحسن لنفسه منذ ازل
نفي من لم يكن ومتى من لم يزل ولما ضاق نطاق النطق بهم عن التعبير
عنها عدلوا الى التعبير عنها بما قاطعه لعدم وجود للاشارة بمعنى
تدل عنها الكناية عن الاشارة بمتناول يجانبها وفي هذه المحبة
قد فني المحب وانقطع تعلق الاشارة بعد ان الاشارة لا تتعلق بمعدوم
وشرط الفناء عندهم هو الفناء في المحبوب لا شاهد له ولا
محب ولا حبيب اذ لو كانت الذوات الثلاث قائمة عندهم معلولتين
لانها معصومان بالفناء وشهود الاحاد عندهم ان الله ولذا قال
والمنتهى للصوفية ان النعت لا يصل اليه ولا يذكر وهذا نهاية
عظام المتكلمين كالاشعري واتباعه حيث قصر الوصول الى ما يتعلق
اما العلم او القدرة او الارادة وهي درجة الكمل من المحبين ولهذا قالوا هم وسيلة ولعلهم جنبا
على اعدادهم في الدرجة العليا من المحبة وهو مراعاة اوقات الاشراق
وتجريحات الاسم مثل مراعاته بالصبح في الصلاة ليحضر الجلي
ومثل التفاته في الصلاة الى الشعب الذي ينبعث منه العين ويعرف
له اسم الصدر وهذا وهو اعلى درجات المحبة ولهذا اتى بالجلي
الاشراق وهو ان يتجلى له ما اضمر من تلك الحقائق به
واوصى بعضهم بحفظه وامر الصلاة مراعاة الاسرار فان هذه الحال
هي التي هم فيها وهو تجاوز الاسماء والصفات الى الذات
والتي هي مراد الله من خلقه الثقلين وهي التي اشار اليها بقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الذي يسمونه الفناء في الله
وخلاصته لا ريب ان الوراثة المحمدية كل الوراثة المرسلية

وتامل

له طمع ولا وساوس بل بقي حبه للمنعم عليه وشكره له وذكره اياه في محل
وساوسه وخواطره لما لعنه نعم الله عليه وشهوده منها ما لم يشهد
غيره وقوله وتلذذ الخدمة هو صحيح فان المحب تتلذذ بخدمة
محبوبه وتصرفه في طاعته وكلما كانت المحبة اقوى كانت لذة الطاعة
والخدمة اكمل فليزن العبد ايمانه ومحبته فيه بهذا الميزان وليبطر هل
هو يتلذذ بخدمته كتلذذ المحب بخدمة محبوبه او تثقل له ايا ما تأتي بها على
التكاسل والملل والكراهة فهذا محل ايمان العبد ومحبة الله فكل بعض
التلف دخل في الصلاة فاجعل هم خروجي منها وضيق صدري اذا عرفت
اني خارج منها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عيني في الصلاة
ومن كانت قرة عينه في شيء فانه يود ان لا تفارقه ولا تخرج منه فان
قرة عين العبد بالشيء تنعمه وطيب حياته به وقال بعض السلف
اني لافرح بالليل حين يقبل لما يذهب عيني وتقذبه عيني من مناجاته
من احب وخلوي بخدمته والتذلل بين يديه واغتم للنهار اذا طلع لما
اشتغل به بالنهار عن ذلك فلا شيء الذ للمحب من خدمة محبوبه وطاعته
وقال بعضهم تلذذت بالصلاة عشرين سنة ثم تنعمت بها عشرين
سنة وهذه اللذة والتنعم بالخدمة انما تحصل بالصبر على التكره والتعب
اولا فاذا صبر عليه وصدق في صبره افضى به الى هذه اللذة قال
ابو يزيد شكوت تعسي الى الله وهي تبكي فما زلت اشكوها حتى اتت الي
وهي تتمخل ولا يزال الكدر عرضة الافات والفتور والانتكاث حتى
يصل الى هذه الحال فحينئذ يصير تعبه في شيء ولذته في اجتهاده وعلله
في فتوره ووقوفه فيرى اشد الاشياء عليه ضياع شيء من وقته ووقوفه
عن سيره ولا سبيل الى هذا الا بالحب المزعج وقوله وسئل عن الحبيب
صحيح فان المحب تتلى محبوبه عن كل مصيبة تصاب بها دونه فاذا سلم
له محبوبه لم يبال بما فاتته ولا يخرج على ما فاته يرى في محبوبه عوضا عن
كل شيء ولا يرى في شيء عن عوضا منه اصلا فكل مصيبة عنده هينة
اذا ابقى عليه محبوبه ولهذا لما خرجت تلك المرأة الانصارية يوم احد
تنظر ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اما مرت بابيها ولديها مقتولين فلم تقف عندها
وجاوزتهما

وجاوزتهما تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها هو فداحي
فلما نظرت اليه قالت كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله اذا سلمت هل من هالك
المحبة من الفوائد الاهذه الفائدة وحدها لكفى بها شرفا فان المحب
لا بد له من التعب لا محيد له عنه ولا يمكن دفعه وحمله سهل اذا كانت المحبة هكذا
هين على الموت وما بعده فما تحمل في سبيل المحبة وكذلك مصائب
القيمة واعظم المصائب مصيبة النار ولا يدفعها الا محبة الله وخشيته
ومتابعة رسوله فالمحبة اصل كل خير في الدنيا والاخرة كما قال تعالى يحبونهم
كحب الله المحبون لله تشرف الدنيا والاخرة فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال المرء مع من احب وسيجمع الله تعالى بين كل محب ومحبوبه في الجنة
الايمان كلام قام بالقلب عمود الايمان في عدته وسلاحه الذي يقوم
الا عليه فلا ايمان لمن لا محبة له وانما مراده ان هذه المحبة الخاصة
التي تتضمن تقديم المحبوب على كل ما سواه هي عمود الايمان والعمل من فقدها فقد
محبة فقد من معرفة الله وعظمته الا ما شاء الله من الصفات
قال ابو العباس وامام محبة الخواص فهي محبة خلقه تتلاشى العبارة
وتدق الاشارة ولا تلتهي بالنعوت ولا تعرف الا بالله والذكرى
وقال بعضهم تقول وقد التقت وجداً وخبر عوقد تمتعا بعد
التعرف بخصوصية الست الذي كانت بينهما قبل ان تكون اثنين فلما
ثم فرد عليها الوجد اثنينية ذكرها وبين الامر وخبرها
فقال هاهنا موجبان من المحبة مختلفان في اثنيهما الاول الخبري
احداهما هذه المرتبة التي اشار اليها الصنف وهي المرتبة الثانية
التي ذكرها شيخ الاسلام فيما نقل فقال والدرجة الثانية محبة
خاصة تتلاشى فيها وتضمحل الاشارة والعبارة فيها كالمحب
المحب قلب هذا الشان وما دونها حال شاركها فيها الذي ادعيتها
الشهود واوجب الفرق للمرتبة الثانية عن ما قبلها ان الاول ومن
تبعه دون هذه المرتبة وهذه المحبة التي تتلاشى دونها العبارات
قال في حال والدرجة الثانية محبة تستغرق صاحبها وتستولي على اثاره الحق على غيره
ويلبح الشاهد ذكره ويعلو القلب شهوده فهي محبة فوق ما قبلها

بغيره فباطله زائل بطلان متعلقها واما محبته سبحانه فهي الحق
الذي لا يزول ولا يبطل كما لا يزول متعلقها ولا يفنى وكل ما سوى الله ومحبة الباطل
باطل فسبحان الله كيف تشكل المحبة الحق التي لا محبة احق منها ويعترف
بوجود المحبة الباطلة المتلاشية وهل تعلقت المحبة بموجود محدث
الا لكمال في وجوده بالنسبة الى غيره وهل ذلك الكمال الا من آثار صنع
الله الذي اتقن كل شيء وهل الكمال كله الا لله فكل من احب شيئا لكمال
ما يدعوه الى محبته فهو دليل وعبد على محبة الله وآثار اولي بكمال
المحب من علق بشيء ولكن اذا اثاب النفوس صفاء كانت محبوبتها
على قدرها واما النفوس الكبار الشريفة فانها انما تحب لاجل الاشيا
واشرفها والمقصود ان العبد اذا اعتبر كل كمال في الوجود وجده
من آثار كماله سبحانه وجوده على كمال مبدعه كما ان كل علم في الوجود
من آثار علمه وكل قدرة من آثار قدرته وتنبه الكمالات الموجودة في
العالم العلوي والتفطن الى كمالها كتنبه علوم الخلق وتقديرهم وقوامهم
وحياتهم الى علمه سبحانه وقوته وحياته فاذا انتبه اصلا بين كمالات
العالم وكمال الله جل جلاله يجب ان لا يكون بين محبته تعالى ومحبة غيره
من الموجودات نسبة بل يكون حب العبد لما عظم من حبه لكل شيء بما
لا نسبة بينهما ولهذا قال تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله فالمؤمنون
اشد حبا لربهم ومعبودهم تعالى من كل محب لمحبوبه هذا مقتضى
عقل الايمان الذي لا يتم الا بدلالة هذه الآلة من الميل الى المحبوب
عنها غنيا وعنها بدلا فايق العلم والمايل التي تختص ببعض
الناس دون بعض بل هذه افرضت على العبد وهي اصل عقد
الايمان الذي لا يدخل في الداخل الا بها ولا فلاح للعبد ولا نجاة
له من عذاب الله الا بشهادة ان لا اله الا الله فان بها شرعا وحقيقة
ومعناها فان اباه الجاحدون وقصر عن علمها الجاهلون فان الاله
هو المحبوب المعبود الذي تالهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل
له وتخافه وترجوه وتنيب اليه في شدايدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل
عليه في مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا

الله

الله وحده ولهذا كانت اصدق الكلام وكان اهلها اهل الله وحزبه
والمنكرون لها اعداءه واهل غضبه وسخطه وهذه المسالة قطب
رحا الدين الذي عليه مداره واذا صحت صح بها كل مسالة وحال الذوق
واذا لم تصح لم يصح للعبد قال قائل فلازم لي في علومه واعماله واحواله واقواله
ولا حول ولا قوة الا بالله فلنرجع الى شرح كلامه قوله واما محبة
العوام فهي محبة نشأت من مطالعة المنة يعني ان لهذه المحبة منشأ وثبوتا
وسموا منشأها الاحسان ورؤية فضل الله ومنته على عبده وثبوتها
باتباع اوامره التي شرعها على لسان رسله سموها وزنادتها بكون
ما جاء به العبد لداعي فقر وفاقة الى ربه وكلما دعاه فقره وفاقته
الى ربه اجاب هذا الداعي وهو فقير بالذات فلا ينزال فقر يدعوه اليه
فاذا دام استجابته له يدوم الداعي لم تزل المحبة تنمو وتزايد فكلما
خطر الرب تعالى في قلبه خواطر الفقر والفاقة اليه بادر قلبه بالاجابة
والانكسار بين يديه ذلا وفاقة وحياء وخضوعا وانما كانت هذه
محبة العوام عندهم لان منشأها من الاقبال الا من الصفات والجمال
ولو قطع الاحسان عن هذه القلوب لنفرت وذهبت محبتها او ضعفت
فان باعثها انما هو الاحسان ومن وكل امره ولي عند انقضاء به فهو وربه
الاحسان مشغول وتوالي النعم عليه محمول قوله وهي محبة
تقطع الوشواش تلك الخدمة وتتلى من المحبوب وهي في طريق العوام
عمدة الايمان انما كانت هذه المحبة قاطعة للوشواش لاحضار القلب
بين يدي محبوبه والوشواش انما تغشى من البعد والبعد واما الخاص
الذي هد حمال والوشواش فالوشواش مجاهدته وقلبه لحضور
بين يدي معبوده والمحبة تمنع قلبه عن محبوبه فيجاهد على احضاره
فالوشواش والمحبة متنافيان من وجه واحد فان المحب قد انقطع
عن قلبه وسواس الاطماع لاستلاء قلبه من محبوبه فلا يتوارد
على قلبه حوادث الاطماع والامانى لاشتغاله بما هو فيه وانصافا فان
الوشواش بعد الايمان انما بقيا من عاجلة وفاقته الى ما تعلق طمعه به وهذا
صدقة جرى من الاحسان واعطى من النعم ما سد حاجته واغنى فاقته فما بقي

ان تيأله ان شفيه وفقرهم الى ان تيأله غناهم وحاجتهم تيأله
قضاها هائل لبله وبدعوهم سبحانه الى التوبة وقد عاديوه وعادوا
اولياءه وحرقوهم بالنار وقد اخبر سبحانه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وكل بعض ان لفظ وا
الى كرم مكيف عدوا اولياءه وحرقوهم بالنار ثم هو يدعوهم الى التوبة
فهذا الباب يدخل منه كل احد الى محبته سبحانه فان نعوته وصفاته
شهوده لم تستقر ان منها عدد الا نفاس والانفاس وقد روى
في بعض الاحاديث ان نوحا اجاب الله لما نعت وكم من نعمه واجبون
يحب الله فهذه محبوبة تطالعه المنن والاحسان ورويه النعم
والآلاء وكلما تكرر القلب بفكر فيها ازداد محبته وتألهه ولا
نهاية لها تقف عندها القلب عند قابل كما ازدادت منها ازداد
اعتبارا وعجز عن ضبط القليل منها فتدل بما عرف على ما لم يعرفه
والله سبحانه دعا عباده اليه من هذا الباب حتى اذا دخلوا منه دعوا
من الباب الاخر وهو باب الاسماء والصفات الذي لا يدخل
اليه حتى امر عباده ان يأتوه منه وهو باب المحبين حتى النبي لا يدخل
جنته عبادهم ولا يشبع من نظرته احدهم بل كلما ازداد
شوقا ومحبة وله فاق ذا الشوق داعي الاحسان والاعلام الى داعي الكمال
والجمال لم تخلف عن محبته من هذا شأنه الا ردى الثواب واخبثها
واخرها منقلبا وابعدها من كل خير فان نظر القلب عليه
للتزين الكامل في اوصافه واخلاقه واذا كانت هذه نظرة الله التي
فطر عليها قلوب عباده فمن المعلوم انه لا احد اعظم احسانا منه
سبحانه ولا شيء اكمل منه ولا اجمل فكل ما في الكون من جمال
اثر صنعته سبحانه وهذا الذي لا يحد كماله ولا وصف جلاله
وجماله ولا يحصي احد من خلقه ثناء عليه بما هو اهل صفاته وعظيم امتنانه
وجزيل افضاله بل هو كما اثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه
خلقه وحسبان يكون الله سبحانه المحبوب الذي لا يستغني
لا شيء كل شيء عنه ولا احد من اتباعه بد منه من صفاته ما يصلح
خاصة من الناس كلهم حتى ومن مشتقة من اسمائه ما يصلح
عليها

عليها فهو المحبوب المحمود لذاته وصفاته وافعاله واسمائه فهو المحبوب
المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما امر اذ ليس في افعاله عبث ولا في اوامره
سفه بل افعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة
وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه واوامره كلها مصلحة
تستوجب الحمد والثناء عليها وكلامه كله صدق وعدل وحق او مكمله عدل
وفضل فانه ان اعطى فبفضله ورحمته وان منع او عاقب فبعدله وحكمته والمحبة هي
ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضايع
ان عذبوا فبعدله او نعموا ففضله وهو الكريم الواسع
ولا تتصور هذا المقام حق تصوره فضلا عن ان يوفيه حقه فاعرف خلقه
به واعبده له بقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولو شهد
العبد بقلبه صفة واحدة من اوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة
عليها وهل منع المحبين محبوبهم الا من آثار صفات كماله فانهم لم يروه في هذه
الدار وانما وصل اليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه فاشتغلوا بما علموه
على ما غاب عنهم والا فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه
لكان لهم في حبه شان اخر وانما تفاوتت مراتبهم في محبته على حسب تفاوت
مراتبهم في معرفته والعلم به فاعرفهم له اشدهم حبا له ولهذا كان رسله
صلوات الله وسلامه عليهم اعظم الناس حبا له والخليلان من منهم اعظمهم
حبا واعرفهم بالمحبوب اشد له حبا من غيرهم ولهذا كان المنكرون له لجهله
سبحانه من اجهل الخلق به فهم منكرون لحقيقة الهيته وملة الخليلين
صلى الله عليهما وسلم ولفطر الله التي فطر عباده عليها ولو رجعوا الى قلوبهم
لوجدوا ربهم فيها ووجدوا معتقدهم وحبهم يكذب فطرهم وانما بعث
الرسل بتكميل هذه الفطر واعادة ما فسد منها الى الحالة الاولى التي
فطرت عليها وانما دعوا الى القيام بحقوقها ومراعاتها ليلا تنتقل
وتنتقل عما خلقت له وهل الاوامر والنواهي الا خدم وتوابع وتكميلات
ومصلحات لهذه الفطرة وهل خلق سبحانه خلقه الا لعبادته التي
هي غاية محبته والذل له وهل يحب الانسان الا الها كما قيل
وهل في الوجود محبة حق غير باطلة الا محبته سبحانه فان كل محبة متعلقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا سبيل له الى ضبط اجناس هذا الاحسان فضلا عن انواعه وعن افراده
ويكفي ان من بعض انواعه نعمة النفس التي لا يكاد يخطر ببال العبد
وله عليه في كل يوم وليلة فيه اربعة وعشرون الف نعمة فانه تنفس في
اليوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس وكل نفس منه نعمة منه سبحانه
فاذا كان ادنى نعمه عليه في كل يوم اربعة وعشرون الف نعمة فما الظن
بما فوق ذلك واعظم منه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا الى ما
نصرف عنه من المضرات وانواع الاذى التي تقصده ولعلها توازن النعم
في الكثرة والعبد لا شعور له بها كلها اصلا والله سبحانه يكلؤه من
الليل والنهار كما قال تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وسنا
كان المعنى من يكلؤكم ويحفظكم منه اذا اراد بكم سوءا ويكون يكلؤكم ضمنا
معنى يحرسكم ويحميكم من بأسه او كانت من البدلية اي من يكلؤكم بدل الرحمن
سبحانه اي هو يكلؤكم وحده لا كالي لكم غيره ونظير من هذا قوله تعالى ارءيتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
ام اتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا
فجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون على احد القولين اي عوضكم وبدلكم
واستشهد على ذلك بقول الشاعر جاريه لم تاكل المرقة ولم تذق منذ
البقول الفقا اي لم تاكل الفقء بدل البقول وعلى كلا القولين فهو سبحانه
منعم عليهم بعلانيتهم وحفظهم وحراستهم بما يودعهم في الليل والنهار وحده
لا حافظ لهم غيره ومانع عنهم النائم غيره وفقرهم التام اليه فانه سبحانه
غني عن خلقه من كل وجه وهم فقراء محتاجون اليه من كل وجه وفي
بعض الاثار يقول الله تعالى انا الجواد ومن اعطى مني جودا وكرما انيت
اكلا متعادي في مضاجعهم وهم بادروني بالعظائم وفي الترمذي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى السحاب قال اللهم سقيا رحمة اللهم
الى قوم لا يذكرونه لا يعبدونه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا
احد اصبر على اذى يسمعه من الله انهم ليجعلون له الولد وهو يرزقهم
ويعافيهم وفي بعض الاثار يقول تعالى ابن ادم خيري اليك نازل وشرك
الي صاعد كم اتحبب اليك بالنعم وانا غني عنك وكم تبغضني الي وانت
فقير الي ولا زال الملك الكريم يعرج الي عملك سيء قبيح ولو لم يكن

من

من تحببه الى عباده واحسانه اليهم وبره بهم الا انه سبحانه خلق لهم ما في
السموت وما في الارض وما بين الدنيا والاخرة ثم اهلهم لكرمهم وارسل
اليهم رسلا وانزل عليهم كتبه وشرع لهم شرايعه واذن لهم في مناجاته
كل وقت اراد واوكتب لهم بكل حسنة عملوها عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف الى اضعاف كثيرة وكتب لهم بالسيئة واحدة وان تابوا منها محاها
واثبت مكانها حسنة واذا لمت لي ثوب احدهم عنك السهام اغفرت
عقره ولو لقيه بقراب الارض خطايا لقيته بقرابها مغفرة لا يشرك به شيئا
لاتاه بقرابها مغفرة وشرع لهم التوبة الماحية للذنوب فوفقهم لفعلها
ثم قبلها منهم وشرع لهم الحج الذي يهدم ما قبله فوفقهم لفعله وكفر
عنهم سيئاتهم به وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات هو الذي
امرهم بها وجعلها لهم واعطاهم اياها واثابهم عليها جزاها فضلا منه
والجزاء منه التوفيق ومنه العطاء اولا واخرا وهم محل الاحسان كله منه اولا
فقط ليس منهم شيء انما الفضل كله والنعمة كلها والاحسان كله منه اولا
واخرا اعطى عبده ما لم يكن يقدر ان يعطيه هذا الى ما اقبل منك فالعبد له والمال
له والثواب منه وهو المعطي اولا واخرا فكيف لا يحب من هذا شانه
وكيف لا يستحيي العبد ان يصرف شيئا من محبته الى غيره ومن اولى بالمحبة
والثناء والحمد منه سبحانه ومن اولى بالجود والكرم والاحسان منه فسبحانه
وبحمده لا اله الا هو العزيز العليم ويفرح سبحانه بتوبة احدهم اذا
تاب اليه افرح ما يكون واكمله وبعفو عنه ذنوبه ويوجب له بمحبته بالتوبة
وهو الهمه اياها ووفقه لها واعانه عليها وملائكته شهود له بذلك
واستعملهم في الاستغفار لاهل الارض واستعمل حملة العرش منهم في
الدعاء لعباده المومنين والاستغفار لذنوبهم ووقايتهم عذاب الجحيم
والشفاعة اليه باذنه ان يدخلهم جنانه فانظر الى هذه العناية وهذا
الاحسان وهذا التحنن والعطف والتحبب الى العباد واللطف التام
بهم ومع هذا فقد ارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وتعرف
اليهم باسمائه وصفاته والايه ينزل كل ليلة الى سما الدنيا لعباده يستقرض
حوائجهم منه ويدعوهم الى سؤاله فيدعوا منهم الى التوبة ومن يضيقهم الى

الكلم وا خفاها وحدها وهما وكان الاشتاذ ابو علي الدقاق
ينشد كثيرا ٥ لي شكران وللزمان واحدة شي خصصت به من بينهم وحدي
وحدا رجل الى عبد الله ابن مبارك فقال رايت في المنام كانك تموت الى ساعة
فقال عبد الله لقد اعجلتني الى بعيد اعيش الى ستين لقد كان لي اشتياق بيت
سمعته من ابي علي ٥

ما من تشكى شوقه من طول فرقته اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال الشبلي المحب اذا شك هلك والعارف ان لم يشك هلك والمحقق
بين هذا هو حال التمكن في حبه الذي تزول الجبال الراسيات وقلبه على الود
لا يلوى ولا يتغير والاول حال المريد المبتدي الذي قد علقت به
المحبة في قلبه ولم يتمكن اشتعالها وهو يخاف عليها عواصف الرياح ان تطفيها
وهو يحوطها ويليها ويستر هاعن الرياح جهده فاذا اشتعلت وتمكن وقودها
في القلب لم تزدها كثرة الرياح الا توقدا واشتعالا فهذا اختلاف
الناس وتفاوتهم في قوة المحبة وضعفها والمقصود ان من شط لسانه
بالعبارة عنها والكشف عن شرحها واحكامها لن يعدو ان يكون من اهل
العلم بالمحبة لا من المتصفين بها حالا فكم بين العلم بالشيء والاتصاف به
ذوقا وحالا فعلم المحبة شيء ووجودها في القلب شيء وكثير من المحبين
الذين قد امتلات علومهم محبة لو سيل عن حدها واحكامها احكامها وحقيقتها
لم يطق ان يعبر عنها ولا انتهى له ان يصفها ويصف احكامها واكثر المتكلمين
فيها انما تكلموا فيها بلسان العلم لا بلسان الحال وهذا والله اعلم هو
معنى قول بعض المشايخ اعظم الناس حجابا عن الله اكثرهم اليه اشارة
فانما حظه منه الاشارة اليه لا عكوف القلب عليه كالفقير الذي
حاجته وصف الاغنياء واموالهم ووصف الدنيا ومالها وهو خلو من
ذلك ولا ريب ان وجود الحب في القلب وترك الكلام فيه علما خير من
كثرة الكلام في هذه المسالة وخلو القلب منها وخير من الرجلين من قلبه
منها حالا وذوقا وقامت على لسانه ارشادا وتعليما ونصيحة للامة
فهذا حال اكمل الناس والله المسؤول من فضله وكرمه قوله والمحبة
لا تظهر على المحب بلفظه وانما تظهر على شمائله ونحوله هذا حق فان دلالة

الحال

الحال على المحبة اعظم من دلالة القال عليها بل الدلالة عليها في الحقيقة هو
شاهد الحال لا صريح المقال فرق بين من يقول لك انه اذا احب وجد ولا
شاهد عليه من حاله وبين من هو ساكت لا يتكلم وانت ترى شواهد احواله
كلها ناطقة بحبه لك كما قال بعض العارفين دفع الي رقعة
وقال هذا اخبرك عن جميع ما يتضمنه وكذا وكذا فاذا فيها ٥

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي اراني العضا متسلسلا

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتخلو حتى لا يبقى لك الهوى سوى عبرة تبكي بها وتناجيا

وبالجملة فشاهد المحب الذي لا يكذب هو شاهد الحال واما شاهد
المقال فصادق وكاذب ٥ قوله ولا يفهم حقيقتها من المحبوب
لموضع اخراج الاسرار من القلوب يعني ان حقيقة المحبة وسرها لا يفهم
من المحب لا بحبوبه وذلك لشدة الاتصال الذي بينه وبين محبوبه في الباطن
فروحه اقرب شيء اليه واما الغير وان علم انه تحب لظهور اثار المحبة عليه
وقيام شاهدها لكن لا يدري تلك اللطيفة الدقيقة التي يدركها المحبوب
من محبه لموضع اتصال شبهه به وقرب ما بين الروحين لا سيما اذا
كانت المحبة من الطرفين فهناك العجب والمناجاة والملاطفة والاشارة
والعتاب والشكوى وهناك امور لا يدري جليتها بعيب شاهدها
فصل قال واما محمد العوام فهي محبة نشأت من مطالعة المنة
وتثبت باتباع السنة وتنمو على الاجابة للقاءه وهي محبة تقطع الوساوس
وتلذذ الخدمة وتتلى عن الاحباب وهي في طريق العوام عند الايمان فقال
لا ريب ان المحبة درجات متفاوتة بعضها اكمل من بعض فذكر درجة خاصة
بالقلب الى ما عنها عامة بالقلب الى ما فوقها فلنذكر ما ذكره الخاص وهو
اتقاء ما حقيقتا مشترط فصل بميز احد الموصوفين عن الاخر وانما تقسم
باعتبارها الباعث عليها وشبهها وستقف بعد ذلك الى قسم المحبة منشا
من الاحسان ومطالعة الآلاء والنعم فان القلوب جبلت على حب من
احسن اليها وبغض من اساء اليها ولا احد اعظم احسانا الى عبده من الله سبحانه فان
احسانه على عبده في كل نفس ولحظة وهو يتقلب في احسانه في جميع احواله

يكون المعنى فوق ما اشير اليه اللفظ ويعبر عنه وهو اجل من ان
يدل لفظ على جلاله هيبته وهذا كاسمائه الرب تعالى واسمائه وكذلك
اسم الحب فانه لا يكشف اسمه سماه بل سماه فوق لفظه وكذلك اسم
الشوق والعشق والعشق والموت والبلا ونحوها وقد يكون المعنى
دون اللفظ بعشرة والمعنى اجل منه واعظم وهذا كلفظ الجوهر الفرد
الذي هو عبارة عن اقل شيء واصغر واوقه واحقر فليس معناه على
قدر لفظه واذا عرف هذا فقولهم ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن حقيقتها
المراد به ان لفظها لا يفهم حقيقة معناها ومعناها فوق ما يفهم من
لفظها وقوله العبد مثل اوصاف المحبة وهي تأبى الا التستر والاختفاء
هذا كلام في حكم المحبة ومقتضاها لا في حقيقتها ومعناها والمحبون متباينون
في هذا الحكم فمنهم من يجعل العبد من لوازم المحبة وعلامة ثبوتها وتمكنها
ويجعل البرهان عليها ونطالبه بالاخبار بها دليلا على انه ادعى فيها وانها
بلغه منها رائحتها لا حقيقتها وحقيقتها تأبى الا التستر والكتمان وهذه
طريقة اللامية كما تقدم

"لا تذكري حبي هواك فانما ... اذاع الحديث علية ستر مثله"

ولهذا قيل المحبة كالارادة واظهارها المنافقة وهذه الطائفة رأت ان
كمال المحبة بكتمانها لاستيلاء عدة احدها ان الحب كلما كان مكتوما كان
اشد واعظم سريانا وتمكنا في اجزاء القلب كلها كما يقال الحب اصله
الكتمة فاذا باح المحب بحبه وباح به ونادى عليه ضعف اثره وحاله
عرضة للزوال الثاني ان الحب كنز من الكنوز بل هو اعظم الكنوز المدعة
في سر العبد وقلبه فلا طريق للمصوص عليه فاذا باح به ونادى عليه فقد
دل قطاع الطريق واللصوص على موضع كنزه وعرضهم لسلبه منه فان
النفوس غيارة منافسة تغار على المحبوب ان يشاركها في حبه احد فاذا غارت
عليه اغارت على القلوب التي فيها حبه فانتزعته منه وهذه الآفة قد ابتلي
بها كثير من الناس لكن الذين هم في الحقيقة قطاع الطريق على الله
الى الله وسولت لهم انفسهم ان هذه غيرة منهم على محبوبهم ان يحبه مثل هذه
النفوس المتلونة الدنية وغرتهم انفسهم ومنتهم انهم بغاروا على الله
وحولوا بين تلك النفوس وبين محبته فغاروا واغاروا وهبوا وجلبوا

وهذه

هذه الطريقة عند المحبين المخلصين اولياء الله الداعين الى الله عباده
لله في الحقيقة وسعاية للشيطان وقعود على طريق الله المستقيم الذي
خلق عباده لاجله وامرهم به فالحذر كل الحذر هو لا قطاع المنصوص عليه
اهل المحبة البالغة في محبتها واظهارها التحيل لها باسباب يظنون عليها
ظاهرا او يلوحون معتوره بالمحبة وما هو له بها وهذا الذي ظنوه غيرة
هو من تلبيس الشيطان وخداعه لهم ومكره بهم وانما هو حسد يحملهم على
ان يقدوه وصاحوا به وسموه غيرة وانما غيرة المحبين لله ان
يغاروا حذرا لهم ان يحاربوا الله اذا انتهكت فيغار لله لا على الله كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله ان يأتي العبد
ما حرم عليه وغيرة المحب هي الموافقة لغيرة محبوبه وهي ان يغار
مما يغار منه المحبوب واما اذا كان المحبوب يحب من حبيبه وهذا يغار
من حبيبه فهو في الحقيقة شاع في خلاف مراد محبوبه وفي اعدام محبة محبوبه
فاين هذا من الغيرة المحمودة لله وانما هذه الغيرة من اخبث المكايد
خصه الله بعطاياه والبسه ثوب نعمائه فهي تغير منه لا غيرة على الله
فان الله لا يغار عليه بل يغار له الثالث ان المحب التام تستدعي
شغل القلب بالمحبوب وعدم تفرغه للشرح والوصف فلو صدقت
محبته لاشتغل قلبه عن شرح حاله ووصفه فهذه طريقة هؤلاء ومنهم
من يجعل ذلك علامة لوجودها واعلانه لها من تمامها وقوتها ومن علامات
قهرها له وانها غلبت على سره حتى لم يطق ستره كتمانها كما قال النوري
المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار فهذا كلام النوري واضرابه وعمله
هو لا التكتيم ضعف في المحبة وجور فيها وحقيقتها ان تخلي ومقتضاها
من ظاهره وآثارها على الجوارح والبدن فان اثرت حركة لم تستتر واذا
اثرت دمعة لم تحبس وان اثرت تنفسا لم يكظم وان اثرت بدنا لم يشار
لم يمسك وكمال المحبة عندهم ان تنادي عليه اعضاء الناطقة والحافظة
وجوارحه وشاهده بلسان حاله لا بلسان مقاله وقال علي ابن عبيد كنت
بحيث ارى معاذا فاتى ابا يزيد فكلمه من غير ما شربت من محبتك
فكتب اليه ابو يزيد غيرك شرب بحور المحبة والارض وما روى
بعد ولسانه خارج وهو يقول هل من مزيد فلم ير هذا ان العارف

عبادته ٥ وقيل وقيل في المحبة حدود كثيرة عبر بما ذكره
ابو العباس فقيل المحبة ميل القلب الى المحبوب وهذا الحد لا يعطي تصور
حقيقة المحبة فان المحبة اعرف عند القلب من الميل والتقاضا ان الميل لا
يدل على حقيقة المحبة فانها اخص من مجرد ميل القلب اذ قد يميل قلب العبد
الى الشيء ولا يكون محبا له لمعرفته بمضرته له فان سمي هذا الميل محبة
فهو اختلاف عبارة وقيل المحبة هي الميل بكل القلب ومحاسنه
وهذا ايضا قاصر فان العلم بالمحبوب ومحاسنه هو السبب الداعي الى محبته فغير
عن المحبة بسببها وقيل المحبة تعلق القلب بالمحبوب وقيل انصباب
القلب الى المحبوب وقيل سكون القلب اليه وقيل اشتغال القلب
بالمحبوب بحيث لا تتفرغ قلبه لغيره وقيل المحبة بذل المجهود في معرفة
محبوبه بذل المجهود في مرضاته وقيل هيمان القلب عند ذكر المحبوب
وقيل شجرة نبتت في القلب تسقى بماء الموافقة وانشارت في المحبوب ٥
وقيل المحبة حفظ الحدود فلتكن بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده
وقيل المحبة ارادة في القلب لا تنقض بالجفاء لا تزيد بالبر هو قيل
قيام الجوارح عن استقامة في غير مرضاة المحبوب وقيل المحبة هي التحاء
بالنفس للمحبوب وقيل المحبة لا تزال على قلبك رقيبة من المحبوب لا
يمكنك من الاستمرار عنه ابدا وانشد في ذلك ابيات

ابت غلبات الشوق الا قربا اليك وبالي العدل الا بتعادا
وما كان صبري عنك ضد ملامة ولا ذلك الاعراض الا بتعادا
عليك رقيب منك حل بمهجتي اذا رمت تسهيلا علي تصعبا
وما كان ذاك العدل الا تصبرا ولا ذلك الا بغضا الا بتغضا

وقيل المحبة سقوط كل محبة من القلب سوى محبة حبيبك وقيل
المحبة صدق المجاهدة في المراد وتجريد المتابعة لسنة رسول الله ﷺ وقيل
وقيل المحبة ان لا تعد من نفسك ولا تأل في جهدا ولا تستريح ولا تكل
ابو سعيد المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك
وقيل المحبة ان يميتك حبيبك وقيل ابو عبد الله القرشي
المحبة ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وقيل ان

محوا

تمحوا من قلبك ما يري المحبوب وقيل المحبة نيران تحطك من محبوبك
او تنفرد بكلك اليه وقال النصراباذي ذي المحبة مجانبة السلو على كل حال
وقال الحارث ان اشد المحبة سلوك الى المحبوب بكليتك ثم اشارة له على
نفسك وروحك ومالك ثم ما تقتضيك له سرا وجهرا ثم على تقصيرك
في حبه وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة المحبوب
وقيل المحبة اقامتك بالباب على الدوام وقيل المحبة هي ان
جاء باء فاء فجاء المروج عن الروح وبذلها للمحبوب والباء الخروج
عن البدن وصرفه في طاعة الله المحبوب وقال ابو عمرو الزجاجي قلت
الجنيد عن المحبة فقال يريد الاشارة قلت لا قال تريد الدعوى قلت لا قال
فاي شيء تريد قلت علل المحبة قال ان تحب ما احب الله في عباده وتكره
ما كره الله في عباده وقيل المحبة معية القلب والروح مع المحبوب
معية لا تفارقه فان المرء مع من احب وقيل فيها حدود كثيرة اكثر
من هذا وكل هذا تقريب ولا توصف المحبة ولا تحد بحد اوضح من المحبة ولا
اقرب الى الفهم من لفظها واما ذكر الحدود والتعريفات فانما يكون عند
حصول الاشكال والاستخبار على الفهم فاذا نال الاشكال وعدم
الاستخبار فلا حاجة الى ذكر الحدود والتعريفات كما قال بعض العارفين
كل لفظ يعبر به عن الشيء فلا بد ان يكون اللفظ اوارث منه والمحبة
اللطف واوارث من كل ما يعبر به عنها

وقال القوم ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن حقيقتها فان العبد من اوصاف
المحبة والعبد ما ينبي الا التستر والاختفاء وكلما تسلط لسانه على العبارة
عنها والكشف عن سرها فليس له منها ذوق واما حرمانه وهجرانه الرائحة
ولو ذاق منها شمالغاب عن الشرح والوصف فالمحبة لا تظهر على المحب
بلفظه وانما تظهر عليه بشاهد حاله ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى
المحب لموضع افراح الاسرار من القلوب كما قيل

تشبيه فلا درى ما تقول بطرفها واطرق طرفي عند ذاك فتعلم
تكلم منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت والهوى تتكلم

كل معنى فله صيغة يعبر به عنه ولا سيما اذا كان من المعاني
المعروفة للخاص والعام ولكن العبارة قد تكون كاشفة للمعنى مطابقة
له كلفظ الدرهم والخبز والماء واللبن ونحوها وهي اكثر الالفاظ وضوحا

فصار محبوبه في وجوده في محل سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها وتجلى التي يمشي بها هذا مثل محبوبه في وجوده
وهو غير متحيز بل هو قايم بذاته مباين له وهذا المعنى متفاوت بين الناس
لا ينكره منهم الا غليظ الحجاب او قليل العلم ضعيف العقل بحر بحبوبه
قد استولى على قلبه وذكره فطغيانه هو بقوة ذاته الجارحة ملاحظات
به اذ حلت فيه فينشأ من قوته الاولى وكثافته وغلظ حجابه وقلة علمه
الثاني ومعرفته وضعف تمييزه ضلال الحلول والاتحاد وضلال
الانكار والتعطيل والحرمان ويخرج من بين فرث هذا ودم هذا
لبن الفطرة الاولى خالصا سائغا للشاربين الموطن الثالث عمدة
دخوله في الصلاة فانها محل الاحوال وميزان الايمان فبها يوزن ايمان
الرجل وتحقق حاله ومقامه ومقدار قربه من الله وبعده منه فانها
محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وربه فلا شيء اقر لعين
المحب ولا الذ لقلبه ولا انعم لعينه منها ان كان محبا فانه لا شيء ألذ
عند المحب ولا اطيب له من خلوته بمحبوبه ومناجاته له ومثوله بين يديه
قد اقبل بقلبه على محبوبه وقد اقبل محبوبه عليه وكان قبل ذلك
معذبا بما سواه الاغيار ومواصلة الخلق والاشتغال بهم فكانت له
الصلاة هربا من شر الله اليه واوى عنده واطمأن بذكره وقرت
عينه بالمثول بين يدي ربه ومناجاته فلا شيء الهم النفس من الصلاة فانه
في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد اتسع وانشرح
واستراح كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لبلال ارحنا بالصلاة وكما
يقول ارحنا منها كما يقول المبطلون الغافلون وكما يعرض لكثير
ليس بمستكمل الايمان من ينزل في هم وغم حتى تحضر الصلاة فيزول
همه وغمه او كما قال فالصلاة قرة عيون المحبين وشرورها واسقامها
ولذة قلوبهم وبهجة نفوسهم يحملون هم القراءة منها اذا دخلوا فيها
كما يحمل القارع البطال همها حتى يقضيها سرعة كالطير لها شنان وللتقاعس
شان تسكن الى الماء بيوضها بهم اذا ايمنوا لهم كانوا التقاوت
العظيم وبالجملة فمن حاسة عمره عيشه في الصلاة ولا شيء احب اليه وانعم عنده
منها ويود انه لو قطع عمره بها غير مشتغل بغيرها وانما تسلي نفسه

اذا

اذا فارقها بانه سيعود اليها عن قرب فهو دايم يثوب اليها ولا تفوته منها
وطرا فلا تزن العبد ايمانه ومحبته لله مثل ميزان الصلاة فانها الميزان العدل
الذي وزنه غير مخايل الموطن الرابع عند الشدايد والاهوال فان اثقل
في هذا الموطن لا يذكر الا احبا لا شيا اليه ولا هرب الا الى محبوبه الاعظم
ولهذا كانوا يعترفون بذكرهم من محبوبهم عند الحرب واللقاء وهو في كثير
من اشعارهم كما قال

ذكرتك والخطي يخطر بيننا وقد نهلت فينا المثقفة السمر

وقال غيره

ولقد ذكرتك والرماح كانها اشطان بير في لبان الادهم

وقد جاء في بعض الاثار يقول الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي الذي
يذكرني وهو ملاقي قرنه والشواهد على هذا واضحة فاعلم ان عند معاينة
الشدايد والاهوال تشتغل شغل القلب من سكرات الموت وهي حياته
التي لم يكن يؤثرها الا لقربه من محبوبه فهو انما احب حياته لتتمتع بمحبوبه فاذا
خاف فوتها بدر الى ما يظن ذكر المحبوب الذي يفوت بفوات حياته ولهذا والله اعلم
كثر ما يعرض للعبد عند موته لاهله ما يحبه وكثر ذكره له وربما غرث
روحه وهو يلهج به وقد ذكر ابن ابي الدنيا في كتاب المحتضرين عن رزين رحمه الله
انه جعل يقول عند موته لهاه ثلاثا ثم تنبه الصداق الصداق ثم مات
حتى مات ولا مستلا عليه رحمة الله من القدوة العلم وايضا فانه عند الموت
تنقطع شواغله وتتعطل حواسه فيطمئن القلب ويقوى تعلقه بما عنده وما
عنده من غير حاجب ولا مدافع وكثيرا ما يسمع من بعض المحتضرين عند الموت
شيئا ما ويسمع من اخر بيت شعر ما يزل يغني به حتى مات وكان معنا
قال الشيخ شمس الدين ابن القيم قد شاهد روحه واخبرني رجل عن قرابة
له انه حضره عند الموت وكان تاجر بيع الفاكهة فجعل يقول هذه
قطعة جيده هذه على قدر هذه مشتراها رخيص شاوي كذا
وكذا اخر مات وهو يقول في هذا الشان جدا فمن كان مشغولا بالله
وبذكره ومحبته في كل ساعة حري ان لا يجد ما هو اليه عند خروج روحه
وصعوبة عند الموت ما لا يجد غيره ما لا يجد صاحبه من ذلك اجل هذا كان
جديرا بان لا يلتفت قلبه وكما انه ذكر الله حبيب ملازم لاجل انه الحظه
التي ان فاتته شق شقاوة الابد فقل الانسان يعتاد على ذكر وشكر وحسن

وهذه شكايه في الحقيقه واخبار عن تحيره معلولها الحظ وشكايه
للحبيب ستوبته عليه م اذا اخبر عن جنايه اخرى وهي انه شرك بينها وبين
اعدايه في حبه لها فصار حبه منقسما بعضه لها وبعضه لاعدايها وهم
ايام ثم ان في الشعر جنايه اخرى عليها وهي ان بعض من يعلق
القلب على تغضه وهو العدو والاشبه بالحبيب ما يجانب
الاشيا الى النفس كالسمع والبصر والجاه والعلم فيه كما هو عاده
الشعرا والناس في نظمهم ونثرهم كما هو معروف بينهم وهو
جاده علامهم ثم الخبر بمحبته لاعدايه لشهرتها تقتضي كلامه
معاداه من يحبه ومحبه من يعاديها فاذا اشتهت اعداه لزم ان
يحصل لها نصيب من معلداته فاذا اشتهتها اعداه لزم ان يحصل لهم
نصيب من محبته كما صرح به في عاتبه وترك التصريح له في عاتبها
وهو معلوم من كلامهم اخيرا انه يلتذ كلامه الوام في هواها الا يتضمن
من ذكرها وهذا دليل على ان محبتها وشماع ذكرها وهذا عرض
صحيح مع انه مدخول ايضا فان محبوبته قد يتكرم ذلك لما يتضمن
من تحقيرها به وجعلها مضغه للافواه فتكون محبا لنقيض
ما تكره وهو محبه محبوبه فاسنده معلوله ما تضمنه اغراه من بلبه
في محبتها ٥ فصل قال وقيل لجميل بن بلبه
قالت قاعد ومفارقه المضجع وانت راقد والكون وانت باطق
ومفارقه المالوف والوطن وانت مستوطن فيتخيل من هذا ان
من اثار المحبه ما يوجب من وجبات ذكر المحبوب وهو ضجعه
المحب توجب شغل القلب بالمحبوب دائما وانت في وطنك قاطن
وتوهيب مشوله وشامه بين يديه وهو قاعد وتخاطبه
عن تضجعه ومفارقته اياه وهو قيه راقد وبراعه لمحبوبه تجعله
وهو مشتغل في الطاعه بعيد [illegible]
ي وادم نحو موجود لي امري انعد عقلته وعدلم [illegible]
وقال بعض المريدين لشيخه اين يجد القلب حين يدني الله تعالى
نعم سجده لا يرفع رأسه منها الى يوم القيمه [illegible]
وقعوده

وقعوده وذهابه ومجيئه وحركته وسكونه وكذلك يكون حديثه في
مضجعه وقلبه قد قطع المراحل سافر الى حبيبه فاذ الغذ مضجعه
اجتمع عليه حبه وشوقه فيهش المضجع الى شكله كما قال تعالى في خ
المحسنين يتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون فلما تجافت قلوبهم عن المضاجع خافت الجنوب عنها واشتد منها
وامرتها فاطاعتها وقال القايل

نهاري نهار الناس حتى اذا بدا لي الليل هرتني اليك المضاجع

وحكي ان بعض الصالحين اختار مسجدا فراى الشيطان واقفا بابه
لا يستطيع دخوله فنظر فاذا فيه رجل نايم ولخر قايم يصلي فقال له انفعك
هذا المصلي من دخولك فقال كلا انما ينفعني ذلك لاستراحه الرابض ولولا
مكانه لدخلت وبالجمله فقلب المحب ذاهب في فكر لا ينقضي خوضه كلما
قطع مرحله ومنزله بيتت له اخرى كما قيل اذا قطعن غلما بدا علم
فهو مسافر بين عاملين وطاعن وهو في داره وعمرته بين اخوته وعشيرته
يرى كل احد عنده ولا يرى عنه احد فقوله تعالى المحب لمحبوبه يوجب
له ان لا يستقر قلبه دون الوصول اليه وكلما هات حركاته وقلت
شواغله اجتمعت عليه شؤون قلبه وقوى سيره الى محبوبه ومحل هذه
الحال تظهر في مواطن اربعه احدها عند اخذ مضجعه وتفرغ خواسه
وجوارحه من الشواغل واجتماع قلبه على محبوبه فانه لا ينام الا على
ذكر من يحبه وشغل قلبه به الموطن الثاني عند انتباهه من النوم
فاول شيء يسبق الى قلبه ذكر محبوبه فانه اذا استيقظ وردت اليه
روحه ردمعها اليه ذكر محبوبه الذي كان قد غاب عنه في النوم
ولكن كان قد غاب بروحه وقلبه فلما ردت اليه الروح اسرع من
الطرف رد اليه ذكر محبوبه متصلا بها مصاحبا لها فورد عليه قبل
كل وارد وهجم عليه قبل كل طارق فاذا وردت عليه الشواغل
والعوارض وردت على محل يمتلي بحبه صاحبه فورد ت على ساحته من
ظاهرها فاذا قضى وطره منها قضاه بصاحبته لما في قلبه من الحب
فانه قد لزمه كلامه العزيم لغريمه ولذلك سمي غراما وهو الحب
اللازم الذي لا يفارق فشبه بمحبوبه واصحبه وبطش به ومشى به

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله يعني ان متابعة الرسول
هي موافقة حبيبكم فانه المبلغ عنه محبته ومايكرهه ومتابعته
موافقة الله في فعل ما يحب وترك مايكره قال مالك رحمه الله في هذه
الاية من ادعى طاعة الله احبه الله وحببه الى خلقه وانما كانت موافقه
المحبوب دليلا على محبته لان من احب حبيبا فلابد ان يحب محبته
ويبغض ما يبغضه والا لم يكن له محبة صادقة قبل ان يخلق ذلك عنه
لم يكن محبا له بل يكون محبا لمراده منه احب محبوبه ام كرهه ومحبوبه
عنده وسيلة الى ذلك المراد فلو حصل له حظه من غير توسل غرضه فهي
المحبة المدخولة الفاسدة واذا كانت المحبة الصحيحة تستدعي حب ما يحبه المحبوب
وبغض ما يبغضه فلابد ان موافقة فيه ولكن فاتها ما تغلط فيه كثير
من المدعين المحبة وهي ان موافقة المحبوب في مراده ليس المعنى بمراده
المخلوق الكوني فان كل الكون مراده وكل ما يفعله الخلائق هو موجب مشيته
وارادته الكونية فلو كانت موافقته في هذا المراد هي محبته لكان له اعداء
اصلا وكانت الشياطين والكفار والمشركين عباد الاوثان والشمس
والقمر اليه واحبابه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانما يظن ذلك من يظنه
من اعدائه الملحدين لا لمحبته ودينه الذين يتولون من اولياءه واعدائه
قال تعالى افنجعل الذين اسلموا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون وقال تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون فانه
سبحانه يعلم ما بين المسلمين والمجرمين وبين المطيعين والمفسدين
مع ان الكل محبوب للارادة الكونية والمشيئة العامة قال ابن القيم وسمعت
شيخ الاسلام ابن تيميه قدس الله روحه ونور ضريحه يقول قال في بعض
شيوخ هؤلاء المحبة نار تحرق من القلب ما يتبرى مراد المحبوب والمكون
كله مراده فاي شيء يبغض منه قيل له فاذا كان المحبوب
قد ابغض بعض ما في الكون فابغض كفرهم وشركهم وعداوتهم فاعلمهم
ابت ذلك اليتهم تكون موالية للمحبوب موافقة له ومخالفة له معادية له
فكل من كان اكمل محبة كان اكمل موالاة ومتابعة ولا يدل هذا على ان فعل

محظورا

محاء

محظورا يزعم انه مطيع لله فيه ويقول انا مطيع لارادته ويستدل على ذلك
اصبحت منفعلا لما تختاره مني ففعلي كل طاعات
ويقول ابليس احدهما ليس وان عصى الامر لكنه اطاع الارادة يعني
ان فعل طاعة الله من حيث موافقه ارادته وهذا انسلاخ من ربقة العقل
والدين وخروج عن الشرايع كلها فان الطاعة انما هي موافقة الامر الديني
الذي يحبه الله ويرضاه واما دخوله تحت القدر الكوني الذي يبغضه
ويسخطه ويكفر فاعله ويعاقبه في المعصية والكفر ومعاداته ومعاداة
دينه فلا ريب ان المشركين على اختلاف انواعهم في الذنوب والمعاصي المعترفين
بانهم عصاة مذنبون اقرب الى الله من هؤلاء العارفين المتألهين من عبدي
الانبياء كلهم الذين لا عقل لهم ولا دين قال الله ان شر الدواب عند الله
واما البيت الذي استشهد به فهو من ابيات لابي الشبص يقول فيها

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم
واهنتني فاهنت نفسي جاهدا من يهون عليك ممن اكرم
فشمتت اعدائي فصرت احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
احد الملامة في هواك لذيذة عندي لذكرك فليلمني اللوم

وقد ناقض فيما ادعاه مناقضة بينة فانه اخبر ان هواه قد صار وقفا
عليها لا تزول عنها ولا تتحول ولا تتقدم ولا تتاخر ثم اخبر انه قد بلغ به هواها
الى ان صار مرادها من نفسه غير مراده هو فلما ارادت اهانته بالصد
والهجران والبعد سمح هو في اهانة نفسه بمجهوده موافقة لها في ارادتها
فصارت اهانته لنفسه مرادة محبوبة له من حيث هي مراده محبوبة لها ونعم
انه لو اكرم نفسه لكان مخالفا لمحبوبته مكرما لمن اهانته ثم تقضى هذا الغرض
من حيث شبهها باعدائه الذين هم ابغض شيء اليه ووجه هذا التشبيه
انه لم يحصل منها من حظه ومراده على شيء بل الذي حصل لها مثل ما حصل
لمن اعدائه من اهانتهم له واذاه فصار حظه منها ومن اعدائه واحدا
فصارت شبهته بهم فاين هذا من الموافقة الثابتة لها في مرادها بحيث
يسعى بنفسه بحسبها في اهانته ثم اخبر ان لها حظا مرادا وان ذلك
الحظ الذي يريده لم يحصل له وانما حصل له من اعدائه

شبكة الألوكة www.alukah.net

والكره [illegible] من اخلاق اللئام ومقت الشيخ وكراهته له
تعظيم الحق تعالى لمن جعله الله تعالى للمسلمين تعظيمهم على بعض
وهو يرعاه لعلمه رعايته لحق تعالى فيما قضى تضييعها ويعلم انه لو لم يعدل الوقوف
العدل لم يمكنه الوقوف مع حده فان ذلك عسير جدا فلا بد
من مجاوزته الى الفضل او التقصير عنه الى الظلم فهو وقوف متتبع
الحق والدخول في الظلم مختارا لا يشاء ما لا ينفعه ولا يضره ويكتب
به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الاجر في الاخرة مع ما يجليه له الايثار
من البركة وفيضان الخير عليه فيعود عليه من ايثاره ما يضل ما
بذله ومن جرب هذا عرفه ومن لم يجربه فلن يتعاطى الا العالم الموفق
من وفقه الله تعالى [illegible] والايثار المتعلق بالخالق اجل من
هذا وافضل وهو ايثار رضاه على رضا نفسك وايثار حبه على حب غيره
وايثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه والذل له والخضوع
والاستكانة والصراعة والتملق على بذل ذلك لغيره وكذلك ايثار
المطلب لرد السؤال وايثار الالفاظ به على تعلق ذلك بغيره والاول
اثر غض العبد على نفسه فيما هو محبوب له وهذا ايثار الله على غيره وهو
من اعظم الاعمال فاثر الله عليها وترك محبوبها لمحبوب الله وعلامة صحة
هذا الايثار شيئان احدهما وجل ما يجيء الله اذا كانت النفس تطلبه
وتهرب منه والثاني ترك ما يكرهه اذا كانت النفس تحبه وتهواه فبهذين
الامرين يصح مقام الايثار وهو هذا الاشارة يشير بها لغلبة الاعمال
وقوة داعي العاده والطبع فالمحنة فيه عظيمة والمؤنة فيه شديدة جدا
والنفس عند ضعفه ولا يتم صلاح العبد وسعادته الا به وانما يتيسر
على من يسره الله عليه فحقيق بنا ايها العبد ان نستتم الله سبحانه وان نصغي الربقي
وان يشمر اليه وان عظمت فيه المحنة وتحمل فيه خطرا يسيرا الملك
عظيم وفوز كبير فان ثمة دار الخاصة والاجل ليست تشبه شيئا من
شيء من الاي ولا اليسير منه يرقى العبد ومن ما لا يرقى به الى الله
في المدد المتطاولة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ولا تحقق المحبة الا بهذا الايثار والذي تسهل على المحب اموره احدها

ان

ان تكون طبيعته لينة منقاده سلسة لتستجيبه ولا فاسد بل ينقاد
معه بسهولة الثاني ان يكون امامه راسخا وقينه قويا فان هذا
من الايمان فتيقنه الثالث شقوة صبره وثباته فبهذه الامور الثلاثة
تنهض الى هذا المقام ويسهل عليه دركه والنقص والتخلف النفس
عن هذا يكون من امرين احدهما ان يكون جامده غير سريعة الادراك
بل بطيئة فلا يكاد يدري حقيقة الشيء الا بعد عسر وان راها اعترته الاوهام
والشكوك والشبهات والاحتمالات فلا تخلص له رويتها وعيانها الثاني
ان تكون القوة وقاده دراكه لكن النفس ضعيفة مهينة دل
ابصرت الحق والرشد ضعفت عن اتباعه فصاحبها يشوقها شوق العليل
المريض علما شاقه خطوه وقف خطوه او كشوق الطفل الصغير الذي
قد تعلقت نفسه بشهواته وملوفاته فهو يشوقه الى شيء وهو ملتفت
الى اللهو ولعبه لا تنساق معه الاكرها فاذا رزق العبد قلبا حيا وقاده
وطبيعة منقاده اذا بصرها انزجرت واذا قادها انقادت بسهولة وشرعة
ولين وايد مع ذلك بعلم نافع وايمان راسخ اقتبس اليه وفوز كاده
من تحل بجانب ولما كانت هذه الفتوح والطبيع ثابتة للصحابة رضي الله عنهم
وكملها الله لهم بنور الاسلام وقوة اليقين وبشاشة الايمان لقلوبهم كانوا
افضل الطالبين بعد الانبياء والمرسلين وكان من بعدهم لوائق مثل جبل
احد هيهات ما يبلغ مداهم ولا نصيفه ومن تصور هذا الموضع حق
تصوره علم من اين يلزمه النقص والتاخر ومن اين يتقلد ويترقى في درجات
السعادة وبالله التوفيق ○ فصل قال وقيل المحبة موافقة
المحبوب فيما شاء وشر ونفع وضر كما قيل ثم

وامتثلي فامت بقتلي صاغرا ... ما من يهون عليك ممن اكرم

يريد ان هذا الرضا من جنس ما قبله فان موافقة المحبوب من موجبات
المحبة وثمراتها والمحبة بفتح المحبة تدعي الموافقة وكلما كانت
اقوى كانت الموافقة اتم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله قال الحسن قد ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم
الله تعالى هذه الاية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وكل
الحبيب ادعى قوم محبة الله ولم ير الله عز وجل اية المحبة وهي قوله قل

شئ من ذلك فايثار نفسك عليهم اولى فان الرجل من لا يوثر نصيبه
من الله احدا كاينا من كان وهذا في غاية الصعوبة على النفس
والاول استهل منه فان الايثار المحمود الذي اثنى الله على فاعله الايثار
بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعوز لصلاح القلب كالعلم ويورث
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون فاخبر تعالى ان ايثارهم انما هو بالشئ الذي لا يخاف الرجل
الشح به كان من المفلحين وهذا انما هو من فضول الدنيا لا الارفاق
المصروفة في الطاعات فان الفلاح كل الفلاح في الشح بما من ايكن
شحيحا بوقته بترك الناس على الارض غرضا فان الشح فلاحت
هو عاية القلب وقد دل الشارع على هذا انه سجايا سيئة
فالسابقة في اعمال البر والتبايض فيها والمبادرة اليها وهذا ضد الايثار
لهذا قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت
والارض وقال تعالى فاستبقوا الخيرات وقال في ذلك فليتنافس
المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في النداء والصف
الاول لكانت قرعة والقرعة انما تكون عند التزاحم والتشاح
لا عند الايثار فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلا للايثار
بل محلا للتنافس والمتابقة ولهذا قال الغزالي لا تحسن الايثار
بالقربات والسبب فيه ايضا ان الايثار انما يكون بالشئ الذي
يضيق عن الاشتراك فيه فلا يتم الموثر والمؤثر الا باحدهما
واما اعمال البر والطاعات فلا ضيق على احد فيها فلا حاجة الى الالوف
المولفة في الطاعة الواحدة لم يكن عليه فيها ضيق ولا تزاحم وقد تقدم
كلام ان تزاحم في عمل واحد وامكن ان يفعله الجميع
حيث اذا وقعا واحد فات على عين فان في الشرع ما يدله
على فعل من الثواب مما لفاعله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث
فاذا قدر فوت مباشرته له فلا فوت عليه عزمه ونيته لفعله وايضا
فانه اذا اثاب عليه كما في عين من الطاعات والقربات عوضا منه
اما مساو له واما ازيد فزاد وزاده وهي انواع الله من نيته وعزمه

الصادقة

الصادقة ارادته لذلك العمل الغائب اعطاه ثوابه وثواب ما يعوض
به عنه مجموع له الامرين وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
واضافان المقصود بهذه العبادة التقرب الى الله واتقاء الوسيلة اليه
والمنافاة في محابه والايثار بهذا القرب يدل على رغبته عنه وتركه له
وعدم المنافاة فيه في محابه وهذا خلاف ما يحتاج اليه العبد من طعامه
وشرابه ولباسه اذا كان هو محتاجا اليه فاذا اختص به احدهما فات
الاخر تقرب الله سبحانه بعبده اذا وجد من نفسه قوة وصبرا على الايثار
به فلم يحرم عليه دينا او عجلة لمفقده او يقطع عليه طريقا عزم على سلوكه
الى مراده وبشوش قلبه بحيث يجعله متعلقا بالحق فيعبده الايثار
هنا ارجح من ترك الايثار اذا كان بحيث تحتمل نفسه
من حاجته او مطلب او شدة ضرورة ولم تتبين المؤثر ضررها تتبين عليه
الايثار وان كان ترك الايثار هاهنا اولى لكن لو فعل لكان غايته
الكرم والسخاء والاحسان فانه من اثر حياته عن على صبابته وضرورته
على ضرورته فقد استوفى على احد الكرم والسخاء وحاز فضيلته وضرب
فيه بسهم وافر حظ وفي هذا الموضع مسايل منثورة لكن هذا موضع ذكرها
فان قيل ما الذي تحمل على النفس من الايثار فان النفس مجبولة على الاثرة
لا على الايثار قيل معها امور تحملها على ذلك منها حسن الخلق
ومعاليها فان من افضل اخلاق الرجل ايثار غيره واعلاها الايثار وقد
جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه وحبته كما جبلها على بغض البخيل وبغضه
لا بتبديل الخلق لفضول الاخلاق تبديل الايثار وهو خلق الفضل وخلق
الكرم والقوية وهو خلق العدل وخلق الاستئثار والاستيثار
وهو خلق الطاغية صاحب الايثار مطاع تجبى اليه طاعة مهيبة صاحبه
العدل لا يميل للنفوس الى اداء والتسلط عليه ولكنها لاشتداد اليه
اعدادها لمن يوثرها صاحب الاستئثار النفوس الى اداء والتسلط
عليها سرع من الميل في خدوده وهذا ان لم يكن فقلعها الا الاستئثار
فان النفوس لا صبر لها على ولاية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالسمع
والطاعة لولاة الامر وان استاثروا عليهم لما في طاعته من المشقة

ان تقطن لهذه المسالة علما وعملا وحالا وتكون هم الاشياء عنده
واجل علومه واعماله فان الشان كله فيها وللاوائل عليها والتوال على
القسم عنها والله تعالى يوفقك لذلك اجمعين بمحمد واله اجمعين
قال غير واحد من السلف هو عن قول لا اله الا الله وهذا حق فان
التوال على عبادتها وعن اجلها ومحبتها وولايتها ولوازمها
فلا تنال احدا قط الا عبادتها وعن اجلها ولوازمها وحقوقها قال
ابو العالية كلمتان تنالهما الاولون والاخرون ما اكثر ما تعبدون
وما ذا اجتمع المرسلين في التوال عما ذا كانوا يعبدون هو التوال
عنها بنفيها والتوال عما ذا اجتمع المرسلين في التوال عن الوسيلة والطريق
المودية اليها هل سلكوها واجابوا الرسل لما دعوهم اليها فعاد
الامر كله اليها وامر هذا شانه حقيق بان تنشق عليه الخناصر
ويعض عليه بالنواجذ ويقبض عليه على الجمر ولا يوخذ خاطر الى الباطل
ولا يطلب عما فضل بل يجعل هذا المطلب الاعظم وما سواه انما يطلب
على التفضل فالله الموفق لا اله غيره ولا رب سواه فصل قال
وقيل المحبة ايثار المحبوب على غيره وهذا احد ما قيل فيه
فان ايثار المحبوب على غيره موجب المحبة ومقتضاها فاذا استقرت
المحبة في القلب استدعت من المحب ايثار محبوبه على غيره وهذا
الايثار علامة ثبوتها وصحتها فاذا اثر غير المحبوب عليه لم يكن له
وان زعم انه محب فانما هو محب لنفسه ولحظه فمن احب شيئا فاثر اي
حظا اخر هو احب اليه من حظه الذي يريده من محبوبه اثر ذلك
الحظ المحبوب ليس هذا موضع بسطه فيه الناس غلطوا اذا كثيرهم
انما هو محب لنفسه ومراده فاذا عرف انه عند غيره احب ذلك
الغير حبا يوشك ان يحبله لذاته ويظهر هذا بامور احدها
احدها ان يرى خلاله اغر عند غيره يوثر ذلك الخلط ويبذره
محبوده الثاني انه اذا زال ذلك الخلط من محبوبه فتر حبه
وبرد عليه وترحل قاطن الحب من قلبه كما قال من زال سرور
عنه انقضاء به فهو محبه مشوب بالعلل بل المحبة الخالصة هي حب

المحبوب

المحبوب لكماله وان اهل ان يحب كمحبته لذاته وصفاته وان الذي
موجب هذه المحبة قام العبد عن اراده مراد محبوبه فكون عمله
على مراد محبوبه منه لا على مراده هو من محبوبه فهذه هي المحبة الخالصة
من دون العلل والشوائب النفسية وهي التي تستلزم ايثار المحبوب
على غيره ولا بد كلما كان سلطان هذه المحبة اقوى كان هذا الايثار اتم
وفي مثل هذا قيل

تعصي الاله واظهر انك تحبه هذا محال في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

هاهنا دقيقة ينبغي التفطن لها وهي ان ايثار المحبوب عن ايثار
معاوضة ومتاجرة واشار بحبه واراده والاول يوثر محبوبه على غيره
لحظه منه بئي بدل ما فوته له ليعاوضه خير منه والثاني يوثره
اجابة للداعي محبته فان المحبة الصادقة تدعوه دائما الى ايثار محبوبه
فايثاره هو اجل حظوظه نحظه في نفس الايثار لا في العوض المطلوب
بالايثار وهذا لا يفهمه الا النفس اللطيفة الواسعة المشرفة واما
النفس الكثيفة فلا خبر عندها من هذا وما هو بعشها فلتدرج
[illegible] والدين كله والمعاملة في الايثار فانه تقديم وتخصيص
لمن يوثره بما يوثر به على نفسه حتى قيل ان من شرط الاحتياج من
جهة الموثر اذ لو لم يكن محتاجا اليه لكان بذله سخاوة وكرما وهذا
انما يصح في ايثار الخلق والله سبحانه يوثر عبده على غيره من غير احتياج
منه سبحانه فانه الغني الحميد وفي الدعاء المرفوع اللهم زدنا ولا تنقصنا
واعطنا ولا تحرمنا واكرمنا ولا تهنا واثرنا ولا توثر علينا وارضنا وارض
عنا وقيل من اثرك الله اثره على غيره والفرق بين الايثار والاثرة
الاثرة تخصيص الغير بما تريده لنفسك والايثار اختصاصك به على
الغير وفي الحديث ما يفتقر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشبع الا طاعة
عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا واثرة علينا اذا عرف هذا فالايثار
امر ان يتعلق بالخلق والايثار يتعلق بالحق فمن تعلق بالخلق فكماله
ان يوثرهم على نفسه ما لم يضيع عليه دينا ولا يفسد عليه حالا ولا يهضم
له مقاما ولا يقعد عليه طريقا ولا يمنع له واردا فان كان في ايثارهم

وبينهما درجات متفاوتة تفاوتا لا ينحصر لها اثار توجبها وعلامات
تدل عليها فكل ادرك بعض اثارها او بعض علاماتها فقد احبه ما ادرك منه
وهي وراء ذلك كله ليس اسمها كشفها ولا لفظها مبين لمعناها
وكذلك اسم المصيبة والبلية والكرب والالم انما تدل اسماؤها هذه على
نوع دلالة لا تكشف حقيقتها ولا تعلم حقيقتها الا بذوقها ووجودها
وفرق بين الذوق والوجود وبين التصور والعلم بالحد ورسمه
التي قيلت في المحبة صحيحة غير وافية بحقيقتها بل هي اشارات وعلامات
وتنبيهات ٥ فصل وهي على الاجمال قبل ان ينتهي الى التفصيل
ووجود تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه فيقال التعظيم
المانع من الانقياد لغير المحبوب هو اثر من اثار المحبة وموجب من
موجباتها لانه نفس المحبة اذا كانت صادقة اوجبت للمحبوب تعظيما
لمحبوبه يمنعه من انقياده الى غيره وليس مجرد التعظيم هو المانع
له من الانقياد الى غير المحبوب فان التعظيم المقارن للحب هو الذي يمنع من
الانقياد الى غير المحبوب فان التعظيم اذا كان مجردا عن الحب لم يمنع
انقياد القلب الى غير المعظم ولذلك اذا كان الخوف خاليا عن التعظيم
لم يمنع الخائف ان ينقاد الى غير محبوبه فاذا اقترن الحب بالتعظيم
واستلا القلب بهما امتنع انقياده الى غير المحبوب والمحبة المشتركة
ثلاثة انواع احدها محبة طبيعية مشتركة كمحبة الجائع للطعام
والظمآن للماء وغير ذلك وهذه لا تستلزم التعظيم والنوع الثاني
محبة رحمة واشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها وهذا ايضا
لا تستلزم التعظيم والنوع الثالث محبة الف واتنس وهي محبة الشريكين
في صناعة او علم او مرافقة وتجارة او سفر لبعضهم بعضا ومحبة
الاخوة بعضهم لبعض هذه الانواع الثلاثة هي المحبة التي تصح للمخلوق
بعضهم من بعض ووجودها فيهم لا يكون شركا في محبة الله وكهذا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل وكان احب الشراب
اليه الحلو البارد وكان احب اللحم اليه الذراع وكان يحب تناوله

وكانت

وكانت عائشة رضي الله عنها احب الناس اليه وكان يحب اصحابه واحبهم
اليه الصديق رضي الله عنه واما المحبة الخاصة التي لا تصلح الا
لله وحده ومتى احب العبد بها غير الله كان شركا لا يغفره الله فهي محبة
العبودية المتضمنة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وايثاره
على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله اصلا وهي التي سوى المشركون
بين الهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله واصح القولين
ان المعنى يحبونهم كما يحبون الله ويسوون بين الله وبين اندادهم في الحب
ثم نفى ذلك عن المؤمنين فقال والذين آمنوا اشد حبا لله فان الذين آمنوا
اخلصوا اجهم لله لم يشركوا به معه غيره واما المشركون فلم يخلصوا
لله والمقصود من الخلق والامر انما هو هذه المحبة وهي اول دعوة
الرسل واخر كلام العبد المؤمن الذي ذامات عليه دخل الجنة اعتراف
واعتراره بهذه المحبة وافتتاح الرب تعالى بها فتوا ول ما يدخل به في الاسلام
واخر ما يخرج به من الذنب الى الله وجميع الاعمال والاقوال والحالات
لها وجميع المقامات وسائل اليها واسباب لتحصيلها وتكميلها وتخليصها
من الشوائب والعلل فهي قطب رحا السعادة وروح الايمان وساقه
ومجرى الاسلام ولاجلها انزل الله الحديد والكتاب هاد اليها ودال عليها
ومفصل لها فالحديد لمن خرج عنها واشرك فيها مع الله غيره ولاجلها
خلقت الجنة والنار فالجنة دار اهلها الذين اخلصوها لله وحده فاخلصهم
والنار دار من اشرك فيها مع الله غيره وسوى بينه وبين الله فيها
كما اخبر تعالى عن اهلها انهم يقولون في النار لالهتهم تالله ان كنا
لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وهذه تسوية لم تكن منهم في
الافعال والصفات بحيث اعتقدوا انها مساوية لله في قولها وافعاله
وصفاته وانما كانت تسويه منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية
فقط مع اقرارهم بالفرق بين الله وبينها فتصحيح هذه المسألة هو تصحيح
شهادة ان لا اله الا الله فحقيق بمن نصح نفسه واحب سعادتها ونجاتها

ومنه شغف الحبل للرقبة هو الغشاء المحيط بالقلب والعشق وهو الحب
المفرط الذي يخاف على صاحبه منه وعليه تأول ابن ابرهيم ومحمد عبد الوهاب
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال محمد هو العشق وقع الى ابن عباس
شاب تعرفه قد صار كالخلال فقال ما به قالوا العشق فجعل ابن عباس
رضي الله عنهما يعلمه دعاء يعرفه الاستعاذة من العشق وفي اشتقاقه
قولان احدهما انه من العشقة وهي نبت اصفر يلتوي على الشجر فشبه
به العشق والثاني انه من الافراط وعلى القولين فلا يوصف به الرب
تعالى ولا العبد في محبته به وان اطلقه سلكان من المحبة قد اثنى
الحب عن تميم كان في خفاء صدقه ومحبته
وهو التعبد والتذلل يقال تيمه الحب اي ذلله وعبده وتيم الله
عبد الله وبيته وتيم التيم الذي هو الافراد تلاق اوملاق في الاشتقاق
الاوسط وتناسبت في المعنى فان منفرد يحبه وشجوه كانفراد اليتيم
منقطع عن ابيه وكل منهما مذموم ذليل هذا لكسر يتم وهذا لكسر تتيم
التعبد وهو فوق التيم فان العبد الذي قد ملأ التيم
المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه البتة بل كله عبد المحبوب ظاهرا
وباطنا وهذا هو حقيقة العبودية ومن كمل ذلك فقد كمل نهايتها ولما
كمل سيد ولد آدم هذه المرتبة وصفه الله بها في اشرف مقاماته مقام
الاسراء فقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ومقام الدعوة فقال
وانه لما قام عبد الله يدعوه ومقام التحدي فقال وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والاخرة
وكذلك نقول لنبينا عليه الصلاة والسلام اذا طلبوا منه الشفاعة
بعد الانبياء عليهم السلام اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وقال ابن القيم رحمه الله سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله
روحه يقول فصلت له هذه المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى فكمال مغفرة
الله تعالى له وحقيقة العبودية الحب التام مع الذل التام والخضوع
للمحبوب تقول العرب طريق معبد اي قد ذللته الاقدام وسهلته
الحوافر فمريته الخلة التي انفرد الخليل ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما

التيم

وسلم كما صح عنه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا وقال
عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن والحديثان في الصحيح وهما يبطلان
قول من قال الخلة لابرهيم والمحبة لمحمد فابرهيم خليله ومحمد خليله والخلة
هي المحبة التي قد تخللت روح المحب وقلبه حتى تخلل بينه وبين موضع لغير
المحبوب كما قيل قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
وهل هو الا الذي لاجله واسأل اعلم امر الخليل بذبح ولده وبذبح فؤاده
وفلذة كبده لانه لما كان الولد قد حظي بتلقيه بشعبة من قلبه
والحظ مشعب لابد ان الشرخ والشعث فقام الخليل على خليله ان
يكون في قلبه موضع لغير ناموه بذبح الولد لخرج المزاحم من قلبه
فلما وطن نفسه على ذلك وعزم عليه وحاز ما حصل مقصوده فلا جرم
لم يبق في ازهاق نفس الولد مصلحة فقال بشره وسنداه بالذبح العظيم
وقيل له يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا اي عليك الصدق لا انا نجزي المحسنين بجزي من بادر الى طاعتنا بان نقرعينه كما قرنا عينك باستبقال
المحبوب لحبه وامتثاله اياه ليؤثر مرضاته فيتم نعمته عليه وولايته
عليه معا وهذه الدعوة انما دعا بها خواص خلقه واهل الالباب والبصائر
منهم فاكل احب حبيب فاعبه ولا كل عين قرين بها واهلها هم الذين صحت
في وسط قبضتي الجمع يوم القبضتين وسباهم اهل اليمين في اليمنى
فصل واما المحبة فقد عثرت اشارة اهل التحقيق في العبارة
عنها فكل نطق عند وجده ولسنة بمقدار شوقه فلما كان الشيء
اذا كان من الامور الوجدانية الذوقية انما تعلم بآثارها وعلاماتها
وكان ما يضيع فيه اشتبهت بالشدة والضعف وكان له لوازم وآثار
وعلامات متعددة ما اختلفت العبارات عنه لاختلاف هذه الاشياء
وهذا شان المحبة فانها ليست في حقيقتها معاينة ترى بالابصار فتدرك
الحواس منها الا الصفة وهي فيها متفاوتة اعظم تفاوت وبين
العلامة التي هي محل الطلب المحبوب والعلامة التي هي على ان الحب

وكبيرها وبري نفسه اخرج شيء الى بدنه في كل حالة بلا ملامة اقرار الحرر ولا بعد وجد الالهية ولا مخالفة الاعلام والاذان والاذان ولهذا
ضحى خالد بن عبد الله القسري بجعد بن درهم هؤلاء شيخهم جعد بن درهم
وقال في يوم عيد الاضحى عقيب خطبته ايها الناس ضحوا تقبل
الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم لانه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم
خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم
نزل فذبحه فكبر المسلمون سعيد بن جبير اقتله ٥ وصل
في الاسباب الجالبة للمحبة والموجبة اياها وهي عشر احدها
قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما اريد به من عند الكتاب
الذي لحفظ العبد وتفرجه ليتفهم مراد صاحبه فيه المتقلب
التقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض فانها توصل الى درجة المحبوبية
بعد المحبة الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل
والحال فمنه من المحبة على قدر صفوه من هذه الاذكار الرابع ايثار
محابه على محابك عند غلبات الهوى والتيسم الى محابه وان صعبت الطريق
خامس مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدته ومعرفته
وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها فمن عرف الله باسمائه وصفاته
وافعاله احبه لا محالة ولهذا كانت المعطلة والقدرية والجهمية
قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول الى المحبوب السادس
مشاهدة بره واحسانه واياديه ونعمه الباطنة والظاهرة فانها داعية
الى محبته السابع وهو من اعجبها انكسار القلب بكليته بين يديه
تعالى ولطف في التعبير عن هذا المعنى غير الاسماعيلية العبارات ٥
التاسع مجالسة المحبين الصادقين والتقاط اطايب ثمرات كلامهم
كما يلتقط اطايب الثمر ولا يتكلم الا اذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت ان
فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك الحادي عشر مباعدة كل سبب يحول
بين

بين القلب وبين الله عز وجل ومن هذه الاسباب حب العيش ووصل المحبوب
الى منازل المحبة ودخول اعلى الحبيب وملاك ذلك كله ايمان استعداد
الروح لهذا الشان وافتتاح غير المصيبين وبالله المستعان والتوفيق
ضمن في مراتب المحبة وهي عشر اولها العلاقة وسميت علاقة
لتعلق القلب المحبوب قال الشاعر

اعلاقة ام الوليد بعيد ما افنان راسك كالغغام المحلس

الثاني الارادة وهي ميل القلب الى المحبوب وطلبه له الثالثة الصبابة
وهي انصباب القلب اليه بحيث لا يملك صاحبه كانصباب الماء في الحدور
واسم الصفة منها صب والفعل صبا اليه يصبو صبوا وصبابة وصبوا فتوا
بين الصاغة والمعتل وجعلوا الفعل من المعتل والصفة من المضاعف
وقالوا صبا وصبوة فالصبا اصل الميل والصبوة فوقه والصبا الميل
اللازم وانصباب القلب بكليته الى الرحمة الغرام وهو الحب اللازم
للقلب الذي لا يفارقه بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه ومنه سمي به
عذاب النار غراما اي لملازمة اهلها وعدم مفارقته لهم قال الله تعالى ان عذابها
كان غراما اي لازما الوداد وهو صفو المحبة وخالصها وليها والودود
من اسماء الرب تعالى وفيه قولان احدهما انه الموده لاوليائه الثاني
في صحيح البخاري رحمه الله والثاني انه الواد لعباده اي المحب لهم وقربه
منهم العقود اعلاما بانه يغفر الذنب ويحب التائب منه ويعود عطفه
التائب على المغفرة منه والرد وهي العود الاول يقال عاد فلان الى مرضه
اشتد عاموده العبادي محبته اياها بما شبها العفو ٥ التاسع
التشغف تقول شغف كذا اذا هو شغاف وقد شغفه المحبوب اذا
وصل حبه الى شغافه فهو مشغوف وقد شغفته المحبوبة وشعفها
حبا وفيه ثلاثة اقوال احدها انه الحب الذي يتولى على القلب يحجبه عن كل
ما سوى المحبوب حتى لا يعقل سواه الثاني انه الحب الواصل الى
داخل القلب قال صاحب هذا القول احبه حتى وصل حبه شغاف قلبها
اي داخله الثالث انه الواصل الى غشاء القلب والشغاف جلدة رقيقة
على القلب يقول دخله الحب حتى اصاب القلب وقد حصر اصل شغفها
بالعين المهملة ومعناه ذهب بها الحبيها كل مذهب وبلغ بها اعلى مراتبه

وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي
عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني
لاعطينه وان استعاذني لاعيذنه وفي الصحيحين عنه ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله العبد دعا جبريل فقال اني
احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب
فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وذكر في
البغض مثل ذلك وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا
امير السرية الذي كان يقرأ لاصحابه في كل صلاة وكان
لانها صفة الرحمن فاخبروه ان
الله يحبه وفي جامع الترمذي من حديث ابي ادريس الخولاني عن ابي الدرداء
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعاء داود صلى الله عليه وسلم اللهم
انك اسأل حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك والعمل الذي
يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد
وفيه ايضا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك
اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما
احب فاجعله فراغا لي فيما تحب والقرآن والسنة طافحان بذكر محبة
الله لعباده وذكر ما يحبه من اعمالهم واقوالهم واخلاقهم كقوله
تعالى وان الله يحب المحسنين وان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين وان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص والله يحب المتقين وقوله في ضد ذلك
والله لا يحب الفساد والله لا يحب كل مختال فخور والله لا يحب الظالمين
وانه لا يحب من كان مختالا فخورا وكذلك السنة احب الاعمال الى الله
كذا وكذا وان احب كذا كقوله احب الاعمال الى الله الصلاة على اول
وقتها

وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله واحب الاعمال الى الله الايمان
بالله ثم الجهاد في سبيل الله ثم حج مبرور واوجب العمل حج الله ما داوم
عليه صاحبه والى هذا يجب ان يؤخذ بحظه واضعاف اضعاف
ذلك وبرحمة العظيم سبوبه عبده الذي هو اشد فرح بعلم العبد هو
من محبته للتوبة والمتاب فلو طلبت مسألة المحبة لبطلت جميع المقامات
الايمان والاحسان ولتعطلت منازل السائرين فانها روح كل مقام ومنزلة
وعمل قلبي منها فهو ميت لا روح فيه وقد نبهنا على الاعمال التي عندها لا علامة
اليها بالمحبة حقيقة للاخلاص بل هي نفس الاخلاص فانه الاخلاص بالدال
والحب والطاعة فمن لا محبة له لا اخلاص له بل المحبة هي حقيقة شهادة ان
لا اله الا الله فالا لهو الذي يالهه القلوب حبا وذلا وخوفا ورجاء
وتعظيما وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب اي تحبه القلوب
اي تحبه وتذل له بالتعبد والتقدم اخرجه في الحديث قال عبده المحب
وتمام اذلاله وذله لمحبوبه فالمحبة حقيقة العبودية وهل سمي الانسان به
بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء وهل الصبر في
الحقيقة الا صبر المحبين فانه انما يتوكل على المحبوب في حصول محابه
ومراضيه وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين فانهم يزهدون في
كل ما سواه لمحبته وكذلك الحياء في الحقيقة انما هو حياء المحبين
فانه يتولد من بين الحب والتعظيم اما لا يكون في محبة فذاك
خوف محض وكذلك سائر المقامات هي في الحقيقة نقص الارواح التي لم تجد بها
وهو اغلى انواع الفقر فانه لا فقر اتم من فقر القلب الذي لا حب فيه
لا سيما اذا وجد في القلب ولم يجد معوضا سواه هذا حقيقة
الفقر عند العارفين وكذلك الغنا هو غنى القلب بحصول
محبوبه وكذلك الشوق الى الله تعالى ولقائه هو ثمرة لب المحبة وسرها
ومجمل هذه المسألة ومفصلها ان القلب خلق لله تعالى وحده وحبه
اكمل المحبة وقبلها فتنى القلوب ابدا على غير الله وهو مستحيل له
ابرهم عليه السلام كان اجل كمال المحبة وهو معنى قول الخليل المحتاج
لخليل الله عنده وهو المحتاج فهو كقوله ما من خليل بر وفاجر
بل مؤمن وكافر اذ فتش من الخلق من يخلو خواطره كلها بالله صعب عليه

الله فاتبعوني يحببكم الله وهي تسمى اية المحنة قال بعض السلف ادعى
قوم محبة الله فانزل الله عز وجل اية المحنة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال ابو سليمان الداراني لما ادعت القلوب محبة الله انزل الله
لها محنة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال يحببكم الله
اشاره الى دليل المحبة وثمرتها وفايدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول
وفايدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فاذا لم تحصل المتابعة فلا محبتكم
له حاصلة ومحبتكم له منتفية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة
على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذكر لها اربع
علامات احدها انهم اذلة على المومنين قيل معناه ارقاء رحماء شفقين
عليهم عاطفين عليهم فلا يمتنع ادخال هذا المعنى عداه بادا على قال
الواحدي عطف رحمه الله للمومنين كالولد لوالده وللعبد لسيده وعلى الملاطفة
كالاسد على فريسته اشد على الكفار وحمايتهم الثانية الجهاد
في سبيل الله بالنفس واليد واللسان والمال وذلك يحقق دعوى المحبة
العلامة الرابعة انهم لا تاخذهم في الله لومة لايم وهذا علامة صحة المحبة
فكل محب اخذه اللوم عن محبوبه فليس محبا على الحقيقة كما قيل
ولو كان من تسوا لمه بغيته جدا لقيل لها اليه اللوم
وقال تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فذكر
المقامات الثلاث المحبة وهو اتباع القرب اليه والتوسل اليه بالاعمال
الصالحة والرجاء والخوف يدل على ان اتباع الوسيلة امر زايد على رجاء الرحمة
وخوف العذاب ومن المعلوم قطعا انه لا ينافس الا في قرب من يحب
قربه وحب قربه تبع لمحبة ذاته بل محبة ذاته اوجبت محبة القرب منه
وعند الجهمية والمعطلة ما من ذلك كله شيء وفاته عندهم لا يقرب ذاته
من شيء ولا يقرب من ذاته شيء ولا يحب لذاته فانكروا حياة
القلوب ونعيم الارواح وبهجة النفوس وقرة العيون واعلى نعيم الدنيا والاخرة
ولذلك ضربت القلوب بالقسوة وضرب دونهم ودون امنه حجاب على

معرفته

معرفته ومحبته فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه الا عند تعطيل اسمائه
وصفاته فذكرهم اعظم اثامهم واوزارهم بل يعاقبون من ذكره باسمائه
وصفاته ونعوت جلاله وبريء منهم ما ادوا التي هم احق بها واهلها
وحب ذي البصيرة وحياة القلب صابري على علمهم من القسوة
والمقت والتنوير عن محبة الله عز وجل ومعرفته وتوحيده
والله المستعان وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه وقال لاحبابه واوليائه انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال تعالى وما لاحد
عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فجعل غاية الاعمال
الابرار والمتقين والمحبين ارادة وجهه وقال تعالى وان كنتن
تردن الله ورسوله والدار الاخرة وهذه الارادة لوجهه توجب للمرء
النظر اليه في الاخرة كما في صحيح الحاكم وابن حبان في الحديث المرفوع عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
احيني اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي
واسالك خشيتك في الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب
والرضا واسالك القصد في الفقر والغنا واسالك نعيما لا ينفد واسالك
قرة عين لا تنقطع واسالك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد
الموت واسالك لذة النظر الى وجهك واشوقا الى لقائك
في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا
هداة مهتدين وقد اشتمل هذا الحديث الشريف على اثبوت
لذة النظر الى وجه الله تعالى وعلى ثبوت الشوق الى لقائه وعند
الجهمية لا وجه له سبحانه ولا نظر اليه فضلا ان تحصل به لذة
كما سمع بعضهم داعيا يدعو بهذا الدعاء فقال وجه مستراح له
وجها فقلت يا نظر اليه وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسينا شيئا ونحن حوله الا ونحن
نظر الله ورسوله احب الينا مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يلقى في النار

واولوا نصوص محبة العبد له على محبته طاعته والازدياد من الاعمال التي نالوا
بها الثواب وان اطلقوا عليهم لفظ المحبة فلما ينالون به من الثواب
والاجر والثواب المنفصل عندهم هو المحبوب لذاته والرب تعالى
محبوب لغير حب الوسايل واولوا نصوص محبته لهم باحسانه اليهم
واعطائهم الثواب وربما اولوها باثنائه عليهم ومدحه لهم وخوذلك
وربما اولوها بارادة ذلك لهم وتارة يجعلونها من المفعول المنفصل
وتارة يجعلونها من نفس الارادة ويقولون الارادة ان تعلقت بتخصيص
العبد بالاحوال والمقامات العلية سميت محبة وان تعلقت بالعقوبة
والانتقام سميت غضبا وان تعلقت بعموم الاحسان والانعام الخاص
سميت برا وان تعلقت بايصاله الى خواص خلقه لا لشعور ولا لسبب
سميت لطفا وهي واحدة وانما اختلفوا باعتبار متعلقاتها ومن
جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه لم يردها الى صفة الكلام فهي
عنده من صفات الذات لا من صفات الافعال ومن جعلها نفس الانعام
والاحسان فهي عنده من صفات الافعال والفعل عنده نفس المفعول
فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لانبيائه ورسله البتة ومن ردها
الى صفة الارادة جعلها من صفات الذات باعتبار اصل الارادة ومن
صفات الافعال باعتبار تعلقها ولما راى هؤلاء ان المجازاة والارادة
لا تتعلق الا بالمحدث المقدور والقديم يستحيل ان يراد انكروا محبة
العباد والملايكة والانبياء والرسل له وقالوا لا معنى لها الا الارادة التقرب
اليه والتعظيم له وارادة عبادته فانكروا خاصة الالهية وخاصة
العبودية واعتقدوا ان هذا من موجبات التوحيد والتنزيه وعندهم
لا يتم التوحيد والتنزيه الا بجحد حقيقة الالهية فجحدوا حقيقة العبودية
وجميع طرق الادلة عقلا ونقلا وفطرة وقياسا واعتبارا ووقوعا
ووجدانا تدل على اثبات محبة العبد لربه والرب لعبده فالمحبة هي
الحق الذي به خلقت السموت والارض وهي الحق الذي تضمنه الامر
والنهي وهي سر الاله وتوحيد هلهو شهادة ان لا اله الا الله
وليس كما زعم المنكرون ان الاله هو الرب الخالق فان المشركين
كانوا مقرين بانه لا رب الا الله ولا خالق سواه وانه وحده المنفرد

بالخلق والربوبية ولم يكونوا مقرين بتوحيد الالهية وهو المحبة
والتعظيم بل كانوا يتالهون مع الله غيره وهذا هو الشرك الذي لا يغفر
الله تعالى وصاحبه ممن اتخذ من دون الله اندادا قال الله تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبهم كحب الله فاثبت اندادا في المحبة لا في الخلق
والربوبية فان احدا من اهل الارض لم يثبت هذا الند بخلاف الند في المحبة
والتعظيم فان اكثر اهل الارض قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب
والتعظيم ثم قال والذين امنوا اشد حبا لله وتقدير الآية قولان
احدهما ان ليس احد اشد حبا لله من اصحاب الاندادهم
والثاني الذين امنوا اشد حبا لله من هؤلاء المشركين لاندادهم
اشد حبا لله من محب المشرك لندهفان محبة المؤمن خالصة
ومحبة اصحاب الاندادقد ذهبت اندادهم بقطعها والمحبة التي لله
اشد من المشرك وهذان القولان مبنيان على القولين في قوله تعالى في حق اليهود
كحب الله فقال فريق المراد يحبونهم كما يحبون الله وتكون
قد اثبتت لهم محبة لله ولكنها محبة باطلة لانهم اشركوا مع الله اندادهم
والمشركون يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله ثم بين
ان محبة المؤمنين لله اشد من محبة اصحاب الاندادهم كما
ابن القيم رحمه الله وهذا هو الصحيح الذي لا يصح غيره وقد سئل شيخ الاسلام رضي الله عنه
يرجح القول الاول ويقول المراد من الذين يتخذون من دون الله اندادا
في المحبة وهم المخصوصون بقوله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وهذه هي التسوية المذمومة
في قوله تعالى معادلة بهم وهي التي يقولون فيها وهم في النار تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين ومعلوم انهم لم يسووهم به في الخلق والرزق والاماتة والاحياء
ولم يشركوهم به في المحبة والتعظيم وهذا هو العدل المذكور في قوله
تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي الذين عدلوا الاصنام التي هي المحبة والتعظيم وهذا هو الصحيح الذي عليه
يعدلون الى عبادة غيره وهذا بين ولله الحمد اذا تامل العاقل
بكذا اي عدلت عنه واقبلت على فعل المسوى الذي سويت بكذا اي بينهم
كانهم مسوية اعتنيت بها فهيئت وهذا كما قال تعالى ان كنتم تحبون

رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين والكفار وصرحوا بانهم خير
منهم في شبهة ومناسبة اولى بهذا الضرب من الحمار ينهق لهقرا
هذه النخبة من وجوههم فلئن من المتوسمين واما الاخبار التي
تكاد تبلغ عدد التواتر ممتنع من مئتين منهم عند الموت خنزيرا
فاكثر من ان تذكرها هنا وقد انزل الله تعالى فيهم عبد الواحد
المقدسي كتابا وتامل حكمته تعالى في عذابه الامم الكافرة
عذاب الاستيصال لما كانوا اطول اعمارا واعظم قوى واعتى على الله ورسوله فلما قاصرت الاعمار وضعفت القوى رفع عذاب الاستيصال
وجعل عذابهم بايدي المؤمنين فانت للحكمة في كل واحد من الامرين
ما اقتضته في وضعه وتامل حكمته تبارك وتعالى في ارسال
الرسل في الامم واحدا بعد واحد كلما مات واحد خلفه آخر لحراستها
الى تتابع الرسل والانبياء لضعفها في عقولها وعدم استقلالها بامرها وشريعة
الرسول السابق فلما انتهت النوبة الى محمد بن عبد الله رسول الله
وسيد ارسله الى اكمل الامم عقولا ومعارف واصحها اذهانا واغزرها
علوما وبعثه باكمل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا
الى حين مبعثه فاعتنى الله الامة باكمال رسولها وكمال شريعته وجمال
عقولها وصحة اذهانها عن رسول ياتي بعده واقام لامته ورثة
يحفظون شريعته ووكلهم بها حتى يودوها الى نظرائهم ويزرعوها
في قلوب اشباههم فلم يحتج امته الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون وان
يكن في امتي احد فعمر وهذا يخرج وجود المحدثين في الامم وعدمه وجوده
في امته عرفا لشرط وليس هذا نقصان لامته عن قبلهم بل هذا
من كمال امته على من قبلها فانها اكملت وكملت شريعته
لاحتاج الى تحديث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاعتضاد
لانه جزء لا يتم الا به ما بعث الله به نبيه عن كل امام او الهام
او مكاشفة او تحديث واما من قبلها فلما حتم الى ذلك لخلو منهم
المحدثون ولا يتعين ان تخصيص عمر رضي الله عنه بهذا تفضيل له على
ابي بكر الصديق بل هذا من اقوى مناقب الصديق فانه كان يشربه

من

من تحديث او غيره فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة اتم من الذي
تلقاه عمر من التحديث فتامل هذا الموضع واعطه حقه من المعرفة تر
ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بانه الحكيم الخبير وان رسوله
صلى الله عليه وسلم اكمل خلقه واكملهم شريعة وان امته اكمل الامم وهذا فصل
مفترض وهو من انفع فصول الكتاب ولولا الاطالة لوسعناه فيه لكن
وكثرنا فيه من الشواهد والامثال ولقد فتح الله الكريم فيه الباب
وارشد فيه الى الصواب وهو المرجو لتمام نعمته ولاتوه الا بالله

ان اتخذوا من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب
يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الدار الاخرة حيث جعلوا له
اندادا اي امثالا ونظرا يعبدونهم معه ويحبونهم كمحبته وهو الله الذي
لا اله الا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه وفي الصحيحين عن
عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا
وهو خلقك وقوله تعالى والذين امنوا اشد حبا لله وهذا تمام معرفتهم
به وتوحيدهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ويتوكلون
عليه ويلجاون في جميع امورهم اليه فصل الكلام في المحبة يتعلق
بطرفين طرف محبة العبد لربه وطرف محبة الرب لعبده وللناس
اثبات ذلك وبقيه اربعة اقسام فاهل السنة يحبونه على اثبات الطرفين
وان محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ولا شبهة لسائر المحاب الها وهي
حقيقة لا اله الا الله وكذلك عند هم محبة الرب لاوليائه وانبيائه ورسله صفة
زايدة على رحمته واحسانه وعطائه فان ذلك اثر المحبة وموجبها فانه لما
احبهم كان نصيبهم من رحمته واحسانه ومن ايم نصيب والجهمية المعطلة
على ضد هولاء فان عندهم لا يحب ولا يحب ولم يكلمهم تكليما لنصوص

ان يري مرائيا الا واخزته الى محق وقله وهاجه وتامل حكمته
تعالى في تسليط العدو على العباد اذا جاروا عليهم على ضعفهم ولم
يوخذ للمظلوم حقه من ظالمه كيف تسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم
ببرعاياهم وضعفايهم سواء وهذه سنته تعالى منذ قامت
الدنيا الى ان تطوى وبعيدها كما بدا ها وتامل حكمته تعالى في ان
جعل ملوك العباد وامرائهم وولاتهم من جنس اعمالهم بل كانت
اعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم فان استقاموا استقامت
ملوكهم وان عدلوا عدلوا عليهم وان جاروا جارت ملوكهم
وولاتهم وان ظهر فيهم المكر والخديعه فملوكهم كذلك وان منعوا
حقوق الله لديهم وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم مالهم عندهم من الحق
وبخلوا بها عليهم وان اخذوا منهم فوق ما يستحقونه في
معاملاتهم اخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه وضربوا عليهم المكوس
والوظائف وكلما استخرجوه من الضعيف استخرجه الملوك منهم بالقوة
فاعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وليس في الحكمة الالهية ان يولي
على الاشرار الفجار الا من يكون من جنسهم ولما كان الصدر الاول اخيار
القرون وابرها كانت ولاتهم كذلك فلما شابوا شابت لهم الولاه
وحكمة الله تابى ان يولي علينا في هذه الازمان مثل معويه وعمر
ابن عبد العزيز فضلا عن مثل ابي بكر وعمر بل ولاتنا على قدرنا
وولاة من قبلنا على قدرهم وكل من الامرين موجب الحكمة ومقتضاها
ومن له فطنه اذا تامل بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الالهيه
ساريه في القضا والقدر ظاهره وباطنه فيه كما هي في الخلق والامر
سواء فما اراك ان تظن بظنك الفاسد ان شيئا من اقضيته واقداره
عار عن الحكمة البالغه بل جميع اقضيته تعالى واقداره واقعه على
اتم وجوه الحكمه والصواب ولكن العقول الخفاشيه محجوبه
بضعفها عن ادراكها كما ان الابصار الخفاشيه محجوبه بضعفها
عن ضوء الشمس وهذه العقول الصغار اذا صادفها الباطل
جالت فيه وصالت ونطقت وقالت كما ان الخفاش اذا صادفه ظلام
الليل طار وسار واذا خفي شعاعها النهار بصره ولازمها قطع

من

من الليل مظلما وتامل حكمته تبارك وتعالى في عقوبات
الامم الخاليه وتنويعها عليهم بحسب تنويع جرايمهم كما قال تعالى وعادا
وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم
عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم
موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحه
ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون وتامل حكمته تعالى في مسخ من مسخ
من الامم في صور مختلفه مناسبة لتلك الجرايم فانهم لما مسخت قلوبهم
وصارت على قلوب تلك الحيوانات وطباعها اقتضت الحكمة البالغه
ان جعلت صورهم على صورها لتتم المناسبه ويكمل الشبه وهذا
غايه الحكمه واعتبر هذا بمن مسخ واقرده وخنازير كيف غلبت عليهم
صفات هذه الحيوانات واخلاقها واعمالها ان كنت من المتوسمين
فاقرا هذه النسخ من وجوهها ونظرايهم كيف تراها بادية
عليها وان كانت مستوره بصوره الانسانيه فاقرا نسخ القرده
من صور اهل المكر والخديعه والفسق الذين لا عقول لهم بل هم
اخف الناس عقولا واعظمهم مكرا وخداعا وفسقا فان لم تقرا
نسخه القرده من وجوههم فلست من المتوسمين واقرا نسخ الخنازير
من صور اشباههم ولا شبه اعدا الله بعد الرسل وهم اصحاب رسول الله خير خلقه
صلى الله عليه وسلم فان هذه النسخه ظاهره على وجوه الرافضه تقراوها كل
موسر كاتب وغير كاتب وهي تعظر وتخفى بحسب خنزيريه القلب
وخبثه فان الخنزير اخبث الحيوانات وازدادها طباعا وانس
خاصته اتباع الطيبات فلا ياكلها وتقوم الاشارة على جميعه
فيما ذكرناه فتامل مطابقة هذا الوصف لاعدا الصحابه كيف
تجده منطبقا عليهم فانهم عدوا الى الطيب فخلوه لاهله وظلموهم فعادوهم
وتبرا منهم فالروافض اعدى لهم من النصارى واليهود والمشركين
فاشتغالنا في كل زمان على حرب الموحدين الموالين لاصحاب

شبكة الألوكة www.alukah.net

الله سبحانه هذا البدء الا صناف اقتضت حكمته ان يكون
بهذه الكثرة ولو رأى العبد ما في البحار من ضروب الحيوانات والهوام
والاصناف التي لا تحصى الا الله لا يعرف الناظر منها الا الشيء
اليسير الذي لا تحسنه له اصلا الى ما غاب عنه من ذلك العجب العجيب
ولعلم شعة ملك الله وعظم جنوده الذي لا يعلمها الا هو هذا
الجراد الذي خرج من جيحان البحر ينتشر من حيث هو وهو جند من
جنود الله ضعيف الخلقة عجيب الذرء بديعة خلق سبع حوانات
فاذا رأيت عاكفا قد لصق بعضه جنبا لا يرد ولا يحيد منه
عدد ولا عدة فلو جمع الملك جنده وزحف وردوا بيوت لا يحيد لهم
عن بلده لما اعضه خلق ضعيف ينبت على الارض كالنبل
فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى تستتر الشمس بكثرته
وتسد وجه الفضاء بحصته وتبلغ من الطول الى حيث لا تبلغ طاير اكبر جناحين
منه فسبحان المعطل من الذي صنعت هذا الجند الضعيف الذي لا تستطيع
ان يدفع عن نفسه حوانا ولم جعلت فيه معونة على العباد اهل القوة والكثرة
والعدد والعدة والخيل فلا قدرة لهم على دفعه ولا منطرون
اليه تستبيد بقواتهم دونهم وتمنعها كل من رفع رأسه الارض قبلها منها
وهم لا يستطيعون ان يردوه ولا حولوا بينه وبينها وهذا من حكمته
سبحانه انه تسلط الضعيف من خلقه الذي لا مؤنة له على القوي
فينتقم به منه وينزل به ما كان حذره منه حتى لا يستطيع ان يرد بأسا
ولا ضرا فيقال الله تعالى ويريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض فيرى
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون فواحسرتاه
على استقامة مع الله واشتياد لمرضاته في كل حال يمن به على الضعيف
المستضعف حتى يرى فيمن استضعفه انه اولى بالله ورسوله وللمؤمنين
اقتضت حكمة العزيز الحكيم ان يكون للعالم الباغي وسيلة في
خفاره ذنوب المظلوم المبغي عليه فتوبته من اعظم اسباب الرحمة
في حق ظالمه كما ان الكفر لا يزداد التائب منه في خفاره كلمة ولو صدق

التائب

التائب لما افلح من رده وكذلك السارق وقاطع الطريق في حقارة منع
اصحاب الاموال حقوق الله فيها ولولاة امر الله عليهم فيها لحفظها الله
عليهم وهذا اضطراب عظيم من حكمة الله يطلع الناظر فيه على اسرار
من شرار المقدير وتسليط العالم بعضهم على بعض وتمحيص الخطاء
والبغاة فسبحان من له في كل شيء حكمة بالغة وآية باهرة حتى ان الحيوانات
العادية على الناس في اموالهم واولادهم وابدانهم تفتش فتخفاره
ما كسبت ايديهم ولولا ذلك لم يسلط عليهم منها شيء ولعل هذا الفصل
الطرفي نفع لتاملي من كثير من الفصول المتقدمة فليتأمل حقه
من النظر والفكر عظم انتفاعه به جدا والله الموفق وحكي ان بعض
اصحاب الماشية جاء ثوب اللبن وبيعه على انه خالص وارسل الله
عليه سيلا فذهب بالغنم فجعل يحمد فاتي في منامه فقيل له اتعجب
احد الهم المسيل عنك انه تلك القطرات التي شبت بها اللبن اجتمعت
فصارت سيلا فقس على هذه الحكاية ما تراه في بيتك وفي غيرك
تعلم حينئذ ان الله قايم بالقسط دائم على كل نفس بما كسبت وانه
لا يظلم مثقال ذره والاثر الاسرائيلي معروف ان رجلا باع ثوب
الجز وبيعه على انه خالص فجمع من ذلك كنزا فذهب وسافر به فركب
البحر ومعه قرد له فلما قام اخذ القرد الكنز وصعد به الى اعلا المركب
ثم فتحه وجعل يلقي دينارا دينارا في الماء ودينارا في المركب كانه يقال له ان
الحال من الماضي الى المآل ولم يظلك وتامل الحكمة في حبس الله الغيث عن
عباده وابتلايهم بالقحط اذا منعوا الزكاة وحرموا المساكين نصيب
جوز واعلى منع ما لله من قبلهم من القوت يمنع الله مادة القوت والرزق
وحبسها عنهم فقال لهم تنازلي الحال لمنعتم الحق لمنعتم الغيث فهلا
استنزلتموه ببذل ما لله فتلك حكمة الله تعالى في صرفه
الهدي والايمان عن قلوب الذين يصرفون الناس عنه فيصدهم عنه
كما صدوا عباد الله صدا بصد ومنعا بمنع وتامل حكمته عز وجل
في سوق اموال اللابين وتسليط اموال المتلفات عليها كما فعلوا باموال
الناس ومحقوها عليهم واتلفوها بالربا جوزوا اتلافا باتلاف مثل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في العلم وطفرت بما شكل عليها منه فرحت به وقويت فاوجب
ذلك دفع العارض هذا ونحوه من الكلام والمقصود ان ترى
كثيرا من الناس لا تشفيا بالعسل لا يخرجه عن كونه شفاء كان
ترك اكثرهم لاستشفاء بالقرآن من امراض القلوب لا يخرجه عن
كونه شفاء لها وهو شفاء لما في الصدور ان لم تستشف به اكثر المرضى
كما قال تعالى يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فجمع لهم الموعظة والشفاء وخص
بالهدى والرحمة المؤمنين شفاء استشفى به او لم يتشف ولم يصف له
في عنايته بالشفاء بالقرآن والعسل فيها الشفاء ان هذا شفاء القلوب
من امراضها وصلاحها وداؤه شبهاتها وشهواتها وهذا شفاء
للابدان من كثير من اسقامها واخلاطها وانما قال للناس شفاء
الذين انزل فيهم ولقد اصابني يا بعض اسقامي بحكة استقام مختلفة وكم طبب
هناك ولا ادري كما في عقها من المدن فجعلت استشفي بالعسل
وماء زمزم وذهبت بها من الشفاء امرا عجيبا تامل اخبار سحان
عن القرآن بانه شفاء وقال عن العسل فيه شفاء للناس وما
كان ربك شفاء ابلغ مما جعل فيه شفاء ولبث هذا مع اشتقاصا
جوابا العسل ومنافعه ٥ فصل ثم تامل العبرة التي ذكرها الله
عز وجل في الانعام وما اشتملت عليه من العبر الخاص للسبيل الهدى
المرئي الخارج من بين العرث والدم تامل كيف يتزل الغذاء فتوصله
الى المحلة فينقلب بعضه باذن الله وما يسري في عروقها واعضائها
وشعورها ولحمها فاذا ارسلته العروق في مجاريها الى المحل الاجزاء
قلبه كل عضو وعصب وعضروف وطفر وحافر الى طبيعته
ثم يبقى الدم في تلك الخلايا التي اذا به قوام الحيوان ثم تنفسخ تحلل الى
الكرش فيصير بلا ثم تنقلب باقيه لبنا صافيا ابيض خالصا سائغا للشاربين
فيخرج من بين الفرث والدم حتى اذا انهضت الشاة ما ذكرها طيبا
خرج الدم سفوا حمرته صفي الله سبحانه الاعلى من تشاكل الطرق الاول
وانفصل الى المبدء وصار دما وكان حلوا لا اخلاط الارعاث فيه

عز وجل

عز وجل كل خلط منها الى منشئه وخزانته المهيأة له من المرارة والطحال
والكليه وباقي الدم الخالص يدخل في اوردة الكبد فيصب من تلك
العروق الى الصرح فيقلبه الرب تبارك وتعالى من صوره الدم
وطبعه وطعمه الى صورة اللبن وطبعه وطعمه فتخرج من الفرث
والدم قل المعطل الجاحد من الذي دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير
واتقن هذا الصنع ولطف هذا اللطف سوى اللطيف الخبير
ثم تامل العبرة في السمك وكيفية خلقته فانه
خلق عجيب خلق ذي قوام لا تملا يحتاج الى المشي اذ كان متكئا ولم يخلق
له رجل لان منفعة الرجل التنقل فلما لم يحوج اليه لانه ساكن في
الماء خلقت له عوض القوائم اجنحة شداد تقذف بها من جانبيه كما
تقذف صاحب المركب بالمقاديف من جانبي السفينة وكسي جلده قشورا
تستد اخلته كمداخل الحوت لتقيه من الافات واعين بقوة الشم لان
بصره ضعيف والمائجة فصار شم الطعام من بعد فيقصده وقد
ذكر في بعض كتب الحيوان ان من فيه الى صماخه منافذ فهو يعب
الماء فيها بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح بذلك كما يأخذ الحيوان النسيم
البارد بانفه ثم يرسله ليتروح به فان الماء للحيوان البحري كالهواء للحيوان
البري فهما يجريان احدهما اللطف من الاخر فجوهر الماء تشبه فيه جوهر
الهواء وجوهر الماء يشبه فيه جوهر الهواء فلو فارق كل من السمك بحره
الى البحر الاخر مات فكما تختنق الحيوان البري في الماء تختنق البحري
في الهواء فسبحان من لا يحصي العادون آياته ولا يحيطون بتفصيل
آية منها على الانفراد بل ان علموا منها وجها جملوا منها اوجها فتامل
الحكمة البالغة في خلق السمك اكثر الحيوان نسلا ولهذا ترى في جوف
السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة وحكمة ذلك ان تتسع
لما يعتدي به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل السمك حتى الضفادع لانها
في حافات الاجام جاثمة تعكف على الماء الصافي فاذا تغذت عليها صيد
البر رصدت السمك فاختطفته فلما كان الضفادع تاكل السمك والطير
تاكله والناس تاكله والسمك الكبار تاكله ودواب البر تاكله وقد جعله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بعضهم لبعض بل يصيرون يدًا واحدة وجندًا واحدًا ٥
فصل ومن عجيب امرها ما لا يهتدي لها اكثر الناس ولا يعرفونه
وهو النتاج الذي يلون لها هل هو على وجه الولادة والتولد او الاستحالة
فقل من يعرف ذلك او يفطن له وليس نتاجها على واحد من هذين الوجهين
وانما نتاجها امر من اعجب العجب فانها اذا ذهبت الى المرعى اخذت تلك الاجزاء
الصافية التي على الورق من الورد والزهر والخشخاش وغيره وهي الطل
فتمصها وذلك مادة العسل ثم انها تلتقط الاجزاء المنعقدة على وجه الورقة
وتعقدها على رجلها كالعدسة فتملأها المشرشات الفارغة من العسل
ثم تقوم بعسوها على بيتته مستديا بمنسد فيتخ فيه ثم يطوف على تلك البيوت
بيتا بيتا وينفخ فيها كلها فتدب فيها الحياة باذن الله تبارك وتعالى فتفتح
وتخرج طيورًا باذن الله وتلك احدى الآيات والعجايب التي قل من يتفطن
لها وهذا كله من شهد ذلك الوحي الالهي قادها وانشيها هذا التدبير والتفهم
والمعاش والنتاج فضل المعطل الضال من الذي اوحى اليها امرها
وجعل ما حصل في طباعها ومن الذي سهل لها سبله ذللا منقادة لا تتعصى
عليها ولا تتوعرها ولا تضل عنها على بعدها ومن الذي هداها لاتخاذ شانها
ومن الذي انزل لها من الطل ما اذا اخذته ردته عسلا صافيا مختلفا
الوانه في غاية الحلاوة واللذاذة والمنفعة من بين ابيض يرى فيه الوجه
اعظم من رويته في الماء وسماء الى مرجابه وهي اقتها تعرف النابت
من العسل واصفاه والطيبه فاذا طعمه الذي يكون من الحلاوة بين
بين احمر واخضر ومورد واسود واشقر وغير ذلك من الالوان
والطعوم المختلفة فيه بحسب مراعيه ومادتها واذا تاملت ما فيه من
المنافع والشفا دخل في غالب الادوية حتى كان المتقدمون لا يعرفون
الكمأة وهو مذكور في كتبهم صلا وانما كان الذي يستعملونه في الادوية
هو العسل وهو المذكور في كتب الطب والعسل انه لا نفع من السكر
واجدى واجلى للاخلاط واقمع لها واذهب لصفرها واقوى للمعدة واشد

تفرحا

تفرحا للنفس وتقويه للارواح وتنفيذ الادوية واعانة له على استخراج
الداء من اعماق البدن ولهذا الحي لم يشف من شيء من الحوت قط ذكر السكر ولا
كانوا يعرفونه اصلا ولو عدم من العالم ما احتاج اليه ولو عدم العسل
لاشتد الحاجة اليه وانما غلب على بعض المدن استعمال السكر حتى
هجر العسل واستطابوه عليه وراوه اقل حدة وحرارة منه ولم يعلموا
ان من منافع العسل ما فيه من الحدة والحرارة فاذا لم يوافق من يستعمله
كثيرها مقابلها فتصير اقل من السكر ومتى رايت السكر دخل ابدا نعما
او يديب خلطا او شفى من داء وانما غايته بعض التنفيذ للادوية الى
العروق للطافته وحلاوته واما الشفا الحاصل من العسل فقد حرمه الله
الكثير من الناس حتى صار وابيد مونه ويخون عاليه من حرارته وحدته
ولا ريب ان كونه شفا وكون القران شفا والصلاة شفا وذكر الله
والاقبال عليه شفا امر لا يعم الطبايع والامثل فهذا كتاب الله هو
الشفا النافع وهو اعظم الشفا وما اقل المستشفين به بل لا يزيد الطبايع
الرديه الا زداده ولا يزيد الظالمين الا خسارا وكذلك ذكر الله والاقبال
عليه والانابه اليه والفزع الى الصلاة كم قد شفي به من عليل وكم عوفي
به من مريض وكم قام مقام كثير من الادوية التي لا تبلغ قريبا من مبلغه
في الشفا وانت ترى كثيرا من الناس بل اكثرهم لا نصيب له من
الشفا بذلك البته اصلا قال شمس الدين ابن القيم ولقد رايت في بعض
كتب الاطباء المسلمين في ذكر الادوية المفرده ذكره الصلاة ذكرها
في باب الصداع وذكر من منافعها في المدة التي توجب الشفا وجوها
عديدة ومن منافعها في الروح والقلب قال العلامة الشيخ شمس الدين
ابن القيم قدس الله روحه وسمعت شيخنا سلام ابا العباس
احمد بن تيميه رحمة الله عليه يقول وقد عرض له بعض الامراض له الطبيب
اصرما عليك الكلام في العلم والفكر فيه والوجد والذكر وقال انتم
تزعمون ان النفس اذا قويت وفرحت اوجب فرحها لها قوة يعين بها
الطبيعة على دفع المعارض فانه عدوها فاذا قويت عليه قهرته فقال
له الطبيب بلى وقال انا اذا اشتغلت بشيء قالوجد والذكر والكلام

شبكة الألوكة www.alukah.net

الباردفقط وهذا الكذب عليه وعلى الخلقة لانه يقول وقد تكلم
الفقهاء في بول ما هو نجس لانه يقول غير ما كول وخبث معفو عن
يسيره لمشقة التحرز منه على قولين هما روايتان عن الامام احمد
وبعض الفقهاء لا يخبث بوله محال وهذا اقبح الاقوال اذ لا نص فيه
ولا يصح قياسه على الابوال النجسة لعدم الجامع المؤثر ووضوح الفرق
وليس هذا موضع استيفاء الحجج على هذه المسائل من الجانبين والمقصود
انه لو كان لا ما كل شيا لم يكن له اشنان اذ لا معنى للاشنان في حق من
لا ما كل شيا ولهذا لما عدم الطفل الرضيع الاكل لم يعط الاشنان
فلما كبر واحتاج الى الغذا اعين عليه بالاشنان التي تقطعه والاخراس
التي تطحنه وليس في الخليقة شيء مهمل لا معنى له والحكمة بعطل ولا شيء
لا معنى له واما المنافع والمنافع في خلق الحشائش فقد ذكرها الاطباء
في كتبهم ما انتهت اليه معرفتهم حتى ان بولها يدخل في بعض الادوية
فاذا كان هذا بول الذي لا يحظر بالبال ان فيه منفعة البتة فما
الظن بعلمه ولقد اخبر بعض من شهد بصدقه انه راى رجلا وهو
طائر معروف قد عشش في شجرة فنظر الى بيضه عظيم فما زال يبول
عشه فاحرقه فما هو بمنفعة فينا هو مضطرب في حيله اذ جاء منها
وجد حشرة في العش فحملها فالقاها في فم الحية فلم تزل تلتوي حتى
ماتت ٥

ثم تامل احوال النحل ومافيها من العبر
والايات فانظر اليها والى اجنادها في صنعة العسل وبنايها البيوت
المدسسة التي هي من انواع الاشكال واحسنها استدارة واحكمها
صنعا فاذا ضم بعضها الى بعض لم يكن بينها فرجة ولا خلل كل هذا
بغير مقياس ولا آلة ولا بد كان وذلك من اثر صنع الله والهامه
اياها وايحايه اليها كما قال تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل
ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه ان في ذلك لاية

لقوم

لقوم يتفكرون فتامل كمال طاعتها وحسن ايتمارها لامر ربها
تعالى كيف اتخذت بيوتها في هذه الامكنة الثلاثة في الجبال والشقوق
وفي الشجر وفي بيوت الناس حيث يعرشون اي يبنون للعروش وهي
البيوت فلا ترى للنحل بيت غير هذه الثلاثة البتة وتامل كيف اكثر
سوتها في الجبال والشقوق وهو البيت المقدم في الاية ثم في الاشجار
وهي دون ما يعرشونها وفيما يعرشون الناس واقل بيوتها بيوتها حيث يعرشون
واما في الجبال او الشجر بيوت عظيمة توخذ منها من العسل الكثير جدا
وتامل كيف اولها حث الامتثال الى ان اذا اتخذت البيوت قبل المرعى
فهي تتخذ البيوت او لا فاذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت واكلت
من الثمرات ثم اوت الى بيوتها لان ربها سبحانه امرها باتخاذ البيوت
اولا ثم بالاكل بعد ذلك ثم اذا اكلت سلكت سبل ربها مذللة لها لا
تستوعر عليها شيئا ترعى ثم تعود من حيث شاءت انى لها ايتاء تمي
اليعسوب لا يتم لها رواح ولا ايات ولا عمل ولا مرعى الا به فهي موقنة
لامره سامعة لنهيه مطيعة له على ما تكلفه من امر ونهي وهي رعيته لها
منقادة لامره مستعدة لما يريد بها يدبر الملك امر رعيته حتى انها
اذا اوت الى بيوتها وقف على باب البيت للديغ واحدة تتاخر اخرى ولا
تتقدم عليها في العبور بل تعبر بيوتها واحدة واحدة بغاية التراحم ولا
تصادم ولا تتلاكم كما يفعل الامير اذا انتهى بعسكره الى معبر ضيق
لا يجوزه الا واحد واحد ومن تدبر احوالها وسياستها وهدايتها
واجتماع شملها وانتظام امرها وتدبيرها وتقويض كل عامل الى واحد
منها شغله الذي يحسنه ويعان ضعاليتي لا تقدر عليه ولا يصلح
من ذاتها فان هذا اعلى صنعة متقنة في غاية الاحكام والاتقان
فاذا انظرت الى العامل رايته من اضعف خلق الله واجهلهم
وكالا واعجزهم عن اتقان صنعة فضلا عما يصدر منه من الامور العجيبة
ومن عجيب امرها ان امير من فيها لا يعرف في بيت ولا يتاثر على
جمع واحد لاجتماعهم فخذان واميران مقدم واحد لا يتاخر
عنه واشتغال الامير الواحد عن رعيته فيهم ولا ادري

فهرس للناس و

الريشه وهو مع ذلك اجوف يشتمل على الهواء فيحمل الطائر فاي طبيعه
فيها هذه الحكمه والخبره واللطف ثم لو كان ذلك في الطبيعه كما يقولون
لكانت من اد لّ الدلايل واعظم البراهين على قدره مبدعها ومنشيها وعلمه
وحكمته فانه لم يكن لها ذلك من نفسها بل انما هو لها من خلقها وابدعها
فالمكوّن المفصّل هو احد البراهين والايات التي على مثلها يزداد ايمان
المومنين وهكذا الايات الله يفصّل بها من يشاء ويهدي من يشاء فصل
تامل هذا الطاير الطويل الشاهق واعرف المنفعه في طول ساقه فانه
يرعى اكثر مرعاه في حيث يحتاج من الماء فتراه يركز على ساقه كانه رمحه فوق
حرف وتامل ما ذب في الماء فاذا راى شيا من حاجته خطفه خطفا ورفقا حتى
يتناوله ولو كان قصير الساقين كان خطوا نحو الصيد لما اخذه بصفق
بطنه الماء شوه ويذعر الصيد منه وسفر خلق له ذانك العودان ليدرك
بهما حاجته ولا يفتقر عليه بطنه وكل طاير فله نصيب من طول الساقين والعنق
ليمكنه تناول طعمه من الارض ولو طال ساقاه وعنقه لم يمكنه ان
يتناول شيا من الارض وربما اعين مع طول عنقه بطول المنقار ليزداد
مطلبه سهولة عليه ولمنافع اخر تامل هذه العقاب كيف تطلب الطعام بالنهار
كله فلا هي تفقده ولا هي تجده مجموعا معدا له بتة بالحركة والطلب
في الجهات والنواحي فسبحان الذي قدّره وصوّره كيف علّمها ما تعذر
عليها اذا التمسته ولا ما يفوتها اذا اقدرت عليه وجعلها قادرة عليه في
كل حين واوان وكل ارض ومكان حتى من الجدران والاسطحة والشوق
تنالها الهوينا من التيسير فلا يشاركها فيه غيرها من الطير ولو
كان مما يقتنات به ويوجد معدا مجموعا كما كانت الطير تشركها فيه
وتغلبها عليه وحكمة اخرى بديعة وكذلك انها لو وجدته معدا مجموعا
لاكبت عليه حرص الرغبة فلا تقلع عنه وان شبعت حتى تبشم وتملل
وكذلك الناس لو جعل طعامهم معدا لهم بغير سعي ولا تعب لاخرجهم
وجدانهم لكذلك الى الشره والبطنه والرد ولكثر الفساد وعمت
الفواحش ولبغا في الارض فسبحان اللطيف الخبير الذي لم يخلق شيا

شدى ولا عنف ولا تعسف وانظر في هذه الطير التي لا تخرج الا بالليل كالبوم والخفاش
والخفافيش فانك تجد اقواتها هيات لها في هذا الوقت لا من الحب ولا من الحمل
من البعوض والفراش واشباههما مما يلتقطه من الحوت فاخذه بقدر
حاجتها ثم تاوي الى عشها فلا تخرج الى مثل ذلك الوقت من الليل وذلك ان
هذه الضروب من البعوض والفراش واشباهها مشوشة في الهواء
محلولة بها موضع منه واعتبر ذلك بان تصع سراجا بالليل في سطح او عرصه
الدار فتجتمع عليه من هذا الضرب شيء كثير وهذا الضرب ونحوها
ناقص القوة ضعيف الحيلة ليس في الطير اضعف منه ولا اجهل وفي سائر
من تحل له الحيوان اذا رات تطرده عنها حتى يعرق بدنه دليل على ذلك
فجعل معاش هذه الطيور التي تخرج بالليل من هذا الضرب فشبات منه
فاذا اتى النهار انقطعت الى اوكارها فالليل لها بمنزلة نهار غيرها من الطير
ونهارها بمنزلة ليل غيرها ومع ذلك فتعلق لها الذي تتعلق به ارزاق خلقه
ورزقه خلقه لها في اجوافهم بدعها لا ارزق مع ضعفها وعجزها وهذه
احد الحكم والفوايد في خلق هذه الفراش والذباب والبعوض فيكم
فيها من رزق لامم شتى ومنافع كثيرة لا تحصى وكثرت
حتى اصوت الناس وضجرتهم الترامها للقطها الى غير ذلك مما قد بين الله
كيف اصطاد الحوت الى ان شهدت به من سبيل وجوه حكمته
وان ذلك الذي عدّ هذه الملت بها فقط ولا بها من سائر وجوه الادلة
التي لا يمكن النظر في جميعها الا واحد حري ان لا يذكر الفراش
ونحوها من البعوضات الصغيرة الخفيفة الطيران وذوات الاربع وهو
الى الحشرات الا ترى انها ثمانية عشر ضربا واسنان دودة
وهو ولد ولا يعيش ويرضع ويمشي على ارض وكل هذا صفة ذوات الاربع
مطلقا حتى جاز بطير بها مع الطيور وكان الحوت يضرب عن ثور
الشيص عن حمار ثم ذكر ان ذلك يكون قليلا عند ذا غابت الشمس انتشر ومن
ذلك سمي فيما اظن الصراصير والنمل والعنكبوت بعض البصريين ولما كان
كذلك عملت مهنة بني هذه الطبقة الضعاف التي تطير بالليل وهذا
رحم بعض من تكلم في الحيوان ان ليس يطعم شيا وانما غذاه من النسيم

والاول لحكمي صيد الكلاب والفهود ولانزدريت العين بالشيء الحقير من
الذره والقمله والبعوض والعنكبوت فان المعنى الشنيع تقتبس من
الشيء الحقير والازدراء لكثير من الذين احتقرت عقولهم ضرب
الله تعالى في كتابه بالذباب والعنكبوت والكلب والحمار فاعتبر لان الله تعالى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها فاعتبر الحكم واكثرها
في هذه الحيوانات التي تزدريها وتحتقرها وكم من دلالي فيها على الخالق
وحكمته ولطفه ورحمته فتامل المهندس الجليل والنحلف
في اقتناص صيدها الذي جعل قوتها ومن جعل هذا الجيل فيها بدل لها
من العقل والقدره فاغناها بما اعطاها من الجلد عن جلبها من القوه والقدره
سوى اللطيف الخبير فصل تامل جسم الطاير وخلقته فانه يجيء
فلا يكون طايرا في الجو خفيف جثمه واجمع خلقه واقصر به من القوايم
الاربع على اثنين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن مخرجي البول والذبل
على واحد جمعهما جميعا ثم خلق له جوجوء صدر ليسهل عليه اختراق
الهوا كيف توجه فيه كما جعل صدر السفينه هذه الهيئه ليشق الما
بشرعه وينفذ فيه وجعلت في جناحيه وذنبه ريشات طوال ثمانيات
لينهض به الطيران وكسي جثمه كله الريش ليتدا خل الهوا فيحمله
والا قد ان كان طعامه اللحم والحب بلعه بلعا بلا مضغ فلم يخلق له
الاسنان وخلق له منقار صلب يتناول به طعامه فلا يسبح من لقط
الحب ولا يتغصص من نهش اللحم ولما عدم الاسنان ومضاربزدرد
اللحم صحيحا والحب غريضا اعين بقصل حرارة في الجوف تطبخ اللحم وتطبخ
الحب فاستغنى عن المضغ والذي يدلك على قوه الحراره التي اعين بها انك
ترى لحم الصيد واشلاءه تخرج من بطن الانسان صحيحا ينطق في
جوف الطاير حتى لا يرى لها اثرا ثم انعمت الحنان جعل بيضه بيضا
لا يلد ولادا لا يثقل عن الطيران فانه لو كان ولادا لكان حاملا ومكث
حمله في جوفه حتى يستحكم ويكمل اعضاؤه عانه عن النهوض والطيران
وتامل الحكمه في جوف الطاير المرتفع السابح في الجو يلقي صبوفه

استبوعا

استبوعا او استبوعين باختياره قاعدا على بيضه حاضنا له ويتحمل
مشقه الحبس اذا خرج فراخه يحمل بشقه الكد وجمع الحب
في حوصلته ثم يزقه فرخه وليس بذي روية ولا تكفر في عاقبة امر
ولا يوصل في فراخه ما يوصل الانسان في ولده من العون والرفد
وبقاء الذكر فهل هذا من فعل يشهد بانه معطوف على فرخه لعلة لا
علم لها هو ولا فكر فيها من دوام النسل وبقائه ثم تامل
خلقه البيضة وهي من الجح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق
فجعله بيضة بشامة الفرخ وبعضه يتعدى منه الى ان يخرج من البيضه
وما في ذلك من الحكمه فانه لما كان نشو الفرخ في تلك البشره المتحفضه
التي لا تقاد فيها الهواء من خارج جعل معه في جوف البيضه من الغذا
ما يكفيه به الى حين خروجه وتامل الحكمه في حوصله الطاير
وما قدرت له فان مسلك الطعام الى المعده ضيق لا ينفذ فيه
الطعام الا قليلا قليلا فلو كان الطاير لا يلتقط حبه ثانيه حتى يصل الاول
الى جوفه لطال ذلك عليه فمتى كان يستوفي طعامه وانما خلق اختلاسا
لشده الحذر فجعلت له الحوصله كالخلاه المعلقه امام البوعي فيها
ما يجد من الطعم بسرعه ثم ينفذ الى المعده على مهل وفي الحوصله
اصل خصلة اخرى فان من الطير ما يحتاج ان يزق فراخه فيكون
رده الطعم من قرب ليسهل عليه ثم تامل هذه الالوان
والاصباغ والوشي التي تراها في خثير من الطير كالطاوس والدراج
وغيرها التي لو خطت بدقيق الاقلام ووشيت بالايدي لم يكن هذا
من اين في الطبيعه المجرده هذا التنسيل والتخطيط فالتلوين والصنع
العجيب البسيط والمركب الذي لو اجتمعت الخليقه على ان يحاكوه
لتعذر عليهم تامل ريش الطاووس كيف هو وانك تراه كالنسج
الثوب الرقيع من خيوط رقاح جدا قد الف نعمه الى بعض متالفه
الخط الى الخط بل الشعر الى الشعر ثم ترى النسج اذا مددته ينفتح
قليلا قليلا ولا ينشق ليعتدل الهواء فيتقبل الطاير اذا طار فترى
في وسط الريشه عمودا على متنها ونسج عليه ذلك الثوب الذي
كهيه الشعر لنسجه بصلابته وهو القصبه التي تكون في وسط

بقدرته وارادته ومشيته تابع لها فمنه ما خلق من غير اب ولا ام
وهو ابو النوع الانساني ومنه ما خلق من ذكر بلا انثى وهي امهم التي
خلقت من ضلع ادم ومنه ما خلق من انثى بلا ذكر وهو المسيح ابن
مريم ومنه ما خلق من ذكر وانثى وهو سائر النوع الانساني ليرى
عباده اياته ويتعرف اليهم بالايه دقدرته وانه اذا اراد شيئا فانما يقول
له كن فيكون فاما طول عنق الزرافه وما لها من المعلمة فلان مشاها
ومرعاها كما ذكر المعتنون بما لهم من اماكنها في عناطل ذوات اشجار
شاهقه ذاهبة طولا عنيت بطول العنق لتتناول اطراف الشجر
التي هناك وثمارها وهذا اما وصلت اليه معرفتهم بحكمة اللطيف
الخبير فوق ذلك والله اعلم منه
ثم تامل هذه النمله
الضعيفه وما اعطته من الفطنه والحيله في جمع القوت واد خاره وحفظه
ودفع الافه عنه فانك ترى في ذلك عبرا وايات فترى جماعة النمل اذا
اراد احرازا القوت خرجت من اشرابها طالبة له فاذا اظفرت به اخذت
طريقا من اشرابها اليه وشرعت في نقله فتراها رفقتين رفقه حاملة تحمله
الى سوتها سربا ذاهبا ورفقه خارجه من سوتها اليه لا تخالط تلك في طريقها
بل هما كالخيطين ممثلة جماعة الناس الذاهبين في طريق والجماعة
الراجعين من جانبهم في طريق اخر فاذا نقل عليها حمل الشيء من ذلك اجتمعت
عليه جماعة من النمل وتساعدت على حمله ممثلة الحشد والخير الذي تتساعد
الغيث من الناس عليه فاذا كان الذي ظفر به منهن ولحقه تساعدوا
رفقتها عليه الى منتهاها وخلوا بينها وبينه وان كان الذي صادفه جماعة منهن
تساعدن ثم تقاسمنه على بالتفت وطفقا خبير بعض الصادقين انه شاهد
منهن موما عجبا قال رايت نملة جاءت الى شق جراده فتناولته فلم تطق
رفعه من الارض فذهبت عنه بعيد ثم جاءت معها جماعة من النمل فال
فرفعت ذلك الشق من الارض فلما وصلت النمل برفقتها الى مكانه
دارت حوله ودرن معها فلم يجدن شيئا فرجعن فوضعته فجاءت
فصادفته فتناولته فلم تطق رفعه من الارض فذهبت عنه بعيد ثم
جاءت بهن فرفعته فدرن حوله مكانه فلم يجدن شيئا فذهبن فوضعته

فعادت

فعادت فجاءت بهن فرفعته فدرن حول المكان فلما لم يجدن شيئا تجلقن
حلقة وجعلن تلك النمله في وسطها ثم تحاملن عليها فقطعنها عضوا عضوا
وانا انظر ومن عجيب الفطنه فيها اذا ثقلت الحبة التي تحملها
ليلا عن ان تجاوز مما ثبت الفلقتان منه كثيرا بقي فاذا اصابه
ندي وبلل وخافت عليه النماء اخرجته للشمس ثم ترده الى بيوتها
ولهذا ترى في بعض الاجران جما كثيرا على ابوابها كانها معشرا
ثم تقعد عن قريب فلا ترى منه واحده ومن فطنتها انها لا تتخذ قريتها
على شفير من الارض ليلا تفيض عليها السيل فيغرقها ولا ترى قريه
نمل في بطن واد ولكن في اعلاه وما رفع عن السيل منه ويكفي من
فطنتها ما نص الله سبحانه في كتابه من قولها لما عاينت النمل وقدرات سليمان
وجنوده يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون فتخيلت بعض انواع من الحظات في هذه النصيحه
الندا والتنبيه والتسمية والامر والنص والتحذير والتخصيص
والتعهم والاعتذار فاشتملت نصيحتها مع اختصارها على هذه الانواع
العشر ولذلك عجب سليمان قولها وتبسم ضاحكا منه وسال الله ان يوزعه
شكر نعمته عليه لما سمع كلامها ولا تستبعد هذه الفطنه من امه من
الامم تسبح بحمدها كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن
قتل اربع من الدواب النحلة والهدهد والصرد والنمله حرق نحريه
النمل فاوحى الله اليه انما امرتك بقتل نمله احرقت امة من الامم
تسبح فهلا نمله واحدة ٥ فصل ومن عجيب الفطنه في الحيوان
ان الثعلب اذا اعوزه الطعام والصيد تعاوث وتغ بطنه حتى
تجيء الطير فيتغ عليه لياكل منه فيثب الثعلب عليه وياخذه
ومن عجيب الفطنه في هذه الدنيا الكبيره التي تسمى الدنيا فانك تراها
حيث عبس بالدنيا وجمع قريبا منه تسكن ملكا حتى كانه هو الاحراك
به فاذا جاء الذباب قد اطمان وغفل عنه دب دبيبا رفيقا فيكون منه بحيث
ينال وثبته ثم يثب عليه فياخذه ومن عجيب حيل العنكبوت انها تنسج تلك
الشبكه شركا للصيد ثم تكمن في جوفها فاذا انتشب فيها الفراش
والذباب وثبت عليه واقتص دمه فهذا بعض حيل الاشراك والشباك

الانعام فلما عدم العنق اخلف عليه مكانه المرطوم الطويل ليتناول
وجعل قادرا على تدليه ورفعه وثنيه والتصرف به كيف شاء بعمل
بقاء احوف ليتناول فهو يتناول به طعامه فيحمله الى فيه اذا اراد اكله
ويعتس منه ما يريد ويعيد به اذا شاء ويعطي وينادل فاما زاد
قتل المعطل من الاي عوضه واخلف عليه مكان العضو الذي يقطع
ما يقوم لمقامه وسوب منابه غير الرؤوف الرحيم بخلقه المتكفل
بمصالحهم اللطيف بهم وكيف يتاتى ذلك مع اهمال وخلو العالم
عن قيمة موازية وهيهات عند ذلك الا ما العزيز الحكيم فان قلت
فما بال الخلق ذا عنق كسائر الانعام وما الحكمة في ذلك قلت
والله اعلم بحكمته في صنوعاته لان ولسنه وان عنق امر جليل عظيم
وحمل ثقيل فلو كان ذا عنق كسائر الاعناق لانهدت وانقطعت ثقله
وهيئت بحمل فجعل راسه ملصقا بجسمه لئلا يناله منه شيء من الثقل
والمؤنة وخلق له مكان العنق هذا الشخص الطويل يتناول به غذاه
ولما طالت عنق البعير للحكمة في ذلك صغر ظهره بالنسبة الى عظم
جثته لئلا يوذه ثقله ويوهن عنقه فسبحان من فاوت حكمته عند العاقلين
وحير الحاضرين ٥ فصل ثم تامل خلق الملي وراقه واختلاف
اعضائها وشبهها باعضا جميع الحيوان فراسها كراس قرس وعنقها
عنق بعير واظلافها اظلاف بقر وجلدها جلد نمر حتى لقد زعم بعض
الناس ان لقاحها من فحول شتى وذكروا ان اصنافها من حيوان البراذا
وردت الماء تنزو اعضها على بعض فتنزو المتوحشة على الانسية فينتج
مثل هذا الشخص الذي هو خليط الملتقط من انا ثين شتى قال العلامة ابن
القيم وماري هذا التاويل الا كاذبا عليها وعلى الخلقة اذ ليس في الحيوان
صنف يلقح صنفا اخر فلا الجمل يلقح البقر ولا الثور يلقح الناقة ولا الفرس
يلقحها ولا يلقحانه ولا الوحوش يلقح بعضها بعضا ولا الطير وانما وقع
هذا ان وقع فيما يتقارب كالبقر الوحشي والاهلي والضبع والمعز والفرس
والحمار والذيب والضبع فيتولد من ذلك المبغل والسبع والعساد
وقول الفقهاء هل تجب الزكاة في المتولد من الوحشي والاهلي فيه وجهان

هذا

هذا انما يتصور في واحد وابنين او ثلاثة على بعض النصاب فاما
نصاب كل متولد من الوحشي والاهلي فلا وجود له لذلك والاحكام المتعلقة
بهذه المتولدات تذكر في الزكوة وجزاء الصيد والاضاحي والاحوط
فيغلب في كل باب الاحوط ففي الاضاحي يغلب عدم الاجزاء وفي الاحرام
والحرم يغلب وجوب الجزاء وفي الاطعمة يغلب جانب التحريم وفي الزكاة
اختلاف مشهور قال الشيخ شمس الدين ابن القيم رحمه الله وسئل
شيخنا ابو العباس ابن تيميه قدس الله روحه عن حمار يتزى على فرس فاعلها
فهل يكون لبن الفرس حلالا او حراما فاجاب بانه حلال والاحكم للفحل
في اللبن في هذا الموضع بخلاف الاناسي لان لبن الفرس حادث عن العلف
ولا تابع للحمل ولم يتردد في النحل الى هذا اللبن فانه لاحرمة هناك تنتشر
بخلاف لبن النحل في الاناسي فانه تنتشر به حرمة الرضاع ولاحرمة هاهنا
تنتشر من جهة النحل الا الى الولد خاصة فانه يتكون منه ومن الام فغلب
عليه التحريم واما اللبن فلم يتكون بوطيه وانما تكون من العلف فلم يكن
حراما هذا اسقاط كلامه وتقرير والمقصود ابطال زعم ان هذه الحيوانات
المختلفة يلقح بعضها بعضا عند الموارد وتتكون الزرافة وانه كاذب
عليها وعلى الابداع والذي يدل على كذبه انه ليس في الخارج من بين ما ذكرنا
من الفرس والحمار والذيب والضبع والنمر الا ما هو مركب من كل واحد
من ابيه وامه كما يكون للزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل يكون
كالمتوسط بينهما المتميز منهما كانتسابه في الفعل فانك ترى راسه
واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وشطاين اعضاء ابيه وامه مشتقة
منهما حتى لحد سنجحه كالمتميز من صهيل الفرس ونهيق الحمار وهذا
يدل على ان الزرافة لم تنتج بتلاقح بين مختلفة كسائر هذا النوع بل
هي خلق عجيب وصنع بديع من خلق الله الذي ابدع كل شيء وتقنه
وحكمته التي لا يحجر هاشي لمن عباده انه خالق اصناف الحيوان
كلها كما شاء في اي صورة شاء وفي اي ثوب شاء فيها المتشابه المختلفة المتناسب
الاعضاء ومنها المختلف التركيب والشكل والصوره كما يشاء عباده قدرته
التامة حكمته لنوع الانسان على الاقسام الاربعة الدالة على انه مخلوق

ومعاصمه الا ما عدا عليه عادٍ ما افترسته شبع او رماه صايد او عدي
عليه عادٍ اشغله واشغل نفسه جبته من احراحه واخفا تحقيقه فلا ذلك
على انها اذا احتبت بالموت ولم تعلم على انفسها كمتحيث لا يوصل الى احتباسها
وقد رتحيفها قبل تزول البين بها وكو لا ذلك لامتلات الصاري بجيفها
وانتنت الهوا بر وانها تعاد ضرر ذلك بالناس وقلة تحيلا في وقوعها لها
وتدل على ذلك قوله تعالى فتصبح نادمين فتشاهد من اثبت قرار الارض
ليس بكفت بواري سواة اخيه هابيل اذ عجزت ان تكون مثل هذا الغراب
فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين فجعل عشر من الناس لا يعلم
والغراب فلقدره الانسان على قتله واختاله في دفن اخيه سبحانه
جعل في الحيوان كالشاهد على هذا الذي حار سواد بدنه وفيه
يتطير به كيف جعل طبعا في الهام وتعرف قبل من الطير وتسمى الله
فاربت للمتقبل لان ادم الغراب الاول لما قتل اخاه بغى القاتل على اخيه
وغربته هو من محبة ابيه وغربته بين ابيه واهله قد ابتلي بما
منهم والتجا بهم منه وهو من المتقين منه الا ان يتوبوا من
بعيدا ويتوحش منها فاشبه الوحش عند الناس حتى صار علما على
لولاية اذ صار مثل الوحش والسبع لا يكن حكمه حكمها الا
واباطل الطيبات فيه باتيا فيه الوحي اذا اشتغل
كبيد فاما بشوحت الصخر الصوركان تلا من الارض
شرا له والمثل اذا اكدوا الخاص تعالى الناس عروم للسبيه
كان قد شملكم مرا كبر سلاما اشتهر عزت على الاصل
معنى اتبعه ورثته ولك اعلم ان الغراب الحاذ اتبع على
ايمه بنار وميز لبعض ان يحرق ان الغراب
ان حكمه ميقات الله الدوحكمه
حاكما وعلى
لطف الترع
الناس على
وغيره الناس ومقرون
يرسل

يرسل هذا الطاير الى القاتل من بني ادم دون غيره من حيوان فكانه صوره طاير
الذي الزمه في عنقه وطار عنه من علم ولا تطلق انارت الغراب وقع
اتفاقا خاليا من الحكم فانك اذا خفي عليك وجه الحكمة فلا تنكرها واعلم
ان خفاها من لطفها وشرفها ولله تعالى فيها حتى وجه الحكمة فيه على
الشر الحكمة الباهرة المتضمنة للغايات المحمودة ف
ثم تامل الحكمة الباهرة في وجه الدابة كيف هو فانك ترى العينين فيه
شاخصتين امامهما لتبصر ما بين يديها من بصر غيرها لانها تخرب
فمها وراكبها فتتقي ان تصدم حايطا او تتردى في حفر فجعلت عيناها
كعيني المنتصب القامة لانها طليعة لها وجعل فوها مشقوقا في اسفل
الخطم ليتمكن من العض والقبض على العلف اذ لو كان فوها في مقدم الخطم
كما كان من الانسان في مقدم الذقن لما استطاعت ان تتناول به شيا من
الارض لان الانسان لا يتناول الطعام بفيه لكن بيده فلما لم تكن الدابة
مما تتناول طعامها بيدها جعل خطمها مشقوقا من اسفل ليضعه على العلف
ثم يقضمه واعينت بالمحفل وهي لها كالشفة للانسان لتتقم بها ما قرب
منها وما بعد وقد اشكلت منفعة الذنب على بعض الناس ولم يهتدوا اليها
وفيه منافع عديدة منها انه بمنزلة الطبق على الدبر والغطاء على حيائها
مقاربها وستر لها ومنها ان تلتين الدبر ومراق البطن من الدابة لو ضربه
يجيء عليه الذباب والبعوض فيؤذي الدابة فجعل اذنابها كالمذابة والمراح
تطرد به ذلك ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة
فانه لما كان قيامها على الاربع على جنبها وشغلت قدماها فجعل الذنب
عنا التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة ونشاط وعسى
ان يكون فيه حكم اخر تقصر عنها افهام الخلق او يزدريها السامع
اذا عرضت عليه فانه لا يعرف موقعها الا في وقت الحاجة فمن ذلك
ان الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على رفعها من الاخذ بذنبها
ثم تامل شفر الفيل وما فيه من الحكم الباهرة فانه يقوم
لم مقام اليد في تناول العلف والماء ايرادها الى جوفه ولولا ذلك لما
استطاع ان يتناول شيا من الارض لانه لم يكن له عنق يمدها كما

انما اخذ من ظهور الابل وابل كيف لما طول قوايم البعير طوا عنقه
ليتناول المرعى من قيام فلو قصرت عنقه لم يمكنه ذلك مع طول قوايمه
ولكون ايضا طول عنقه موازنا للحمل على ظهره اذا اثقل به كما
ترى طول قصبة القبان حتى قيل ان القبان انما عمل من خلقة الجمل من طول
عنقه وثقل محمله ولهذا تراه يمد عنقه بالحمل كانه يوازنه موازنة
فصل ثم تامل الحكمة في كون فرج الابل بارزا من ورايها
ليتمكن الفحل من ضرابها ولو جعل في اسفل بطنها كما جعل للذكر امتمكن
الفحل من ضرابها الا على الوجه الذي جامع به المراة وقد ذكر في كتب الحيوان
ان فرج الفيلة في اسفل بطنها فاذا كان وقت الضراب ارتفع ونشز
وبرز للفحل فتمكن من ضرابها فلما جعل في الفيلة على خلاف ما هو في ساير
البهايم خصت بهذه الخاصة عنها لينتهيا الامر الذي به دوام النسل
فصل ثم تامل كيف كنت اجسام الحيوان البهيمي على
الكنوه من الشعر والوبر والصوف وكنت الطيور الريش وكنت
بعض الطيور الدواب من الجلد ما هو في غاية الصلابة والصوف للحفاه
وبعضها من الريش ما هو كالاسنة كل ذلك بحسب حاجتها الى الوقاية
من الحر والبرد والعدو الذي يريدها فانها لما لم يكن لها سبيل الى
اتخاذ الملابس واصطناع الكنوه والآت الحرب اعينت بملابس وكنوه
لانفاذ قتها والآت واسلحة تدفع بها عن نفسها واعينت باظلاف واخفاف
وحوافر لما علمت الاحذية والنعال فعلها حفاظها وقاوها وخص
الفرس والبغل والحمار بالحوافر لما خلق للركض والشد والجري وجعل
لها ذلك ايضا سلاحا عند انتصافها من خصومها عوضا من الصياصي
والمخالب والانياب والبراثن فتامل هذا اللطف والحكمة
فانها لما كانت بهايم خرسا لا عقول لها ولا كف ولا اصابع مهياة للانتفاع
والدفاع ولاحظ لها فيما تتصرف فيه الادميون من النسج والغزل
ولطيف الحيل جعلت كنوتها من خلقتها بانيتة عليها ما بنيت لاحتياج
الى الاحتيال لها واعطيتها الة واسلحة تحفظ بها انفسها كذلك لتتم
الحكمة التي اريدت لها وفيها والما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهياة للعمل

فهي

نبي تغزل وتنسج وتتخذ لنفسها الكنوه وتستبدل بها حالا بعد حال
وكم في ذلك صلاح من جهات عديدة منها ان تسترح اذا خلعت كنوتها
اذا شاءت وليتها اذا شاءت اليس كالمضطر الى حمل كنوه ومنها انه لتتخذ
لنفسه صنوفا من الكنوه للصيف وصنوفا للشتا فان كنوة الصيف
لا تليق بالشتا وكنوه الشتا لا تليق الصيف فتتخذ لنفسها في كل
فصل كنوة تناسبه ومنها انه جعلها تابعة لشهوته وارادته ومنها
انه لما تذبذبت انواع الملابس كما تذبذبت انواع الطعام جعلت كنوته متنوعة
تابعة لاختياره كما جعلت مطاعمه كذلك فهو تلبس ما شاءت من انواع
الملابس المتخذة للثياب تارة كالقطن والكتان ومن الحيوان تارة كالوبر
والصوف والشعر ومن الدود تارة كالحرير والابريسم ومن المعادن تارة
كالذهب والفضة فجعلت كنوته متنوعة لتتم له ضرورته وليتنبه
بها على ان كنوة الجنة منفصلة عنه كما هي في الدنيا
لتتم مراجاة الحيوان فتدل على ان ذلك كله زايل ويبلغ في النعمة والمنفعة
ومنها ارادة تمييزه عن الحيوان في ملبسها كما تميز عنه في مطعمه ومنكحه
وسياسته وعظمه وفهمه ومنها اختلاف الكنوه والثياب بتباينه بحسب تباين
احواله وصنايعه وحرفه وعمله وظعنه واقامته وصحته ومرضه ونومه
ويقظته ورعايته فكل هذا من هذه الاحوال الباس وكنوه تخصها
لا تليق الا بها فجعل كنوته في هذه الاحوال كلها واحده لا تتبدل
الى الاختيال بها فهذا من تكريمه وتفضيله على ساير الحيوان
فصل ثم تامل حال الحيوان جعلت للبهايم والوحوش والسباع
والدواب على خلقتها لا ترى بها شيا ولبست شيا لا يخفى لقلتها
بل قد قيل انها من اكثر من الناس واعتد ذلك بما تراه في هذه الحمارة
من استرسال الظهر والبطن والعجز والذيل والاذنين والنهيق وضرب
البهايم عامتها وسايرها دبر الارض وانواع الطيور التي هي
اصغر اجسادا من سايرها لا يكاد يرى منها شيا بينا الا من خلسة ولا في
اوكاره ولا في مساقطه ومراعيه وطرقه وموارده ومنا كحه ومعاقله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صنعه الدالة عليه وعلى علمه وقدرته وحكمته على ما خفي عن غيره
ولكن من حكمة الله ايضا ان سلب هذه الحيوانات عقولا هو لاخاصتها وجبلها
عن معرفته واوقفها عند ظاهر من العلم بالمياه الدنيا وهم عن الاخفى
هم غافلون لدنائتها وخستها وحقارتها وعدم اهليتها لمعرفته
ومعرفة اسمائه وصفاته واشرار دينه وشرعه والفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهذا باب لا يطلع الخلق
منه على غاية له تنتهي الى الغاية منه بل كل علم الاولين والآخرين منه
كقطرة الغصفور من البحر ومع هذا فليس ذلك موجبا للاعراض
عنه والياس منه بل تستدل العاقل بما علم منه على ما وراءه فصل
ثم تامل الاذرات الاربع من الحيوان هذه ما اشبع ابدانها
مستقلا بانفسها فلا تحتاج الا الام والتربية كما تحتاج اولاد
الانس من اجل انه ليس عندها من عند ابدانها من الجوع التربية
والملاطفة والرفق الا ما يحصل به اصل الغذاء على الوجه
المعين المفروض والاستقلال بنفسها على امر المعاد ولادة وكذلك
ترى فراخ كثير من الطير كالدجاج والدراج والفيح يدرج
ويلقط حين يخرج من البيضة وما كان منها مغتذيا للعلوفة
كفراخ الحمام والحمام اعلى بعضها من فضل العطف والشفقة
فالجنان ملهج بالعلف غافل عن فراخها من حواصلها اعجله واعنى
معان منها بالتقوقة من غير الافواه الفراخ ولا ترى هكذا
حتى يشعر الفرخ ويستقل بنفسه وذلك على قدر غذائها وشبعها
الذي وصل اليها من الحبة الواحدة من الحنطة استقل بنفسه
وامكنها الطيران لم يزل به الطيران معلما انه آن معالجة الطيران
حتى يطير من وكره ويستقل بنفسه وكل من يشرب على خلاف
هذا فانها لم يعرفها الا خرقها بل طرد عن الوكر ولا يعين عليها وابوها
وامها يعلمان لفرخهما كل يوم شيئا جديدا وفرخا فشيئا
ولا يترك عند العلم الا من لا يعرفه ومن اشبه الجماد ذلك
ومن الذي علم الفراخ وهي صغار ما توقيه من الشر
ذلك

ذلك عنها اذا استغنت الفراخ رحمة بالامهات تسعى في مصالحها اذ لو
دامت اولادها ذلك لاضرت بها وشغلها عن معاشها لاستماع كثير ما تحتاج
اليه اولادها من الغذاء فوضع فيها الرحمة والايثار والحنان رحمة بالفراخ
وخلقها اياها عند استغنائها رحمة بالامهات فيجوز ان يكون هذا الله
بلا تدبير مدبر حكيم ولا عناية ولا لطف منه سبحانه وتعالى لقد
قامت ادلة ربوبيته وبراهين الهيته وشواهد حكمته وايات قدرته
فلا تستطيع العقل لها جحودا ان هي الا عبر اللسان من كل جحود كفور
افي الله شك فاطر السموت والارض وانما يكون الشك فيما خفي ادلته
وتشكل براهينه فاما من له في كل شيء محسوس ومعقول اية بل ايات
موديه عنه شاهده له بانه الله الذي لا اله الا هو رب العالمين فكيف
يكون فيه شك فصل
ثم تامل الحكمة البالغة في قوام الحيوان
كيف اقتضت ان تكون زوجا لا فردا اما اثنين واما اربعا اليتهيا
له المشي والسعي وتتم بذلك مصلحته اذ لو كانت فردا لم يصح ذلك
لان الماشي ينقل بعض قوايمه ويعتمد على بعض فذوات القائمتين ينقل
واحدة ويعتمد على واحدة وذو الاربع ينقل اثنين ويعتمد على اثنين
وذلك من خلاف لانه لو كان ينقل قائمتين من جانب ويعتمد على قائمتين
من الجانب الاخر لمالت على الارض لثقل قوايمه ولكان مشيه نقزا كنقز
الطاير وذلك مما تودعه وتتعبه لثقل بدنه بخلاف الطاير ولهذا
اذا مشى الانسان كذلك قليلا اجهد وشق عليه بخلاف مشيه الطبيعي
الذي هيئ له فاقتضت الحكمة تقديم ثقل اليمنى من يديه مع اليسرى
من رجليه واقرار يسرى اليدين ويمنى الرجلين ثم ينقل الاخرين
كذلك وهذا اسهل ما يكون من المشي واخفه على الحيوان
ثم تامل الحكمة البالغة في ان جعل ظهور الدواب مستطيلة كانها سفف
على عمد القوايم ليتهيا ركوبها وتستقر الحمولة عليها ثم خولف هذا
في الابل فجعل ظهورها محدبة معقودة كالقبو لما خصت به من فضل القوة
وعظم ما تحمله والابل تحمل اكثر مما تحمل الخيل حتى قيل ان عدل الاثنين

وذللنا لهم فمنها ركوبهم ومنها ما كلون فترى البعير على عظم
خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلا منقادا ولو استصعب عليه
لاستواه الارض وقهره عصوا وعصى فسبحان المتطول من الذي
ذلله وسخره وقاده بقوة لطيفة من ضعيف الحيوانات
وفرع بذلك لتسخير النوع الانساني لاصلاح معاشه ومعاده
فانه لو كان نوا من الاعمال والاحمال ما يزاول الحيوان المشغل بذلك
عن كثير من الاعمال الذي كان يحتاج مكان الحمل الواحد اثنا عشر يحوب
اثقاله وحملوه ومعروف عن ذلك ولو كان يتفرغ لوقائهم ويصدهم
عن مصالحهم فاعينوا بهذه الحيوانات مع ما لهم فيه من المنافع التي
لا يحصيها الا الله من الغذاء والشراب والدواء واللباس والاستمتاع
والالبان والاوانى والركوب والحرث والمنافع الكثيرة والاحمال
فسبحان من تامل الحكمة التي خلق الات البطش في الحيوانات
من الانسان وغيره فالانسان لما خلق مهيأ لمثل هذه الصناعات
من النساجة والخياطة والكتابة والبناية وغيرها خلق له كف شديدة
منبسطة واصابع يتمكن بها من القبض والبسط والطي والنشر والجمع
والتفريق وضم الشيء الى مثله والحيوان البهيم لما لم يهيأ لشيء من الصنائع
لم يخلق له تلك الاكف والاصابع بل لما قدر ان يكون غذاء بعضها من
صيده كالسباع خلق لها اكف لطاف ملحقة دقات براثن وبخالب
تصلح لاقتناص الصيد ولا تصلح الصناعات هذا في اكلة اللحم من الحيوان
واما اكلة النبات فلما قدرانها لا تصطاد ولا صنعة لها خلق لبعضها
اطلاف يقيها خشونة الارض اذا جالت في طلب المرعى ولبعضها حوافر
مصمتة مقعرة كاخمص القدم لتنطبق على الارض وتثبتها للركوب
والحمولة ولم يخلق لها براثن ولا انياب لان عدائها لا يحتاج الى ذلك ثم
فصل ثم تامل الحكمة في خلقة الحيوان الذي ما كل اللحم
البهائم كيف جعل لها اسنان حداد وبراثن شداد واشداق كمهوته
وافواه واسعة واعينت باسلحة وادوات تصلح للصيد والاكل وكذلك

تجد

تجد سباع الطير ذوات مناقير حداد ومخالب كالكلاليب ولهذا
حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع وكل مخلب من الطير
لضرره وعدوانه وشره والمعتدي شبه بالعادي فلو اعتدى
بها الانسان لعارضه من خلاقها وعدوانها وشرها ما شاء بها
مخرج على الاصل الذي حرم عليهم الصيد وان كان ذا ناب فانه ليس
من السباع عدا ولا من الامر والتحريم اعلم ان لما تضمن الوصفين
ان يكون ذا ناب وان يكون من السباع ولا فلا فاسقط لتبع
اذ المرجع لنا بيان هذا ثم بعد ابدا فصلوات الله وسلامه على
من اوتي جوامع الكلم فاوضح الاحكام وبين الحلال والحرام فانظر حكمة الله
في خلقه وامره فما خلقه ونهى عنه عبثا بل مصدر ذلك عن الحكمة البالغة
التي لا يحل نظامها ولا يختل ابدا ومن الناس من يعرض خطة من شاهد
حكمة الامر اعظم من شاهد حكمة الخلق وهو لا خواص العباد
الذين عقلوا عن الله امره ودينه وعرفوا حكمته في اعلامه وشهدت
فطرهم وعقولهم ان مصدر ذلك حكمة بالغة واحسان تام وعطية
اريدت بالعباد في معاشهم ومعادهم وهم في ذلك درجات لا
يحصيها الا الله ومنهم من يكون حظه من شاهد حكمة الخلق اوفر
من حظه من حكمة الامر وهم اكثر الاطباء والطبيعيين الذين صرفوا
انظارهم الى استخراج منافع النبات والحيوان وقواها وما يصلح لها ومضرتها
ولم يلتفتوا نصيبا في حكمة الامر الا القليل من حكمة الخلق
بل اقل من ذلك بمن هو من هؤلاء على شاهد حكمة الخلق والاستدلال
استدلاله وتوجهه فرأى المخ البارد الذي يكثر العقول في هذا
وهذا فاستدل بالخلق وعلمه من المخ ازدادا باردا ومعونة تصلبها
عما يحدث الرعشة واذا نظر الى امرة ما تضمنه من المخ البارد
ازدادا باردا رطبا وتليين الكبد بالصفة التي تمنع من تولد الدم
عن كدورة الصفراء وغلظه فجاء بدواء يلين به الكبد على حقائق
ما قرى الامر فيها لا من الطبع من حكمة الامر وهكذا سبيل

من الارض ويختص بكل واحد منها وجعل عليه من العمل والنفع
فهذا يعور في المفاصل يخرج الفضول الغليظة القائلة
لو احتبست وهذا تستخرج المرة السوداء وهذا يستخرج الصفرا
وهذا يحلل الاورام وهذا يسكن الهيجان والقلق وهذا يحلل الغموم
ويعيد ما اعونه الانسان وهذا يحفظ الثبات اذا وجد الثقل
وهذا يفرح القلب اذا تراكمت عليه الغموم وهذا يحلو البلغم ويكسره
وهذا يحلل البصر وهذا يطيب النكهة وهذا يسكن هيجان الباه
بطيب
وهذا يهيجها وهذا يبرد الحراره ويطيبها وهذا يقبل البرودة
ويهيج الحرارة وهذا ليدفع ضرر عين من الادوية والاغذية وهذا
يقاوم تكيفيته كيفيته عين فيعتدلان فيعتدل المزاج حينئذ ولها
وهذا يسكن العطش وهذا يصرف الرياح الغليظة وهذا
يعطي اللون اشراقا ونضارة وهذا يزيد في اجرام البدن بنمائه
وهذا ينقص منها وهذا يذبع المعده وهذا يحلوها وبعضها الى اضعاف
اضعاف ذلك بما لا يحصيه العباد فضل المتعال من جعل هذه المنافع
والقوى في هذه النباتات والحشائش والحبوب والعروق وسائر
اعضاء كلا منها خاصية دون سائر هذي العباد من الحيوان التي تتناول لها
ينفع منه ويترك ما يضره ومن فطن لهذا من الناس والحيوان البهيم
وبادي عقل وتجربة كان يوقف على ذلك يعرف ما خلق له كما زعم
من قل نصيبه من التوفيق لولا انعام الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
وهب ان الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه وتجاربه وفكره
وقياسه فمن الذي فطن لها البهائم في اشياء كثيرة منها لا يهتدي
اليها الانسان حتى صار بعض الناس يتداوى من جراحه ببعض
تلك العقاقير من النبات فيبرأ فمن الذي جعله يقصد ذلك النبات
دون غيره وقد شوهد بعض الطير تحتقن عند الحصر بماء البحر
فتحمل عليه للخارج وبعض الطير يتناول اذا اعتل شيئا من النبات
فتعود صحته وقد ذكر الاطباء في مبادي الطب في كتبهم من هذا

عجايب

عجايب فضل المعطي لها ذلك ومن ارشدها اليه لمن دلها عليه
افيجوز ان يكون هذا من غير مدبر عزيز حكيم وتقدير عزيز عليم
وتقدير لطيف خبير بهرت حكمة العقول وشهدت له الفطر
بما اشتوعها من تعريفه بانه الله الذي لا اله الا هو الخالق البارئ
المصور الذي لا ينبغي العبادة الا له وانه لو كان معه في سمواته وارضه
سواه لفسدت السماوات والارض واختل نظام الملك فسبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا ولعلك ان تقول ما حكمة هذا
النبات المبثوث في الصحاري والقفار والجبال التي لا انتم ولا اشاكلكم
بها وتظن انه فضله لا حاجة اليه ولا فايدة في خلقه وهذا مقدار عقلك
ونهاية علمك فتعلم انه وخالقه من حكمة وايجاد مرطوم وحشي وطير
ودواب مشاكلها حيث لا يراها تحت الارض ودونها قد ذلل لها
ما يديه نصبها الله لهذه الوحوش والطيور والدواب تتناول منها كفايتها
وبقي الباقي كما يبقى الرزق الواسع الفاضل عن الضيف لتعرف
المطعم وغناه التام وحتى ما نقاسه فصل ثم تامل الحكمة
البالغة في اعطاء سبحانه مهيمة الانعام الاستماع والابصار ليتمتعا ولها
لمصالحها وكمال انتفاع الانسان بها اذ لو كانت عمياء وصما لتعذر
من الانتفاع بها ثم اعطاها العقول التي للانسان ليتم تسخيرها اياها
وقودها وتصريفها حيث شاء ولو اعطيت العقول على غير جبلتها
لامتنعت من طاعته واستعصت عليه ولم تكن مسخرة له فاعطيت
من التمييز والادراك ما يتم به مصلحتها ومصلحي من ذلك له وجعلت
من الذهن والعقل ما يتهيأ به على الانسان وليظهر ايضا فضيلة التمييز
والاختصاص ثم تامل كيف قاوم بها ودلها على كثير انتفاعها ولم
يكن نطقها لو لا تسخيره من قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
وقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين ضابطين
وقال تعالى ولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وجدته مطابقا لقوله في النخل بمثل امثل المسلم فشبه النخلة بالمسلم وفي
حديث ابن عمر وشبه المسلم بالكرم وفي الحديث الاخر وهما ان تحصوا
شجر العنب باسم الكرم دون قلب المومن وقد قال بعض الناس في
هذا معنى لغويا وهو انه نهاهم عن تسميته شجر العنب كرما لانه يقتضي منه
ام الخبائث فيكره ان يسمى باسم يرغب النفوس فيه وبحضها عليها
من باب سد الذرائع في الالفاظ وهذا لا باس به لولا ان قوله فان
الكرم قلب المومن للتعليل لهذا النهي والاشارة الى انه اولى بهذه
التسمية من شجر العنب ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم واذا اذن في علة
فالذي يقصده هو الحق والحكمة فالله سبحانه عدد على عباده من نعمه عليهم
ثمرات النخيل والاعناب فذكر فيما عدده عليهم من نعمه والعقل الاول
اظهر ان شاء الله من الغني الاخر فان ام الخبائث يتخذ من ثمر النخيل
والاعناب كما تقدم ومن ثمرات النخيل والاعناب يتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا فلما انزل تحريم الخمر بالمدينة من شراب الاعناب
شيء وانما كان شراب القوم الفضيخ المتخذ من التمر فلو كان نهيه صلى الله عليه
عن تسمية شجر العنب كرما لاجل المشاركة في شبه النخلة بالمومن لان
المشاركة تحصل منها والله اعلم الوجه السادس من وجوه التشبيه
ان النخلة اصبر الشجر على الرياح والجهد وغيرها الروح العظام تميلها
الريح تارة وتقلعها تارة وتقصف اغصانها فلا صبر لشجر منها على العطش
كصبر النخلة وكذلك المومن صبور على البلاء لا تزعزعه الرياح العواصف
ان النخلة كلها منفعة لا تسقط منها شيء غير منفعة فمن ثمرها منفعة
وجذعها فيه من المنافع ما يعمل للابنية والسقوف وغير ذلك
وسعفها تتخذ منه البيوت ومكان القصب وتتزين القوم والخلل
وخوصها تتخذ منه المكاتل والزنابيل وانواع الاوعية والحصر وغيرها
وليفها وكربها فيه من المنافع ما هو معلوم عند الناس وقد علل
بعض الناس هذه المنافع بصفات المومن المشار بمثل الكل منفعة منها
صفة في المثل مثلها بها الى الشيء الذي في النخلة جعل بازائه
الحذق على اعمالهم لان الجذوع يعمل عليها في الخشب والغلظة

منزلة الشوك والمومن المتقن منزلة الرطبة فلان وجه اشتباه
على الكفار بحملهم الناس انها كلما طال عمرها اثمرت وخيرها وجاد
ثمرها وكذلك المومن اذا طال عمره ازداد خيرا وحسن عمله التاسع
ان قلبها يشبه قلوب الحيوان واحلاوه وهذا امر خصت به دون سائر
الشجر وكذلك قلوب المومن من اطيب القلوب الباشرة لا تعطل
منفعتها كالنخلة ايد ابل ان تعطلت كلها فمنفعة قلبها منافع اخرى
لو تعطلت كلها لكان للناس في سخطها وحبها ولينها وكربها
منافع واداب فكذلك المومن لا تعد احصى من خصال الخير وطرقها بل اذا اجتنب
منع جانبه الشر الى الخير احصنه حانث ولا تزال تعد من محاسنه ومحامده
وفي الترمذي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من يرجى خيره ويومن شره
وشركم من لا يرجى خيره ولا يومن شره فهذا وصف المومن وكذلك
استعطاف الله عبده في خلق النخلة وهيئتها فلنرجع اليه ونسلم خلقته
الجذع الذي لها كيف هو وحده كالمفتوح من جنبه وظهره كالدي
واحرى معترضة كالكم في المفتوح باليد وذلك يقشد وتعلب
فلا يقصد من محل القنوان الثقيلة وتصبر على هذه الرياح العاصفة
وتبقى في الصيف والحر والاوائل وغير ذلك مما تتحمل منها ولذلك
وهكذا سائر الشجر غيرها فيه اذا املته شبه المتبع ولا تراه
مشمئزا كالحجر الصلد بل ترى بعضه كالمتداخل بعضه طولا
وعرضا عند اخذ اجزاء اللحم بعضها في بعض فان ذلك امتن
له واهي لما اريد منه من الالات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة
لم يمكن ان تستعمل في الالات والابواب والاوائل والاسعة والاسرة
والتوابيت وما اشبهها ومن بديع الحكمة في الامر ان جعلت
بطبعها على الاوصاف المذكورة البالغة ولولا ذلك لما ثبت هذا الجذع
محل مثال الحمال من الحمولات والاسعة وتحز الحبل فتقطعه وهذه
ولولا ذلك لما تهيا للناس هذه المرافق فتامل هذه الحكمة في الاسعة
والاسعة الضيق ونقلها من بلد الى بلد حيث لو نقلت على البعير فعلت
المونة في نقلها وتعذر على الناس كثير من مصالحهم فتامل
ثم تامل احوال هذه العقاقير والادوية التي خصها الله تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصيف وبانه انما يوافي في الشتا لصادف من الناس كراهة واستثقالا
بورود مع ما كان فيه من المضره للابدان والاذي لها وكذلك لو
وافا ربيعها في الخريف او خرفها في الربيع لم يقع من النفوس ذلك الموقع
ولا استطابته واستلذته ذلك لاتلاد ولهذا احد المتاخرين منهم عن
وقته فاتيا مملولا محلول الطعم ولا يظن ان هذا الجريان العاده المجرده
بذلك بل العاده انما جرت به لانه اوفق لحكمه والمصلحة التي لا
حال بها الحكيم المخبر فصل ثم تامل النخله التي هي احد ايات الله
تجد فيها من العجايب والايات ما يبهرك فانه لما قدر ان يكون فيه اناث
تحتاج الى اللقاح جعلت فيها ذكور تلقحها بما تحمله ذكور الحيوان وانا ثه ولذلك
اشتد شبهها من بين سايرالاشجار بالانسان خصوصا بالمومن كما
مثله النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من وجوه كثيره احدها نبات اصلها
في الارض واستقراره فيها وليست بمنزله النبجم التي اجتثت من فوق الارض
مالها من قرار الثاني طيبه ثمرتها وحلاوتها وعموم المنفعه بها كذلك
المومن طيب الكلام طيب العمل فيه المنفعة لنفسه ولغيره الثالث
دوام لباسها وزينتها فلا يسقط عنها صيفا ولا شتاء وكذلك المومن
لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى الرابع
سهوله تناول ثمرتها وتيسيره اما قصيرها فلا يحوج المتناول ولا يحوجه
الى ان يرتاها واما باسقها فصعوده سهل بالنسبه الى صعود النخل الطوال
وغيرها فتراها كانها قد هيات منها للراقي والدنح الى اعلاها وكذلك
المومن حيث سهل قريب لمن رام تناوله لا بالغدر ولا بالتيه المجانس
ان ثمرها من انفع ثمار العالم فانه موكل فاكهه وحلاوه بالنسبه فيكون
قوتا وادما وفاكهة وتتخذ منه الخل والناطف والحلوا ويدخل في
الادويه والاشربه وعموم المنفعه به وبالعنب فوق كل الثمار وقد اختلف
الناس في ايهما انفع وافضل وصنف الحاظ في الحكمة بينهما تحكيما
فاطال فيه الحجاج والتفضيل من الجانبين وفضل التراع في ذلك ان النخل
في معدنه ومحل سلطانه افضل من العنب واعم نفعا واجدى على اهل الشام
والجهات المايله والحجاز والعراق والعنب في معدنه ومحل سلطانه افضل

واع

واعم منفعة واجدى على اهل الشام والجبال والمواضع الباردة التي لا تقبل
النخل قال الشيخ شمس الدين ابن القيم وحضرت من في مجلس
سمعه فيه من كلام ابن البلد بخبرت هذه المسالة واخذ بعض الحاضرين
يخطب في تفضيل النخل وفوايده وقال في اثناء كلامه ويكفي في تفضيله
انا نشتري سواد العنب فكيف تفضل عليه مما يكون بياضا ثم قال
وقال الاخر من الجماعه قد فصل النبي صلى الله عليه وسلم التراع وزهد في ذلك
وشفى فيها نبهه عن تشبيه شجر العنب بها وقال الله تعالى الا ترى
فاي دليل ابين من هذا واخذ يناقش في تقرير ذلك فقلت للاول
ما ذكرته من كون نوى التمر شبه العنب فلت بدليل فان هذا الشبه
احد اوجه حتى ان النوى للعلف فيرغب صاحب العنب فيه لعلف غنمه
وحولته الثاني ان نوى العنب لا فايدة فيه ولا منفعة الثالث ان
الاعناب عندكم قليلة جدا والتمر فاكهة شتى عندكم فيكثر نواه
فيشتري به الشيء اليسير من العنب اما في بلاد فيها النخل فلا
يشتري بالعنب شيء ولا فيه لنوي لتمرها وقلت لم احتج
بالحديث هذا الحديث من يحط فضل العنب لانهم كانوا تسمونه شجرة الكرم
لكثرة منافعه وخص منها ما يوكل رطبا ويابسا وحلوا وحامضا ومجموعه
انواع الاشربه والخلوا والدبس وغير ذلك فذكر بالكثير جميع
فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان قلب المومن احق منه بهذا التشبيه
لكثرة ما اودع الله في الخير والبر والجود واللين والعدل والاحسان
والنصح وسايرانواع البر والخير التي وصفها الله في كتابه المبين وهو
احق ان يسمى كرما من شجر العنب وهذا الذي هو اصل اشتقاق ابطال
ما في شجر العنب من المنافع والفوايد وان تسميته كرما لانه يعتصر انها
لغظة لا معنى تحته فتصير الجاهل عالما والغافل فاطنا والبخيل سخيا
الا ترى انه لم يشتق اسم شجر العنب انما اخبر ان قلب المومن اغزر
فوايد واعظم منافع منها هذا الكلام او قريب منه فتدبر ذلك
الحاضر واذا تدبرت هذا الذي على اسرار الكلم علمت ان المومن

الزارع الى ادراك زرعه فصار الزرع يربيع هذا الربيع ليني احتاج
اليه للقوت والزراعه وكذلك ثمار الاشجار والنخيل وكذلك ما خرج
مع الاصل الواحد منها من الصنوان لكون ما انقطعه الناس من ذلك
ويستعملونه في مآربهم خلفا فلا يبطل المادة عليهم ولا ينقص فلو
ان صاحب بلد من البلاد اراد عمارته لاعطى اهله ما يبذرونه فيها وما
غنيتهم الى استنبات النبع فاقتضت حكمة اللطيف الخبير ان اخرج من
الحجر الواحد جهات عديدة ليفيت الخارج الناس ولا خرون منها
يزرعون ٥ فصل ثم تامل الملك في الحب كالبر والشعير
وغيرها كيف يخرج الحب مذروجا في قشور على هيئة اسنان الانسان
فلا يتمكن عند الطرح في الارض فسادها والعبث فيها فانه لو صادف الحب
بارزا لاصنوان عليه ولا وقايته تحول دونه لتمكن منه كل التمكن
فافسده وعاث وعثا واكب عليه اخذا لما استطاع وعز اباد الزرع
عن رده فجعل اللطيف الخبير عليه ٥ القوامات تحفونه فينال الطير
منه مقدار قوته ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به لانه هو الذي كدح
فيه وشقي به وكان الذي يحتاج اليه من اضعاف ما جمعه الطير فصل
ثم تامل الحكمة الباهرة في هذه الاشجار كيف تراها في كل عام تحمل
وتمنع نوعا ما في حمل ولده فاذا اذن لها في الحمل اخذت
الحرارة الطبيعية في داخلها واختبأت فيها لتكون مهيأة لحمل في الوقت
المقدر لها فتكون في ذلك الوقت ممتلئة برطوبة العلوق وعند انكدار
الكلف فتعمل المادة في اجوافها وتهيئها للعلوق حتى اذا آن
وقت الحاجة فيها انفلقت اعطافها وخرجت للهواء تسري الى
ثمارها وانعشرت فيها الحرارة والرطوبة حتى اذا آن وقت الولادة
كبست من تحاير الملاقح وبان للفحل حمل على صفة فحلها وطبيعة
من اوصافها وخلقها فتراه عند ذلك قد اخذ في الاهتمام بشان حملها
امرتها وكتمها الادراك وصلاحها فعند ذلك تراه قد اخذ في الحمل
وان وقت الفطام تدلت اليها فاكهتها كما تدلت ولدة الحامل

ولدها

قابلتها رات الافنان كانها تلقاك باولادها وتحتيك وتكرمك
بهم وتقدمهم اليك حتى كانت منارا لايناء لك اباهايده ولا سيما قطوف
جنات النعيم الدانية التي تتناول لها المومن قياما وقعودا ومضطجعا وكذلك
ترى الرياحين كانها تحتيك بانتشارها وتقابلك ببطنها راحتها وكل هذا
اكراما لك وعناية بامرك وتخصيصا لك وتفضيلا على غيرك من
الحيوانات افيجمل بك الاشتغال بهذه النعم عن المنعم بها وكيف اذا
استعنت بها على معاصيه وصرفتها في مساخطه فكيف اذا جحدته
واضفتها الى غيره كما قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فجدير بمن
لم يسلبه عقله ان يتأمل نفسه في هذه النعم الا لا ويكرر ذكرها
لعله توفقه على المراد منها هو ولاي شيء خلق ولماذا امتني واي مرتبط
منه على هذه النعم قال تعالى فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون فذكر
الايه سبحانه وتعالى وشكره على عهده سبب الفلاح والسعاده لان
ذلك لا يزيده الا محبة لله وحمدا وشكرا وطاعة وشهود تقصير
بل تفريطه في القليل مما يحب لله عليه ولله در القائل

قد هيؤوك لامر لو فطنت له فاربا سفك ان ترعى مع الهمل

ثم تامل الحكمة في شجر القطن والبلخ والجزر كيف
لما اقتضت الحكمة ان تحدث حملها ثمارا كبارا جعل نباته منبسطا
على الارض اذ لو انتصب قائما لانتصب الزرع لضعفت قوته
عن حمل هذه الثمار الثقيلة ولنفضت قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها
فاقتضت حكمة مبدعه وخالقه ان بسطه وبثه على الارض ليلقي عليها
ثماره فتحملها عنه الارض فترى العرق الضعيف الدقيق من ذلك
منبسطا على الارض وثماره ممتدة هوائيه كانه حيوان فلله الحمد
حمدا فانه يزرع ابدا لما كان شجر اللوبيا والباذنجان والفلفل وغيرها
مما يقوى على حمل ثمره انبته الله منتصبا قائما على ساقه اذ لا يليق من حمل
ثماره مؤنه ولا يضعف عنها ٥ فصل ثم تامل كيف اقتضت الملكه
الالهيه مواعاه اصناف الثمار والفواكه للناس حسب الوقت المتناسب لكل
لها المقتضي لها منافعهم كوافا لها للاطعمه فتلقاها الطبيعه بانشراح
واشتياق منتظره لقدومها كانتظار الغايب للغايب ولو كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلا خرج ورقه منها الا باذنه ولا تسقط الا بعلمه ومع هذا فلو شاهدها
العباد على عشرتها وتنوعها وهي تسبح محدثها مع الثمار والافنان والاشجار
لشاهدوا من جمالها امرا اخر ولرأوا خلقها بعين اخرى ولعلموا انها لشان
عظيم خلقت وانها لم تخلق سدى قال تعالى والنجم والشجر يسجدان فالنجم
ما ليس له ساق من النبات والشجر ما له ساق وكلها تساعد به لله تسبحه
وحده وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولعل اذكان تكون
من غلظ حجابه فتذهب الى ان التسبيح دلالتها على صانعها فقط فاعلم ان
هذا القول يظهر بطلانه من اثنين بلامين وجها قد ذكرناهما في موضع
اخر وفي اي لغة تشي الدلالة على الصانع تسبيحا او سجودا او صلاة فتارة يكون
وهو وطن خشيه الله كما ذكر الله تعالى في كتابه فتارة يجمعهما بالتسبيح
وتارة بالسجود وتارة بالصلاة كقوله تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته
وتسبيحه افترى يقبل عقلك ان يكون معنى الاية على قدر علم الله دلالته
عليه وسمي تلك الدلالة صلاة وتسبيحا وفرق بينهما وعطف احدهما على
الاخر وتارة يخبر عنها بالتاويب كقوله تعالى يا جبال اوبي معه وتارة بخبر
عنها بالتسبيح الخاص بوقت دون وقت كالعشي والاشراق فترى دلالتها
على صانعها انما تكون في هذين الوقتين فقط الجملة فبطلان هذا القول اظهر لذوي
البصائر من ان يطلبوا دليلا على بطلانه فلله الحمد والمنة فصل
تامل حكمة تبارك وتعالى في ابداع الجوز والتوت في جوف الثمر وفي
ذلك من الحكم والفوائد التي منها انه كالعظم لبدن الحيوان فلو تمت صلابته
رخاوة الثمرة ورقتها ولطافتها ولو لا ذلك لتشدخت وتضيخت ولاسرع
اليها الفساد فهو بمنزلة العظم والثمرة بمنزلة اللحم الذي يكسوه الله
عز وجل العظام ومنها ان في ذلك بقاء المادة وحفظها اذ بها تقطف
الثمرة او نوعها خلق فيها ما تقوم مقامها عند تقطفها وهو النوى الذي
نفرش ليعود مثلها ومنها ما في تلك الجنوب من اقوات الحيوانات ومافيها
من المنافع والادهان والادوية والاصباغ وضروب اخر من المصالح التي
تعلمها الناس ومالم يعلم عليهم منها اكثر فتامل الحكمة في اعراجه سبحانه هذه
الجنوب لمنافع فيها وكونها لها ايدا الذي اشبه شيء تنفعه به ابن ادم
ثم

ثم تامل هذه الحكمة البديعة في جعل القشر الرقيقة اللطيفة التي
تستر الثمرة والشمس غلافا يحفظها ويغشاها ويواريها عن الزمان والمور
واللوز ونحوه واما ما لا يقتات اذا كان نافعا لعلة في قشرته الخارجة
عشاه بقشرة ليونة لتتعقد لقشرته الصلبة على الثمرة فاذا اشتد وقوي تشقق
عن ذلك القشر وصحى للشمس والهواء فكمل وانضج ثم تامل حكمة الباري
تعالى في خلق الثمار وخلقه من الطعم والرائحة والتلون بالالوان
الحسنة ما تشاهد ترى ذلك
وصفاء منه ما هو
اقتياتا وفرقا كل شئ
اعجب شيء والشاهد
الوعاء الذي
تامل هذه الحكمة البديعة في جعل الثمر
هذا اذا لم يصبه
خلال الشجر
في ذلك الشئ
مجرى تشتر منه
واحرا ثم شق منه
تلك الحكمة
ما لا يحصى
حاشا الفلاح
رضفا
اعجب شيء
الوعاء الذي
تامل هذه الحكمة البديعة في جعل الثمر
هذا اذا لم يصبه
خلال الشجر
في ذلك الشئ
مجرى تشتر منه
واحرا ثم شق منه
تلك الحكمة
ما لا يحصى
حاشا الفلاح
رضفا
اعجب شيء
الوعاء الذي

ومنافعها بغاية الحكمة واللطف ثم اذا تأملت اخراج ذلك النور البهي
من تحت ذلك الحطب ثم اخراج الورق الاخضر ثم اخراج تلك الثمار
على اختلاف انواعها واشكالها ومقاديرها والوانها وطعومها وروائحها
ومنافعها ومايراد منها ثم تأمل ان كانت مستودعة في تلك الخشبه
وهاتيك العيدان وجعلت الشجر لها كالام فهل كان في قدرة الاب
العاجز الضعيف ابراز هذا التصوير العجيب وهذا التقدير المحكم وهذه
الاصباغ الفائقة وهذه الطعوم اللذيذة والروائح الطيبة وهذه
المناظر المستحسنة فسبحان الحامد من تولى تقدير ذلك وتصويره وابرازه
وترتيبه شيأ فشيأ وصرف الغذاء اليه في تلك العروق اللطاف التي عاد
البصر عن ادراكها وتلك المجاري الدقاق ممن الذي تولى ذلك كله
ومن الذي اطلع لها الشمس وسخر لها الرياح وانزل عليها المطر ودفع عنها
الافات وتأمل تقدير اللطف الخبير فان الاشجار لما كانت تحتاج الى
الغذاء الدائم كحاجة الناس وسائر الحيوان ولم يكن لها افواه كافواه الحيوان
ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذا جعلت اصولها في مركوزة في الارض
ليتيسر بها الغذا وتمتصه من اسفل الثرى وتؤديه الى اغصانها وتؤديه
الاغصان الى الورق والثمر كل شجر معلوم لا يتعداه يصل اليه في مجار
وطرق قد احكمت غاية الاحكام فتأخذ الغذا من اسفل وتلقمه بعروقها
كما يلتقم الحيوان غذاءه ثم تثقبه على حسب المعتاد فيصل الى كل
جزء منه بحسب ما يحتاج اليه لا تخطئه ولا تزيده على قدر حاجته فسبحان
الجاعل من اعطاها هذا ومن هداها اليه ووضعه فيها فلو اجتمع الاولون
والاخرون لو كانت قدرهم وارادتهم تصل الى تربية شجرة واحدة منها
هل يأتي باشجاره او صناعة او حيلة او مزاولة وهل ذلك الا صنع من شهدت
له مصنوعاته ودلت عليه آياته

* فواعجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده جاحد *
* وللّٰه في كل تحريكه وتسكينه ابدا شاهد *
* وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد *

فصل ثم تأمل اذا نصبت خيمة او فسطاطا كيف تمده من كل
جانب بالاطناب لتثبت فلا تسقط ولا تسقط فهكذا بعد البنات والشجر

له عروق تمتد في الارض منتشرة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه وكلما
اعتشرت اعالية امتدت عروقه واطنابه من اسفل في الجهات ولولا ذلك كيف
كانت تثبت هذه النخل الطوال الباسقات والدوح العظام على الرياح
العواصف فتأمل حينئذ الخلق الالهيه للصناعة البشريه حتى يعلم الناس
ان خلق الخيم والفساطيط من خلقه الشجر والنبات لان عروقها اطناب
لها كاطناب للخيمه واغصان الشجر تتخذ منها الفساطيط تم حاكى بها
الشجر فتأمل ثم تأمل خلق الورق فانك ترى في الورقه
الواحده من جملة العروق الممتده فيها المنتشرة منها على هذا الناظر منها
غلاظ ممتده في الطول وفي العرض ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجه
بتقدير دقيق محكم كأنه بما يتولى الشيء صنع بنان يديه لما فرغ من
وضعه في كمام خامل ولا احتاجوا فيه الى آلات وحركات وعلاج يعجز
قدرهم عن تحصيله فيبث الخلاق العليم في اقل من ذلك كله عمل الارض
وسهلها وجبالها بلا آلات ولا معين ولا فكر ولا معالجة فسبحان من هي الاراده
النافذه في كل شيء وقدرته التي لا يمتنع منها شيء اذا اراد شيأ ان
يقول له كن فيكون فتأمل الحكمة في تلك العروق المتخلله الورقه
باسرها لتسقيها وتوصل اليها المادة فتحفظ عليها حياتها ونضارتها فانها لو
كانت العروق المثبوثة في الابدان التي توصل الغذا الى كل جزء منه وتأمل ما في
العروق الغلاظ من امساكها الورق بصلابتها وصلاتها فلا تتمزق
وتتحمل في مثل الاغصان لبدن الحيوان فتراها قد احكمت صنعها
ومدت العروق في طولها وعرضها لئلا تتمزق فلا يعرض لها التمزق

فصل ثم تأمل حكمة اللطيف الخبير في كونها جعلت زينة
للشجر وسترا ولباسا للثمر ووقاية لها من الافات التي تمنع كمالها
ولهذا اذا جردت الشجر عن ورقها قلت الثمر ولم ينتفع بها وانظر
كيف جعلت وقاية لمنبت الثمر الضعيف من اليبس فاذا هيئ الثمر
بنى الورق وقايه لتلك الافنان الضعيفه من الجو حتى اذا اطعمت تلك الجمار
يصير الافنان غرضا من ورقها لتتغذى لبابا جديدا احتيج
منه فتبارك الله رب العالمين الذي يعلم ساقط تلك الاوراق ونابتها

شبكة الألوكة www.alukah.net

الارض وما هلك ما عليها من الحيوان والناس له فصل ومن ذلك
شعث هذه الارض وامتدادها ولولا ذلك لضاقت عن سكن الناس
والحيوان وعن مزارعهم ومراعيهم ومنابت ثمارهم واعتاهم فان
ملت فما حكمة هذا الاختلاف الكلي والتفاوت الكثير في هذه الوجه
فاعلم ان فيها معايش لا يحصيها الا من الوحوش والدواب وغيرها
اوزاقهم وفيها مطردهم ومتزلهم كالبر والبحر للناس وفيها
مجالهم ومراعيهم ومصيفهم ومشاتيهم ثم فيها معادن مختلفة
ومضطربات اذا احتاجوا الى الاستظلال والكن والاحتبال الاوطان
فكم من بيد استحالت قصورا وحنانا ومساكن ولو استوت الارض
وفسحها لكان اهلها كالمحصورين والمحبوسين في اماكنهم لا يحدون
عنها انتقالا اذا ادهمهم ما ينزعهم عنها ويضطرهم الى التحول منها وكذلك
الماء لو اغترقه وتدفقه في الاودية والانهار ما قر في محصله الذي يتألبه
وتغلب القوي فيه الضعيف واستبد به دونه فحصل الضرر وتعطل
البلوغ شدة حاجة جميع الحيوان اليه من الطير والوحش والسباع
فاقتضت الحكمة ان كان بهذا الكثرة والسعة في كل وقت واما
النادر فقد تقدم ان الحكمة اقتضت كونه هامتي عنا العباد وتارة
عند الحاجة فهي وان لم تكن مبثوثة في كل مكان فهي عتيدة محاصلها
احتيج اليه واستعد لكل ما يحتاج اليه منها غير انها مودعة في حصار جعلت
معه دون لها الحكمة التي اقتضت ذلك فصل ثم ان الحكمة البالغة
في نزول المطر على الارض بعد يبسها وهامدها وتلالها وضعتها بها
واعلاها ومنخفضها ومرتفعها ولو كانت ما تعالى انما تسقيها من حيث
تواعر لها اتى الماء على النابعة المرتفعة الا اذا اجتمع في السفل وعظم
وفي ذلك ضرر وفساد فاقتضت حكمته ان سقاها من فوقها فينشئ سحابه
السماء وهي رطبة الارض ترشح الماء حتى اذا علت الارض وتلاها
على قبل الارتفاع والانخفاض ولما كانت الارض لا تروى الا بقدر
واذا سقيت من السحاب وفي هذا الغيث وان الشاعر وصف السحاب
شرق بالمحل ترفعت تحت خضراء من نضج
وفي الماء مرتوع وهو احد الاحاديث الاربعة المقطوع بها اذا شئت بحبه

ثم تشاءمت فملكت عينا غدقة والله سبحانه ينشئ المزن في السحاب لينشأ ثاره
بقلب الهواء وثاره بحمله الهواء من البحر فيلتقي بالسماء ثم ينزل منه على الارض
للحكمة التي ذكرناها ولو انه ساقه من البحر الى الارض جاريا على ظهرها لحصل
عموم التبخي الاستخراب كثير من الارض ولم يحصل عموم التي لاجزائها فصاعدة
سبحانه الى الجو بلطفه وقدرته ثم انزله على الارض عناية من اللطف والحكمة
التي لا افصاح لعقول جميع الحكماء فيها فانزله ومعه رحمته على الارض
ثم تامل الحكمة البالغة في انزاله بقدر الحاجة حتى اذا اخذت الارض
حاجتها منه وكان تتابعه عليها بعد ذلك يضرها اقلع عنها واعقبه بالصحو فيهما
اعني الصحو والضحى يعتقبان على العالم لما فيه صلاحه ولو دام احدهما كان فيه
فساده فلو توالت الامطار واملكت على الارض ولو زادت على الحاجة افسدت
الحبوب والثمار وعفنت الزروع والخضراوات واوحلت الابدان وغثرت
الهواء فتضرر بذلك من الامراض وفقد اكثر الاكل وقطعت المسالك
والسبل ولو دام الصحو لجفت الابدان وغيض الماء وانقطع معين العيون
والابار والانهار والاودية وعظم الضرر واعتدم الهواء فيبس على الارض
وجفت الابدان وغلب اليبس واحدث ذلك ضروبا من الامراض عسر المزال
فاقتضت حكمة اللطيف الخبير ان عاقب بين الصحو والمطر على هذا العالم
فاعتدل الامر وصح الهواء ودفع كل واحد منهما عاديه الاخر واستقام
امر العالم وصلح فصل ثم تامل الحكمة الالهية في اخراج الاقوات
والثمار والحبوب والفواكه متلاحقة شيئا بعد شيء متتابعة ولم خلق كلها
جملة واحدة فانها لو خلقت كذلك على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه
السوق والاعضان لدخل الخلل وفاتت المصالح التي ترتبت على تلاحقها
وتتابعها فان كل فصل واوان يقتضي من الفواكه والنبات غير ما يقتضيه
الفصل الاخر فهذا اخاره وهذا اوانه معتدل وكل في فصله موافق
للمصلحة لا يليق به غير ما خلق فيه ثم انه سبحانه خلق تلك الاقوات مقادير
لمنافع اخر من العصف والخشب والورق والنور والسعف والكرب
وغيرها من منافع النبات والشجر غير الاقوات كعلف البهائم وآلات الابنية
والسفن والرحال والاواني وغيرها ومنافع النور من الادوية والمنظر البهيج
الذي يسر الناظرين وحسن مراي الشجر وخلقها البديعة الشاهدة فاطرها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودنا المخاض وحيل بينها وبين ما تضع حملها وتخرج اثقالها فيخرج
الناس من بطنها الى ظهرها وتقول رب هذا استودعتنيه وعجز
كورها بالدفن فتحدث اخبارها وتشهد على ما عملوا على ظهرها
من خير او شر فعند ذلك ولما كانت الرياح تحول فيها وتدخل في
تجاويفها وتحدث فيها الاخره وتخنق الرياح ويتعذر عليها المنفذ
اذن الله سبحانه لها في الاحيان بالتنفس فتحدث بسببه الزلازل للقطاع
فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشيه والاقلاع عن معاصيه
والتضرع اليه والتوبه كما لبعض السلف وقد زلزلت الارض بكم
بعد استعتابكم وقد زلزلت المدينه
لحظهم وعظهم وقد لا عادت لاستكبارهم
حكمة الله عز وجل في خلقه هذين النقدين الذهب والفضه وقصور
حيلة العالم عما حاولوا من صنعتها والتشبه بخلق الله اياها مع شده
حرصهم وبلوغ اقصى جهدهم واجتهادهم في ذلك فلم يظفروا بشيء الصيغه
ولو مكنوا من ان يصنعوا مثل ما خلق الله من ذلك لفسد امر العالم
واستفاض الذهب والفضه في الناس حتى صار كالشفف والغثاء
وكانت تتعطل المصلحه التي وضع لاجلها وكانت كثرتها جدا سبب
تعطل الانتفاع بها فانه لا يبقى لها قيمه وتبطل كونها قيما لتقايس
الاموال والمعاملات وارزاق القائلم ولم يشتخر بعض الناس لبعض
اذ صيرا لكل ارباب ذهب وفضه فلو اعطى خلقه غلام لاقترضوا كلهم
من يرضى لنفسه باتخاذها في الصنايع التي لا قوام للعالم الا بها فسبحان
من جعل عزها سبب نظام العالم وجعلها في الغرة كالكبريت
الاحمر الذي لا يوصل اليه فتفوت المصلحه بالكليه بل وضعها
وبثها في العالم بقدر اقتضته حكمته ورحمته ومصالح عباده قال
الشيخ الامام شمس الدين ابن القيم قدس الله روحه وقرات
بخط الفاضل جبريل ابن روح الانباري قال اخبرني بعض من يرد اول
المعادن انهما وغلوا في طلبها الى بعض نواحي الجبل فانتهوا الى موضع راوا
فيه

فيه اشال الجبال من الفضه ومن دون ذلك وادي متصلا بها عزيز
لا يدرك ولا حيلة في عبوره فانصرفوا الى حيث يعلمون ما يعبرون
به فلما هيأوه وعادوا ليأخذوا طريق النهر فما وقعوا على اثر ولا عرفوا اين
توجهوا فانصرفوا اليتيبي وهذا احد ما يدل على بطلان صناعه
الكيمياء ولها عندنا التحقيق وغل وصبغه لا غير فالله اعلم وقد
ذكرنا بطلانها وتيقناه ذهابها من اربعين وجها في رسالة مفرده والمقصود
ان حكمة الله اقتضت عزة هذين الجوهرين وقلتهما الى التبادل الذي
والتجارة والمصالح لصلاح امر الناس واعتبر ذلك بانه اذا ظهر الشيء
الطريف المستحسن مما عدته الناس من الامتعة كان نفيسا عزيزا
ما دام قليلا وهو مرغوب فيه فاذا فشا وكثر في ايدي الناس هذا
وقدر عليه الخاص والعام سقط عندهم وقلت رغباتهم فيه وهكذا ان هذا
قول القايل بقاسته الشيء من عزته ولهذا كان ذهاب الناس عن العالم العامل
وخيرانه وزادهم فيه البعد عنه فصل وتامل الحكمه البديعه
في تبديره سبحانه على عباده ما هم اليه احوج وتوسعته وتذليله
فكل كانوا احوج اليه كان اكثر واوسع وكل استغنوا عنه كان
اقل واذا توسطت الحاجه توسط وجوده فلم يكن للعام ولا للنادر
عامرات الحاجات فقادتها غير صلبه لا صول الا نبعه التراب
والماء والهواء التي تامل سبعه خلق الله منها وكثرتها وعمومها
فتامل سعه الهوا وعموم وجوده بكل مكان لان الحيوان الخلوق
في البر لا بد له من الهواء الذي هو معدن الحياة فلا يستغني عنه لحظه
واحده ولا كثرته وسعته وامتداده في انتظار العالم لا خشوا هل
العالم من الاحتباس والضرر الحاصل بتعذر فتامل حكمة ربك
في ان سخر الريح تارة تهب من الجو الى الجو والله سبحانه ارضا ما
قال هيتغير العالم بتغير الريح واذا تامل الناظر الفاضل الذي دبر هذا
التدبير وقدر هذا التقدير وهل يقدر اهل العالم لو اجتمعوا
ان يحولوا ذلك فيجعلوا سمايا ارضا وارضا سمايا ويذهبوا عن الناس
ويكفوهم عنهم او يشاء ربك فيحال بين الريح فتخنق عاده

من التحصن والمغارات والاكنان ولما استرت عنهم الرياح ولا جبت
السيول ولو جعلت مستديرة على شكل الكرة لم يتمكنوا من صعودها
ولما حصل لهم بها الانتفاع التام فكان اولى الاشكال والاوضاع بها
والقعها واوفقها على وفق المصلحة هذا الشكل الذي نصبت عليه
ولقد دعانا الله سبحانه في كتابه الى النظر فيها وفي تخييمه خلقها
فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى
الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت تخلقها وما فيها من
الدر الشواهد على قدرة باريها وفاطرها وعلمه وحكمته وقد اخبرته هذا
مع انها تسبح بحمده وتخشع له وتتصدع وتتشقق وتتصبب من خشيته
وهي التي خافت من ربها وفاطرها وخلقها على شدتها وعظم خلقتها من الامانة
اذ عرضها عليها واشفقت من حملها ومنها الجبل الذي تجلى له ربه فجاء
وتدكدك ومنها الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما وخبيء منها
الجبل الذي حبب الله ورسوله واصحابه اليه ولعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ومنها الجبلان اللذان جعلهما الله تعالى طورا على بيته
وجعل الصفا في ذيل احدهما والمروة في ذيل الاخر وشرع لعباده
السعي بينهما وجعل من مناسككم ومتعبداتهم ومنها جبل الرحمة المنصوب
عليه ميل ان عرفات لله عز وجل به من ذنب مغفور وعثر مقالة وزلل
معفوة عنها وحاجة مقضية وكربة مغفور وحوبة ميسورة وضعه ونفعه
متجددة وسعادة مكتسبة وشقاوة ممحوة فكيف هو الجبل المخصوص
من ذلك الجمع الاعظم والوفد الاكرم الذين جاؤا من كل فج عميق وقوفا
لربهم مستكينين لعظمته خاضعين لعزته شعثا غبرا حاسرين
عن رؤسهم مستقلون عثراتهم وزلاتهم حاطها عنهم ونواصيهم
ثم نباهي بهم الملائكة فقد ذال الجبل ومكانه على كثرة الاعوام والازمنة
عن الذنوب العظام ومنها جبل حرا الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخلو فيه بربه حتى اكرمه الله برسالته ونزل عليه في غاره فهو الجبل
الذي فاض منه النور على اقطار الدنيا فليفخر على الجبال وحق له
ذلك فسبحان من اختص هذه البقعة وكرمها من شاء من الجبال والاطلال
فجعل منها جبالا هوى فغنا ملئت القلوب كانها ترى عيدانها بهوى الهها

كلها

كما ذكرها ونحو الحوها كما اختص من الارض المقدسة بكرامته
وانعم عليه بنعمته ووضع عليه محبته منها فاحبه وحببه الى ملائكته وعباده
المومنين ووضع له القبول بينهم : واذا تاملت البقاع وجدتها
تتشقى كما تشقى الرجال وتسعد فدع عنك الجبل الفلاني وجبل بني فلان
وجبل كذا خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك
عن رجل هذا وانها لتعلم ان لها موعدا ويوما تنشق فيه فتشقق وتصير
كالعهن من هوله وعظمه فرحي شفقة من هول ذلك الموعد مستظل له وكانت
ام الدرداء رضي الله عنها اذا سافرت فصعدت على جبل تقول لمن معها اسمع
الجبال ما وعدها بها فيقول لها اسمعها تقول وسالوك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
فهذا حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذا رقتها وخشيتها وتدكدكها
من جلال ربها وعظمته وقد اخبر عنها فاطرها وباريها انه لو انزل عليها كلامه
لخشعت وتصدعت من خشيته فيا عجبا من مضغة لحم اقسى من هذه الجبال
تسمع ايات الله تتلى عليها ثم تبصر وتذكر الرب تبارك وتعالى فلا تلين ولا
تخشع ولا تنيب فليت شعري بماذا تعذر عبد عز وجل ولا تخالف خشيته ان تخلق لها ذكرا
تذببها اذا تلي عليها كلامه وذكره وزواجره ومواعظه فمن لم يلن لله في
هذه الدار قلبه ولم ينب اليه ولم يذب حبه والبكاء من خشيته فليتمتع قليلا
فان امامه المنزل الاعظم وسيرد الى عالم الغيب والشهادة فيرى ويعلم
ولما اقتضت حكمة تبارك وتعالى ان جعل من الارض السهول
والوعور والجبال والرمال لينتفع بكل ذلك في وجهه ويحصل منه
ما خلق له وهيئت الارض لهذه الابد لزم من ذلك ان صارت كالام
التي يحمل في بطنها انواع الاولاد من كل صنف ثم خرج الى الناس والحيوان
من ذلك ما اذن لها فيه ربها ان يخرجه اما معلوما واما بدونه ثم برد لها ما
خرج منها وجعلها سبحانه كفاتا للاحياء اما مواتا على ظهرها واحياء وفي بطنها
اموتا وهم في بطنها فكانت كفاتا لهم تضمهم على ظهرها احياء وفي بطنها
اموتا فاذا كان يوم الوقت المعلوم وتقاقلت الحمل وكان وقتا لولاده

كما

شئ اشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يارب فهل من خلقك شئ اشد من الحديد قال نعم النار قالوا يارب فهل من خلقك شئ اشد من النار قال نعم الريح قالوا يارب فهل من خلقك شئ اشد من الريح قال نعم ابن ادم يتصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله ثم تامل الحكمة البالغة في ليونة الارض مع بسطها فانها لو افرطت في الليونة كالطين لم تستقر عليها بنا ولا حيوان ولا تمكنا من الانتفاع بها ولو افرطت في اليبس كالحجر والحديد لم يخرج حرثها ولا زرعها ولا شقها وفلحها ولا حفر عيونها ولا البناء عليها فتقضت من بين الحجان وزادت على ليونة الطين لجات تقدير ذلك وفاوتها على اختلاف ما دا عليه عباد الحيوان من الاعتدال بين اللين والبسوسة فتهيا عليها جميع المصالح فيها ثم تامل الحكمة البالغة في ان جعل مهب الشمال عليها ارفع من مهب الجنوب وحكمة ذلك ان تجدر المياه على وجه الارض فتسقيها وتريها ثم تغيض فتصب في البحر فكما ان الباني اذا ارفع سطحا رفع احد جانبيه وخفض الاخر ليكون مصبا للماء ولو جعله مستويا لنا شق عليه الماء فكذلك جعل مهب الشمال في كل بلد ارفع من مهب الجنوب ولولا ذلك لبقي الماء واقفا على وجه الارض فمنع الناس من العمل والانتفاع وقطع الطرق والمسالك واضر بالخلق افمن عندنا من لم يتمكن من عقله ان يقول هذا كله اتفاق من غير تدبير العزيز الحكيم الذي اتقن كل شئ فيه ثم تامل الحكمة العجيبة في الجبال التي قد تخفى الجاهل الغافل فصله في الارض لا حاجة اليها وفيها من المنافع ما لا يحصيه الا خالقها وناصبها وفي حديث شداد ضمام ابن ثعلبة قول النبي صلى الله عليه وسلم والذي نصب الجبال واودع فيها المنافع الله امرك بهذا وكذا قال اللهم نعم ومن منافعها ان الثلج يسقط عليها فيبقى في قللها حاصلا للناس الى حين نفاده وجعل فيها للذوب اولا واولا فيجري منه العيون الغزيرة وتسيل منها الانهار والاودية فينبت في الوهاد والرياض النبات والفواكه والادوية التي لا يكون مثلها في السهل والرمال فلولا الجبال لسقط الثلج على وجه الارض فهلك اهله وسال دفعة فغلبهم وقت الحاجة اليه وكان في اخلاله جملة السيول التي تهلك ما مرت عليه فيضر بالناس ضررا لا يمكن تلافيه ولا دفع اذيته ومن منافعها ما يكون في حصولها وقللها من المغارات والكهوف والمعاقل

التي

التي هي بمنزلة الحصون والقلاع وهي ايضا اكنان للناس والحيوان ومن منافعها ما ينبت من احجارها كالانبيذ على اختلافها والاثمد وغيرها ومن منافعها ما يوجد منها من المعادن على اختلاف اصنافها من الذهب والفضة والنحاس والحديد والصفر والزيبق والزرنيخ واضعاف ذلك من انواع المعادن مما التي يعجز البشر عن معرفتها على التفصيل حتى ان فيها ما دون الشئ اليسير منه تزيد بيمته ومنفعته على قيمة الذهب اضعافا مضاعفة وفيها من المنافع ما لا يعلمه الا فاطرها ومبدعها سبحانه ومن منافعها ايضا انها ترد الرياح العاصفة وتكسر حدتها فلا تدعها تصدم ما تحتها ولهذا الساكنون تحتها في امان من الرياح العظام المؤذية ومن منافعها ايضا انها ترد عنهم السيول اذا كانت في مجاريها فتصرفه عنهم ذات اليمين او الشمال ولولاها لاخربت السيول في مجاريها ما مرت به فتكون لهم بمنزلة السد والسكن ومن منافعها انها اعلام مشتهرة في الطرقات فهي بمنزلة الادلة المنصوبة المرشدة الى الطرق ولهذا سماها الله سبحانه اعلاما فقال تعالى ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره فالجوار هي السفن والاعلام الجبال واحدها علم كالخشاء وان صغرا لتنائم الهداة به كائنة علم في رأسه نار فسمى الجبل علما من العلامة والظهور ومن منافعها ايضا ما ينبت فيها من انواع العقاقير والادوية التي لا تنبت في السهول والرمال لا ينبت مثلها في الجبال وفي كل من هذا وهذا منافع وحكم لا يحيط بها الا الخلاق العليم ومن منافعها انها تكون حصونا من الاعداء يتحرز فيها عباد الله من اعدائهم كما يتحصنون بالقلاع بل ملوك البلغ واحصن من كثير من القلاع والمدن ومن منافعها ما ذكر الله تعالى بقوله انه جعل الارض اوتادا ان تميد بهم وروسي تمنعها من ان تميد بمن عليها فسبحان من اتقن هذا وما اشبهه من خلقه العجيبة البديعة على هذا الوضع وجعلها على الطبيعة الملائمة للحكمة فلها لو طالت واشتدت كالحايط لتعذر الصعود عليها والانتفاع بها وتفوت عن الناس المنافع التي هي الارزاق ولم يتمكنوا من الانتفاع بها ولو بسطت على وجه الارض لضيقت عليهم المزارع والمساكن والمسالك السهلة ولما حصل لهم بها الانتفاع

كيف يضي ما هو لذكله وتنزي به القريب والبعيد ثم انظر الى الماء لم
افتقر منه كل من مرض وقدر من خلق الله كيف لا ينفي ولا ينقد ولا يضعف
واما منافع النار في امتشاج الاطعمة والادوية وتجفيف ما لا ينتفع الا
بجفافه وتحليل ما لا ينتفع الا بتحليله وعقد ما لا ينتفع به الا بعقده وتركيبه
فاكثر من ان يحصى ثم تامل ما اعطيته النار من الخفة الصاعدة بطبعها
الى العلو فلو لا المادة تمسكها لذهبت صاعدة كان الجسم الثقيل لولا
التكاثف لذهب نازلا ثم اعطى هذه القوة التي يطلب بها الهبوط
الى مستقره واعطى هذه القوة التي يطلب بها الصعود الى مستقرها وهل
ذلك الا تقدير العزيز العليم فصل ثم تامل هذا الهواء وما فيه
من المصالح فانه جعله هذه الابدان والمحل لها من داخل بما تستنشقه من
خارج بما تباشر من روحه فيتغذى به ظاهرا وباطنا وفيه مجرى الاصوات
فيحملها ويودها للقريب والبعيد كالليل والرسول الذي شانه حمل
الاخبار والرسائل وهو الحامل لهذه الروائح على اختلافها فينقلها من موضع
الى موضع فيأتي العبد الرائحة من حيث تهب الريح وكذلك مادة الصوت
وهو ايضا الحامل للحر والبرد اللذين بهما صلاح الحيوان والنبات وتامل
منفعة الريح وما تجري له في البر والبحر وما هيأ له من الراحة والعذاب
وتامل كم سخر للسحاب من ريح حتى ابطرفتسخرت له المشرق او الدفتين
بين السماء والارض سخرت له الحامل التي تحمله على متنها كالجمل الذي يحمل
الراوية سخرت له الموقفة فتولغه من كثبه وقطعه حتى تجتمع بعضها الى
بعض فيصير طبقا واحدا ثم سخرت له اللاقحة منه الذكر الذي يلقح الانثى
فتلقحها ولولاها لكان حملها ماء فقط ثم سخرت له المثيرة التي تثيره
وتسوقه الى حيث امر فتفرغ ماءه هناك ثم سخرت له تعداد عصاره
المفرقة التي تبثه وتفرقه في الجو فلا يرد مجتمعا ولو تراكم لاهلك الساكن
والحيوان والنبات بل يفرقه فيجعله قطرا او كذلك الرياح التي تلقح الشجر
والنبات ولولاها لكانت عقيما وكذلك الرياح التي تعين السفن ولولاها
لوقفت على ظهر البحر ومن مناسمها انها تبرد الماء وتصلحه النار التي يراد اصلاحها
وتجفف الاشياء التي تعتاد الجفاف بها والحر يحيا ما على الارض من نبات
وحيوان بالريح فانه لولا تشجير الله لها لعباده كذوي النبات وما في الحيوان

وفقدت

وفقدت المطاعم وانتن العالم وفقد الانتفاع اذا ركدت الريح كيف حدث الكرب
والغم الذي لو دام لاتلف النفوس واستأصل الحيوان وامرض الاصحاء وانهك
الرضي وافقد الثمار وعفن الزرع واحدث الوبا في الجو فسبحان من
جعل هبوب الرياح ثانيا من روحه ورحمته ولطفه ونعمته كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم في الرياح انها من روح الله تاتي بالرحمة وبالنقمة فالطيفة في هذا الهواء
وهي الصوت اثر يحدث عن اصطكاك الاجسام وليس نفس الاصطكاك
كما قد ذكر ذلك قوم وليس بموجب للاصطكاك وقرع الجسم الجسم او قلعه ان صح
عنه فصيبه قرع او قلع فيحدث الصوت فيحمله الهواء ويؤديه الى السامع
الناس فيتفاهمون به حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار وتحدث الاصوات
العظيمة من حركاتهم فلو كان اثر هذه الحركات والاصوات تبقى في الهواء
كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم ولعلم الضرير به واشتدت
مؤونته واحتاج الناس الى محو من الهواء والاعتياد له اعظم من حاجتهم
الى الاعتياد الكتاب المكتوب فان ما تلقى من الكلام في الهواء اضعاف
اضعاف ما تودع القراطيس فاقتضت حكمة العزيز الحكيم ان جعل
هذا الهواء قرطاسا حفيا بحمل الكلام تؤديه ايدي الحاجة لمن يريد
فيعود حديثا لقيا لا شيء فيه فيحمل ما حمل اول وقت فصل ثم تامل
خلق الارض على ما هي عليه حين خلقت واقفة ساكنة لتكون مهادا ومستقرا
للحيوان والنبات فلا تمتنع ولا تمتنع ومثل الحيوان من الناس في التعيش عليها
في مآربهم والجلوس لراحاتهم والنوم لهدوهم والتمكن من اعمالهم ولو كانت
كرجاجة متكفية لم تتطيعوا على ظهرها قرارا ولا هدوا ولا بنيت
لهم عليها بنا ولا امكنهم عليها صناعة ولا تجارة ولا حراثة ولا مصلحة وكيف
كانوا تهنأون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيبهم
من الزلازل على قلتها كيف يصيرهم الى تركها منازلهم والهرب عنها
وقد دلت على ذلك تعالى بقوله التي في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله الله
الذي جعل لكم الارض قرارا وقوله الذي جعل لكم الارض مهادا وفي
القراءة الاخرى مهدا وفي جامع الترمذي وغيره من حديث انس ان ناقة
عند النبي صلى الله عليه وسلم قالت انا خلقت هذه الارض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها
عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب فهل من خلقك

والحقيقة وكل ذلك اتفاقا من غير فاعل ولا مقيم ولا مدبر أفترى يا عقول
أن عقلك في ذلك لوطن وما الذي يفتقر به وما الذي يشد عقاله
ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوبا غبية لا تعقل بها فلا ترى
هذه الآيات الباهرة الأدلة الجهيرة كما خلق عيونا عمياء
لا بصائر لها فالشمس والقمر والنجوم دائبة وهي تجري لها فإذا نبهها
أن تفكر فيها وتحدثها فهي تقول في ضوئها وهذا الليل ولكن أصحاب الألباب
لا يعرفون شيئا ولقد حق القائل

وهبني قلت هذا الصبح ليل ... يقول العالمون عن الصباح

فصل تأمل المشكل للسموات والأرض المحيط بهما أين ابتدأ ولا
أو بقاها أو يتعطل ما فيهما أفترى من المشكل ذلك ومن المحيط الذي
القيم بأمر ومن المقيم لها لو تعطلت بعض الآلهة الذي لا يعلم
والخليقة العظيمة من عالم يطلع وبعيده ويغيب وهذا كان عند الملك علام
من الحيلة في رده كما كان هو الذي أمسك السموات والأرض أن تزولا
عليهم الليل سرمدا أمن ذا الذي كان يطلعها عليهم ويأتيهم بالنهار ولو
حبسها في الأفق ولم يسيرها الذي كان يسيرها فمتى كان يأتيهم الليل
لو زالت السماء والأرض لم يكن يمسكهما من بعد فصل تأمل
تأمل هذه الحكمة البالغة في الحر والبرد وسائر الحيوان والنبات عليها
وتفكر في دخول الحر على الأخر بالتدريج والمهل حتى يبلغ نهايته ولو دخل
عليه مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأهلكها وبالنبات كما الحج الخل
من حار مفرط الحرارة إلى مكان مفرط البرد ولولا العناية والحكمة
والرحمة والإحسان لكان ذلك فكان قلت هذا التدريج والمهل أنا
كان لا يطاق تأثير الشمس فانتفاعها واختفاضها قيل لك فالتأثير
بعد الانحطاط في الارتفاع فكان قلت التأثير في هذا المسافة
ولا تزال الشمس موجهة عليك كلما عدت شيئا منها تقضي بحال الحادثين
أما مكابر ظالم ودعوى أن ذلك اتفاق من غير مدبر ولا مقدر وكما الاعتراف
برب العالمين والإقرار بوجوده الثبوت والأرضين والحيوان والنبات
العقل من القائلين بأن هذين الشيئين ما علما أبدا فلا تتبع هذه الحالات

الحادي

الملحدين فإنها عند من عرفها من هوس الشياطين وخيالات المبطلين
وإذا طلع فجر الهدى وأشرقت شمس النبي وعساكر تلك الخيالات
والوساوس تنجلي أول النهار ويأتي الله منها بنور ولو كره الكافرون

فصل تأمل الحكمة في خلق النار على ما هي عليه من الكمون
والظهور فإنها لو كانت ظاهرة أبدا كالماء والهواء كانت خرق العالم وتنشر
وتعظم الضرر بها والمفسدة ولو كانت كامنة أبدا لفاتت المصالح المقترنة
بوجودها فاقتضت حكمة العزيز الحكيم أن جعلها مخزونة في الأجسام
كمونها وتفيها الرجل عند حاجته إليها فيقتبسها ويستمدها منها
من الحطب فتخمد فلا تزال حاضرة ما احتاج إلى بقائها فإذا استغنى عنها
وترك حبسها بالمادة خمدت بإذن ربها وفاطرها فتقطعت المؤنة والمضرة
ببقائها فسبحان من سخرها وأنشأها على تقدير محكم يجتمع فيه الانتفاع
والامتناع والملاءمة للصنعة قال تعالى أفرأيتم النار التي تورون أأنتم
أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
فسبح باسم ربك العظيم فسبحان ربنا العظيم لقد تعرف إلينا بآياته وشفانا
ببيناته وأغنانا بها عن دلالات الفلاسفة فأخبر سبحانه أنه جعلها تذكر
تذكرنا بها الآخرة فنستحيي منها ونهرب إليه منها ومتاعا للمقوين
وهم المسافرون النازلون بالقواء وهي الفلاة وهي الأرض الخالية وهم
أحوج إلى الانتفاع بالنار للطاهي والطبخ والخبز والدفء والأنس
وغير ذلك فتأمل حكمة الله تعالى في كون خص
بها الآدميين دون غيرهم من الحيوانات ولا حاجة بالحيوان البهائم
الافتباس فإنه لو فقدها لعظم الداخل عليه في معاشه ومصالحه وغيره
من الحيوانات لا تنتفع بها ولا تنتفع بها وتنتبه من مصالح النار على خلقه
صغيرها القدر عظيم النفع وهي في هذا المصباح الذي تنتفع به الناس
وتقضون به من حوائجهم ما شاء وأمن ليلهم ولولا هذه الحيلة لكان الناس
بصددا عاجزهم مثل أصحاب القبور فمن كان يستطيع كتابا وخياطة
أو صناعة أو تصرفا في ظلمة الليل الداجي وكيف كانت تكون حال
من عرض له وجع في وقت من الليل فاحتاج إلى ضياء أو دواء أو استراحة
دم أو غير ذلك فانظر إلى هذا النور المجعول في ذبالة المصباح على صغر جوهره

شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي يلبس العالم كالثوب فيتكون تحته ليله بارده ثم ورود جيش الضيا
يقدمه بشير الصباح فينهزم عنه الظلام وتنتشر الحيوان وينشط
ذلك الباش بحكمته اية اخرى منه في الشمس التي هي اية النهار وفيه
القمر الذي هو اية الليل اية اخرى وفي النجوم ايات اخر كما قدمناه هذا
مع ما منعها من الايات المقارنة لها من الرياح واختلافها وسائر ما بث الله
فيها ايات اخر فالموضع موضع جمع وحصر هذه الايات باهل العقل لانها
اعظم مما قبلها وادل واكثر والاولى بالباب لهذه ممن استدل بهذه الايات
واعطاها حقها من الدلالة استحق من الوصف فوق ما تتحفه صاحب الفكر
وهو العقل ولان منزله العقل بعد منزله الفكر فلما دلهم بالاية الاولى على
الفكر تقلبهم بالايات الثانية التي هي اعظم منها الى العقل الذي هو فوق
الفكر فتامل وامر ولي في الاية الثالثة ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
فوحد الاية وخصها باهل التذكر فاما توحيدها فلتوحيد الاول اي
فان ما ذرأ في الارض على اختلافه من الجواهر والنبات والمعادن والحيوان
كلها في محل واحد ومقر واحد هو نوع من انواع اياته وان تعددت اصنافه
وانواعه واما تخصيصه اياها باهل التذكر فطريقه القران في ذلك ان
جعل اياته للتبصر والتذكر كما قال تعالى في سورة ق والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب فالتبصر للعقل والذكرى للذكر والفكر
باب ذلك ومدخله فاذا فكر تبصر واذا تبصر تذكر في الذكر في الاية
لترتيبه على العقل المرتب على الفكر فقدم الفكر اذ هو الباب والمدخل
ووسط العقل اذ هو من الفكر ونتيجته واخر التذكر اذ هو
المطلوب من الفكر والعقل تامل ذلك حق التامل فان قلت
فما الفرق بين التفكر والتذكر فاذا بين الفرق ظهرت الفايدة قلت
التفكر والتذكر اصل الهدى والصلاح وهما قطبا السعادة ولهذا
وسعنا الكلام في الفكر في هذا الوجه لعظم المنفعة وشدة الحاجة
اليه قال الحسن ما زال اهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر والتفكر

على

التذكر وناطقون القلوب حتى نطقت فاذا لها استماع وابصار فاعلم
ان التفكر طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم من امر هو حاصل
منها هذا حقيقته فانه لو لم يكن ثم مراد تكون موردا للفكر استحال
الفكر لان الفكر بغير متعلق متفكر فيه محال وتلك المواد هي الامور
الحاصلة ولو كان المطلوب بها حاصلا عنده لم تفكر فيه فاذا عرف
هذا فالمتفكر يتنقل من المقدمات والمبادي التي عنده لمتفكر الى
المطلوب الذي يريده فاذا ظفر به وحصل تذكر به وابصر مواقع
العقل والشرع وما ينبغي اعتقاده وما ينبغي اجتنابه فالتذكر هو المقصود
بالتفكر وثمرته فاذا تذكر عاد يتدبر ما تفكر فيه فاستخرج به
ما لم يكن حاصلا عنده وهو لا يزال يفكر ويتفكر على تذكره ويتذكر
على تفكره ما دام عاقلا لان العلم والارادة لا ينفك به على حد
هو واحد اما سائر انواع العلم والارادة فقد عرفت معنى قول
الرب تبارك وتعالى بعض ذكرى تصورها من عمل القلب وتذكر
بها من غفلته قال الشاهد للعلم اما عمل القلب وزواله بالتبصر واما
غفلته وزواله بالتذكر والمقصود تنبيه القلب من زلته بالاشارة
الى شيء مما تحت بعض ايات الله ولو هنا تتبع ذلك لتبعد البيان
ولم نحط بتفصيل واحدة من ايانه على التمام ولكن لا بد من ذكر جمل
وعجايب صنعه والاستدلال منها الى تعلق القلب والتهته دون
شيء من حلوقانه فصل تمثل العقل الواحد ما تقول
في دولاب يدور على محور قد احكمت آلاته واحكمت تركيبه وقدرت
ادواته احسن تقدير وابلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللا في هيئته
ولا في صورته وتدبعجل على حليته عظيمة فهام من كل انواع التماثيل
شيئا حاضرا وفي الحديقة من صورها كل شيء وبعض
مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع اصلها فالعقل يشهد لا تتمثل
ثمارها وتنشئ ما بها عن الماء الذي يسقيها فانه وصورا
فهو تسير لكل صنف منهم ما يليق به وبقيه هذا على ما ترى هذا
اتقانا لا صانع واختيارا لا مدبر يتعلق وجود هذه الدولاب

عليه لانها انما تقاس بسير المنتقله منها بالذات كما يقاس سير السائر
على الارض بالمنازل التي يمرون عليها فلو كانت كلها حالا واحده لاختلفا
نظامها ولبطلت الحكم والفوائد والدلالات التي في اختلافها ولتشابهت
المعطل بذلك وكل لو كان ما عليه ومبدعها محتاجا الهكم على واجبه
واحد وامر واحد وقدر واحد فهذا الترتيب والنظام الذي هي عليه من
ادل الدلايل على وجود خالقها وقدرته وارادته وعلمه وحكمته وحديثه
فصل ثم تامل هذا الفلك الدوار بشمسه وقمره ونجومه وبروجه
وكيف يدور على هذا العالم هذا الدوران الدايم الى اخر الاجل على هذا
الترتيب والنظام وما في ذلك من اختلاف الليل والنهار والفصول والحر
والبرد وما في ضمن ذلك من مصالح ما على الارض من اصناف الحيوان والنبات
وهل يخفى على ذي بصيرة ان هذا ابداع المبدع الحكيم وتقدير العزيز
العليم ولهذا خاطب الرسل امهم مخاطبة من لا شك عنده في ان
وانما دعوهم الى عبادته وحده لا الى الاقرار به فقالت في الشك فاطر
السموت والارض فوجوده سبحانه وربوبيته وقدرته اظهر من كل
شيء على الاطلاق فهو اظهر للبصاير من الشمس للابصار وليس للعقول
من كل ما يعقل وتقر بوجوده وتنكر الاحكام بانه وفطرته وعقله
وفطرته وكلها تكذبه وقال الله تعالى انا الذي رفع السموت بغير
عمد ترونها ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم
توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل
الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض
في الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقال تعالى ان في السماوات
والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون
واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض
بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق فباي حديث بعد الله وايته يومنون وقال تعالى خلق السماوات

بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل
دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فاروني
ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين وقال تعالى خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرووف رحيم والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل
ومنها جاير ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب
ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن
كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا
لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر
لناكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وتامل كيف وحد سبحانه الاية
من قوله هو الذي انزل من السماء لكم منه شراب الى اخرها وختمها
باصحاب الفكر فان ما توحيد الاية فلان موضع الدلالة واحد وهو الماء الذي
انزله من السماء فاخرج به كل ما ذكر من الارض وهو على اختلاف انواعه
لقاحه واحد وامه واحده فهذا نوع واحد من انواع اياته واما خصيصه
ذلك باهل الفكر فلان هذه المخلوقات التي ذكرها من اي فلان الموضع
موضع فكر وهو نظر القلب وتامله لا موضع نظر محرد بالعين فلا تنفع
الناظر بمجرد رويه العين حتى ينتقل منه الى نظر القلب فيحكم ذلك
وبديع صنعه والاستدلال به على خالقه وباريه وذلك هو الفكر بعينه
واما قوله في الاية التي بعدها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الايات
لانها تضمنت الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهي ايات متعددة
مختلفة في نفسها وخلقها وكيفيتها فان اظلام الجو بالغروب ومجيء الليل

عليها الفصول الاربعة وتكون فيها اعتدال الخريفي والربيعي
ثم تامل انارة القمر والكواكب في ظلمة الليل والحكمة في ذلك فان الله تعالى اقتضت
حكمته خلق الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على الابدان والنبات وتتعادل
حرارة الشمس وبرودة الحيوان والنبات فلما كان ذلك مقتضى حكمته شاء
الليل شيء من الانوار ولم يجعل ظلمة داجية حندسا لا ضوء فيه اصلا فكان
يتمكن الحيوان فيه شيء من الحركة والاعمال ولما كان الحيوان قد يحتاج في الليل
الى حركة وسير وعمل لا يتهيأ له بالظلمة الخالصة الى ما ولشدة احتياجه
الخوف بالليل كما لا يخفى من الحيوانات جعل في الليل من ضوء الكواكب وضوء
القمر ما يتأتى فيه معه اعمال كثيرة من السفر والحرث وغير ذلك من اعمال اهل
الحروث والزروع فجعل ضوء القمر بالليل معونة للحيوانات على هذه الحركات
وجعل طلوعه في بعض الليالي دون بعض مع نقص ضوء عن ضوء الشمس ليلا
يستوي الليل والنهار فتفوت حكمة الاختلاف منهما والتفاوت الذي
قدره العزيز العليم تتامل الحكمة البالغة والتقدير العجيب الذي اقتضى ان
يعان الحيوان على دولة الظلام بنور يستعين به على هذه الدولة المظلمة
ولم يجعل الدولة كلها ظلمة صرفا بل ظلمة مشوبة بنور دعة منه واحسانا فسبحان
من اتقن ما صنع واحسن كل شيء خلقه
ثم تامل حكمته تبارك
وتعالى في عدد الكواكب وكثرتها وعجيب خلقتها وانها زينة للسما وادلة يهتدى بها
في ظرف البر والبحر ليجمع بها جعل فيها من الضوء والنور بحيث يمكن رؤيتها مع البعد
المفرط ولو لا ذلك لحصل لنا بها الاهتداء او الدلالة ومعرفة الوقت ثم
تامل تسخيرها منقادة بامر ربها تبارك وتعالى جاريه على سنن واحد اقتضته
حكمته وعلمه لا تخرج عنه فجعل منها البروج والمنازل والثوابت والسيارة
والكبار والصغار والمتوسط والابيض والازهر والاصفر ما يخفى على الناظر فلا يدركه وجعل منطقة البروج قسمين مرتفعة ومنخفضة
وقدر سيرها تقديرا واحدا وسير الشمس والقمر والسيارات مهما منازل لا تعدوها
ما تقطعها في شهر واحد وهو القمر ومنها ما تقطعها في عام ومنها ما تقطعها
في عدة اعوام كل ذلك موجب الحكمة والعناية وجعل ذلك اسبابا لامور عديدة
سبحانه في هذا العالم فتستدل بها الناس على تلك الحوادث التي تقارنها المعتادة منهم
ما يكون مع طلوع الثريا اذا طلعت وغروبها اذا سقطت من الحوادث الى
تقارنها وكذلك غيرها من المنازل والسيارات ثم تامل جعله سبحانه بنات نعش

وما

وما قرب منها ظاهر لا يغيب لقربها من المركز ولما في ذلك من الحكمة الالهية
وانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر
فهم ينظرون اليها والى الجدي والفرقدين من كل وقت اراد وامن الليل يهتدون
بها حيث شاؤا
فصل
ثم تامل اختلاف سير الكواكب وما فيه من
العجايب كيف تجد بعضها ابطأ سيرا لاجل رقته لا ينفرد عنهم سنين بلدا
بل لا يسيرون الا جميعا وبعضها يسير شيئا ما لطافا غير مقيد بترتيب
ولا صاحب بل ان اتفق له مصاحبته في منزل كالقمر قيد ليلة وفارقه
الليلة الاخرى فيبقى منزل رفيقه وقرينه اذ رأيتها مفترقين متباعدين
كانها لم تتصاحبا قط وهذه السيارة لها في سيرها مسيران مختلفان
غاية الاختلاف سير تعلم بين بها فلكها وسير داش بين بها
فلكها كما شهد ولذلك نسبه الله تعالى الى الشمس والقمر
اليسير ظلمة فلك خرجتان مختلفتان الى جهتين متباينتين احداهما
شتوية والاخرى مصرفة عليها سعيا للروح تجذبها الى غير جهة مقصد
وذلك بحمل المقدم منها كل منزل الى جهة الشرق ثم تسير بالكل وبمنزلها
الى جهة الغرب فسبحان العليم الحكيم الى طبيعة اقتضت هذا
واي شيء وجبه وهل كانت كذلك لمانعة او مشغل او على اضطرار واحد
وشكل واحد وحركة واحدة وجريان واحد وهل هذا الا صنع
بهرت العقول حكمته وشهدت بعلوه وعظمته ومتقنه بانه الخالق
البارئ المصور الذي احسن كل شيء خلقه واتقن كل صنع وانه
العليم الحكيم الذي خلق فسوى وقدر فهدى وان هذه احدى اياته
الدالة عليه وعجايب مصنوعاته الموصلة الابصار اذا استنارت
فيها اليه وانطلق مستخبر مربوب مدبر ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل
النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين فلم تلتفت عما الحكمة
في كون بعض النجوم ثابتا وبعضها متنقلا مع ان الثوابت كلها
ثابتة لبطلت الدلالات والحكم التي نشأت من تنقل المتنقل
في بروجها ولو كانت كلها متنقلة لم يكن ثم منازل يعرف بها ولا يهتدى بها

الازمنه والفصول الباقيه فيه فلو كان صيفا كله لفاتت منافع الشتا
ولو كان شتاء كله لفات منافع الصيف وكذلك لو كان ربيعا كله
او خريفا كله ففي الشتا تغور الحراره في الاجواف وبطون الارض
والجبال فيتولد المواد الثمار وغيرها وتبرد الظواهر وتستكن
الهوا فيه فيحصل السحاب والمطر والثلج والبرد الذي به حياه
الارض واهلها واشتداد ابدان الحيوان وقوتها وتزايد القوى
الطبيعيه واختلاف ما يحلل حراره الصيف من الابدان وفي الربيع
تتحرك الطبايع ويظهر المواد المتولده في الشتا وتظهر النبات وتتزين
الشجر بالزهر وتتحرك الحيوان للتناسل وفي الصيف تحتد الهوا
وتسخن جدا فينضج الثمار وتتحلل فضلات الابدان والاخلاط التي
انعقدت في الشتا وتغور البروده وتهرب الى الاجواف ولهذا تبدد
العيون والابار ولا تهضم المعده الطعام التي كانت تهضمه في الشتا
من الاطعمه المغلظه لانها كانت تهضمها بالحراره التي استكنت في البطون
فلما جا الصيف خرجت الحراره الى ظاهر الجلد وغارت البروده فيه فلذا
جا الخريف اعتدل الزمان وصفا الهوا وبرد قليلا فتذكر ذلك للصوم
وعلم الله حكمة بتوزيعها بين فصول الصيف وبرد الشتا ليسهل انتقال الحيوان
وهلة واحده من الحر الشديد الى البرد الشديد فيجد اذاه وبعظم
ضرره فاذا انتقل اليه تدريج وترتيب لم يصعب عليه فانه عند كل
جزء يستعد لقبول ما هو اشد منه فتي ما تي جهنم البرد بعدا استعداد
ويقول حكيما لغه وايه باهر وكذلك التبريخ بتوزيع بين الشتا والصيف
ينتقل فيها الحيوان من برد هذا الى حر هذا بتدريج وترتيب فتبارك
الله رب العالمين واحسن الخالقين فحصل ثم تامل حال
الشمس والقمر وما اودعاه من النور والاضاء وكيف جعل لهما بروجا
ومنازل يسيرا لانها مرحله بعد مرحله لاقامه دولة الليل والنهار وتمام مصالح
جناب العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذره في مصالحهم عنه فبذلك يعلم حساب
الاعمار والاجال المؤجله للكائنات والاحداث والمعاملات والعقود
وغير ذلك فلو لا حلول الشمس والقمر في تلك المنازل وتنقلهما فيها متوالي
بعد متوالي لم يعلم شيء من ذلك وقد نبه تعالى على هذا في غير موضع من
كتابه

كتابه بقوله هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون
وقوله وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا ايه الليل وجعلنا ايه النهار
مبصره لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب
فصل ثم تامل الحكمه في طلوع الشمس على العالم كيف قدره
العزيز العليم سبحانه لانها لو كانت تطلع في موضع من السما فتقف فيه
ولا تعدوه لما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لان الارض حواجز كرويه
تحجبها عن الجانب الاخر فكان نصف الليل دايما سرمدا على من لم تطلع عليهم
والنهار دايما سرمدا على من هي طالعه عليهم فيفوت هولا وهولا فاقتضت
الحكمه الالهيه والعنايه الربانيه ان قدر طلوعها من اول النهار من المشرق
فتشرف على ما تحاذيها من الافق الغربي ثم لا تزال تدور وتمشي جهة بعد
جهه حتى تنتهي الى المغرب فتشرف على ما استترت عنها في اول النهار فيختلف
عندهم الليل والنهار وتنتظم مصالحهم فصل ثم تامل الحكمه
في مقادير الليل والنهار وتخصيصها على غايه المصلحه والحكمه وان مقدار اليوم
والليله لو زاد على ما قدر عليه او نقص لفاتت المصلحه واختلت الحكمه كذلك
بل جعل عليها اربعه وعشرين ساعه وجعلها شفعا وضاعف الزياده والنقصان
فيها في زمن يسير في احدهما من الاخر يعود الاخر بتدريج منه كما قال تعالى يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وفيه قولان احدهما ان المعنى ندخل
ظلمه هذا في مكان ضيا ذاك وضيا هذا في مكان ظلمه الاخر فيدخل كل واحد
منهما في موضع صاحبه وعلى هذا التي عاده في كل ليله ونهار والقول الثاني
انه يزيد في احدهما ما ينقصه من الاخر فما نقص منه بدل في الاخر لا يذهب
جمله وعلى هذا فلا يخلو خاصه بعض ساعات كل من الليل والنهار عن
زمن الاعتدال في خاصه في الزمان وفي مقدار ما يعالج في احدهما من الاخر
وهو في الاقاليم المعتدله ما ينتهي الى الزياده خمس عشره ساعه فيصير
الاخر تسع ساعات فاذا زاد على ذلك لعرف ذلك الاقليم في الحار
او البارد الى ان ينتهي الى حد لا تسكنه الانسان ولا تكون فيه النبات
وكل موضع لا تقع عليه الشمس لا يعيش فيه حيوان ولا نبات لفرط برده
وثلجه وكل موضع كذلك لفرط حره ويبسه والمواضع التي يعيش فيها الحيوان
والنبات هي التي تطلع عليها الشمس وتغيب واعدلها المواضع التي تعاقب

لاتفارقهم

وان الخالق لا يستحيل ان يكون اثنين بل الواحد الا له الا هو تعالى عما
يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وانه لو كان في السماوات
الهة غير الله لفسدتا ولم تنتظم امورهما واختل نظامهما وتعطلت منافعهما واذا
كان البدن يستحيل ان يكون المدبر له روحان متكافيان قتالا وبيان
ولو كان ذلك لفسد وهلك فكيف امكان ان يكون تحت قهر ذلك فكيف
يمكن ان يكون المدبر لهذا العالم العلوي والسفلي اثنين متكافيين متنازعين
ليسا تحت قهر ثالث هذا من المحال الذي دليل العقول وبداية العقل وكل
فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان رب العرش عما يصفون لا احد الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فهذان
برهانان بحجة الاولون والاخرون ان يتقدموا بمثلهما تقدح صحيح او يلتوا
بما خير منهما ولا معارض عليهما الا من لم يفهم المراد منهما ولو فهمه لادرك
لادرك تقريرهما وبيان ما تضمناه من الدر العجيب والبرهان الباهر

فصل تامل خلق السماوات وارجع البصر فيها كرتين يعد اليك
كيف ترى من فطور الايات في علوها وارتفاعها وسعتها وقد رها بحيث
لا تصعد عليها الطير ولا تهبط نازلة لاجرام الثقيلة ولا تخترقها ولا
طاقة قوة بل هي بسقوفه محفوظ الذي يمنع الصعود والنزول
ثم تامل اعتدالها واعتدال الهواء فيها لا تجد فيها ولا فطور ولا شقوق ولا انخراق ولا
عوج ثم تامل ما وضعت عليه من هذا اللون الذي هو احسن الالوان
واشدها موافقة للبصر وتقويه لاحتى ان من اصابه شيء من تحسين يؤثر
ما دام النظر الى الخضرة وما قرب منها الى السواد وقد علم ان من
كمال الحيوان انه متى حدث به ان يرى الا ضداد في محل واحد كان
طبيعة جعل لون ما يقابل هذا اللون ليست الاعين المقابلة فيه لا تتعبها
فيها بطول ما تشتهيها له هذا بعض ما في هذا اللون والعلم فيه اعم من ذلك

فصل ثم تامل حال الشمس والقمر في طلوعهما وغروبهما
لانا سمعوا في الليل والنهار وادارا طلوعها لتطلع امرا لها وكيف كان
الناس يتصرفون في معاشهم ومصالحهم في تردد هما والذي يطلع عليهم
وكيف كانوا متهيئين للعيش مع فقد النور ثم تامل الحكمة في غروبها

فانه

فانه ولا عروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع توطد الحاجة الى السبات
وجموم الحواس وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم
المعينة على هضم الطعام وتنفيذ الغذا الى الاعضاء لولا الغروب
لكانت الارض حتى يدوام شروق الشمس واتصال طلوعها حتى يحترق
كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت تطلع وقتا بمنزلة السراج يرفع
لاهل البيت ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويهدوا
وصار ضيا النهار مع ظلام الليل وحر هذا مع برد هذا مع تضادهما
متعاونين متظاهرين بهما قام مصالح العالم وقد اشار تعالى الى هذا
المعنى وتنبيه عباده عليه بقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضيا افلا تسمعون قل ارايتم ان
جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون وخص النهار بذكر البصر لانه محله
وفيه سلطان البصر وتصرفه وخص الليل بذكر السمع لان سلطان السمع
يكون بالليل وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع في النهار لانه وقت
هدو الاصوات وخمود الحركات وقوي سلطان السمع وضعف سلطان
البصر والنهار بالعكس فيه قوي سلطان البصر وضعف سلطان
السمع فقوله افلا تسمعون راجع الى قوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم وقوله افلا تبصرون
راجع الى قوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا وقال تعالى
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وذكر تعالى خلو الليل والنهار وانهما خلفة اي خلف احدهما الاخر
يجتمع معه ولو اجتمع معه لفاتت المصلحة بتخالفهما واختلافهما وهذا
هو المراد باختلاف الليل والنهار كون كل واحد منهما مخالفا الاخر
لا مجامعا ولا مخالطا بل يغشى احدهما صاحبه فيطلبه حثيثا حتى
يزيله عن سلطانه ثم يجي الاخر عقيبه يطلبه حثيثا حتى يزيله
عن سلطانه فهما دائما متطالبان ولا يدرك احدهما صاحبه

ثم تامل عدد ذلك احوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها لاقامة هذه

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاذا حبس عنها الغايد والتابين ظلت راكدة على وجه الماء لا تعالى ومن
اياته المواخر في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره
ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقال تعالى انه الذي سخر البحر لتأكلوا منه
لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون فيما اعطاهم من ايه وما اتاهم من دلائل ولهذا يليه
سبحانه وتعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
اذن واعية فتأمل ومن اياته سبحانه خلق الحيوان تعالى المختلفة اصنافه
واجناسه واشكاله ومنافعه والوانه وعجايبه الودعة فمنه الماشي على
بطنه ومنه الماشي على رجليه ومنه الماشي على اربع ومنه ما جعل سلاحه في
رجليه وهو الديك والمخالب ومنه ما سلاحه المناقير كالنسور والرخم والغراب ومنه
ما سلاحه الاسنان ومنها ما سلاحه الصياصي وهي القرون يدافع بها عن
نفسه من يريد اخذه ومنها ما اعطي فوق يدفع بها عن نفسه لم يحتج الى سلاح
كالاسد فان سلاحه قوته ومنها ما سلاحه في ذرقه وهو نوع من الطير اذا دنا
منه من يريد اخذه ذرق عليه فاهلكه ونحن نذكر هنا فصولا ستة في
هذا الباب مختصرة وان تضمنت بعض التكرار وان كانت غير مرتبة
كالاصيل لتكرار وترك الترتيب في هذا المقام الذي هو من اهم فصول الكتاب
بل هو لب هذا القسم الاول لهذا تكرر في القرآن ذكر ايائه وتعيبها وبيانها
وامر عباده بالنظر فيها مرة بعد اخرى فهو من اجل مقاصد القرآن قال تعالى
قل انظروا ماذا في السموت والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب وقال تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف
رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت وقال او لم ينظروا في
ملكوت السموت والارض وما خلق الله من شيء وقال ان الله فالق الحب
والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق
الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم
وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا
الايات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
قد فصلنا الايات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات
كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان

دانية

دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه فاسرعها بالنظر اليه وقت خروجه واثمار
ووقت نضجه ولذاكره تعالى اينعت الثمار اذا انضجت وطابت لاوان خروجه
من بين الحطب والورق اية باهرة وقدرة قاهرة ثم في خروجه من حد
العقوصة والنواة والمرارة والحموضة الى ذلك اللون المشرق الناصع
والطعم الحلو اللذيذ الشهي لايات لقوم يومنون وكل بعض السلف
حق على الناس ان يخرجوا وقت ادراك الثمار وينعها فينظروا اليها ثم تلى
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ولو اردنا ان نتتبع ما في ايات الله
المشهوده من العجايب والدلالات الشاهده لله سبحانه الله الذي لا الا
هو الذي ليس كمثله شيء انه الذي لا اعظم منه ولا اكمل ولا ابر ولا الطف
لعجز ناطق الاولين والاخرين عن معرفة ادنى شيء من شيء من ذلك ولكن
ما لا يدرك جميعه لا يسقط ترك التنبيه على بعض ما يستدل به على ذلك
وهذا حين الشروع في الفصول فصل تامل العبرة في وضع
هذا العالم وتاليف اجزايه وتلطفها على احسن نظام واتقنه على كمال اقدر
وكمال علم وكمال حكمة وكمال لطفه فانك اذا تاملت العالم وجدته كاليت
المبني المعد فيه جميع الالة ومصالحه وكل ما يحتاج اليه فانظر الى سقفه
المرفوع عليه والارض مهادا وبساطا وفراشا ومستقرا لك كن
والشمس والقمر سراجان يزهران فيه والنجوم مصابيح له
وتربيته وادلته للمستدل في طرق هذه الدار والجواهر والمعادن
مخزونة فيه كالذخاير والحواصل للمعده المهيأة لكل شيء منها لشانه
الذي يصلح له وضروب النبات مهيأة لما يراد به وصنوف الحيوان
مصروفة في مصالحه منها الركوب ومنها الحلوب ومنها الغذا ومنها
الدوا ومنها اللباس والامتعة والالات ومنها الجنس الذي دخل العالم
الانسان بحرمته وهو ناطق وتامل ما هو مشتغل لاهلا فاذا فعلوا
ما استطاعوا عليه من هذه الجملة الا ان تراه بفهم وجعل الانسان في العالم
المخول لهذا الحكم فيه المتصرف فيما فيه والرئيس على هذا المعلم الاعظم
علم ان العالم مخلوق لخالق حكيم عليم قدير قد احسن تقدير ونظام

وجود الماء وهذا وامثاله تعرف الله عز وجل وتشكره وتحمده وتضرع اليه
وتسأله من آياته وعجايب مصنوعاته البحار المكتنفة لاقطار الارض
التي هي كالجفان من البحر المحيط الاعظم بجميع الارض حتى ان المكشوف من الارض
والجبال والمدن بالنسبة الى الماء كخرزات صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض
مغمورة بالماء ولولا ان الله تبارك وتعالى لم تلاده ومشيته وحكمته
الملطخ على الارض وعلاها كلها هذا طبع الماء ولهذا جاء عقلاء الطبايعيين
في تبيين وهذا الجزء من الارض مع اقتضاء طبيعته الماء المستولي عليه
وان يغمر ويجر واما نجلون عليه ذلك الا الاعتراف بالعناية الالهية
والحكمة اللاهية التي اقتضت ذلك ليعيش الحيوان الارضي في الارض
وهذا حق وذلك يوجب الاعتراف بقدرة الله تعالى وارادته ومشيته وعلمه
وحكمته وصفات كماله ولا محيص عنه وفي مسند الامام احمد عن النبي صلى الله عليه
انه قال ما بين السماء والارض بحران يعرق بني آدم وهذا احد الاقوال
في قوله تعالى والبحر المسجور انه المحبوس حكاه ابن عطيه وغيره وعلوا ومنه
شاجور الكلب وهي القلادة من عود او حديد الذي يمسكه ولذلك
لولا ان الله سبحانه يحبس البحر ويمسكه لفاض على الارض والارض في البحر كبيت
في جملة الارض واذا تأملت عجايب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف
اجناسها واشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها والوانها حتى ان منها
لحيوانا اشال الجبال لا يقوم له شيء حتى ان فيه من الحيوانات ما يرى ظهورها
فتظن انها جزائر فينزل الركاب عليها فتحتبل النار اذا اوقدت فتتحرك حيلن
فيعلم انه حيوان ومن صنف من اصناف البر الا في البحر اشاله الحتى
الانسان والفرس والبقر واصنافها وفيه اجناس لا يعهد للبشر
في البر اصلا هذا مع ما فيه من الجواهر واللولو والمرجان فترى اللولو
كيف اودعت في كن كاليت لها وهي الصدفة تحفها وتحفظها
ومنه اللولو المكنون وهو الذي في صدفة لم تمسه الايدي وتأمل
كيف نبت المرجان في قعر في الصخر الصلب تحت الماء على هيئة الشجر
هذا مع ما فيه من العنبر واصناف النفايس التي تقذفها البحر وتستخرج منه
ثم انظر الى عجايب التفريق بينها في البحر تشقه وتمخر بلا قايد يقودها ولا
سايق يسوقها وانما قايدها وسايقها الريح التي تسخرها الله لاجرايها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فافردت هنا وجمعت في التوبة انه سبحانه اعطى هذا للمخلوق اللطيف
الذي يحركه اضعف المخلوقات وحرفه بين الشده والقوه والبأس
ما تعلق به الاجسام الصلبه القويه الممتنعه وبرعها عن اماكنها وبقيتها
وحملها على متنه فانظر اليه مع لطافته وخفته اذا دخل في الرئ مثلا
وامتلاءه ثم وضع عليه الجسم الثقيل كالرجل وغيره والحامل عليه لبغته
في المال يطق ويضع الحديد الصلب الثقيل على وجه الماء وترسب فيه
ولا يمتنع هذا اللطيف من تحمل هذا كله ولم يمتنع منه القوي الشديد
وهذه الحكمة احدث الله سبحانه الثلج على وجه الماء مع ثقله وثقل
ما يحويه وكل ذلك محمول في جوف الهوا فانه لا يرسب فيه لان الهوا
ممتنع من الغوص متعلق به المشحون الموقر فتامل كيف استحال
هذا الجسم الثقيل العظيم بهذا اللطيف الخفيف وتعلق به حتى امن
من الغرق وهذا كالذي يهوي في قليب فيتعلق بذيل رجل قوي شديد
يمتنع من السقوط في القليب فسبحان من علق هذا
المركب العظيم الثقيل بهذا الهوا اللطيف من غير علاقة ولا عمد
تشاهد ومن اياته السحاب المسخر بين السما والارض كيف
ينشيه سبحانه بالرياح فتثيره كقطع تولف بينه ويضم بعضه على بعض
ثم تلقحه الريح وهي التي يسميها سبحانه لواقح لانها حينئذ تحمله
المحتاجة اليه فاذا علاها واستوى عليها اهراق ماءه عليها فمن سبحانه
عليه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يوذي وتهدي ما
ينزل عليه بحملته حتى اذا رويت واخذت حاجتها منه اقلع عنها وقارنها
هي رواية الارض محموله على ظهور الرياح وفي الترمذي وعن ابن
النبي صلى الله عليه وسلم انه راى السحاب قال اتدرون ما هذا قالوا الله
ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض تسوقها الله الى
قوم لا يشكرونه ولا يذكرونه قال السحاب حامل ورق العيدان عليهم
التي عليها ميرتهم وكان الحسن رحمه الله اذا راى السحاب قال في هذا
والله رزقكم ولكنكم قوم منحطاما ذنوبكم وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل بفلاة من الارض اذ سمع صوتا في سحابه
اسق حديقة فلان فمر الرجل مع السحابه حتى افاضت على حديقة فلان توسطتها
افرغت مائها فاذا رجل معه مسحاة ينسحي الماء فقال له ما اسمك يا عبد الله

قال

قال فلان للاسم الذي سمعه في السحابه بالجلة فاذا ملك السحاب الكثيف
المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى
شيا واذا شاء ومتى شاء وجمع لينه ورخاوته حامل للثقيل من السما والارض
الى ان ياذن له ربه فيخالف في سيال ما معه من الماء ويرسله وينزله
مقطعا بالقطرات كل قطرة بقدر مخصوص اقتضته حكمته ورحمته
فيرسل السحاب الاعلى الارض رشا ويرسل قطرات مفصلة الاخلاط
قطرة منها باخرى ولا يتقدم شقيقها ولا يتاخر كل قطرة صاحبتها فتتراخ
بها بل تاتي كل واحدة في الطريق التي رسمت لها لا تعدل عنه حتى تصيب الارض
فكم قطر قد خلقت كل قطرة منها لجزء من الارض لا تتعداه الى غيره
فلو اجتمع الخلائق كلهم على ان يخلقوا منها قطرة واحدة او يحصوا عدد
القطر في حلقه واحده لعجزوا عنه فتامل كيف اسوقه سحابه رزقا
للعباد والدواب والطير والفار والنمل ستوقه رزقا لفلان الفلاني
في الارض الفلانية بجانب الجبل الفلاني فيصل اليه على شدة من
الحاجة والعطش في وقت كذا وكذا ثم كيف اودعه في الارض
ثم اخرج به انواع الاشجار والاقوات فهذا للنبات يعذى
وهذا يسقى الماء وهذا غذاه وهذا قوته وهذا يصفه وهذا
يسقيه الماء وهذا غذاه من الثمر وهذا يرعى وهذا دواء من الداء
يبرد وهذا يسخن وهذا اذا دخل في العلل قمع الصفرا من اعالي
العروق وهذا اذا دخل في العلل قمع البلغم واسكن الصفرا واسكن الدم
والسودا وهذا يسهل بهما وهذا يجمع الدم وهذا يسكنه وهذا
يسوم وهذا يسمن البدن وهذا يهزله وهذا يغلب الغم الى غير ذلك من عجايب
النبات التي لا تعد ولا تحصى ولا تنقضي ولا تفنى ولا تزول مع تتابع نجم
عقل الشرف احاطة وتفصيلا والتفات الى ما في ذلك من العبر
اللتي هي اشرف ما تصرف فيه اذا الشرف بقدر ما يتعلق به
كيف ستوى من يتامل في الجبال من حجر وشجر وحيوان وانسان
في ان كلا منها خلق على حدة وصفة وضيفة ثم يتعرف ما يتعلق بذلك
الى غايته لاجل ان يصير الى ان يكون حمل الشجر وتعلقه من حيث
هو حامل للثمر الذي يعجب من ابصره ويعجز عن احصاء منافعه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عباده الى النظر اليها والتفكر في خلقها فقال تعالى والارض فرشناها
فنعم الماهدون ٥ ايه الذي جعل لكم الارض فراشا ٥ افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما
كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت ان
في السموت والارض لايات للمومنين وهذا حث منه على الاعتبار
فانظر اليها وهي ميتة هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت فتحركت
وربت فارتفعت واخضوضرت وانبتت من كل زوج بهيج فاخرجت عجايب
النبات في الحسن والبهجة مختلفة الاشكال والالوان فاخرجت الاعوام
على اختلافها وتباينها متفاوتة في اشكالها والوانها وطعومها وروايحها والفوايد
والثمار وانواع الاقوات والادوية وسوى بين الدواب والطير فانظر الى قطعها
المتجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل
صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وكيف خلق منها الاشجار المختلفة
من عنقود نظم فيه الاء وكيف خلق منها من الماء الواحد طعوما شتى
الذي اتقن كل شيء لا اله الا هو ولولا ان هذا من اعظم اياته لما نبه
عليه عباده ودعاهم الى التفكر فيه فانظر الى السحاب كيف ينشيه الله
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله
هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية لا ريب
فيها وان الله يبعث من في القبور فجعل النظر في هذه الاية وما مثلها
من خلق الجنين دليلا على هذه المسئلة التي شككنا اللعين فيها ثم انظر
كيف احيى حيوانات الارض بالجبال المشتملة على المنافع الجمة الصلاب
وكيف نصبها فاحكم نصبها وكيف وقرها وجعلها اصلا لاجذا الارض
لئلا تميل على تطاول الازمان وتزايد الاثقال والرياح بل
انقن صنعها واحكم وضعها واودعها من المنابع والمعادن والعيون
ما اودعها ثم دعا الناس الى استخراج تلك المعادن منها والتهم
كيف يصنعون منها الحديد والحلي والسيف والمباشر والسلاح
والات المعاش على اختلافها ولولا هدايته سبحانه لهم الى ذلك لكان
لهم

لهم الى ذلك لما كان لهم علم بشيء منه ولا اقدره عليه ومن اياته الباهرة
هذا الهواء اللطيف المحسوس بين السما والارض الطير مختلفة فيه
سابحة باجنحتها في مواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء تضطرب
حيوانه وامواجه عند هبوبه كما تضطرب امواج البحر فاذا شا سبحانه
حركه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة ونشر ايدي رحمته والقحا
للسحاب بالماء يحمل الماء كما يلقح الانثى بالحمل ويسمى رياح العذاب
المبشرات والنشر والذاريات والمرسلات والزعاء واللواقح وريح العذاب
العاصف والقاصف وهما في البر والعقيم والصرصر وهما في البر وان
شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيما واودعه عذابا اليما وجعله
نقمة على من شا من عباده فجعله صرصرا وحسبانا وعاتيا ومفسدا
لما يمر عليه وهي مختلفة في مهابها صبا ودبور وجنوب وشمال وفي
منفعتها وتاثيرها اعظم اختلاف مرخ لينة تطيب تغذي النبات
وابدان الحيوان واخرى تجففه واخرى تهلكه وتعطبه واخرى
تنشئه وتصلبه واخرى تفرهه وتضعفه ولهذا اخبر سبحانه عن
ريح الرحمة بصيغة الجمع لاختلاف منافعها وما تحدث منها من خير
السحاب وريح تلقح وريح تحمله على متونها وريح تغذي النبات والمكانت
الرياح مختلفة في مهابها وطبايعها جعل لكل ريح ركنا بالهند تثور منها
وحدها وتبقى لينها ورخاها فرياح الرحمة متعددة واما ريح العذاب
فانه ريح واحدة فرحمة من وجه واحد لانها الملايا ترسل بالملايكة فلا
تقوم لها ريح اخرى تقاومها وتكسر سورتها وتدفع حدتها بل يكون
جيش العظيم الذي لا يقاومه شيء من كل ما اتى عليه وتامل
حكمة القران وجلالته وفصاحته كيف اطرد هذا في البر واما
في البحر فجاءت ريح الرحمة فيه بلفظ الواحد كقوله تعالى هو الذي
يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها جاتها ريح عاصف وجاهم الموج من كل مكان فان السفن
انما تسير بالريح الواحدة التي تاتي من وجه واحد فاذا اختلفت الريح
على السفن وتقابلت لم تسر بها فالمقصود منها في البحر خلاف المقصود
منها في البر فاراد المقصود في البحر ان يكون واحدة طيبة لانها شيء

في عقد اب ثم في شكله وكونه في نوع من السماء وقربه من
وسطها وبعده وقربه من الكوكب الذي يليه وبعده منه وانما
ادركت معرفة ذلك على قليل الاجمال عند باعتضاد بعضها ببعض واختلافها
وتفاوت ما بين المتجاورات منها وبعد ما بين المتباعدات واشكالها
ومقاديرها وتفاوت منافعها وما خلقت له واي تستدل لك الى
عظم القدرة وكمالها وآياتها وقد اتفق ارباب الهيئة على ان الشمس
مقدار الارض مليون وثمانمائة وستين مرة والكواكب التي تراها كثيرة منها
اصغر من الارض بمئات امثالها وتفاوتها بعد ذلك وفي حديث
ابي ذر الذي رواه الترمذي بين السماء والارض خمسمائة عام
وبين كل سماء وسماء كذلك وانت ترى الكوكب كالنقطة لا يتبين وهو
في اول خروجه من المشرق الى ان يطلع عند ما يكون لكله وقد طلع مقدار
مسافة الارض مائة مرة او اكثر وذلك بقدر لحظة واحدة لان الكوكب
اذا كان يقدر الارض مائة مرة مثلا سار في اللحظة قدر وضع الموضع
وقد قطع مقدار مسافة الارض مائة مرة وزيادة في لحظة من اللحظات
وهكذا ابدا فتفطن بقولك لانك بين اللحظتين تكون الشمس قد قطعت
من الظل بين حتى مائة عام ثمانية عشر اميالا مثل الكوكب مع عظم
وعظم مائها وثقلها من غير علاقة من فوقها ولا عمد من تحتها الا الله الذي
خلقها فاستمرت غير عاثرة ولا زائلة الى ان يريد الله ان يبدلها
وبثها من كل دابة وانزل من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال
مبين ثم تأمل النظر في هذه الآيات وانشأ النوع الى
نظر اليها بالبصر الظاهر فيرى شيئا رقيقا اخضر وعليها
وسطها وهذا نظر شريف لكن الانسان فيه غير معذور من الآيات التي
هي المقصود لامر ما ان بصار وهذا الا النظر بكمياه
الباطنة فيفتح له ابواب السماء فيقول عما قليل ها ملكوتها وملائكتها وبين
ملائكتها ان يتخير لها بيانا بعد بيان حتى ينتهي به سبحانه الى العرش
العرش فينظر صنعته وعظمه وجلاله وتجمل وزينته ويرى ان الله

التبع

التبع والارض فالتبع ما انتهى اليه كخلق سلقاه بارض فلاة ويرى
الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير
والامر ينزل فيما فوقه تدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربها وملكها
فينزل الامر باحياء قوم وامانة آخرين واعزاز قوم واذلال آخرين
واسعاد قوم وشقاوة آخرين وانشاء ملك وسلب ملك وتحويل
نعمة من محل الى محل وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها
من جمع كثير وأعداد وفير وشعث عريض وتفريج كرب ومغفرة ذنب
وكشف ضر ونصر مظلوم وهداية حيران وتعليم جاهل ورد
ابق وامان خائف واجارة لمستجير ومدد لمستصرخ واغاثة للهوف
واغاثة لعاجز وانتقام من ظالم واخذ لعدو اتى على مراشه وابيد
العدل والفضل والحكمة تتفلق في اقطار العالم لا تشغله سمع عن سمع
عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها
والحاد وتها ولا تتبرم بالحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه لا اله الا هو
العزيز الحكيم فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن وتطرق الهيبة
خاشعا لعظمة عان لعزته فسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة
لا يرفع رأسه منها الى يوم المزيد فهذا مستقر القلب وهو في وطنه
ودار ومحل ملكه وهذا من اعظم آيات الله ومحاسن صنعه فيا له
من سفر ما ابركه وارجحه واعظم ثمرته ونجحه واجل منفعته واحسن
عاقبته سفر هو حياة الارواح ومفتاح السعادة وعينة
العقول والالباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب
واذا نظرت الى الارض كيف خلقها وانتهى من اعظم آياته في طرفها
وبديعها خلقها شماء فراشا وبساطا واوتادا للعباد وجعل فيها
ارزاقهم واقواتهم ومعايشهم وجعل فيها ليتقلبوا فيها في حوائجهم
وتصرفاتهم وانشأها مائلة الجعلها اوتادا لحفظها ليلا يميد بهم
ووسع اكنافها وداحاها وبسطها وطحاها فوسعها لما
حوايها وجعلها كفاتا للاحياء تضمهم على ظهرها ما داموا احياء وكفاتا
للاموات تضمهم في بطنها اذا ماتوا فبطنها وطن للاحياء وبطنها
وطن للاموات وفي الكتاب الذي من دكة الارض في قبابه ودعا

والسمو وما بناها هار

القران بها كقوله والسماذات البروج والسما والطارق والسما
ذات الرجع والشمس وضحاها والنجم اذا هوى والنجم الثاقب
فلا اقسم بالخنس وهي الكواكب التي تكون خنسا عند طلوعها حوار
في مجراها ومسيرها كنا عند غروبها فاقسم بها في احوالها الثلاثة
ولم يقسم بشيء من مخلوقاته اكثر من السما والنجوم والشمس والقمر
وهو سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته لتضمنه الايات والعجايب
الدالة عليه وكلما كان اعظم واية وابلغ في الدلالة كان اقسامه به اكثر
من غيره ولهذا عظم سبحانه هنا القسم فقال اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم واظهر القولين انه قسم بمواقع هذه النجوم التي في السما
فان اسم النجوم عند الاطلاق انما ينصرف اليها وايضا فانه لم يحد عادته
سبحانه باستعمال النجوم في ايات القران ولا في موضع واحد من كتابه حتى
يحمل عليه هذا الموضع وجرت عادته سبحانه باستعمال النجوم في الكواكب في
جميع القران وايضا فان نظر الاقسام بمواقعها هنا اقسامه بهوى النجم
في قوله والنجم اذا هوى وايضا فان هذا قول جمهور اهل التفسير وايضا
فانه سبحانه انما اقسم بالقران لشرفه لاتوصوله الى عباده من طريقه القران
قال تعالى ص والقران ذي الذكر بل والقران المجيد ق والقران الحكيم يس
حم والكتاب المبين وطائفة والمقصود انه سبحانه انما اقسم بما
مخلوقاته ما هو من اياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته وقد اثنى سبحانه
في كتابه على المتفكرين في خلق السموت والارض وذم المعرضين عن
ذلك قال تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون
وتامل خلق هذا السقف الاعظم مع صلابته وشدته ورقته
من دخان وهو بخار الماء قال تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وقال ءانتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها
وقال وجعلنا السما سقفا محفوظا افلا ينظرون الى هذا البناء الشديد
العظيم الواسع الذي رفع سمكه اعظم ارتفاع وزينه باحسن
زينة وادعه العجايب والايات وكيف ابدا خلقه من بخار ارتفع
من الماء وهو الدخان فسبحان من لا يقدر الخلق قدره لقد تعرف
الى خلقه بانواع التعرفات ونصب لهم الدلالات واوضح لهم الايات

البينات

البينات ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والله سميع عليم
فاجمع البصر الى السما وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها وطلوعها
وغروبها وظلمتها ونورها واختلاف مشارقها ومغاربها ودوبها
في الفلك على الدوام من غير فتور في حركتها ولا تغيير في سيرها
بل تجري في منازل قدرت لها بحساب مقدر لا تزيد ولا تنقص الى
ان تطوى فاطرها وبدئ بعضها وانظر الى كثرة كواكبها واختلاف
الوانها ومقاديرها فبعضها يميل الى الحمرة وبعضها
الى الزرقة وبعضها يضرب الى الصفرة وانظر الى مسير الشمس في فلكها
تجدها في كل يوم تطلع وتغرب بقدر ربع دقيقة من مسيرها لا تخالفها لا تتعداه
ولا تقصر عنه ولا تطلع في غير وقتها وغروبها كذلك عرف الليل والنهار ولا
المواقيت ولا طبق الظلام على الضياء والضياء على الظلام
المعاش وقتا لاشياء والناس وخفف قدر الحر والبرد
العليم ستة عشر شعاعا ثمانية (احدها) تسخرها عند الاوجها والثاني
تسخرها بطيء الصيف فتقل في حال هذا السير لتزيد
حتى تبلغ غايتها منه فاذا وصلت ذلك الحد رجعت راجعة
اختلاف الفصول من الشتا والصيف والربيع والخريف
تبرها عن وجه الارض وظهرها الشتا واذا اختفت في
وخط الشما خيط البياض واذا كانت بين الناس عند الزوال
وقت مصالح العباد والحيوانات والنبات سمي ذلك الفصل الاعتدال
واختلفت فيها الاقوات واحوال النبات والالوان ومنافع الحيوان
والاعذية وغيرها وانظر الى الفرع عليها باذنه كيف ينزله الله
عليها الليل يغشى النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم
حتى تتبين الالوان وكل واحد منها يطلب في الصفات التي يجود
الى الشتا الاول للشهر من ذلك وانت العباد في معاشهم ومعاداتهم
ومناكحهم وغيرها من الاشهر والسنين وما يرجعان اليها
الخ ما في ذلك من الذكرى والايات لاحصاء الا الله ولا يعلمها
فاذا تركب من الملك او الرب تبارك وتعالى خلقه على هذين

عدل وكل نعمة منه فضل اقرب شهيد وادنى حفيظ حال دون النفوس
واخذ الغواصي ونسخ الاثار وكتب الاعمال القلوب له مقيضه
والشر عنده علانيته والغيب عنده شهادته عطاؤه كلام وعذابه كلام
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ٥

قوله تعالى ان في خلق السموت
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون ٥ نقول تعالى ان في خلق السموت والارض
تلك في ارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها
وهذه الارض في انخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها وهادها ووعرانها
وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا في ثبوت هذه وخلفه
الاخر ونعقبه لا تتأخر عنه لحظة كما قال تعالى لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وتارة يطول
هذا او يقصر هذا وتارة ياخذ من هذا فيزيد به ذاك كما قال تعالى يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يزيد من هذا في هذا ومن هذا
في هذا اي هو سبحانه وتعالى يذكر خلق السموت والارض وهذا
كثير في القرآن فالارض والبحار والهواء وكل ما تحت السموت بالاضافة
الى السموت كقطرة في بحر ولهذا قل ان يجيء في القرآن الا وتليها
ذكرها اما اخبار عن عظمتها وخلقها واما اقامتها لها والدعاء الى
النظر فيها واما ارشاد العباد ان يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها
واما استدلالا لامنه سبحانه بخلقها على ما اخبر به من المعاد والقيامة
واما استدلالا لامنه بربوبيته لها على وحدانيته وانه الله الذي لا اله الا هو
واما استدلالا لامنه بحكمته واتقانها والتيام اجزائها وعدم الفطور
فيها على تمام حكمته وقدرته وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس
والقمر والعجايب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها فكم من قسم مضى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بفضها نفقه تسبيحا الليل والنهار ما ينتهي منه خلق الخلق فانما ينقص
ما في يمينه طوب العباد وتواصيهم بيده وانما الامر معلق
بقضايه وقدره ٥ الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموت
مطويات بيمينه قبض يطوي الموته كلها بيده والارض بالبد الاخرى
ثم يهزهن فيقول انا الملك الذي مات الجبابرة وتكبر شياطينها انا
الذي اعيد هذه بدأها لاستعظم خبث ان يعظم ولا حاجة بها
ان يعظمها لان اهل سمواته واهل ارضه ارواحهم وخلقه واجسامهم
وجنهم كانوا على اتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا ولو ان اولهم
خلقه واخرهم وانسهم وجنهم كانوا على افجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك
ملكه شيئا ولو ان اهل سمواته واهل ارضه واولهم وانسهم وجنهم وجميع
رطبهم ويابسهم سالوا في صعيد واحد فاعطيت كل انسان منهم مسالته
ما نقص ذلك مما عندي شيئا الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر
وجدت الجبار تقدس اسماؤه وتعالت صفاته وجلت الاؤه يقول
مواد نكتب عليكم اعمالكم واجزيكم بها فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه لانه لا يظلم احدا ولم يعد على
احد ما لم يقدر له ولم يقض عليه الا بعلمه فيه وهي ابدايه
لها ولا نهايه والخلق له بدايه ونهايه وهو واحق لها والعدد وكيف
يبقى الخلق غير الخالق تبارك وتعالى وكيف شيء يعلمه شيء والاخر الذي
ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه
شيء احق من ذكر واحق من عبد واحق من حمد واولى من شكر
واحمد من اتبع واولى من سئل واجود من سئل واعطى من قدر ولكم
من مجد واعدل من استرحم وحكم بعدله وعدل بعد ورحمته ويغفر به
عن عزته ومنعه عن عظمته ومن الناس من اراد ذلك فيه ورحمته ما لا يحاد
عليه حيث وجد ملاذا ولا يحتمي ابدا منه فانه ان عدل فيحكمه وان عفو
فبفضله وهذا لكم ما لو قام اولكم واخركم وانسكم وجنكم على
واحد منكم فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما
ينقص المخيط اذا ادخل البحر فلا تلوموا الا انفسكم ولا يلوم الا نفسه
ولو لا ان الله تعالى قضى على كل نفس ان لا يموت الا بكتابه وكل
نفس انما تموت بكمال رزقها لما مات احد الا فضل من يطلع الله عليه برحمته
ولمن يشاء لعلمه بخلقه وما هو اصلح لهم فسبحان من هو هكذا ويغفر كل ما سواه

عدله

والقصد لفعلها والثانيه سفر ابتغاء التوبة ولجادها والمعنى من تاب
الى الله قصدا وبنيه وعزما فتوبته الى الله عملا وفعلا وهذا نظير قوله
صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراه يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ٥

قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار

اولئك عليهم لعنة الله والملائكه والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينظرون ٥ النظر التاخير اسم من الانظار
ومنه قوله تعالى وانظرني الى يوم يبعثون
وقرئ انظرونا نقتبس من نوركم اي لا تعجلوا من قرا انظرونا بمعنى انتظرونا
انظر اذا استنظرته ٥ اخبر تعالى عمن كفر به واستمر به الحال الى
مماته بان عليهم لعنة الله والملائكه والناس اجمعين خالدين فيها اي في
اللعنه البالغه لهم من اليقينه المصاحبه لهم في نار جهنم التي لا يخفف
عنهم العذاب منها اي لا ينقص عما هم فيه ولا هم ينظرون اي لا يؤخر ساعه
واحده ولا يفتر بل هو متواصل دايم نعوذ بالله من ذلك ٥

قوله تعالى والهكم اله واحد

لا اله الا هو الرحمن الرحيم خبر تعالى عن تفرده بالالهيه وانه
لا شريك له ولا عديل له بل هو الاله الواحد الفرد الصمد الذي
لا اله الا هو وانه الرحمن الرحيم كما ثبت في الصحيحين عن شهر ابن حوشب عن اسماء بنت
يزيد ان الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا اسم الله الاعظم في هاتين
الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والم الله لا اله الا هو
فهو سبحانه وتعالى الله لا اله الا هو الرحمن الرحيم

يدبر

يدبر امر الملائكه يامر وينهى ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويفقر
ويغني ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار ويداول الايام بين الناس
ويغير الدول فيذهب بدولة وياتي باخرى ويرسل الملائكه بين يديه
اليه بالامر وتنفذ الامور عنده باذنه وامره وهو سبحانه يعاقب
على تعاطي السيات فلا محيد عنه ولا مناص ولا ملاذ ولا ملجا منه الا اليه
على الوجه الذي يشاء من غير زياده ولا انتقاص ولا تبديل ولا تاخير
وامره وحكمه نافذ في السماوات وانطارها وفي الارض وما
عليها وما فيها وفي البحار والجو وما يحويه لجي البحار وما تحمله
وتصرفه في ذلك كله بما شاء واحاط بكل شيء علما واحصى كل شيء
عددا وسع سمعه الاصوات على تفنن اللغات وتباين الحاجات
ولا تختلف عليه ولا تشتبه عليه بل سمع جميعها باختلاف انواعها
على تفنن حاجاتها ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح ذوي الملمات واحاط بصر
بجميع المبصرات على اختلاف انواعها واصنافها في جميع الاوقات
في جميع الجهات فلا يحجبه ليل عن نهار ولا نهار عن ليل ولا ارض عن سماء
ولا سماء عن ارض ولا جبل عن بحر ولا بحر عن جبل ولا شيء عن شيء
عنده سواء السر والعلانيه والغيب والشهاده والظاهر والباطن
عالم بالسر واخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور
يعلم السر في السماوات والارض ويعلم ما تكسبون
عالم الغيب والشهاده الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
وان اراد بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق
والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير

صيدلة
الألوكة
www.alukah.net

مكفرات لما سبق اذا اجتنبت الكبائر ولفظ المغفرة اكمل من لفظ
التكفير ولهذا كان مع الكبائر والتكفير مع الصغائر فان
لفظ المغفرة تتضمن الوقاية والحفظ ولفظ التكفير تتضمن
الستر والازالة وعند الافراد يدخل كل منهما في الآخر كما تقدم
وقوله تعالى نكفر عنهم سيئاتهم متناول لصغائرها وكبائرها ومحوها
ووقايتها بل التكفير المفرد متناول لجميع الاعمال كما قال تعالى
ليكفر الله عنهم احسن الذي عملوا واذا قيل هذا انما يتم على قول
من يقول ان الوعد
المغفرة يتناول في الحديث الصحيح ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا اذى
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه فان المصائب لا تستقل
بمحو الذنوب ولا تغفر الذنوب جميعها الا بالتوبة او بحسنات تقتضي ان
وتتلاشى فيها الذنوب فمن عالج بالحجامة اذا بلغ الماء القليل
لم يحمل الخبث فلهذا الذنوب ثلاثة انها تعظم ان يطهرون بها في الدنيا
فان لم يطهرهم طهرهم بالحميم يوم القيامة والتوبة النصوح
وبالحسنات الماحية الى آخره والتكفير بالمصائب لا يغفر
المكفر فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا ادخل الجنة الا بها بالبلايا
فورد القيامة طاهرا فلم يحتج الى التطهير الرابع فصل
وتوبة العبد الى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها
فتوبته بين توبتين من بين منازلة ولاحقة فانه تاب عليه اولا
اذنا وتوفيقا والهاما فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيا قبولا واثابة
قال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب
عليهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله
الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم فاخبر سبحانه
ان توبته عليهم شفقت توبتهم وانها هي التي حفظتهم تائبين فكانت
سببا مقتضيا لتوبتهم فدل على انهم ما تابوا حتى تاب عليهم تعالى
والحكم يشفي الاشتقاء عليه ونظير هذا هدايته لعبده قبل الاهتداء

فيهتدي

بهدايته فتوجب له الهداية هداية اخرى تشبه الله بها على
هدايته فان من ثواب المهتدي الهدى بعده كما ان من عقوبة الضلالة الضلالة
بعدها قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم اولا فاهتدوا فزادهم
هدى ثانيا وعلق في اهل الزيغ كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم فهذا
الازاغة الثانية عقوبة على زيغهم وهذا القدر هو من جنس الاول
والاخر فهذا المعدوم هو الممتنع ومنه السبب والسبب وهذا الذي
تعيذ من شر نفثه وعجز عن شر نفثه كان اعوذ الخلق به صلى الله
عليه وسلم واعوذ بك منك والعبد تواب والله تواب فتوبته العبد رجوعه
الى سيده بعد الاباق وتوبة الله نوعان اذن وتوفيق وقبول واعداد
فصل والتوبة لها سبب ومنتهى فسببها الرجوع الى الله سلوك
صراطه المستقيم الذي نصبه لعباده موصلا الى جواره فامرهم بسلوكه
بقوله ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وبقوله وانك لتهدي الى صراط
مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وبقوله وهدوا الى
الطيب من القول وهذا الى صراط الحميد ونهايتها الرجوع اليه في المعاد
وسلوك صراطه الذي نصبه موصلا الى جنته فمن رجع الى الله في هذه
الدار بالتوبة رجع اليه في المعاد بالثواب وهذا هو الحالة الثالثة
في قوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا قال البغوي
وعلى كل مؤمن ان يتوب الى الله متابا يعود عليه بعد الموت متابا حتى يتفضل
على غيره بالتوبة الاولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشر والثانية
رجوع الى الله للجزاء والمآب فاه والتاويل الثاني ان الجزاء متضمن معنى
الامر والمعنى ومن عزم على التوبة واراد ان يجعل توبته الى الله وجهه
خالصا لا لغرض التاويل الثالث ان المراد لازم هذا المعنى وهو
اشعار واعلامه بمن تاب اليه ورجع اليه والتي فليعلم توبته
الحق ورجوعه الى من فانها الى الله لا الى غيره ونظيره قوله تعالى
احد التاويلين في قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان
لم تفعل فما بلغت رسالته اي اعلم انك لم تبلغ على من خصائص ولم تبلغ رسالته
والتاويل الرابع ان التوبة تكون تارة بالقصد والعزم على فعلها ثم
اذا قوي العزم وصار جازما وجد به فعلا التوبة فالتوبة الاولى

الى الله لعلى لا لا ندري ما فتح لهم واستدل بعضهم بهذه الاية على ان الذين كفروا
وماتوا وهم كفار لم يكن عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وعلت ما تاخرى
بل تحمل العنة على الكافر المقيد بذلك واختار الشيخ والكثير الاول والكلام حتى
حديث فيه ضعف واستدل بعضهم بقوله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري في قصة
قوله تعالى الا الذين تابوا
واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم استثنى
الله تعالى من هؤلاء من تاب بعد قتالا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
اي رجعوا عما كانوا عليه واصلحوا اعمالهم واحوالهم وبينوا للناس
ما كانوا يكتمون فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم وفي هذا دلالة
على ان الله يعفو عن ذنب عبده اذا تاب اليه وندم عليه ٥ فصل
في التوبة النصوح وحقيقتها قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار يعلق تكفير السيئات على شيء وهو تقييدها بقال
ما يكفر العمل وخول الجنان وهو حصول ما به الصدق وظاهر الصوص
التوبة النصوح والنصح على وزن نفوذ العدو اعني فاعل تستدل به
كالشكور والصبور والعبادة وهي صدق خلوص الشيء من الغش
والشوائب الخفية وهو ملاك في الاخلاق الاكبر كنصح الاخلاص
كالنصح في التوبة والعبادة والكتوبة تخليصها من عيوب تفسد وقد
اجتمعها على اكمال الوجوه والنصح من الانفس وقد اختلفت عبارات
السلف منها ومرجعها الى شيء واحد كقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يعني بها التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود اليه
كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن البصري هي ان يكون العبد
نادما على ما مضى منها عازما ان لا يعود فيه وقال الكلبي ان تخلع الخاف
وينزع بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب توبة نصوحا تحزنون
بها انفسكم جعل معنى ناصحة للتائب كضروب العدول عن مضارب
واصحاب القول الاول جعلوها من صفة الفعل اي قد نصح فيها التائب
فلم يشبها بشيء مما يعني نفسه فيها كغش وغيره وكلوم يعني
غير شوب وخلوصها وصفة الله على اي ناصحها لنفسه فيها فاذا وفاه
عهد شرائط التوبة فيما اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع
بالابدان والعزم بالقلب وترك العود فاذا كان ذلك في حقوق الادميين فلك

ان القيم وسر الله وروح النصح في التوبة تتضمن ثلاثة اشياء تعميم جميع الذنوب
واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبا الا تناولته والثاني جمع العزم والصدق
بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا لوم ولا انتظار بل يجمع عليها كل
ارادته وعزيمته مبادرة اليها الثالث تخليصها من الشوائب والعلل
القادحة في اخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما
لديه والرهبة مما عنده لا لحظ جاه وحرمة ومنصب ورياسة
او لحفظ حاله او حفظ قوته وماله او استدعاء حمد الناس او الهرب من ذمهم
او ليلا يتخطف عليه التفها او لقضاء شهوة من الدنيا او لافلاسه وعجزه
وخو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل فالاول يتعلق
بما تتوب منه والثالث يتعلق بمن تتوب اليه والاوسط يتعلق بذات
التائب وصفة نصح التوبة الصدق فيها والاخلاص وتعميم الذنوب
بها ولا ريب ان هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه ويمحو جميع الذنوب
وهي اكمل ما يكون من التوبة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول
ولا قوة الا بالله فصل في الفرق بين تكفير السيئات ومغفرة
الذنوب وقد جاء في كتاب الله تعالى ذكرهما مقترنين وذكر كل منهما
مفردا عن الاخر فالمقترنان كقوله حاكيا عن عباده المؤمنين ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار والمفرد كقوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر
عنهم سيئاتهم واصلح بالهم وقوله في المغفرة ولم يهتك من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم وكقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وتطابق فيها هذا
اربعة امور ذنوب وسيئات ومغفرة وتكفير فالذنوب المراد
بها الكبائر والسيئات الصغائر وما تعلق فيه الكفار من الخطأ وما جرى
مجراه ولهذا جعل لها التكفير ومنه اخذت الكفارة ولهذا لم يكن لها سلطان
ولا عمل في الكبائر في اصح القولين ولا تعمل في قبول العهد ولا في اليمين الغموس
في ظاهر مذهب الامام احمد وقول حنيفة والدليل على ان السيئات هي الصغائر
والتكفير له قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم مدخلا كريما وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحديث الى ان قال ثم نزلنا المحصب فدعا عبد الرحمن ابى بكر فقال
اخرج باختك من الحرم ثم ائتوا عائشة طوافكم ثانيا فاتانا بالمحصب
وقد قضى الله عنا العمرة وفرغنا من طوافنا في جوف الليل فاتيناه بالمحصب
فقال فرغتم فقلنا نعم فاذن في الناس بالرحيل فمر به فطاف بالبيت ثم ارتحل
متوجها الى المدينة فهذا هو الطواف الذي اخره الى الليل بلا طواف
ريب فغلط فيه ابو الزبير ومن حدث به وفي الطواف الرباعي والله
الموفق وانما قال صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وانما يعمل
في طواف القدوم ○ الصفاة الصخرة ملساء تقال في المثل ما تندى صفاته والجمع
صفا مقصور واصفاء وصفي على فعول والصفوان الحجارة والصفا موضع بمكة
والصفا اسم لهذين الحجرين والصفاة الحجارة بيض وبرقانه تقدح منها النار
الواحد من ذلك سميت المروة مروة ○ الشعائر في الحج وكل ما جعل
قوله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون ○ هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاء به الرسول من الدلالات
البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله
تعالى لعباده في كتبه التي انزلها على رسله قال ابو العالية نزلت في اهل
الكتاب كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اخبرنا بلعنهم كل شيء على صنعهم
ذلك فان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير في الهواء
خلافا لمن قال يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ○ حدثنا اسحق ابن عيسى ابنا
مالك عن الزهري عن الاعرج عن ابي هريرة انه قال ان الناس يقولون اكثر
ابو هريرة والله لولا اتين في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم تلا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى قوله الرحيم
قال ابن شهاب سمعت عن الزهري اما عبد الرحمن بن المغيث وانو سلمة ان عبد الرحمن الاعرج
قال انكم تقولون ان ابا هريرة يكثر وقد كنت احدث حديثا عبد الرزاق
قال اما معمر عن الزهري عن الاعرج قال قال ابو هريرة انكم تقولون اكثر ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد انكم تقولون مالي للمهاجرين لا يحدثون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث ومالي للانصار لا يحدثون
بهذه الاحاديث وان اصحابي من المهاجرين كان يشغلهم صفقات ايديهم في
الاسواق وان اصحابي من الانصار كان يشغلهم اموالهم والقيام عليها

وان

وانى كنت امرأ مسكينا وكنت الزم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارضا
عابوا واحفظ انا نسوا وان النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال من بسط
ثوبه حتى اقرغ من حديثي ثم يقبضه اليه فانه لن يقضي شيئا سمعه مني
ابدا فبسطت ثوبي او قال نمرتي ثم حدثنا فما نسيت من حديثه ذلك شيئا والله ما انزلت
شيئا سمعته منه وايم الله لولا اية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء ابدا ثم
تلا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ○ حدثنا عثمان قال
حدثنا خلف عن علي ابن المبارك عن يحيى ابن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام
من نار ○ حدثنا سريج ابنا الحجاج ابنا خلف عن عطاء عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجما
ثم حدثنا احمد ابنا الازهر قال ابنا الهيثم ابن جميل حدثني عمر بن راشد قال سمعت ابا عمرو يقول
اين ترى هيثم سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار حدثنا سعيد ابن عفان
ابنا وكيع ابنا سعيد ابن ابي ايوب عن ابي مرحوم عبد الرحيم ابن ميمون عن سهل
ابن رافع ابي بكر الباهلي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار حدثنا ابن حميد
عن عبد الرحمن ابن ثابت عن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتم علما مما ينفع الله به في امر الناس في امر الدين الجم الله بلجام من نار يوم القيامة
الحسين ابنا الوليد قال قال ابنا خلف ابن خليفة عن عبد الله ابن السري عن
محمد ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا العلم
لاسه او لهى ثم حدثنا قدامة ابنا جرير عن المغيرة عن زياد عن ابي النضر عن
قال سمعت ابن عباس يحدث عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال الارض
وقال عطاء ابن ابي رباح كل دابة في الارض والجن والانس قال فيلقى ذلك
اجابت الارض قالت اي رب جعلت فيها عبادا يعصونك وانا العنهم
بني ادم وقال ابو العالية والربيع ابن انس وقتاده يلعنهم اللاعنون
يعني يلعنهم ملائكة ومؤمنو الجن والانس ○ وقوله عز وجل
ابنا ابو خالد الاحمر عن ابي مالك قال قال الاولان الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صلب لا حلال في تحريم لعن الكفار وقد كان عمر بن الخطاب فمن بعده من الائمة
يلعنون اللعن في القنوت لغير واحد وما لعن الله العباد فقد ذهب عنا علم ذلك

www.qiaan.net

ولا ابتهم بعد لا ينتظر احد قال ابن عباس لا ارى لاهل مكة ان يطوفوا
ولا ان يسعوا بين الصفا والمروة بعد احرامهم بالحج حتى يرجعوا من منى
وعلى قول ابن عباس سوى الجمهور مالك والشافعي واحمد وابو حنيفة واسحق
وغيرهم والذين استحبوه قالوا لما احرم بالحج صار كالقادم فيطوف القدوم
ويسعى للقدوم قالوا ولان الطواف الاول وقع عن العمرة فيبقى طواف القدوم
لم يات به فاستحب له فعله عقيب الاحرام بالحج وهاتان الحجتان واهيتان
فانه انما كان قارنا لما طاف للعمرة فكان طوافه للعمرة مغنيا عن طواف
القدوم كمن دخل المسجد فراى الصلاة قائمة فدخل فيها قامت مقام
تحية المسجد واغنته عنها وايضا فان الصحابة لما احرموا بالحج مع النبي
صلى الله عليه وسلم لم يطوفوا عقيبه وكان اكثرهم متمتعا وروى محمد بن الحسن عن ابي
حنيفة انه ان احرم يوم التروية قبل الزوال طاف وسعى للقدوم وان
احرم بعد الزوال لم يطف وفرق بينهما بان بعد الزوال يخرج من
فوره الى منى فلا يشتغل عن الخروج بغيره وقبل الزوال لا يخرج فيطوف
وقول ابن عباس والجمهور هو الصحيح الموافق لعمل الصحابة وبالله التوفيق
فصل في الطائفة الثانية قالت انه صلى الله عليه وسلم سعى مع هذا
الطواف وقالوا هذا حجة في ان القارن يحتاج الى سعيين كما يحتاج الى
طوافين وهذا غلط عليه كما تقدم والصواب انه لم يسع الا سعيه الاول
كما قالته عائشة وجابر ولم يصح عنه في السعيين حرف واحد بل كلها باطلة
كما تقدم فعليك بمراجعته فصل والطائفة الثالثة الذين قالوا
اخر طواف الزيارة الى الليل وهم طاوس ومجاهد وعروة ففي سنن ابي داود
والنسائي وابن ماجه من حديث ابي الزبير المكي عن عائشة وابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخر طواف يوم النحر الى الليل وفي لفظ طواف الزيارة قال الترمذي
حديث حسن وهذا الحديث غلط بين خلاف المعلوم من فعله صلى الله عليه وسلم الذي
لا يشك فيه اهل العلم بحجته صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر كلام الناس فيه قال
الترمذي في كتاب العلل سالت محمد بن اسماعيل البخاري عن هذا الحديث
وقلت له سمع ابو الزبير من عائشة وابن عباس قال اما من ابن عباس فنعم وان
في سماعه من عائشة نظر وقال ابو الحسن القطان عندي ان هذا الحديث ليس
بصحيح

بصحيح انما طاف النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ نهارا وانما اختلفوا هل صلى الظهر
بمكة او رجع الى منى فصلى بها بعد ان فرغ من طوافه فابن عمر يقول انه رجع
الى منى فصلى الظهر بها وجابر يقول انه صلى الظهر بمكة او رجع الى منى فصلى
بها بعد ان فرغ من طواف الظهر بها وجابر وهو ظاهر حديث عائشة من غير رواية
ابي الزبير هذه التي فيها انه اخر الطواف الى الليل وهذا شيء لم يرو الا من هذه
الطريق وابو الزبير مدلس لم يذكر ها هنا سماعا من عائشة وقد عهد
يروي عنها بواسطة ولا ايضا من ابن عباس فقد عهد كذلك يروي
عنه بواسطة وان كان قد سمع منه فيجب التوقف فيما يرويه ابو الزبير
عن عائشة وابن عباس مما لا يذكر فيه سماعه منهما لما عرف به من التدليس
ولو عرف سماعه منهما لغير هذا فاما لم يصح لنا انه سمع من عائشة فالامر
بين في وجوب التوقف فيه وانما يختلف العلماء في قبول حديث المدلس
اذا كان عمن علم لقاؤه له وسماعه منه ها هنا يقول قوم يقبل ويقول اخرون
يرد ما يعنعنه عنهم حتى يتبين الاتصال في حديث حديث واما ما يعنعنه
المدلس عمن لم يعلم لقاؤه له ولا سماعه منه فلا اعلم الخلاف فيه بانه لا يقبل
ولو كنا نقول ان معنعن المتعاصرين محمول على الاتصال
ولو لم يعلم التقاؤهما فانما ذلك في غير المدلسين وايضا فلما قدمناه من صحة
طواف النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ نهارا والخلاف في حديث المدلس حتى يعلم
اتصاله وقبوله حتى يعلم انقطاعه انما هو اذا لم يعارضه ما لا شك
في صحته وهذا قد عارضه ما لا شك في صحته انتهى كلامه ويدل على غلطه
على عائشة ان ابا سلمة بن عبد الرحمن روى عن عائشة انها قالت حججنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فافضنا يوم النحر وروى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن
ابن القاسم عن ابيه عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه فزاروا
البيت يوم النحر ظهيرة وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسائه ليلا وهذا
غلط ايضا قال البيهقي واصح هذه الروايات حديث نافع عن ابن عمر وحديث
جابر وحديث ابي سلمة عن عائشة يعني انه طاف نهارا قلت انما نشا
الغلط من تسمية الطواف فان النبي صلى الله عليه وسلم اخر طواف الوداع الى الليل
كما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت

اخر بعدان رجعوا من منا الجمهم واما الذين جمعوا الحج والعمر فانما
طافوا طوافا واحدا فحمل الامام احمد قول عايشة على ان طوافهم الجمهم وهو
طواف القدوم والدلالة قد ثبت ان طواف القدوم مشروع لكل مكي
طواف الزيارة منبسطا له كتحية المسجد عند دخوله قبل التلبس
بصلاة الخمس الفرض وحمل الخرقي في مختصره وان كان متمتعا فطاف
بالبيت سبعا وبين الصفا والمروة سبعا كما فعل للعمرة ثم يقود
فيطوف بالبيت طوافا ينوي الزيارة وهو طواف الافاضة ويطوف بالبيت
التي عن حال النبي صلى الله عليه وسلم كان متمتعا لما سعى عنهن وصعابه
عندهم هكذا فعل الشيخ ابو محمد عنده انه كان يتمتعا التمتع الخاص ولكن
لم يفعل هذا قال ولا اعلم احدا خالف ابا عبد الله على هذا الطواف الذي واخذه
ذكره الخرقي بل المشروع طواف الزيارة لمن دخل المسجد وقد اقيمت الصلاة
فانه يكفي بها عن تحية المسجد ولانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد
الذين تمتعوا معه في حجة الوداع ولا امره النبي صلى الله عليه وسلم به احدا قال وحديث
عايشة دليل على هذا فانها قالت طافوا طوافا واحدا بعد ان رجعوا
من منى لحجهم وهذا هو طواف الزيارة ولم تذكر هنا طوافا اخر ولو كان
هذا الذي ذكرته طواف القدوم لكانت قد اخلت بذكر طواف الزيارة الذي
هو ركن الحج لا يتم الا به وذكرت ما تستغني عنه وعلى كل حال فقد ذكرت انهم
طافوا واحدا لم يدل على طوافين وانضافا فانها اخبرت عن حجة
الحج الى العمرة بامر النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن طافت للقدوم ولم تتطوف للقدوم
ولا امرها به النبي صلى الله عليه وسلم ولان طواف القدوم لو امرت بقضائه لكان
مشروعا في حق المعتمر طواف القدوم مع طواف العمرة لانه اول قدومه الى
البيت فهو اولى من المتمتع الذي يعود الى البيت بعد وقته وطوافه
قانتي علامة ٥ فصل قال ويسعى الذي طاف القيم لم يرفع
كلام ابي محمد الاشكال وان كان الذي اتى به هو الحق كما انكم
والصواب في الكتاب فان اخذ الرمل انما كان لاجل الصحابة لما رجعوا من عمرتهم
طافوا للقدوم وسعوا ثم طافوا للافاضة بعده ولا امر النبي صلى الله عليه وسلم
هذا لم يقع قطعا ولكن منشأ الاشكال ان امير المؤمنين فرق بين المتمتع

والقارن

اخر بعدان رجعوا من منا الجمهم
وان الذين اهلوا بالحج طافوا طوافا اخر بعدان رجعوا من منى لحجهم
وهذا عن طواف الزيارة قطعا فانه مشترك فيه القارن والمتمتع فلا خلاف
بينهما فيه ولكن الشيخ ابو محمد اراد بقوله في المتمتعين انهم طافوا طوافا
اخر بعدان رجعوا من منى والليث في هذا يدل على انهم طافوا طوافين
والذي قاله حق ولكنه لم يرفع الاشكال فقالت طائفة هذه الزيادة من وهمه
كلام عروة وانه هشام ادرجه في الحديث وهذا لا يتبين ولو كان كما قاله
انه مرسل ولم يرتفع الاشكال فانه بالارسال قد ثبت ان الطواف الذي
اخبرت به عايشة وقوفت به بين المتمتع والقارن هو الطواف بين الصفا والمروة
لا الطواف بالبيت وزال الاشكال لجاز فاخبرت عن القارنين انهم طافوا
واحدا وسعيا واضافوا اليه طوافا اخر وسعيا وهذا هو الحق واخبرت
عن المتمتعين انهم طافوا بينهما طوافا اخر بعد الرجوع من منى لحجهم وذلك الاول
كان للعمرة وهذا قول الجمهور وتاويل الحديث على هذا موافق لاخر قوليها الاخر هو
قول النبي صلى الله عليه وسلم يسعك طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة لحجك وعمرتك
وكانت قارنة ويوافق قول الجمهور ولكن يشكل عليه حديث جابر الذي رواه
مسلم في صحيحه لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه بين الصفا والمروة الا
طوافا واحدا طوافه الاول هذا قول من يقول لم يكن للمتمتع سعي واحد كما
هو احدى الروايتين عن الامام احمد بن حنبل عليها في رواية ابنه عبد الله على
هذا فقال عايشة اخبرت وجابر نفى والمثبت مقدم على النافي اذا امكن الجمع
جابر بن فرق مع النبي صلى الله عليه وسلم وساق الهدي كابي بكر وعمر وطلحة وعلي
وذوي اليسار فانهم انما سعوا سعيا واحدا وليس المراد عموم
الصحابة ويعلل حديث عايشة بان تلك الزيادة وقعت من وهم هشام وهذا لا شطر الناس في
مطوف وسعى القدوم بعد احرامه بالحج قبل خروجه الى منى وهو قول
اصحاب الشافعي قال النبي شيخنا الذين قالوا ان القيم ولا احد من الصحابة
قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من الصحابة البته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حماد بن زيد قال سمعت ابا بديل ابن ميسر عن المغيرة ابن حكيم عن صفيه
بنت شيبة عن امراة منهم انها رات النبي صلى الله عليه وسلم من خوخة لها هو
يسعى في بطن المسيل وهو يقول لا تنقطع الوادي الا شد واطنه
قال وقد انكشف الثوب عن ركبته قال حماد بعد لا تقطع او قال
لا يبطح الا شد او سمعته يقول لا تقطع الا بطح الا شد ٥ حدثنا
عبد الرزاق انا معمر عن واصل مولى ابي عيينة عن موسى بن عبيدة عن
صفية بنت شيبة ان امراة اخبرتها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
بين الصفا والمروة تقول كتب عليكم السعي فاسعوا حدثنا وكيع عن
هو ابن مهدي ابيه عن عطاء عن عنبسة قال رايت ابن عمر مشى في الوادي بين الصفا والمروة
ولا اعلمه الا قال انا شعثا قد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى
وان مشيي الان قد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي حتى قد رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمشي انا شيخ كبير ٥ حدثنا وكيع عن شعبة عن عبيد الله
ابي زياد عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
جعل الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله ٥
حدثنا عبد الله قال حدثني ابو عبد الرحمن عبد الله ابن ابي زياد القطواني
قال نا زيد الحباب اخبرني عرب ابو شيبان المنقري حدثني محمد بن علي
ابو جعفر حدثني عمي عن ابي نباتة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى بين الصفا
والمروة في السعي حالتين عن ثوبه قد بلغ الى ركبته حدثنا روح
قال نا حماد عن عاصم العنزي عن ابي الطفيل كذا قال روح عاصم وقال
مؤمل ابو عاصم قال قلت لابن عباس زعم قومك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم طاف بين الصفا والمروة على بعير وان ذلك سنة قال صدقوا
وكذبوا قلت ما صدقوا وكذبوا قال قد طاف بين الصفا والمروة على
بعير وليس ذلك سنة كان اناخ لا يصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يدفعون فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولانا يومئذ
وقد اختلفوا في السعي بين الصفا والمروة ما هو فقال بعضهم هو ركن
في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه وقيل انه واجب وليس بركن
وقيل بل مستحب والقول الاول اصح لانه صلى الله عليه وسلم واظب عليه
لتاخذوا عني مناسككم فكل ما فعله في حجته تلك واجب لامره فعله
في الحج الا ما عرج بدليل والله اعلم ٥ فقد بين الله تعالى ان الطواف

من

بين الصفا والمروة من شعائر الله اي مما شرع الله تعالى لابراهيم الخليل
في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس ان اصل ذلك ما كان من
طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفد ما قربها
وزادها حين تركها ابراهيم عليه السلام هنالك ليس عندها احد من
الناس فلما فنيت الصبيحة على ولدها هنالك ونفد ما عندها
قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد في هذا البقعة
المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خاشعة وجلة مضطرة متقنعة
الى الله عز وجل حتى كشف الله عز وجل كربتها وانس غربتها وفرج شدتها
وانبع لها زمزم التي بادرها طعام طعم وشفاء سقم فالسعي منها بغي
لمن اشتد ضرر فقر ودله وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله
وعقران ذنبه وان يلجئ الى الله عز وجل ليزيح ما هو به من التباريص
والعيوب وان يهديه الى صراطه المستقيم وان يثبته على الايمان وان
يحوله من حال الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي الى حال الكمال والغفران
والغرض الاستنامة بما فعل بها حري عليها الصلاة والسلام ٥
قال الشيخ شيخنا الامين ابو العز وفقه الله وشرفه وروحه في الهدى
ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة قبل الظهر ركبا فطاف طواف الافاضة
وهو طواف الزيارة وهو طواف الصدر ولم يطف غير ولم يتبع معه
هذا هو الصواب وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف طائفة زعمت
ان طواف الوداع طوافان للقدوم سوى طواف الافاضة ثم طاف للافاضة
وطائفة زعمت انه سعى مع هذا الطواف للقدوم فانه طاف وطائفة زعمت
انه لم يطف ذلك اليوم وانما اخر طواف الزيارة الى الليل فنذكر الصواب
في ذلك وبين منشا الغلط وبالله التوفيق ف لا شرع قلت لابي
عبد الله فاذا رجع اعني المتمتع كم يطوف ويسعى قال يطوف ويسعى لحجه
ويطوف طوافا اخر للزيارة يعاود ذلك في هذا غير مرة قلت عليه كل
الشيخ في المغني وكذلك الحكم في القارن والمفرد اذا لم يكونا طافا
قبل يوم النحر ولا طافا للقدوم فانهما يبدان بطواف القدوم فيسعيان
طواف الزيارة نص عليه الامام احمد واحتج بما روت عائشة قالت فطاف
الذين اهلوا بالعمرة بالبيت بين الصفا والمروة ثم حلوا ثم طافوا طوافا

شبكة الألوكة www.alukah.net

به فرقا على الصفا حتى اذا نظر الى البيت كبر وقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله انجز
وعده وصدق عبده وغلب الاحزاب وحده ثم دعا ثم رجع الى هذا
الكلام ثم مشى حتى اذا انصبت قدماه في الوادي رمل حتى
اذا اصعد مشى حتى اتى المروة فرقى عليها حتى نظر الى البيت وقال
عليها كما قال على الصفا فلما كان آخر طوافه على المروة قال يا ايها الناس
انى لو استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدى ولجعلتها عمرة
فمن لم يكن معه هدى فليحل وليجعلها عمرة فحل الناس كلهم فقال
سراقة ابن مالك ابن جعشم وهو عاشر العرفة يا رسول الله ألعامنا
هذا ام للابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه فقال لا بل دخلت
مرات ثم قال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة حدثنا عبد الله
قال حدثني ابي قال قرات على عبد الرحمن مالك وحدثنا اسحق انا مالك
عن جعفر عن ابيه عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي حديث عبد الرحمن يصنع
ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك حدثنا
علي ابن حرب قال حدثنا عيسى ابن يونس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طاف الطواف الاول حب ثلاثا
ومشى اربعا وكان يسعى بطن المسيل اذا طاف بين الصفا والمروة
حدثنا روح قال انا ابن جريج اخبرني عمرو ابن دينار انه سمع وعلا
سأل عبد الله ابن عمر ما يصنع الرجل امرأته قبل ان يطوف بالصفا
والمروة فقال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم فطاف ثلاثا ثم ركع ركعتين
ثم طاف بين الصفا والمروة سبعا لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة حدثنا سريج قال انا عبد الله ابن المؤمل عن عطاء ابن
ابي رباح عن صفية بنت شيبة عن حبيبة بنت ابي تجراة قالت
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه
وهو وراءهم وهو يسعى حتى اري ركبتيه من شدة السعي يدور به ازاره
وهو يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي حدثنا حسان قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عز وجل اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن تسخط
فله السخط زاد الامام احمد ومن جزع فله الجزع ٥ ومن علاجها ان يعلم
انه وان بلغ في الجزع غايته فآخر امره الى صبر الاضطرار وهو غير
محمود ولا مثاب قال بعض الحكما العاقل يفعل في اول يوم من المصيبة
ما يفعله الجاهل بعد ايام ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهايم
وفي الصحيح مرفوعا الصبر عند الصدمة الاولى وقال الاشعث ابن
قيس انك ان صبرت ايمانا واحتسابا والا سلوت سلو البهايم ٥ ومن علاجها
ان يعلم ان انفع الادوية له موافقة ربه والهه فيما احبه ورضيه له وان
خاصية المحبة وسرها موافقة المحبوب فمن ادعى محبة محبوب ثم سخط
ما يحبه واحب ما يسخطه فقد شهد على نفسه بكذبه وتمقت الى محبوبه
قال ابو الدردا رضي الله عنه ان الله تعالى اذا قضى قضا احب ان يرضى به وكان
عمران بن حصين يقول في علته احبه الي احبه اليه وكذلك قال ابو العالية وهذا
دوا وعلاج لا يعمل الا مع المحبين ولا يمكن كل احد ان يتعالج به ومن
علاجها ان يوازن بين اعظم اللذتين والتمتعين وادومهما لذة تمتعه
بما يصيب به اولذة تمتعه بثواب الله فان ظهر له الرجحان فآثر الراجح
فليحمد الله على توفيقه وان آثر المرجوح من كل وجه فليعلم ان مصيبته
في عقله وقلبه اعظم من مصيبته التي اصيب بها في دنياه ٥ ومن علاجها
ان يعلم ان الذي ابتلاه بها احكم الحاكمين وارحم الراحمين وانه سبحانه لم يرسل
اليه البلا ليهلكه ولا ليعذبه ولا ليجتاحه وانما افتقده به ليمتحن صبره
ورضاه عنه وايمانه وليسمع تضرعه وابتهاله وليراه طريحا ببابه لايذا بجنابه
مكسور القلب بين يديه رافعا قصص الشكوى اليه قال الشيخ عبد القادر
رحمه الله يا بني ان المصيبة ما جات لتهلكك وانما جات لتمتحن صبرك
وايمانك يا بني القدر سبع والسبع لا ياكل الميتة والمقصود ان المصيبة كير
العبد الذي يسبك به حاصله فاما ان يخرج ذهبا احمر واما ان يخرج خبثا كله
كما قيل سبكناه ونحسبه لجينا فابدى الكير عن خبث الحديد فان لم ينفعه
فاذا علم العبد ان ادخاله كير الدنيا ومسبكها خير له من ذلك الكير
والمسبك وانه لا بد من احد الكيرين فليعلم قدر نعمة الله عليه في الكير العاجل
ومن علاجها ان يعلم انه لولا محن الدنيا ومصايبها لاصاب العبد من ادوا الكبر

والعجب

٧٥

والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلا وآجلا
فمن رحمة ارحم الراحمين ان يتفقده في الاحيان بانواع من ادوية المصايب
تكون حمية له من هذه الادوا وحفظا لصحة عبوديته واستفراغا
للمواد الفاسدة الردية المهلكة منه فسبحان من يرحم ببلايه ويبتلي
بنعمايه كما قيل

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

فلولا انه سبحانه يداوي عباده بادوية المحن والابتلا لطغوا وبغوا وعتوا
والله سبحانه اذا اراد بعبد خيرا سقاه دوا من الابتلا والامتحان
على قدر حاله يستفرغ به من الادوا المهلكة حتى اذا هذبه ونقاه وصفاه
اهله لاشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وارفع ثواب الاخرة وهو
رويته وقربه ٥ ومن علاجها ان يعلم ان مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة
الاخرة يقلبها الله سبحانه كذلك وحلاوة الدنيا هي بعينها مرارة الاخرة
ولان ينتقل من مرارة منقطعة الى حلاوة دايمة خير له من عكس ذلك فان
خفي عليك هذا فانظر الى قول الصادق المصدوق حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلايق وظهرت
حقايق الرجال فاكثرهم آثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدايمة التي
لا تزول ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الابد ولا ذل ساعة لعز الابد
ولا محنة ساعة لعافية الابد فان الحاضر عنده شهادة والمنتظر
غيب والايمان ضعيف وسلطان الشهوة حاكم فتولد من ذلك ايثار
العاجلة ورفض الاخرة وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الامور
واوايلها ومبادئها واما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة ويجاوزه
الى العواقب والغايات فله شان آخر فادع نفسك الى ما اعد الله
لاوليايه واهل طاعته من النعيم المقيم والسعادة الابدية والفوز الاكبر وما اعد
لاهل البطالة والاضاعة من الخزي والعقاب والحسرات الدايمة ثم اختر
اي القسمين اليق بك وكل يعمل على شاكلته وكل احد يصبو الى
ما يناسبه وما هو الاولى به ولا تستطل هذا العلاج فشدة الحاجة اليه
من الطبيب والعليل دعت الى بسطه وبالله التوفيق ٥

وما حول وهايته فكيف يطرح بوجود اياسي على منقوصه
في مصيبته ومعاده ومن علاجها ان يعلم ان هذا الذي نزل به
عام البقر انما اصابه بكن الخطيئة وما اخطأه لم يكن ليصيبه
قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ومن علاجه ان ينظر الى ما
اصيب به فيحمد ربه قد بقي عليه مثلاه افضل منه لا تحزن ان صبر
ونصبي اعظم من فوات تلك المصيبة واصناف ما عنده وانه لو
شاء لعجل له اعظم مما فاته من ذلك ومن علاجها ان يطوف بالنائحة على
المصيبة ليعلم انه في كل واد بنو سعد فلعله يجد من هو اشد مصيبة منه
ثم ليطف بين المرضى والمجذومين والمبتلين في اعضائهم والمفلوجين
مبتلى فوات محبوب او حصول مكروه وان عمر الدنيا لا يساوي
اقل قليل ان افنك قليلا لم تبق كثيرا وان تربت وتناسيت
ذكرها وان متعت قليلا متعت كثيرا طويلا وما بك واحدة الا
ملتاعين ولا ترتع يوم سرور الا وانت هدف لسهام
كل فرحة ترجوها وملمة ترجاها الامل ترجاها وانت هدف لسهام
لقد بيتنا وخن اغر الناس وانذهم فما راعنا الا الشمس حتى
وخل الناس وانحق بها الله ان لا عمار الا احب الا ما عاين وكما
وجبا نحدث عن امرأة انا صبحنا ذا صباح وما في العرب احد
الا يجونا ثم امسينا وما في العرب احد الا مسانا وكنا نحتهم
التحان موكاوهي فوعزها فتيل لها ما يكيك على احد اذال مالك
لا قل ولكن رأيت عمرك في اول ليلة وفي اول ما استقبلت وآخر ليلة
الاستدبرت حزنا لا استطيع له دفعا فعلمت انه كيف
غابت عنا الملوك فقلت ما لمن فيها اليوم خير مما كانه فلا يبس
انا لله وانا اليه راجعون ان لله كتابا يعيشون فيه الا قليلا ثم يرحل الخبيثون
بعدها عين وان الدهر لا يظفر بشيء فيبقيه الا بخل له بين
بشر بن عبد الله حدثنا خالد عن يونس عن الحسن قال ما من يوم
ليس فيه قضاء الا يوم يقول انا يوم جديد وعلى عملك شهيد فاعمل فيه
ان علاج الجزع لا يدفعها بل صاحبها وهو ان الجزع يزيد
المرض

المرض ومن علاجها ان يعلم ان فوق ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة
والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع اعظم المصيبة
في الحقيقة ومن علاجها ان يعلم ان الجزع لا يرد عليه ما فاته ويسوء صديقه ويفرح
ربه ويسر شيطانه ويحبط اجره ويضعف اجره ولذا صبر واحتسب افنى
شيطانه وردّه خائبا وارضى ربه وسر صديقه وساء عدوه وحمل
عن اخوانه وعزاهم هو قبل ان يعزى فهذا هو الثبات والحلم الاعظم
لا الطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والتسخط على
المقدور ومن علاجها ان يعلم ان ما يعقبه الصبر والاحتساب من
اللذة والمتع اضعاف ما كان يحصل له بقاء ما اصيب به لو بقي عليه
وكفيه من ذلك بيت الحمد الذي بنى له في الجنة على قدر مصيبته واسترجاعه
فلينظر اي المصيبتين اعظم مصيبة العاجل او مصيبته هو اذا بيت الحمد
في جنة الخلد وفي الترمذي مرفوعا يود ناس يوم القيامة ان جلودهم
كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب اهل البلاء وقال
بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ومن
علاجها ان يروح قلبه بروح رجاء الخلف من الله فانه من كل شيء عوض
الا الله عز وجل فانه يعوض كما قيل

من كل شيء اذا ضيعته عوض وما من الله ان ضيعته عوض

ومن علاجها ان يعلم ان عظم المصيبة عما جدته له لمن رضي والا رضي ومن
سخط فله السخط فطالما حدثته لك فاختر غير الخطوط او
ستر هاك فان حدثت سخطا ولعنة كتبت في ديوان الهالكين وان حدثت
له جزعا وتفريطا في ترك واجب او فعل محرم كتبت في ديوان المفرطين
وان حدثت له شكاية وعدم صبر كتبت في ديوان المغبونين
وان حدثت له اعتراضا على الله وقدحا في حكمته فقد قرع باب الزندقة
او ولجه وان حدثت له صبرا وثباتا لله كتب في ديوان الصابرين
وان حدثت له الرضا عن الله كتب في ديوان الراضين وان حدثت له
الحمد والشكر كتب في ديوان الشاكرين وكان وكنت تحت لواء الحمد يوم القيامة
وان حدثت له محمدة واثنى بها على قائله كتب في ديوان المحمودين
وفي مسند الامام احمد والترمذي من حديث محمود بن لبيد يرفعه ان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قالوا انا لله وانا اليه راجعون اي تعلموا نحن لهم صناع اصابهم
وعلموا انهم ملك لله متصرف في عبيده بما شاء وعلموا انه لا يضيع لديه
مثقال ذره يوم القيمة فاحدث لهم ذلك اعترافهم بانهم عبيده وانهم
اليه راجعون في الدار الاخره ولهذا اخبر تعالى عما اعطاهم على ذلك
فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم اي ثناء جميل من الله عليهم ورحمة ان سعد
رجيب اي امنة من العذاب اولئك هم المهتدون قال امير المؤمنين
عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة فهذان العدلان واولئك هم المهتدون فهذه العلاوة وهي ما توضع
بين العدلين وهي زيده في الحمل وكذلك هؤلاء اعطوا ثوابهم وزيدوا ايضا
حدثنا يونس قال ثنا ليث يعني ابن سعد عن يزيد ابن عبد الله ابن اسامه
ابن الهاد عن عمرو يعني ابن ابي عمرو عن المطلب عن ام سلمه قالت اتاني رسول
يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولا عجبت منه قال لا يصيب احدا من المسلمين مصيبة فترجع عند مصيبته
ثم تقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا فعل ذلك به قالت
ام سلمه فحفظت ذلك منه فلما توفي ابو سلمه استرجعت وقلت اللهم اجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منه ثم رجعت الى نفسي قلت اين لي خير من
ابي سلمه فلما انقضت عدتي استاذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ادبغ اهابا
لي فغسلت يدي من القرظ وادنيت له وسادة ادم حشوها ليف
فقعد عليها فخطبني الى نفسي فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بي الا ان
تكون بك الرغبة ولكني امراة في غيرة شديده فاخاف ان ترى مني شيئا
يعذبني الله به وانا امراة قد دخلت في السن وانا ذات عيال قال اما ما
ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل واما ما ذكرت من السن فقد
اصابني مثل الذي اصابك واما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالي
قالت قد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امري وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ام سلمه رضي الله عنها فقد اعطاني الله ما هو خير منه تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم
حدثنا يزيد بن هارون انا حاد بن سلمه عن ثابت البناني قال انا عمر بن ابي
سلمه عن ام سلمه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابته مصيبه فليقل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تحائف حتى صار حجاب شك وتكذيب متدرجا في اصول الايمان التي وهي
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه فلغط حجابه وكثفته وغلظه
وسواده ما يزري حقا بهذا الايمان ويتمكن منه الشيطان بغلوه وسببه
والنفس الامارة تتمنى وتشتهي وخلط الطبع قد ظفرت بغلظ الايمان
فاحرى اوسخنه ان لم يهلكه ويقلبه بيد الملك واستخدم جنود
الشهوات واقطعها العوائد التي جرى عليها العمل واغلق بابا ليقظه
واقام عليه بواب الغفلة وقال اياك ان يمر قبلك واتخذ حاجبا من
الهوى وقال اياك ان تمكن احدا يدخل الا معك فاذا هن الملك قد
صار اليك والى الثواب فيا بواب الغفلة ويا حاجب الهوى لتلزم كل منكما
شغله فان خلتما فساد مملكتنا وعادت الدولة لغيرنا وشاسنا
سلطان الايمان خزيا وهوانا ولا يفرح بهذه المدينة ابدا
فلا اله الا الله اذا اجتمعت على القلب هذه العساكر رقه الايمان
وقلة الاعوان والاعراض عن ذكر الآخرة والانغماط في شهوات الدنيا
وطول الامل المقتضي للانكباب على العاجل الحاضر على الغائب الموعود
بعد طي هذه الاكوان فالله المستعان وعليه التكلان ۝

قوله تعالى ولنبلونكم بشيء
من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين
وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليه ترجعون وقال تعالى ليبلوهم
ايهم احسن عملا وقال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
وهو العزيز الغفور وقال تعالى وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقال تعالى اخبارا عن سليمان عليه السلام هذا من فضل
ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم وقال تعالى ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال تعالى

فاما

فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا
ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا وقال تعالى فاما الانسان
صر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم
لا يعلمون ۝ وقال تعالى

اخبر تعالى انه يبتلي

اخبر تعالى انه يبتلي عباده اي يختبرهم ويمتحنهم قال تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فختاره
بالضراء وتارة بالسراء من خوف وجوع كما قال تعالى فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف وقال هنا شيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك ونقص
من الاموال اي ذهاب بعضها والانفس كموت الاصحاب والاقارب
والاحباب والثمرات اي لا تغل الحدائق والمزارع كعادتها قال
بعض السلف فما ابتلي بعض النخيل لانه غير واحد وكل هذا وامثاله
مما اختبر به اعباده فمن صبر اثابه ومن قنط اجلبه عقابه ولهذا قال
تعالى وبشر الصابرين ۝

قوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
يثني تعالى على من الصابروا الذين شكروه فقال الذين اذا اصابتهم مصيبة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتحتها لتلاطم هم يقود صنوحا ليس يكون سقوط القلب وهو
تابع قال القلب اذا توفيت فيها الحياة لابناء اذا تم البدن وكمال
هذه الحياة كان لبنيانها على اسرع وقل احيا الله قلبه بمحبته واتباع
رسوله ذلك بحسب نصيبه من الغفلة والتيقظ بالنسبة الى الجنس
والعقل والقلب مستيقظ القلب وغافل كمستيقظ البدن ونائمه
وكما ان يقظة الجنس على نوعين كذلك يقظة القلب على نوعين
فالنوع الاول يقظته لجنس ما خلق له بحيث ينفذ في امور المعيشة
وسعي فيها بكيسه وفطانته واجتهاده وحسن تأتيه والنوع الثاني
ان يتأمل في نفسه وصفاته وافعاله وحقيقة تحصيل كماله فيلحظ عيوبه الى الامور
ويتفاسد فيها فيؤثر الاعلى على الادنى وخير الخيرين بتقويته لذاتها
ويرتكب لذة الشرين بخشية من حصول اضعافها ويتحلى بمكارم الاخلاق
ومعالي الشيم فيكون ظاهره جميلا وباطنه اجمل من ظاهره وسريرته
خير من علانيته فتراه صاحب المعالي عليها كما يحترام اهل الابصار
والبصائر على نفسه اليقظة مستعد للنوع الاخير من يقظته
يقظة تبعثه على اقتناء الحياة الدائمة الباقية التي لا خطر لها من هذه
الحياة الخائنة الخليلة التي لا بقاء لها ومن دعائه المأثور عن بعض السلف
رضي الله عنهم اللهم اجعل خير ايامي يوم القاك فيه وخير اعمالي
خاتمته وخير دعائي ان اختم لي اللهم اني اعوذ بك ان تختم لي بخاتمة
الخائنين علانيتي وتفضحني عند اقرب خلقك مني ربي اللهم ارزقني ثناء
من حسنت عليه ثنائي وشفعت على نفسه في نفسه فتأمل هذا الدعاء
تجد هذا الداعي الاشراف على مباشرة عورات من اثنى عليه
من جانب الظاهر والباطن فكان يعلم ان الله عز وجل اطلع
على باطنه وسريرته رضي بمدحه اياه فان قلت هل لي ان
تقبض الحياة الدائمة من الحياة الخائنة فكيف يكون هذا فاني لا ارى
فيه هذا الضابط بل هو الخلط بعينه وهل يقبض الماء
الا من الماء فاعلم ايها الحائر وانت قد شغلت بالجمع من شرح اخر
قد اشتغل عن الانتباه بتفقد الخلل الذي يعرض لليقظة التي هي مرتبة
ويتطلع الى ما فوقها من الحياة الدائمة فجعلها هي المقطعة انما ينقل
من دار منقطعة الى دار باقية وقد توسط الموت بين الدارين وهو

قنطرة

قنطرة لا يعبر الى تلك الدار الا عليها وباب لا يدخل الجنة الا منه فما
حياتان في دارين بينهما موت وكما ان نور تلك الدار مقتبس من نور هذه
الدار فحياتها مقتبسة من حياتها فمجلي قدر نور سراج الايمان في هذه الدار
يكون نور العبد في تلك الدار وعلى قدر حياته في هذه الدار تكون حياته
هناك نعم هذا النور والحياة الذي يقتبس منه ذلك النور والحياة
الذي يقتبس منه ذلك النور والحياة لا تنقطع بل يتصل للعبد في البرزخ
وفي موقف القيامة وعلى الصراط فلا يفارقه الى دار الحيوان طفى نور
المتمسك وهذا النور لا يطفأ وتبطل الحياة المحسوسة وهذه الحياة
لا تبطل هذا احد انواع يقظة القلب النوع الثاني يقظة تبعث على
حياة لا يدركها العباد ولا تنالها التوهم ولا يطلق فيها اللفظ المعنا
المسمى والذي يشار به اليها حياة المحب مع حبيبه الذي لا تقوم لقلبه وروحه
وحياته الا به ولا غنى له عنه طرفة عين ولا قرة لعينه ولا طمأنينة لقلبه
ولا سكون لروحه الا به وهذا احوج اليه من سمعه وبصره وقوته بل هي
حياة فلا حياة له دونه عذاب والام وهموم واحزان فحياته موقفة على
قربه ومحبته وعذاب حجابه عنه اعظم من العذاب الاخر كما
ان نعيم القلب والروح باذن الله في لمحاب اعظم من النعيم بالاكل والشرب
والتمتع بالحور العين فهكذا عذاب الحجاب اعظم من عذاب الجحيم ولهذا
جمع سبحانه لاوليائه بين النعيمين في قوله للذين احسنوا الحسنى
وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة رؤيته ووجهه الكريم في جنات عدن
وجمع لاعدائه بين العذابين في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم والمقصود ان القلب هي يوم القلب عن طلب هذه الحياة
وهي حجاب عليه فان كشف هذا الحجاب بالرد والاتعاظ حتى يصير حجاب
بطالة ولعب واشتغال بما لا يفيد فان بادر الى كشفه والاتعاظ
حتى يصير حجاب معاصي وذنوب صغار تبعده عن الله فان بادر الى
كشفه والاتعاظ حتى يصير حجابا كبائر توجب مقت الرب تعالى
وغضبه ولعنته فان بادر الى كشفه والاتعاظ حتى يصير حجاب
علة تعذب العامل فيها نفسه ولا يجدي عليه شيئا فان بادر الى
كشفه والاتعاظ حتى يصير حجاب بدع وقولا واعتقادية تتضمن الكذب
على الله ورسوله والتكذيب بالحق الذي جاء به الرسول فان بادر الى كشفه والا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيد الخلق ثم يعيده ويرزق من في السموت ومن في الارض خلقه وعبيده
الذي ملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ويدبر الامر الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه الذي
له ملك السموت والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق
كل شيء وقدره تقديرا المستغاث به عند كل بليه وقاصده والمعبود
منه كل بر وكرامه الذي عنت له الوجوه وخضعت له الاصوات وسجدت
بحمده الارض والسموت وجميع الموجودات الذي لا تمكن الارواح الا
بجنته ولا تطمين القلوب الا بذكره ولا تزكوا العقول الا بمعرفته ولا
يدرك النجاح الا بتوفيقه ولا تحي القلوب الا بتبيح قربه ولطفه ولا يقع
امر الا باذنه ولا يهتدي ضال الا بهدايته ولا تفقد ودائع الا بحفظه
ولا نعم احد شيأ الا تفضله ولا تخلص من طرق الا بحفظه ولا تحفظ
شيء الا بكلاءته ولا يفتح امر الا بتيسيره ولا يتم الا بحوله ولا يدرك ما هو ل
الا بتيسيره ولا تنال سعاده الا بطاعته ولا هناه الا بذكره ومحبته ومعرفته
ولا طابت الجنه الا بمشاهده وروئيته الذي وسع كل شيء رحمة وعلما
واوسع كل مخلوق فضلا وبرا هو الاله الحق والرب الحق والملك
الحق والمتفرد بالكمال المطلق من كل الوجوه المبرا عن النقايص والعيوب
من كل الوجوه لا تبلغ المثنون وان اثنوا عليه باجمع الاوقات
بكل انواع الثناء ثناء عليه بل ثناؤه اعظم من ذلك وهو سبحانه اثنى على نفسه
هذا الجاد واما الدار فلا تعلمت حسنها وبهاءها ونضرتها ونعيمها وبهجتها
وروحها وراحتها فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فهي الجامعه لجميع انواع
الافراح والمسرات الخاليه من جميع المنغصات والمنقصات زحانه
تهتز وقصوره تشيد وروحه وريحانه يضحك فتحالنا ايها المصدوق
الى هذه الدار باذن ربنا وتوفيقه واجابته وترحال المكذبين
الى الدار التي اعدت لمن كفر بالله ولقايه وكتبه ورسله فلن يجمع الله
بين الموحدين له الطالبين لمرضاته الساعين في طاعته الدائبين
في خدمته المجاهدين في سبيله وبين الملحدين الشاعين في مساخطه
الدائبين في معصيته المشمرين جهدهم في اهوايهم وشهواتهم في
داره واعدله الاعلى وجه الجوار والحبور كما جمع بينهما في هذه الدنيا
ويجمع

وجمع بينهم في موقف القيامه فيحاشاه من هذا الظن السيء الذي لا يليق
بكرمه وجوده فصلى الحياه الدائمه الباقيه بعد طي
هذا العالم ردها به اهلها في دار الحيوان وهي الحياه التي شمر اليها العاملون
وتنافس فيها وذابت الكبت الصبر وبه وصل الله جميعهم عليها وهي التي
يسئل من فاته الاستعداد لها اذا كشف الغطاء عن حقايقها
صفاء ونقاء يوم يبعثون يوم هم على النار يفتنون ذوقوا
مسكم هذا الذي كنتم به تستعجلون هي التي قد صليها قوم
الا ضرا وعتوا فان الدار الاخره لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وللحياه الدنيا
كما تشوقت النفوس اليها وكل ما تقدم من وصف السعاده والشقاوه
الصيرورة بعبوديتها الظاهره والباطنه وسيله الى هذه الحياه الدائمه
الحياه الدنيا الا لعب ولهو كما يلعب احدكم بصبيه في الدنيا ثم يترجع
وكما قيل تنفس اعمر فان الدنيا لعب فاما الجنه فاما النار
عشر نعيم دائم على هذا الحق يعلمون واصناف اهل الشقاق وعلى عذاب
دائم على مثل الحق يعلمون وان كانت حياه اهل الايمان والعمل الصالح
في هذه الدار حياه طيبه فان حياتهم في الدار الاخره وقد تخلصوا من
سجن الدنيا وضيقها وظلمتها الى دار النعيم المقيم الذي لا يزول
وهم يرون وجه ربهم تبارك وتعالى بكره وعشيا وتشهد ارواحهم
فان لذة ما تجد النفوس من طعم هذه الدنيا الفانيه الخطره الذي لا يدوم
فيها وبقيتها في الحياة الباقيه الهنيه التي هي كما قيل الدوام الذي لا
تصورها وتصورها اعظم من لذتها الدوام الذي لا
هذا مع ايثار الله لاصفيائه المقربين في الطيب للطيبات بالاحسان
فيجل ذلك كله امور عظيمه من ذلك علمهم بالاحسان
ذلك ضعفا ان هذا الايمان هو روح الاعمال الصالحه التي اعتبلها
والاسراج والناس في الدنيا على قدر قوة الايمان ضعفا وقوة
فيها سابق بالخيرات باذن الله ومنهم مقتصد ومنهم ظالم لنفسه
ان تحشر ونشر بالايمان في الاخره الى الله تعالى
واعتد للسعي ما استطعت فان الجزاء يحشر الناس على القدر
فان العمل في القلب والجزاء بحسب الايمان في القلب زيادة ونقصانا

نسخة
اللوكة
www.alukah.net

وبانتهاء الدنيا وقيامها من قبل ومن بعد من ارتحاله والغاية وبين
وتعليم الشيء وتحيله عند فعرف حينئذ ان الدنيا قنطرة والاخرة
لب وان الدنيا محل المزرع والاخرة وقت الحصاد وان الذي
مخبور ومرور والاخرة مستقر واذا عرف ان الدنيا طريق وممر
كان حريا بتسميته الزاد المذكور وبعلم حينئذ انه لم يكتف في هذا الدار
الاستيطان والمقام ولكن للجواز الى مكان اخر هو المنزل والمثوى
وان الانتباه الى ذلك من اجل شرعه وعلى ان كل شيء وكل
اشاره دليل منصوب له على ذلك نبه وضرب له الامثال لكل مثل
ونبه عليه بمثاله الاول ومثاليه وسائر امثالها الواردة في القرآن العزيز
بمثاليه الارضي والسماوي بحيث اثبتت عين الشيء واوضحت له
الحق واميط عن المحجة واعقد اليه عليها الاعذار واماط الجهل
فاشتان الذي العقل الصحيح والنظر السليم ان الناظر في هذه
الدنيا نظر مستوفز لا يستقر عند حد لانه يعلم ان له محلا اخر له
امتى ولاجله خلق وله هي فصير اليه وقد ومنه بلاغ عليه
وان هذا دار هدم ومنزل حور ولا مستقر قرار وما هي بنظر الاحداث
وما شيع بعد النظر الى وجوده الدليل على ان وراءه الحي القيوم
اهم واجل منه وهذه الحياة بالنسبة اليه كلا شيء فالنظر
وكان ذلك فقد الى الشخص رسمها على تنادي بها
وطالبة في ظاهرها انها انسان وعلى مر الليل والنهار
الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور وتدعوك الى ان تأخذ
منها حصتك لان واضرب له مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه
السماء فاختلط به نبات الارض فصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شيء مقتدرا وقال انما مثل الحياة الدنيا كماء
نزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون
عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون وقال انما الحياة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد

والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون
حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور ثم ندبهم الى السابقة الى الدار الباقية
التي لا زوال لها بما لهم تعالى ثم تفتوا الى معدن من ربع وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وتسمع بعض العارفين
منشدا ينشد من بعض الزهاد قد عند موته وهو محمد بن زكريا الرازي المتطبب

لعمري ما ادري وقد اذن لي ... لعلي بما اجل ترحالي الى اين ترحالي

واين محل الفتح بعد خروجه ... عن الهيكل المنحل والجسد البالي

فقال وما علينا من جهله اذ المريد الى اين ترحاله لكنا ندري الى اين ترحالنا
وترحالنا اما ترحال الى دار لا شقاء ومحل المكذبين لقدرة الله وحكمته
المكذبين بما انفقت عليه كلمة المرسلين عن ربهم اولئك الذين كفروا بربهم
واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقالوا
ايذا ضللنا في الارض ايانا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا
موقنون واسارتحلنا ايها المتلون لغفار بهم وكتبه ورسله والى نعيم دار
خلود متصل ومقام كريم وجنة عرضها السموت والارض في جوار
رب العالمين وارحم الراحمين واقدر القادرين واعلم الحاكمين الذي
له الخلق والامر وبيده النفع والضر الا الحق الموجود بالضرورة المعروف
بالعقل الذي اقرت به العقول ودلت عليه الموجودات وشهدت
بوحدانيته وربوبيته المخلوقات واقرت بها الفطر المشهود وجوده
وقيومية كل حركة وسكون وكل مكان وما هو كائن وما يكون
الذي خلق السموت والارض وانزل من السماء ماء فانبت به من انواع
النبات وبث به في الارض جميع الحيوانات الذي جعل الارض قرارا
وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا الذي
يجيب المضطر اذا دعاه ويغيث الملهوف اذا ناداه ويكشف السوء ويفرج
الكربات ويقيل العثرات الذي بيده خزائن السموت والارض وبيده مقاليد
الريح نشرا بين يدي رحمته فيجري الارض بوابل القطر الذي

وما هذا والله بالصعب ولا بالشديد مع هذا العمر القصير الذي هو
بالنسبة الى تلك الدار كساعة من نهار وسوم بحشرهم كان لم يلبثوا
الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم كأنهم يوم مروا لم يلبثوا الا عشية او
ضحاها ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسئل
العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون فلو ان احدنا جر
على وجهه يبتغي بذلك الشوك والحجارة الى هذه الحياة لم يكن ذلك كثيرا
ولا غبنا في جنب ما يؤمله فواحسرتاه على جبين شاهد يشاهدين
الحياتين على ما هما عليه وعلى همة تؤثر الاعلى على الادنى وهذا كالا
يتوفيق من ازمة الامور سدده ومنه ابتدا كل شيء وانتهاؤه والبه اقعد
نفوس من غلبت عليها الشقاوة عن السفر الى هذه الدار وحذب على
من سبقت لهم منه الحسنى واتاهم في الطريق وشهد عليهم ركوب الاخطار
فضاع اولئك مراحل اعمارهم مع المخلفين وقطع هؤلاء مراحل اعمارهم
مع المسابرين وعدت العبرة فما العجاج فتوارى عنها الناظرون
حتى لا المخلفون ممن يسجى عن قريب فيقول العاملون ويختم المنطقون وعى
طيب هذه المثابة ولذتها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت لها
عند الله خير تسرها ان ترجع الى الدنيا وان لها الدنيا وما فيها
الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع الى الدنيا لما يرى من كرامة الله له ذكر بعض
ليقتل فيه مرة اخرى وسمع بعض العارفين متمثلا بهذا البيت
ما العيش في بهجة الله وهو يقول الفتى
حكم كان المنون ان تتوارى في حساها البلد والاهلي
وبصير العتي تحت ثرى الارض صاراً تحته الودي
سئل الارض عنها ان ذا المسك والشيخ اتى الفتى
فقال قائلة امه ما ابشد معاندته للدين والعقل هذا نفس
عدو الله والشريعة والعقل والايمان والحكمة ما عكس ابن آدم
ان الموت تساوى فيه الصالح والطالح والعالم والجاهل وصار ولغت
الثرى بحب ان تتساوى في العاقبة اما تتساوى قوم تسافروا بين
بلد الى بلد في الطريق فلما لمعوا القصد تبدل على واحد في كل مكان

كان

فالحسنة في الجنة فما شأنها وما رأوا انهم لا يتركون من ان يقولوا فلو استأنف
ان يتردادوا منا في احتدانا الى الدنيا حتى نقتل في سبيلك فلان اي لهم
لا يتأتى ان الا ذكر تركوا حديثا عن عمرو عن الزهري عن
ابن كعب بن مالك عن ابيه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم ان ارواح الشهداء
في طير خضر تعلق من ثمار الجنة وقرى على سفيان بسنده تعلق في ثمار وشجر
الجنة حدثنا محمد بن ادريس يعني الشافعي عن مالك عن ابن شهاب
عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك انه اخبره ان ابا كعب بن مالك كان
يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر
الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى الى جسده يوم يبعثه ففيه
دلالة لعموم المؤمنين ايضا وان كان الشهداء قد خصصوا بان ارواحهم في
الجنان تشريفا لهم وتكريما وتعظيما فصل حياة الشهداء
عند ربهم اكمل من حياتهم في هذه الدنيا وامر واطيب وان كانت لاجسادهم
متلاشية ولحومهم متمزقة وارواحهم مفترقة فليس العدم على الطلل الشان
في البيت لكن قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين وقال
تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون
واذا كان الشهداء انما نالوا هذه الحياة بمتابعة الرسل وعلى ايديهم
فما الظن بحياة الرسل في البرزخ وقد اخبر القائل ما شاء
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء فيها بين ذا وذا
فللرسل والشهداء والصديقين من هذه الحياة التي هي يقظة من نوم الدنيا
اكملها واتمها وعلى حسب حياة العبد في هذا العالم يكون شوقه الى هذه الحياة
وسعيه لها وتحصيله على الطريق بها والله المستعان وحياة الارواح
بعد مفارقتها الابدان وخلاصها من هذا السجن وضيقه فان من ورائه
فضاء وروح وريحان وراحة فتذهب الى الباب الذي كنت عليه مطمئنا الا
الى هذه الدار واذى من ذلك كان بعض العارفين ليلقن مريده عند
الموت الخروج من الدنيا كمبادرتك الى الخروج من السجن الضيق الى حديقة
والاجتماع بهم في الغاية التي الموت قبلها الله تعالى في هذه الحياة واما ان

كان

كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ويكفي في طيب هذه
الحياة مرافقة الرفيق الاعلى ومفارقة الرفيق الجبذي المنكد الذي
تنقص الحياة رويته ومشاهدته فضلا عن مخاطبته وعشرتنا الى الفرق
الاعلى الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
في جوار رب العالمين ولو لم يكن في الموت من الخير الا انه باب الدخول الى
هذه الحياة وحسبه بعدة منه الها لكفى به تحفة للمؤمن
حزي الله عنا الموت خيرا فانه ... ما من مكاره الطفت
يعجل تخليص النفوس من الاذى ... ويدني الى الاوطان التي هي اشرف
فالاجتهاد في هذا العمر القصير والمدة القليلة والمستعان الله
تحمل الاثقال والتعب والمشقة انما هو لهذه الحياة والعمل الاجل وسيله
اليها وهي يقظة وما قبلها من الحياة نوم وهي عين وما قبلها اثر وهي
حياة جامعة بين فقد المكروه وحصول المحبوب في مقام الامن
وحضن القرب حيث لا يتعذره مطلوب ولا يفقد محبوب
حيث الطمانينة والراحة البهجة والسرور حيث لا عناء التعب
عن حقيقته كنهها لانها في بلاد لا عهد لنا به ولا القاء بنا وبين ساكنيه
نفس لا لغة لهذا السجن الضيق النكد زمانا طويلا فكره الانتقال
منه الى ذلك البلد وتشوق اذا استشعرت مفارقته وحصول
العلم بهذه الحياة انما وصلنا الينا منه والى على يد اكمل الخلق واعلمهم له
وانصحهم وقامت شواهدها في قلوب اهل الايمان حتى صارت لهم بمنزلة
العيان فعرفت نفوسهم من هذا الظل الزائل والخيال المضمحل والعيش
الفاني الشوب بالتنغيص وانواع التنغص رغبة في هذه الحياة
وشوقا الى دار الملكوت ووجدا بهذا السرور وطربا على هذا
الحد واشتياقا الى هذا النعيم الوارد من محل النعيم المقيم ولعمر الله
ان من ساقر الى بلد العدل والخصب والامن والسرور وصبر
في طريقه على كل مشقة واعوز وجلب وفارق واسر ورصد
فكر المتخلفين احوج ما كان اليهم اجاب المنادي اذا نادى به حي على الفلاح
وبذل نفسه في الوصول بذل المحب بالرضا والسماح ووصل الى بر
الغفران والزواج فحل الوصول مثراه وانما هذه الممات فلا تشرى عند الصباح
عند الصباح يحمد القوم السرى ... وفي الممات يحمد القوم التقى

فقدره

فشرت

ابن القيم رحمه الله سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية وسئل الله روحه
ونور ضريحه يقول الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه والصفح
الجميل هو الذي لا عتاب فيه والهجر الجميل هو الذي لا اذى معه
وفي التوراة اوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل قل لقومك
قد دعاني فاطلمتني بالاجابة فشكاني فقلت عبدي حيدار حمك شيء
به ارحمك وقال ابن عيينة في قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
لما صبروا قال اخذوا بالبأس لما جعلناهم رؤساء وقيل صبروا
العابدين احتسبوا ان يكون محفوظا وصبر المجبين احسنه انه يكون
مرفوعا كما قيل

بين لوم البين ان عزامه ... على الصبر مما حدى الظعن الكواذب

والشكوى الى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب وعد الصبر
الجميل والنبي اذا وعد لا يخلف ثم قال انما اشكو بثي وحزني الى الله
وكذلك ايوب اخبر الله عنه انه وجده صابرا مع قوله مسني الضر وانت
ارحم الراحمين وانما ينافي الصبر شكوى السلا الشكوى اليه كما اي
بعضهم رجلا شكوا الى احد رفقائه وضرورة فقال له يا هذا اشكوا من
يرحمك الى من لا يرحمك ثم انشد يقول

" ولا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فانه بك اعلم
" واذا شكوت الى ابن آدم انما ... تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم "

الذي

قوله تعالى الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ٥ ولا تقولوا لمن يقتل في
سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون نخبر تعالى ان الشهداء
في برزخهم احياء يرزقون ٥ حدث علي ابن حجر قال انا ابو معوية
قال انا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون قال اما
انا سألنا عن ذلك ارواحهم كطير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
ثم تأوي الى قناديل معلقة بالعرش فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربك
اطلاعة فيقول سلوني ما شئتم قالوا ربنا ما فوق ذلك وحسن فسح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان ترك المحظور لا تضمن فعل المامور فانه قد يتركهما معا
كما تقدم فعلم ان القصد هو اقامة الامر على وجهه ومع ذلك لا يمكن
ارتكاب النهي البتة واما ترك النهي فانه لا تتم اقامة الامر به
السابع عشر ان الرب تعالى اذا امر عبده بامر ونهاه عن امر
ففعلهما جميعا كان قد حصل محبوب الرب ومقيضه وقد تقدم
له من محبوبه ما يدفع عنه سخطه ومقاومته ولا سيما اذا كان
فعل ذلك المحبوب احب اليه من ترك ذلك المبغض وبهذا له من جنابه
ما فعل من هذا بطاعة ما فعل من لا خبر ونظير هذا في الشاهد ان
يقتل الرجل عدو الملك هو مريض على قتله ويشرب مسكرا انهاه
عن شربه فانه يجاوز له عن هذه الزلة مثالها في جنب ما اتى به من
محبوبه واما اذا ترك محبوبه ومبغضه فانه لا يقوم ترك مبغضه بمحبوب
فعل محبوبه ابدا كما اذا امر الملك عبده بقتل عدوه ونهاه عن شرب مسكر
ففعلهما في قتل عدوه مع قدرته عليه وترك شرب المسكر فان الملك لا
يهب له جرمه بترك امره في جنب ترك ما نهاه عنه وقد قطر الله تعالى
عباده على هذا فهلكت السادات مع عبيدهم والاباء مع اولادهم
والملوك مع جندهم والزوجات مع ازواجهم لتنوع الترك منهم محبوب
الامر ومكروهه بترك الفاعل منهم محبوب امر وتعرض مكروهه يوضحه
الوجه الثامن عشر ان فاعل محبوب الرب تعالى يفعل جميع مكروهه
بل يترك من مكروهه بقدر ما اتى به من محبوبه فتشغل الاتيان بجميع
مكروهه وهو مبغض اما احبه او بغضه فان اتى بما احبه اثاب عليه
فيجتمع له الامران
فيجتمع الرب تعالى من وجه ومبغضه اما اذا ترك المامور به جملة فانه
لم يقم به ما يحبه الرب عليه فان مجرد ترك النهي لا يملون طاعة الا
ما اقترن به المامور به كما تقدم فلا يحبه على مجرد الترك وهو سبحانه يبغضه
ويبغضه على مخالفة الامر فصار مبغوضا للرب تعالى من كل وجه
اذ ليس فيه ما يحبه الرب عليه فتامل يوضحه الوجه الثامن عشر
وهو ان الله سبحانه انما يعلق محبته الامر وهو ذي امره لها اما
استحبابا واما لم يعلقها بالترك من حيث هو لا في موضع واحد فانه
يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الشاكرين ويحب الصابرين
ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان

مرصوص

مرصوص ويحب المتقين ويحب الذاكرين ويحب المتصدقين فهو
سبحانه انما علق محبته بها وامر اذ هي المقصود من الخلق والامر
كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما خلق الخلق
الا لتنال مراضيه وما نهاهم الا عما يكرهه من قبائحه وامر وبعضهم
عنه وصح هذا الوجه العشرون ان المنهيات لو لم تتعدد
الا بتعدد ما تتنوع وتنوعها على الوجه الذي امر الله به انكفا الناهي
عنها مع حبه واتيانه بها فعاد ذلك الامر وتعريفها لها وصدها
عنها فالنهي تنهاك بالتكميل بالتتمة المامور به هو معنى قوله
تطيف طرفة النهر لعمرك ويحاذيه سوق فالمعنى المراد
الذي يشتمل على نهر لعباد البلاد بالفساد والنهي يتناول تطيف
طرفة وبحراه وتقيتها ما يفوت المامور به والامر يتناول القوة والمياه
والنهي يتناول الجهة التي فطر الناس والارض عليها فاذا
تبين ان فعل المامور افضل فالصبر عليه افضل انواع الصبر
ويسهل عليه الصبر على المحظور والصبر على المقدور فان الصبر
الاختياري اصبر الاذى دون الاكثر وقد ظهر بهذا
ان الانواع الثلاثة مشتركة وكل نوع منها يفارق النوعين
الاخرين وان كان الناشئ من نوعه مشتركا
الامر والنهي
من ذلك وسمي ما ذكر من جانب الامر ونوع منه من جانب النهي
فاشتراك
فصل الضبط الفعلي بالكف
وصل فان وصف الاتيان وصبر وشكر ونحوها
نفع الارض وعمرانها بالماء الطيب الذي ينزل من السماء
الشرب منها بالانهار التي تنبع من الارض
الذي يشتمل على نهر لعباد البلاد بالفساد والنهي يتناول تطيف
طرفة وبحراه وتقيتها ما يفوت المامور به والامر يتناول القوة والمياه
والنهي يتناول الجهة التي فطر الناس والارض عليها فاذا
تبين ان فعل المامور افضل فالصبر عليه افضل انواع الصبر
ويسهل عليه الصبر على المحظور والصبر على المقدور فان الصبر
الاختياري اصبر الاذى دون الاكثر وقد ظهر بهذا
ان الانواع الثلاثة مشتركة وكل نوع منها يفارق النوعين
الاخرين وان كان الناشئ من نوعه مشتركا
الامر والنهي
من ذلك وسمي ما ذكر من جانب الامر ونوع منه من جانب النهي
فاشتراك
فصل الضبط الفعلي بالكف
وصل فان وصف الاتيان وصبر وشكر ونحوها
نفع الارض وعمرانها بالماء الطيب الذي ينزل من السماء
الشرب منها بالانهار التي تنبع من الارض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

طيب فما دام دينه ودنياه وجنته فيه فهو في كبير المطهر حتى
تقضي من ذلك الوسخ والخبث واما باب المأمورات فلا يسقط الا
الشرك الثالث عشر ان حد المأمورات الثواب وهو من باب
الاحسان والقصد والرحمة وحد المنهيات العقوبة وهي من
باب العفو والعدل ورحمته سبحانه تغلب غضبه فما تعلق
بالرحمة والفضل احب اليه مما تعلق بالغضب والعدل وبقليل ما
تعلق بالرحمة اكره اليه من فعل ما تعلق بالغضب الرابع عشر ان باب
المنهيات تسقط الالاف المؤلفة من الواحد من المأمورات وباب
المأمورات لا تسقط الواحد منها الالاف المؤلفة من المنهيات الخامس
عشر ان متعلق المأمور الفعل وهو صفة كمال للمخلوق
من فعاله فانه فعل وفعل ومتعلق النهي الترك والترك عدم ومن
حيث هو كذلك لا يكون كمالا فان العدم المحض ليس بكمال وانما
يكون كمالا لما تضمنه او استلزمه من الفعل الوجودي المأمور به الذي
هو سبب الكمال واما ان يكون مجرد الترك الذي هو عدم محض
كمالا او سببا للكمال فلا مثال ذلك انه لو ترك السجود للصنم
لم يكن عمالا في مجرد هذا الترك ما لم يسجد لله والا فلو ترك السجود
لله وللصنم لم يكن بذلك كما لا وكذلك لو ترك تكذيب الرسول ومعاداته
لم يكن بذلك مؤمنا ما لم يفعل مع ذلك من التصديق والمحبة له
والموالاة وطاعته فعلم ان الكمال كله في المأمورات المنهي لم يتصل
به فعل المأمور لم يفد شيئا ولم يكن كمالا فان الرجل والمال والرئاسة
ولا اصدقاء ولا اولياء ولا اعاديه ولا احاديث ولا احاديث
محاربين كان عاصيا واثما ولم يكن مؤمنا بترك معاداته وتكذيبه ومحاربته
ما لم يأت بالفعل الوجودي الذي امر به فيما بين خسران
العبد اذا اتى بالمأمور به على وجهه ترك المنهي ولا بد والمقصود
انما هو فعل المأمور ومع فعله على وجهه يتعذر فعل المنهي
عنه في الحقيقة هو تعريض المأمور للاضاعة فان العبد اذا فعل
ما امر به من العدل والعفو امتنع منه الظلم والفواحش منه
فنفس العدل يتضمن ترك الظلم ونفس العفو يتضمن ترك الفواحش
فدخل ترك المنهي عنه في المأمور ضمنا وتبعا وليس كذلك في عكسه

طيب

على من المأمورات ما لم يكن يعلمون تقديره كالجهاد الذي
هو اعلى العمل والولاية فيه هي المقاتلة فيه ولا يحتاج فيه
المأمور به الى الله المكروه له ما يكون تبعا للمقصود به الثامن
ان ترك المحظور لا يكون قربة ما لم يقارنه فعل المأمور فلو ترك
العبد كل محظور بنية ان ذلك عبادة حتى مات لم يكن ممتثلا لامر الله
وكذلك لو لم يكن ترك المحظور قربة حتى يقارنه فعل المأمور به
حيث يكون مأمورا به فلو ترك المنهيات كلها ولم يفعل المأمور به
لم يكن ممتثلا لامر الله فترك المنهيات في كل وقت يجب
اقتران فعل المأمور به في ذلك الوقت وفعل المأمور به في كل وقت يجب
اقتران ترك المنهي عنه في ذلك الوقت التاسع ان باب
المأمورات لا يسقط بحال وباب المنهيات يسقط بالعجز عنه
العاشر ان المنهي مطلوب اعدامه والمأمور مطلوب ايجاده والايجاد
اعلم هذا فاذا تقرر عدم الامرين ووجودهما كان
وجودهما خيرا من عدمهما فانه اذا عدم المأمور به وقع عدم المحظور
واذا وجد المأمور به فقد يمتنع ان يوجد المحظور او قد يمتنع
فوجود النوع والعرض خير من عدم الحياة والعرض الحادي عشر
ان باب المأمور به المحتوم قد يعطل انتفاء الى الجنة كصفات الاضعاف
كالعمى والخرس والصمم والشلل وهي من جند الزمانة والاحتقار والخسة الناقصة والصبيان المكفوفين والاشتغال
بالموسيقى واستماعها ونحو ذلك مما يعوق عن كثير من الواجبات
انواع الجهل الذي هو من علم المنهي الثاني عشر ان باب المنهيات
محدود الله سبحانه وبطلان المأمور به من فعل العبد غير مقيد
فانه يطلب بالنهي النصوح والاستغفار والحسنات الماحية
المحو والاستغفار للملك وبعد الموت ثم يطلب بالتوبة
والمطلوب من الملكين في القبر وعند الموت وبعد البعث
الوقوف بين يدي الله وسؤاله عن كل ما نهى عنه الشارع
الشيء الذي لا يمكن ان يعلم عنه الا بعد ان يتناهى الى

طيب

معرفة الله وتوحيده وعبودية وجده والانابة اليه والتوكل
عليه واخلاص العمل له ومحبته والصبابه والقيام في خدمته
هو الغايه التي خلق لها الخلق وبنيت لها الامر وذلك امر مقصود
للنفقه والمنهيات انما نهي عنها لانها صاده عن ذلك او شاغله
عنه او معوقه او مفوته لكماله ولذلك كانت درجاتها في النهي
بحسب صدها عن المامور وتعويقها عنه وتفويتها لكماله فهي مقصوده
لغيرها والمامور مقصود لنفسه فلو لم يصد الحق والبيت عن ذكر الله
وعن الصلاه وعن التوادد والتحاب الذي وضعه الله بين عباده لما
حرمه وكذلك لولم يحل بين العبد وبين عقله الذي به يعرف الله
ويعبده ويحمده ويمجده ويصلي له ويسجد لما حرمه وكذلك سائر محارمه
انما حرمه لانه يصد عما يحبه ويرضاه ويحول بين العبد وبين كماله
الثاني ان المامورات متعلقه بمعرفه الله وتوحيده وعبادته
وذكره وشكره ومحبته والتوكل عليه والانابه اليه فتعلقها ذات
الرب تعالى واسماؤه وصفاته ومتعلق المنهيات ذوات الاشياء
المنهي عنها والفرق بين اعظم ما يكون المثالث ان ضروره العبد
وحاجته الى فعل المامور اعظم من ضرورته الى ترك المحظور فانه
ليس شيء اضر واهوج واشد فاقه منه الى معرفه ربه وتوحيده
واخلاص العمل له وافراده بالعبوديه والمحبه والطاعه وضرورته
الى ذلك اعظم من ضرورته الى قوت ونفس وحياته واعظم من ضرورته
الى الغذاء الذي به قوام بدنه بل هذه القلبيه وروحه كالماء والغذاء
لبدنه وهو انما هو قوام بدنه وقلبه لا بدنه فقط كما قيل
انا خادم الجسم كم تشقى بخدمته فانت بالقلب لا بالجسم انسان
وترك المنهي انما شرع لتحصيل لهذا الامر الذي هو اضر شيء
واحوجه فافقر اليه الرابع ان ترك المنهي من باب التخليه
وفعل المامور من باب تحصيل الغذاء الذي لا يقوم البدن
بدونه ولا تحصل الحياه الا به فقد يعيش الانسان مع ترك التخليه
وان كان يعيش عيشا شديدا ما يكون عليه ولا يعيش بدون الغذاء
والغذاء الذي حفظها فهذا مثل المامورات والمنهيات الخامس

ان

ان الذنوب كلها ترجع الى هذين الاصلين ترك المامور وفعل
المحظور ولو فعل العبد كل محظور خلق ولم يخلق الف مثلها ترك مامور
الايمان بادنى ادنى شعبه من شعبه كما ان المحظور الذي اثاره
ولو ترك كل محظور ولم يات بما امر به الا بعض الاتيان لم يخلق الا للتعبير
فاين شعائل الامر من شعائل النهي وزر الجبال
منه اضعافا مضاعفه لا تقع تحت الحصر والعد في النار وهو ذلك
المامور او الذي منه السادس ان جميع المحرمات
منشاها وارد من ترك المامور به فان الله سبحانه لم يحرم شيئا
الا لمفسده تعود على العبد في دينه او دنياه او عاجله او اجله
او نفسه او ماله او حاله او معاده او لفوات مصلحه هي احب اليه
من تلك المفسده او لمجموع الامرين مفسده فوتت مصلحه
فالمحرم لا يكون محرما الا لمفسده في تركه المامور به
او مفسده في فعله او لهما جميعا فالاول كترك الايمان والصلاه
والزكاه والصوم والحج وبر الوالدين وصله الرحم وحفظ الجار
والامانه والعفه والصدق والعدل في الحكم والنصيحه والاحسان
الى الخلق وغير ذلك من المامورات والثاني كالكفر والشرك
والكذب والفجور والظلم والعدوان على الخلق في دمائهم واموالهم
واعراضهم وكالزنا واللواط والخمر والميسر والسرقه والنهب
والغصب وشهاده الزور وقول الزور واكل مال اليتيم ظلما
واكل الربا والقمار وعقوق الوالدين وقطيعه الرحم
والفرار من الزحف وقذف المحصنات وامثال ذلك
من المحرمات التي نهى الله عنها ورسوله لما تضمنته
من المفاسد التي تعود على العبد في دينه او دنياه او عاجله
او اجله او نفسه او ماله او حاله او معاده او لفوات مصلحه
هي احب اليه من تلك المفسده او لمجموع الامرين مفسده فوتت مصلحه
فالمحرم لا يكون محرما الا لمفسده في تركه المامور به
او مفسده في فعله او لهما جميعا فالاول كترك الايمان والصلاه
والزكاه والصوم والحج وبر الوالدين وصله الرحم وحفظ الجار
والامانه والعفه والصدق والعدل في الحكم والنصيحه والاحسان
الى الخلق وغير ذلك من المامورات والثاني كالكفر والشرك
والكذب والفجور والظلم والعدوان على الخلق في دمائهم واموالهم
واعراضهم وكالزنا واللواط والخمر والميسر والسرقه والنهب
والغصب وشهاده الزور وقول الزور واكل مال اليتيم ظلما
واكل الربا والقمار وعقوق الوالدين وقطيعه الرحم
والفرار من الزحف وقذف المحصنات وامثال ذلك
من المحرمات التي نهى الله عنها ورسوله لما تضمنته
من المفاسد التي تعود على العبد في دينه او دنياه او عاجله
او اجله او نفسه او ماله او حاله او معاده او لفوات مصلحه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مناصنا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له فنجيناه من الغم فليكن نهي
عن التشبه به فيما ثنى عليه ومدحه به وكذلك اثنى على ايوب بقوله نعم
الصبر وانت ارحم الراحمين وعلى يعقوب بقوله انما اشكو بثي وحزني
الى الله وعلى موسى بقوله رب اني لما انزلت الي من خير فقير وبدشكى
الى الله تعالى بقوله اللهم اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي
الحديث فالشكوى اليه سبحانه لا تنافي الصبر الجميل بل اعراض عن
الشكوى الى غيره وجعل الشكوى اليه وحده هو الصبر لله
سبحانه وتعالى فيبتلي عبده ليسمع شكواه وتضرعه ودعاءه وقد
ذم سبحانه من لم يتضرع اليه ولم يتذلل له وقت البلاء كما ذم من قسا
اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فالعبد اضعف
ان يتجلد على ربه والرب تعالى يريد من عبده ان يتجلد عليه بدا راد منه
ان يستكين له ويتضرع اليه وهو تعالى يمقت من يتذلل الى خلقه لما
رغب من يشكو اما به اليه وقيل لبعضهم كيف تشكو اليه ما لا يخفى عليه
فقال اتشكو الى الله ما ليس يخفى عليه فقلت لي ترضى ذل العبيد له
والمقصود انه سبحانه امر عبده ان يصبر صبرا ولي العزم الذين
صبروا والحكمة اختيارا وهذا اعلى الصبر ولهذا دارت قصة الشفاعة
يوم القيمة يوم القيمة على هؤلاء حتى ردوها الى افضلهم وخيرهم واصبرهم
محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين بان قيل اي انواع الصبر
الثلاثة اكمل الصبر على المامورات ام الصبر عن المحظورات ام الصبر على
المقدور وقيل الصبر المتعلق بالتكليف وهو الامور الدينية افضل
من الصبر على مجرد القدر فان هذا الصبر يأتي به البر والفاجر والمؤمن
والكافر فلا بد لكل واحد من الصبر على القدر اختيارا او اضطرارا
واما الصبر على الاوامر والنواهي فصبر اتباع الرسل واعظمهم
اتباعا اصبرهم في ذلك وكل صبر فيه فعل وهو وضعه افضل من الصبر
عن الحرام في محل لا فضل وعلى الطاعة في نفسها افضل ان تقبل في الصبرين
احب الى الله صبر من يصبر على اوامره اكثر من صبر من يصبر على مجرد
قيل هذا موضع تنازع فيه الناس فمن الطائفة الصبر عن
المخالفات افضل لانها اشق واصعب في الفعل اكثر والصبر فعل الطاعة
افضل لانها احب الى الله ورضاه

ولا

ولا صبر عن المخالفات الا الصديقون قالوا ولان الصبر عن
المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو اشق شيء وافضله قالوا
ولان ترك المحبوب الذي تحبه النفوس دليل على ان من ترك لاجله
احب الله من هو وهواه مخالف فعله لمحبة المحبوب فانه لا يستلزم
ذلك قالوا وايضا فالهوى والشهوة كامنان في هذا الصبر كمونهما في
الصبر عن ترك ما تهوى لما تخشى فيرده العبد وقوة محبته لله
الصبر قالوا وليس العجب ممن يصبر على الاوامر فان اكثرها محبوبات
للنفوس لما فيها من العدل والاحسان والاخلاص والبر وهذه
محبات النفوس الفاضلة الزكية بل العجب ممن يصبر عن المناهي التي اكثرها
محبوب النفوس فيترك المحبوب العاجل في هذه الدار للمحبوب الاجل
في دار اخرى والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه مخالف لطبعها
قالوا ولان المناهي لها اربعة دواع يدعوا النفس الانسان وشيطانه
وهواه ودنياه فلا تتركها حتى يجاهد هذه الاربعة حق الجهاد وذلك
اشق شيء على النفس وامت قالوا فالمناهي من باب حبيه النفوس عن شهواتها
ولذاتها والمحبة مع قيام داعي التناول وقوته من اصعب شيء واشقه
قالوا وكذلك كان مات قربان النبي صلى الله عليه وسلم واطلاقه وباب الامر انما فعل
منه المستطاع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما
استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه فدل على ان باب المنهيات
اضيق من باب المامورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما
رخص في ترك بعض المامور للتعجيز والعذر قالوا ولهذا كانت
عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات بخلاف
ترك المامور فان الله سبحانه لم يرتب عليه حدا معينا قالوا
واعظم المامورات الصلاة وقد اختلف عليه خمسة اقوال

فصل فهذا بعض ما احتجت به هذه الطائفة وقالت طائفة
اخرى بل الصبر على فعل المامور افضل واجل من الصبر على المحظور
لان فعل المامور احب الى الله من ترك المحظور والصبر على احب
الامرين اليه افضل واعلى وبيان ذلك من وجوه احدها ان
فعل المامور مقصود لذاته فهو مشروع بمشروع المقاصد فلا

قال الشيخ شمس الدين بن القيم قدس الله روحه وسمعت شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول وكان صبور عن
مطاوعة امراة العزيز عن شاهدها الذي صبر على القاء اخوته له في الجب
وبيعه وتفريقه بينه وبين ابيه فان يكن امور حرمت عليه بغير اختياره
لا كسب له فيها ليس العبد فيها حيلة غير الصبر والمصابرة عن المعصية
فصبر اختيار ونفي ومجاهدة النفس والشيطان الاعداء الذين يقوى
معهما داعي الموافقة فان كان شابا وداعية الشباب اقوى وهو عن التلبس
له مطلوب منه وهو متهيء ومتمكن والعزب لا تتهيء له وداعيته
تحتبي بين اصحابه وعلماء دهره كالمامون شتان
وبين كواقع الجرائم الذي حيلته وخلصته وهي تيسيره وقد غاب
الرقيب وهي الداعية لما الى نفسها والمريضة جدا لما تشتاج الحر مع
ذلك توعدته ان لم يفعل لتكونن من الصاغرين ومع هذه الدواعي كلها
صبر اختيارا وايثارا لما عند الله فان هذا من صبر على الجنة عما اليس
من كسبه قال الشيخ شمس الدين بن القيم رحمه الله سمعت من يسير
اشياءه يعاتب لما اشاء من امره الرفعة والملك والتمكن في الارض
وكذلك صبر الذليل والكليم وصبر نوح وصبر محمد صلى الله عليه وسلم
وسبب هذا كله صبر اختيار على الدعوة الى الله وعلى ما يحول بينهم
وبينها فقال او والصبر وامر ان يصبر صبرهم فقال تعالى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اي العزم هم الذين يحول بين
بعض امرهم وبين ما يريدون فيه فقال تعالى حكاية عن الذين قالوا
لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء
ومن نوح وامرهم ومرتبتي ومعتصمان من ان يلحقهم مثل ما لحق
كذلك قال الله تعالى حين نهى عن الحلف وهما متى اتقان تشبه صاحب
الحوت حيث لم يصبر صبرا اولي العزم فقال فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهذا من اعظم العتاب
قال ابو العالية لا تطرد عبدي اذ ناداني ولا يمكن ان يكون الفعل
المنهي عنه ان يصبر الى اخر الآية فان الله سبحانه وتعالى انما نهى
عليه في هذا الحد الخاص نهيه عن مثل ذا الذي اذ هو فيه صبا
فلن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
كنت

كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وفي
الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوة اخي ذي النون اذ
دعى بها في بطن الحوت ما دعا بها مكروب الا فرج الله عنه لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فلا يمكن ان نهى عن التشبه في هذا الدعاء
وهي الندا الذي نادى به ربه وانما نهي عن التشبه في الحال الذي
انتهى به الى الحوت في بطن الحوت وشدته ذلك عليه حتى نادى ربه وهو
مكظوم والمكظوم والكظيم والكاظم الذي قد امتلا غيظا او غضبا
او هما وحزنا وكظم عليه فلم يخرجه فان قيل وعلى ذلك فالعامل
في اذ فعل النهي فانه اذا قيد المنهي عنه بقيد او زمان خالف حكم
النهي فكان المعنى لا تكن مثل من صحب الحوت في هذا الحال وهذا
الوقت كان نهيا عن تلك الحال فقيل لما كان نداؤه متبأ عن
صاحب الحوت فنهي ان يتشبه به في الحال التي افضت به الى ان صحب الحوت
فالنداء وهي ضعفا لعزمه والصبر لحكم ربه تعالى ولا تكن كصاحب
الحوت اذ ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت فنادى في الظلمات
واختصرها واحالها على ذكرها في الموضع الآخر واكتفى بغايتها
وما انتهت اليه فان قيل فما منعه من تعويض الظرف بتلقي
الفعل المنهي عنه اي لا تكن مثله في ندايه وهو ممتلئ غيظا وهما وغما
بل يكون نداؤك نداء راض بما قضي عليه قد تلقاه بالرضا والتسليم
وسعة الصدر لا ندا كظيم فيرفع الغين ان كان صحيحا فالجواب
عن التشبه به في مجرده وانما نهي عن التشبه في الحال التي جلبته على ذهابه
مغاضبا حتى يتجنى في بطن الحوت ويدل عليه قوله فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت اي في ضعف صبره لحكم ربه فان
الحال التي نهي عنها هي ضد الحال التي امر بها فان قيل فما منع
ان تصير الى التمام بالصبر لحكم الهي القدري الذي يقدر عليه
ولا يكون لصاحب الحوت حيث لم يصبر عليه بل نادى وهو
كظيم لكشفه لم يصبر على الكمال والكون نحته قيل منع من ذلك ان
الله سبحانه اثنى على يونس وعين من اثنيائه ثم الم الله كشفه ما
بهم من الضر وقد اثنى عليه سبحانه بذلك في قوله وذا النون اذ ذهب

قال الامام احمد ذكر الله تعالى الصبر في القران في نحو
تسعين موضعا وهو واجب باجماع الامة وهو نصف الايمان فان الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وهو مذكور في القران على ستة
عشر نوعا الاول الامر به نحو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلاة وقوله اصبروا وصابروا وقوله اصبر وما
صبرك الا بالله الثاني النهي عن ضده كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله ولا تبطلوا اعمالكم فان ابطالها ترك الصبر
على اتمامها وقوله ولا تهنوا ولا تحزنوا فان الوهن من عدم الصبر الثالث
الثنا على اهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين في البأسا والضرا وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهو كثير في القران الرابع
ايجابه سبحانه محبته لهم كقوله والله يحب الصابرين الخامس ايجاب معيته
لهم وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتاييدهم ليست معية
عامة وهي معية العلم والاحاطة كقوله واصبروا ان الله مع الصابرين
وقوله والله مع الصابرين السادس اخباره بان الصبر خير لاصحابه
كقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله وان تصبروا خير لكم
السابع ايجاب الجزا لهم باحسن اعمالهم كقوله تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون الثامن ايجابه الجزا لهم بغير حساب كقوله
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب التاسع اطلاق البشرى
لاهل الصبر كقوله ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين العاشر ضمان النصر والمدد
لهم كقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان النصر مع الصبر الحادي عشر الاخبار منه تعالى بان اهل
الصبر هم اهل العزائم كقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وكقول لقمان عليه السلام لابنه واصبر على ما اصابك ان ذلك
من عزم الامور الثاني عشر الاخبار انه ما يلقى الاعمال الصالحة وجزاها
والحظوظ العظيمة الا اهل الصبر كقوله تعالى ويلكم ثواب الله خير لمن
امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقوله تعالى وما يلقاها الا
الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم الثالث عشر الاخبار انه انما
ينتفع

ينتفع بالايات والعبر اهل الصبر كقوله تعالى لموسى ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور وقوله في اهل سبا فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور وقوله في سورة الشورى ومن اياته
الجوار في البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الرابع عشر الاخبار بان الفوز المطلوب الاخبار
المحبوب والنجاة من المرهوب ودخول الجنة انما نالوه بالصبر كقوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
الخامس عشر انه يورث صاحبه درجة الامامة في الدين
سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول
بالصبر واليقين تنال الامامة في الدين ثم تلا قوله تعالى وجعلنا منهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون السادس عشر
اقترانه بمقامات الاسلام والايمان كما قرنه سبحانه باليقين وبالايمان
وبالتقوى وبالتوكل وبالشكر والعمل الصالح والرحمة ولهذا كان الصبر من الايمان
بمنزلة الراس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له كما انه لا جسد لمن لا راس
له قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خير عيش ادركناه بالصبر واخبر
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه ضيا وقال من يتصبر يصبره الله
وفي الحديث الصحيح عجبا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد
الا للمؤمن ان اصابته سرا شكر فكان خيرا له وان اصابته ضرا صبر فكان
خيرا له وقال للمراة السودا التي كانت تصرع فسالته ان يدعو لها
ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر
ولكني اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها وامر الانصار بان يصبروا على الاثرة
التي يلقونها بعده حتى يلقوه على الحوض وامر عند ملاقاة العدو بالصبر
وامر بالصبر عند المصيبة واخبر انه انما يكون عند الصدمة الاولى
وامر المصاب بانفع الامور له وهو الصبر والاحتساب فان ذلك يخفف
مصيبته ويوفر اجره والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة ويذهب
الاجر فصل [illegible]
ينقسم الى اختياري واضطراري والاختياري اكمل من الاضطراري
فان الاضطراري يشترك فيه الناس ويتاتى ممن لا يتاتى منه الصبر اختيارا

الألوكة

والصبر عن مقابلة الجاني بمثل فعله واما الصبر المحظور فانواع احدها
الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت وكذلك الصبر عن البرد
والحر فالحر يرخص عند المخمصة فيما اذا خاف بتركه الموت والطاوس
وبعده الامام احمد من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل فمات دخل النار
فان قيل فما تقولون في الصبر عن الميتة لمن في هذه الحال قيل اختلف
في حكمه هل هو حرام او مباح على قولين هما لاصحاب الامام احمد وظاهر
نصه ان الصبر عن الميتة لمن جاز له اكلها فيما اذا خاف ان مات لدخوله
النار لانه موت ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه فاشبه موت من قتل
الله صبر ورتبه وصدقه في ترك المسالة فيفتح له رزقا وقال كثير من اصحاب احمد
والشافعي تجب عليه المسالة وان مات لكن عاصيا لان المسالة تنقص
بعض من اتلف ○ ومن الصبر المحظور صبر الانسان على ما يقصد
هلاكه من جوع او عطش او حر او برد او كافر يريد قتله فخلاف اشتغاله وصبر
في الفتنة وقتال المسلمين فانه مباح لبل مستحب الصبر كما دلت عليه النصوص
الكتبين وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسالة فنهى عنها كما تقدم
سنا دم وفي لفظ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وفي لفظ
اخر دعه يبوء باثمه واثمك وفي لفظ اخر فان بؤ بذلك شعاع السيف فصنع
بوك على وجهك وعلى الله ثمانه استسلام خير ابني ادم واثنى عليه بذلك
وهذا لما في قتل الكافر فانه يجب عليه الدفع عن نفسه لان ذلك مقصود الجهاد
ان يدفع عن نفسه وعن المسلمين واما قتال المقصود من قتل يجب فيه الدفع
او يجوز الاستسلام فان كان معصوم عين وجب واما عن نفسه فظاهر عن هـ
نصه انه لا يجب الدفع واوجبه بعضهم ولا يجوز الصبر عن من قصد اوحرمته
بالفاحشة ○ واما الصبر المكروه فمثله احدها
ان يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع اهله حتى يتضرر بذلك بدنه
الثاني صبر عن جماع زوجته اذا احتاجت الى ذلك ولم تتضرر به الثالث
صبر على فعل المكروه الرابع صبر عن فعل المستحب
الصبر المباح وهو الصبر عن كل مباح فعل مستوي الطرفين خير بين فعله
وتركه والصبر عليه وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام
والصبر عن الحرام واجب وعليه واجب حرام والصبر على المستحب مستحب وعنه
مكروه والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح والله اعلم

فصل

يتحمل الرجل من جليسه وهو معه من جلوسه عن ما امر به ان يوصل به وصفه بالحامل له على هذا الصلة وهو شدته
وحنوه عليه الحاسم لمواد المال فقال والذين يخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب ولا يمكن احدا ان يصل ما امر الله به ان يوصل الا بخشية ومتى
ترحلت الخشية من القلب تقطعت منه الوصل ثم جمع له سبحانه
ذلك كله في اصل واحد وهو باعثه ذلك وقاعدته ومداره الصبر ودور
عليه وهو الصبر فقال والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فالصبر
منهم يمرد الصبر حتى يكون خلقا لوجههم ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر
وهو الصلاة فقال واقاموا الصلاة وهما خلقان العونان على
مصالح الدنيا والاخرة وهما الصبر والصلاة قال تعالى واستعينوا بالصبر
والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ثم ذكر جزاءهم
الى غير هم بالاتيان عليهم ستة اوجه فاعطى الامة بالصبر
والصلاة والى غيرهم بالاتيان عليهم ستة اوجه ذكرها لما جهل عليهم واوذوا
انهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرؤن بالحسنة فيحسنون الى من
يسيء اليهم وقد ذكر هذا الدرء بعد فعون الذنب بالحسنة بعده
كما ذكر ان الحسنات يذهبن السيئات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع
السيئة الحسنة تمحها والحقيق ان الله تعالى جمع الوصل كله والقصد كله
هذه الايات ستا وثلاث مقامات الاسلام والايمان كلها واشتملت على اصل
الدين وفرعه الظاهر والباطن وقد ذكرنا هذه الاصول
الثلاثة في قوله ان الصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة وقوله الذين ينفقون ويصبرون ولله
قال ومن يتق فان الله لا يضيع اجر المحسنين فالتقوى والصبر اصل الامور الملكوتية
وحقيقة التقوى فعل المامور وترك المحظور وتصحيح الباطن
باعتبار خلق الاعضاء الظاهرة وهو نفس هذا الاعتبار الى ما يجب
وتصحيح ما يحرم ويكره ويباح فالصبر الواجب ثلاثة انواع
احدها الصبر عن الحرام والثاني الصبر على اداء الواجبات والثالث
الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالامراض والفقر وغير
واما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات والصبر على المستحبات

والصبر

اللزوم الشرعي بان الامر الناهي لا تستقيم له امر ونهيه حتى يكون اول
مامور ومنهي وذكر هذه الاصول الثلاثة سبحانه في قوله تعالى انما
يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سو
الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى
الدار فجمع لهم مقامات الاسلام والايمان في هذه الاوصاف
فوصفهم بالوفاء بعهد الله الذي عاهدهم عليه وذلك يعم امره ونهيه
الذي عهده اليهم بسببه وبين خلقه ثم اخبر عن اشرف اعمالهم
بما قام بالاسلام منهم وبينه وبين خلقه ثم اخبر عن اشرف اعمالهم
موصل بيد على هذا هما الدين وباطنه وحق الله وحق خلقه فيصلون
ما بينهم وبين ربهم بعبوديته وحده لا شريك له والقيام بطاعته
والانابة اليه والتوكل عليه وخشيته وخوفه ورجائه والتوجه اليه والالتجاء
له والخضوع والذلة والاعتراف لنعمته وشكره عليها
والاقرار بالخطيئة والاستغفار منها فهذه هي الاصول التي امر الله
والرب وقد امر الله بهذه الاسباب التي بينه وبين عباده ان توصل
واخبر ان توصل ما بيننا وبين رسوله فالايمان به وتصديقه وطاعته
في كل شيء الرضا بحكمه والتسليم له وتقديم محبته على محبة النفس
والوالد والناس اجمعين فدخل في ذلك اتباعه فيما جاء به من عند الله
فان توصل ما بيننا وبين الوالدين والاقربين امر الصلة فانه امر
ببر الوالدين وصلة الارحام وذكر هما امرا بان يوصل ما بينهم
توصل ما بيننا وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن معاشرتهن بالمعروف
وان توصل ما بيننا وبين الاقارب فعلنا ما امرنا به من صلاتهم
والاحسان اليهم على حسب قربهم وحاجتهم الى ذلك وفقرهم اليه
مراعاة حقه وحفظ ذمته وماله واهله ما غاب عنه وشهده وتفقدنا لهم
وامر الناس ان توصل ما بيننا وبين الناس فدخل في ذلك التواصل
بيننا وبين عموم الناس بان نأتي اليهم ما نحب ان يأتوا به الينا وان
نصل ما بيننا وبين الخلق الذين امرنا الله بان نداريهم ونحسن

نسخة
اللوحة

الجميل التي بها تتوصل الى قضاء شهوته فعقله مع الشيطان كالاسير
في يد كافر تستعمله في رعاية الخنازير وعصر الخمر وحمل الصليب وهو
معهم عقله وتخليه الى العذاب عند الله يتولى ويجل فهو مسلم واعد
للكفار وحمله اليهم وجعله اخيرا عندهم [illegible] الصبر
باعتبار متعلقه ثلاثة اقسام صبر على الاوامر الطاعات حتى يؤديها
وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقربها وصبر على الاقدار
والاقضية حتى لا يتسخطها وهذه الانواع الثلاثة هي التي قال فيها
الشيخ عبد القادر في فتوح الغيب لابد للعبد من امر يفعله ونهي يجتنبه
وقدر يصبر عليه وهذا الكلام يتعلق بطرفين طرف من جهة الرب
تعالى وطرف من جهة العبد فاما الذي من جهة الرب فهو ان الله تعالى
له على عبده حكمان حكم شرعي ديني وحكم كوني قدري فالشرعي يتعلق
بالامر والكوني يتعلق بخلقه وهو سبحانه له الخلق والامر وحكمه الكوني
الطلبي نوعان محبب المطلوب فان المطلوب ان كان محبوبا له فالمطلوب
فعله اما وجوبا واما استحبابا ولا يتم ذلك الا بالصبر وان كان مبغوضا
له فالمطلوب تركه اما تحريما واما كراهة وكذلك ايضا موقوف على الصبر
فهذا حكمه الديني الشرعي واما حكمه الكوني القدري فهو ما قدره
وقضاه على العبد من المصائب التي لا صنع له فيها فعرضه الصبر عليها
وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء وجهان في مذهب الامام احمد
احدهما انه مستحب فرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاثة فعل
المامور وترك المحظور والصبر على المقدور واما الذي من جهة العبد
فانه لا ينفك عن هذه الثلاثة دائما مكلفا ولا يسقط عنه هذه الثلاثة
حتى يسقط عنه التكليف فالقيام بعبودية الامر والنهي والقدر على
شاق الصبر لا يتسوى الا على من لا تستوى السبل عليه فالصبر متعلق بالمامور والمحظور والمقدور بالخلق والامر والشيخ داع
يحوم على هذه الاصول الثلاثة لقوله يا بني افعل المامور واجتنب
المحظور واصبر على المقدور وهذه الثلاثة هي التي وصى بها لقمان لابنه في
قوله يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
فامر بالمعروف يتناول فعله في نفسه وامر غيره به وكذلك نهيه عن
المنكر اما من حيث اطلاق اللفظ فيدخل فيه وغير فيه واما من حيث

لم يبتلوا بهوى يحارب عقولهم ومعارفهم بل العبادة والطاعة لهم
كالنعيم لنا ولا يتصور في حقهم الصبر الذي حقيقته شيء باعث
الدين والعقل في مقابلة باعث الشهوة والهوى وان كان لهم صبر
يليق بهم وهو ثباتهم واقامتهم على ما خلقوا له من غير منازعة هوى
او شهوة او طبع فلا يكون منهم اذا غلب صبر باعث الهوى والشهوة
التحق بالملائكة وان غلب باعث الهوى والشهوة صبر الحق للشياطين
وان غلب باعث طبعه من الاكل والشرب والجماع صبر البهائم
فاقتضاه حكمة خالقه سبحانه الملائكة عقول بلا شهوات وخلق البهائم شهوات
بلا عقول وخلق الانسان وجعل له عقلا وشهوة فمن غلب عقله شهوته فهو
مع الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو مع البهائم والحالة الانسانية فيما بين
امرين فاقتضى خلقه الذي هو محتاج اليه فصبر في
هذا الحال ستر (صبر البهائم وليس لها قدر يمتدح به صبر الاختيار
فاذا ظهرت فيه اللعب استعد لقوة الصبر الاختياري على ضعفه فيه
فاذا تعلقت به شهوة النكاح ظهرت فيه قوة الصبر فاذا التحم بالشيطان
العقل وقوي أعين جيش الصبر ولكن هذا السلطان وجنده لا
يستقلان بمقاومة سلطان الهوى وجنده فان اشرأق نور الايمان
يلوح عليه عند اول سن التمييز ويسمو على التدريج الى سن البلوغ كما يسمو
خيط الفجر ثم تتزايد ظهوره وكلما هداية قاصر عن مستقبلة ما دنا اذ
مصالح الآخرة ومفاسدها بالنسبة الى مصالح الدنيا ومفاسدها
فاذا اطلعت عليه شمس اليقين تراءى لها واشرق عليه نورها
رأى فيها تفاصيل مصالح الدارين ومفاسدها مثل العواقب
وليس لامة الحرب وانواع الاسلحة ووقعها في حومة الحرب من
حاجة في الطبع والهوى داعية الى العمل الهدى والمنصور من نصر الله
والخذول من خذله لا تضع الحرب اوزارها حتى ينزل عيسى بن مريم
ويصير الى ما خلق له بنو آدم ﴿ فصل في بيان اقسامه
بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه باعث
الدين اما ضعيف الباعث الهوى لمثل ما ذكرناه لا يكون له
والغلبة لداعي الدين فيرد جيش الهوى مغلولا وهذا انما حاله
بدوام الصبر والوصول الى هذه الرتبة هم المنصورون في الدنيا والآخرة

وهم

وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهم الذين يقول لهم الملك عند
الموت لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون
وهم الذين تحالفوا معتصمين بالله مع الصابرين وهم الذين جاهدوا في الله حق
جهاده مخلصين بهذا النية من عداهم للحالة الثانية ان يكون الامر
والغلبة لداعي الهوى فيسقط منازعة باعث الدين بالكلية فيتسلم البائس
للشيطان وجنده يقودونه حيث شاءوا وله معهم حالتان احداهما ان
يكون من جند هواه اتباعهم وهذه حال الضعيف الثانية ان يصير
الشيطان من جنده وهذه حال الفاجر القوي المتسلط والمبتدع الداعية
المشوع كما قال القائل

وكنت امرأ من جند ابليس فارتقى ... بي الحال حتى صار ابليس من جندي

فصار ابليس وجنوده من اعوانه واتباعه وهؤلاء الذين غلبت عليهم شقوتهم
واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وانما صاروا الى هذه الحال لما اغلقوا ابواب الخير
وهو الحالة بين حالة جهلهم البلاء درك الشقاء وحالة انقضاء وشماتة الاعداء
وجند اصحابها الكبر والخداع والامانى الباطلة والغرور والتسويف بالعمل وطول
الامل وايثار العاجل على الآجل وهي التي قال فيها صلى الله عليه وسلم الكيس
العاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى واصحاب هذه الحالة
شتى فمنهم المحارب لله ورسوله الساعي في ابطال ما جاء به الرسول بصد
عن سبيل الله وبغيها عوجا وتحريفا للفضل الناشئ عنها ومنهم المعرض
عما جاء به الرسول المقبل على شهواته وديدنه قطع ومنهم المنافق ذو الوجهين
الذي يأكل للكفر والاخلاق ومنهم الماجر المتلاعب الذي قطع انفاسه
بالمجون واللهو واللعب ومنهم من اذا وعظ قال واشوقاه الى التوبة ولكنها
قد تعذرت علي فلا مطمع لي فيها ومنهم من يقول ليت الله يجعلني حجاجا الى صلاتي
وصيامي وانا الآن مجتهد في والله غفور رحيم ومنهم من يقول ترجا المعاصي
استهانة بعفو الله ومغفرته فكثيرا ما اسقطت من الخطايا اذ كان
القدوم على كريم ومنهم من يقول ما ذا انفع طاعتي في حشة قد علمت ما يقع
العبيد خلاصا صبيحة وباقي يدفن غريبا ومنهم من يهول شوكة الموت
حال الموت وتركت اعني بيتي وقلبت توبتي الى غير ذلك من اصناف المغترين
الذين صارت عقولهم في ايدي شهواتهم ولات حين احدهم عقله الذي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرق بين هذه الاستعانة وحالة العبد في نفسه وحاله مع غيره
فان بعض نفسه ومنعها عن اجابة داعي الهوى لا يحتاج ان كان خلقا له وملكة
سمي صبرا وان كان بتكلف ومرون وتجشم لمرارته سمي تصبرا
كما يدل عليه هذا البناء لغة فانه موضوع للتكلف كالتصلي والتشجع
والتكرم والتحمل ونحوها واذا تكلفها العبد راتدرعها صار
صبورا وشجاعا وكريما كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ومن يتصبر يصبره
الله وكذلك العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له خلقا راسجية
وكذلك تصبر الخلاف وهي التي اختلف فيها الناس هل تمكن المكلف
من احدهما فالفعل لا يصير خلقا له الا اذا كان
يريد من المكلف نية ما يتصبر له كما في الطاعة على النافل ونحوه والآخر
هو الذي نختاره نحن ان التخلق بالصبر درجة الخلق وهو الآخر
فضيلة التطبع شيمة المطبوع عليها وقد نوع الله سبحانه
من الخلق والرزق والاجل وقال كل فاحرى بها ان تكون اخلاقا
كما تكون الصبر والحلم والجود والشجاعة فالرجل يشاهد
من نفسه او لنفسه انه فعل الكمالات ومعنى هذا ان من تأمل شيأ واعتاده
وعرف عليه صار ملكة له وسجية وطبيعة قالوا والعوائد تفعل العوائد
الطباع فلا عجب ان العبد شغل التصبر حتى يصير الصبر له سجية كما انه
لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى يصير له الحلم والوقار
الطبائع فانه قد خلق الله سبحانه في الانسان قوة الغضب والحلم
والشجاعة والجبن حتى نقل الطباع عن مقتضاها عادة يستحيل بها
هذا الانتقال فقد يكون ضعيفا فيعود العبد الى طبعه بادنى تعب
وقد يكون قويا لكن لا يستقل الطبع انتقالا تاما فقد يعود الى
طبعه اذا مرض او اعيا او غضب او تكلف الانتقال ثم قد يصير
صفة طبيعية ثانية لهذا الانسان فيصير انتقاله الى طبعه الاول
اسهل من انتقاله عن طبعه الثاني فهذا الصبر من الاكتساب كالتصبر سواء
الا ان الصبر كان الغالب عليه الاكتساب لا يزال التصبر يتكرر
حتى يصير طبعا ثانيا والله الصابر في مقابلة المتصبر فيعلم ان الصبر
فاضل على ما عليه متعلق وهو ما يشق على النفس مما امر الله به او نهى عنه
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فامرهم بالصبر وهو حبس

الصابر في نفسه والمصابر وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة وهي
الثبات واللزوم والاقامة على التصبر والمصابرة وقد يصبر العبد
ولا يصابر وقد يصابر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من
يصبر ويصابر
عبد يتعبد بالتقوى فاخبر سبحانه ان ملاك ذلك كله التقوى وان
الفلاح موقوف عليها فقال واتقوا الله لعلكم تفلحون فالرابطة
كما انها لازمة الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهي لازمة
ثغر القلب ليلا يدخل منه الهوى والشيطان ويزيل عن مملكته
فاقامها باعتبار محله الصبر ضربان ضرب بدني
وضرب نفساني وكل منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه اقسامه
اقسام الاول البدني الاختياري كتعاطي الاعمال الشاقة على البدن
اختيارا وارادة الثاني البدني الاضطراري كالصبر على الم الضرب
والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك الثالث النفساني الاختياري
كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا وعقلا الرابع النفساني
الاضطراري كصبر النفس عن محبوباتها اذا حيل بينها وبينه
واذا عرفت هذه الاقسام فهي مختصة بنوع الانسان دون البهائم
وتشارك البهائم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس الا ضطراريين
وقد يكون بعض اقوى صبرا من الانسان وانما تميز الانسان عنها بالنوعين
الاختياريين وكثير من الناس يكون قوة صبره في النوع الذي تشاركه
فيه البهائم لا في النوع الذي يختص الانسان فيعد صابرا وليس كذلك
الصابرين فان قيل هل تشارك الجن الانس في هذا الصبر قيل نعم هذا
من لوازم التكليف وهو مخاطبة الامر والنهي والجن مكلفون بالصبر
على الاوامر والتصبر عن النواهي كما كلفنا نحن بذلك فان قيل فهل
هم مكلفون على الوجه الذي كلفنا نحن به ام على وجه اخر قيل
ما كان من لوازم النفوس كمحبة البغض والايمان والتصديق والموالاة
والمعاداة فنحن وهم مشتركون فيه وما كان من لوازم الابدان كغسل الجنابة
وغسل الاعضاء في الوضوء والاستنجاء والختان وغسل الميت ونحو ذلك
فلا يجب مساواتهم لنا في كيفيته وان تعلق ذلك بهم على وجه يناسب حالهم
وهياتهم فان قيل فهل يشاركنا الملائكة في شيء من اقسام الصبر قيل الملائكة

شبكة الألوكة www.alukah.net

عافيتك اوسع لي ولا اسألك صبرا فقوله صلى الله عليه وسلم وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع له منه وقال ابو علي الدقاق حد الصبر ان لا تعترض على التقدير فاما ان اظهر البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد مع قوله اني مسني الضر وقلت قد اللفظ بلازمها واما قوله على غير وجه الشكوى فالشكوى نوعان احدهما الشكوى الى الله فهذا لا ينافي الصبر كما ان يعقوب انما اشكوا بثي وحزني الى الله مع قوله فصبر جميل وقال ايوب مسني الضر مع وصفه الله بالصبر وقوله نعم العبد انه اواب وقوله شد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي الحديث وقول موسى صلى الله عليه وسلم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستغاث وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك والنوع الثاني شكوى المبتلى بك الى الحال والعلل فهذا لا ينافي الصبر بل ينافيه وبسطه فالفرق بين شكواه والشكوى اليه وبين الصبر شجاعة الفقر ومن هاهنا اخذ التابلي قوله الشجاعة صبر ساعة وقيل الصبر ثبات القلب عند مواردة الاضطراب والصبر والجزع ضدان ولهذا يقابل احدهما بالاخر قال تعالى عن اهل النار سواء علينا اجزعنا ام صبرنا والجزع قرين العجز وينتقضه والصبر قرين الكيس ومادته فلوسيل الجزع من ابوك قال العجز ولو سيل الكيس من اترك قال الصبر والتقى مطية العبد التي لا يعثر عليها الى الجنة او النار والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية فان امكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب وخطب الحاج اقدعوا هذه النفوس فانها طليعة الى كل سوء فجدير ان يعقل لها خطاما وزماما فقائدها الخطا الى طاعة الله وسائقها زمامها عن معصية الله فان الصبر عن محارم الله ايسر من الصبر على عذابه فلست وانفسك فيها قرنان في الاقدام وفوه الاحجام فحقيقة الصبر ان تجعل فوق الاقدام مصروفة الى ما ينفعه وفوق الاحجام امتاكا عما يضر ومن الناس من يعوزه صبر على فعل ما ينتفع به وثباته عليه اقوى من صبر عما يضر فيصبر على مشقة الطاعة ولا صبر له على داعي هواه الى ارتكاب ما نهي عنه ومنهم من يكون فوق صبر عن المخالفات اقوى من صبر على مشقة الطاعة ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على هذا وافضل الناس اصبرهم على النوعين فكثير من الناس يصبر على مجاهدة قيام الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر على نظرة محرمة وكثير من الناس

يصبر

يصبر عن النظر وعن الالتفات الى الصور ولا يصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بل هو اضعف شيء عن هذا والعجز والكسل هم لا يصبر على واحد من الامرين فاقلهما صبرهم في الموضعين وقيل الصبر ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة ومعنى هذا ان الطبع تقتضي ما يحب وباعث العقل والدين يمنع منه والحرب قائمة بينهما وهي سجال ومعركة هذه الحرب قلب العبد والصابر المشجاع والشجاعة تحت في بيان انواع الصبر وما اضافه الى متعلقه لما كان الصبر المحمود هو الصبر النفساني الاختياري عن اجابة داعي الهوى المذموم كانت مراتبه وانواعه بحسب متعلقه فانه ان كان صبرا عن شهوة الفرج الحرام سمي عفة وضدها الفجور والزنا والعهر وان كان عن شهوة البطن بعدم التسرع الى الطعام او تناول الحلال خاصة سمي شرها وشرفا وقد يشتد ان كان ظاهرا ملاحظا من الكلام سمي خنا وبذاء وفاحشا وقد فاحشا ان كان عن بعد العيش سمي بطرا وضده حرصا وان كان على قدر الكفاية من الدنيا سمي قناعة وضدها الحرص ايضا وان كان عن اجابة داعي التصدق سمي جودا وبذلا وضده تقترا ايضا وان كان عن اجابة داعي الغضب سمي حلما وضده طيشا وخفة وان كان عن اجابة داعي الفرار والهرب سمي شجاعة وضده جبنا وخورا وان كان عن اجابة داعي الانتقام سمي عفوا وضده انتقاما وعقوبة وان كان عن اجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمي صوما وان كان عن اجابة داعي العجز والكسل سمي كيسا فان كان صبرا عن اجابة داعي الناس كلهم سمي مروءة فلا عبرة بتعدد الاسم وكثرته عند تعدد متعلقه والاسم الجامع لذلك كله الصبر وعندنا يدل على ارتباط مقامات الدين كلها الصبر من اولها الى اخرها فلذا يتعدد عدد ما تتعلق التكاليف به من المتعلق وضده الذي يسمى اجابته اي لطلب ذلك الواجب بالرضا والاختيار وعلى هذا جميع منازل الدين فصل في الفرق بين الصبر والمصابرة والاصطبار والمصابرة

وضدها عن ح

سبحانه عن شاهد موصف حكايه تقرر عنه مسكم لمعكم تقريبه شق
القميص مز دبر على براءته وقال الصبر اسم عاوم لا بز ابي الحقيق وقد نعم
ان المنفقه اذهبت فرحي ان خطب العهد قريب والمالا كثير
ذلك فاعتبر قريشتين حالتين على ابقاء المال وعانيه حتى اقربه وخوف
لاولياء القتيل ان يجتمعوا على قتله ويعاونه به بنا على القرائن
المرجحه صدقهم وشرع الله سبحانه رجم المراه اذا شهد عليها زوجها
في اللعان وايمان تلا من القرينه الظاهره على صدقه وشريعته
فاخذه بذلك لمن تامل الحكم بالقرائن الظاهره من شريعه الشريعه وما
جاءه فهو حجه لقضاة الحق وولاه العدل كما يجعل على قضاء الشرع
وولاه الجور والله المستعان والمقصود هنا ان الفعل انما يقع
الصابرون باحق به من الاغنياء الشاكرين واحق الناس به اعلمهم
بسنته واتبعهم لها وبالله التوفيق ٥

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا

استعينوا بالصبر والصلاه ان الله مع الصابرين ٥ لما فرغ على بن
بيان الامر بالشكر شرع في بيان الصبر والارشاد الى الاستعانه بالصبر
والصلاه فان العبد لا بد ان يكون في نعم فشكر عليها وفي نقمه فصبر عليها
كما جاء في الحديث عجبا للمومن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته
سراء فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له والمومن على
كل احواله خير فامره سبحانه على كل حال بالصبر والصلاه كما تقدم في
قوله واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيره الا على الخاشعين وفي
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى والصبر صبران
صبر على ترك المحارم وهو اشق من صبر على فعل الطاعات والصبر
بالشكر اشرف لانه المقصود وهو العبادة التي خلق الخلق لاجلها
والصبر بالاضافة الى الشكر كالجهاد بالاضافة الى الايمان
والصبر بالشكر وان تعلقت الصلاه هو الذي يكون

الذين تتم عليهم ان شاء الله ٥ وقال علي ابن الحسين زين العابدين اذا
جمع الله الاولين والاخرين نادى مناد اين الصابرون ليدخلوا الجنه قبل
الحساب قال فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكه فيقولون الى اين
يا بني ادم فيقولون الى الجنه فيقولون قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن
انتم قالوا الصابرون قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا على طاعة الله
وصبرنا عن معصيه الله حتى توفانا الله قالوا انتم كما قلتم ادخلوا الجنه
فنعم اجر العاملين قال الله تعالى في كتابه ويشهد لهذا قوله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال سعيد خير الصبر اعتراف العبد لله بما اصاب
منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو مجمل لا يرى منه
الا الصبر ٥ والصبر خلق فاضل كريم لغلاق النفس يمنع
من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو فوق من قوى النفس التي بها صلاح شانها
وقوام امرها وسئل عنه الجنيد ابن محمد فقال هو تجرع المراره من غير تعبس
وقال ذو النون هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص
البليه واظهار الغنا مع خلو اليد من اسباب المعيشه وقيل الصبر هو
الوقوف مع البلا حسن الادب وقيل هو الغنا هو التلوي بالظهور بشكوى
وقال ابو عثمان الصبر هو الاي عود نفسه التجرع على المكاره وقيل الصبر
المقام مع البلا حسن الصحبه فالمقام مع العافيه ومعنى هذا ان الله تعالى على
العبد عبوديه في عافيته وفي بلائه فعليه ان يحسن صحبه العافيه بالشكر وصحبه
البلا بالصبر وقال عمرو بن عثمان المكي الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلايه
بالرحب والسعه ومعنى هذا انه تتلقى البلا بصدر واسع لاستلقاه بالضيق
والسخط والشكوى وقال الخواص الصبر الثبات على احكام الكتاب
والسنه وقال رويم الصبر ترك الشكوى ٥ قلت بل ازمه وقال
عين الصبر هو الاستعانه بالله وقال ابو علي الصبر كاسمه وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر مطيه لا تكبو وقال ابو محمد الجريري
الصبر ان لا تعرف من حال النعمه والمحنه مع تلون الحالين فيها وهذا غير مقدور ولا مامور وقد ركب الله الطباع على التفريق بين
الحالتين وانما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند
العبد وساحه العافيه اوسع للعبد من ساحه الصبر كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعا المشهور ان لم تكن بك غضب علي فلا ابالي غير ان

معرفتها تحصيلها ذهنا كما حصلت لغيرها اذ كثير من الناس يحسن اليه ولا يدري
فلا يصح من هذا الشكر قوله ثم قبوله لنعمه فقبولها هو تلقيها من المنعم باطنا بالتفهم
والقابلية لها وان وصولها اليه بغير استحقاق منه ولا بذل يثاب به كما يظنه
فان هذا شاهد بقبولها حقيقة قوله ثم الثناء عليه المنعم المتفضل
بالنعم نوعان عام وخاص فالعام وصفه بالجود والكرم والبر والاحسان
وسعة العطاء وهو ذلك والخاص التحدث بنعمته والاخبار بوصولها اليك
جهتين كما قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث ففي هذا التحديث المأمور به قولا اجزها
انه ذكر النعم والاخبار بها وقولك اللهم لك الحمد وكذا كل مقال يعني اشكر
ما ذكر من النعم عليك في هذه الدار من خير اليتم والهدى بعد الضلال
والاغناء بعد العيلة والتحدث بنعم الله شكر كما في حديث جابر مرفوعا من
صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد بالغ في الثناء عليه فان لم يجد ما يجزي فليثن عليه فانه اذا اثنى عليه فقد
شكره وان كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور وقد ذم
افتتاء الخلق المدائح شاكا لنعمة المثنى بها والى جاحدها الكاتم لها والمظهر
انه من اهلها ولست من اهلها فهو متحل بما لم يعطه وفي اثر اخر مرفوع من لم
قال شمس الدين ابن القيم قدس الله روحه ونور ضريحه
في اخر كتاب الصبر والشكر ومما ينبغي ان يعلم ان كل خصلة من خصال الفضل
فقد جعل الله سبحانه رسوله في اعلاها وخصه بذروة سنامها فاذا احتج
خالم فرقة من الامم التي تعرفت تلك الخصال وقاستها على فضلها على غيرها
أملن الفرقة الاخرى ان يحتج به على فضلها اضافا اذا احتج به الغراء والحجلة
على انهم افضل الطوائف احتج به العلما والفقها على ما احتج بها ولي اذا
عن ولعل الله احتج به الزهاد والمتقللون على الدنيا على افضلهم احتج به الداخلون في الدنيا
اللهم والولاية وسياسة الرعية لاقامة دين الله وتنفيذ امره واذا احتج به الفقير
الصابر احتج به الغني الشاكر واذا احتج به العابد على فضل نوافل
العباده وترجيحها احتج به العارف على فضل المعرفه واذا احتج
به ارباب التواضع والحلم احتج به ارباب العز والقهر للمبطلين والغلظه
عليهم والبطش بهم واذا احتج به ارباب الوقار والهيبه والرزانه
احتج به ارباب الخلق الحسن المباح الذي لا خرج عن الخلق وحسن العشر
للاهل والاصحاب واذا احتج به اصحاب الصدع بالحق والقول به في
المشهد والمغيب احتج به اصحاب المداراة والحلم والكرم ان نادوا الجهل
بما يكرهه في وجهه واذا احتج به المتورعون على الورع المحمود احتج به
المقصرون المتهاونون الذين لا يخرجون عن سمعه شريعته وصيرها
وسهولتها واذا احتج به من صرف عنايته الى اصلاح دينه وقلبه احتج

به من دعاه الى اصلاح بدنه ومعيشته ودنياه فانه بعث بمصالح الدنيا والدين
واذا احتج به من لم يعلق قلبه بالاسباب ولا يثق الا بها احتج به من هو
بالاسباب وصنعها مع وضعها دافعا لها حقها واذا احتج به من جاع
وصبر على الجوع احتج به من شبع وشكر به على الشبع واذا احتج به
من اخذ بالعفو والصفح والاحتمال احتج به من انتصر في موضع الانتقام واذا
احتج به من اعطى لله ووالى لله احتج به من منع لله وعادى لله واذا
احتج به من لم يدخر شيئا لغد احتج به من ادخر لغد لما روت عنه واذا
احتج به من اكل الخشن من الغذاء والادم كخبز الشعير والخل احتج به
من ياكل الدسم واللحم كالشواء واللوز الفاكهة والطيب ونكح
واذا احتج به من شرع في الصوم احتج به من شرع في الفطر فكان صوم يحتى يقال
لا يفطر وفطر حتى يقال لا يصوم واذا احتج به من رغب عن الطيبات والشهوات
احتج به من رغب فيها وهو الله في الدنيا وهو الله في الطيب واذا احتج به من لان جانبه
وخفض جناحه للناس احتج به من ذب عن الدين وطعن وهجر وغير هو
واذا احتج به من ترك المباشرة اسباب المعيشة بنفسه احتج به من
باشرها بنفسه فاجر واتاجر وباع واشترى فاتجر وربح
واذا احتج به من رغب الناس بالكلية في الخيط فما فوقه الصيام احتج به من باشر
امراته وهي حايض بغير الوطي ومن قبل امراته وهو صايم واذا احتج به
من رجح المعاصي بالعذاب احتج به من قام عليهم سيف الله فقطع
السارق ورجم الزاني وجلد الشارب واذا احتج به اراباب الحفظ والتثبت
احتج به اراباب الشهادة العادلة المبينة على القبض العلوم فانه حبس
المتهم ظلما وعاقبه وضربه واخذ منه حتى اعترف بما لم يفعل واخذ المال
الذي ظهر ببطلانه بالقرينة وبرجم ابو عبيدا رجم على هذا الذي ترجمين
احدهما ان الشهادة لما كان يتعذر ان يقوم للمشهد الذي لم يشهد الفعل
ليستبين بل كان من الحرج عليه ما تعذر به لكن على الشاهد
ان يشهد بما رآه وعلم به وقد اعترف به فقد شهد به على اقراره
وعمله فقد شهد بما علمه وحكم به الحاكم بعد ان ثبت عنده
لا جرم ذكر ابو عبيد ان الحاكم

وفضلا واعادته للشاكر مشكورا كقوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا ورضي الله عن عبده بقوله وان شكر وا يرضه
لكم وقد اهلق في الكلام ليدل على انهم حواصه كقوله تعالى وقليل من
عبادي الشكور وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى تورمت
قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم وما تاخر قال
افلا اكون عبدا شكورا وقد صلى الله عليه وسلم لمعاذ والله اني لاحبك
لا تنس ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك وفي السنن والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمه ويقول قل اللهم اعني على وانصرني
ولا تنصر على وامكر لي ولا تمكر على واهدني ويسر الهدى لي وانصرني
على من بغى علي رب اجعلني لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مطواعا
لك مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي
وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسلل سخيمة صدري قال
واصل الشكر في وضع اللسان ظهور اثر النعمة في ابدان الحيوان ظهورا
مبينا فانشكرت الدابة شكرا على وزن سمنت تسمن سمنا اذا
ظهر عليها اثر العلف ودابة شكور اذا ظهر عليها من السمن فوق ما يكفل
وتعظم من العلف وفي صحيح مسلم حتى ان الدوابة شكر من بحوبها اي سمن
من كثرة ما اكل ونحوه قد لكرعت في العبودية وهو ظهور اثرها عليه
عرفان نعمة المنعم واعترافا وعلى قلبه شهودا ومحبة وعلى جوارحه
انقيادا وطاعة والشكر مبني على خمس قواعد خضوع الشاكر للمشكور
وحبه لاعترافه بنعمته والثناء عليها وان لا يستعملها فيما يكره وهذه
الخمس هي اساس الشكر وبناؤه عليها ومتى عدم منها واحد اختل من
قواعد الشكر قاعدة وكما ان الله تعالى للشكر وجوه كما امر به يجمع جميعها
بدوره وقيل الثناء على المحسن بذكر احسانه وقيل هو مقلوب القلب على
محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه وقيل
هو مشاهدة المنة بحفظ الجوارح على الطاعة والجزع عند المعصية
شكر النعمة ان ترى نعمته فيها طفيليا وقال بعضهم الشكر معرفة العجز
عن الشكر وقيل الشكر اضافة النعم الى مولاها بمعنى لاستحقاقه له وقال

الجنيد

الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك من اهل النعمة هذا معنى قول الجنيد
ان ترى نفسك فيها طفيليا وقال رويم الشكر استفراغ الطاقة وقال
الشبلي الشكر رويه المنعم لا رويتا النعمة ولست احتمل كلام امثلين
احدهما يعني برويه المنعم عن رويه نعمه والثاني لا يحب رويه نعمه
ومشاهدتها عن رويه المنعم بها وهذا اكمل والاول اقوى عندهم والكمال
ان تشهد النعمة والمنعم لان شكرك محبته شهود النعمة فكلما كان اتم كان
الشكر اكمل والله يحب من عبده ان يشهد نعمه ويعترف له بها ويثني عليه بها
ويحب عليها الا ان يفنى عنها ويغيب عن شهودها وقيل الشكر صيد
النعم الموجوده وصيد النعم المفقوده وشكر العامة على المطعم والمشرب
والملبس وقوت الابدان وشكر الخاصة على التوحيد والايمان وقوت
القلوب وقال داود رب كيف اشكرك وشكري نعمة من عندك تستوجب
بها شكرا فقال الان شكرتني يا داود وفي اثر اخر اسرائيلي ان موسى
صلى الله عليه وسلم قال يا رب خلقت ادم بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت
له ملائكتك وعلمته اسماء كل شيء وفعلت وفعلت فكيف اطاق شكرك
فقال الله عز وجل علم انه ذلك مني فقد عرفتني الشكر الى وقيل الشكر
التلذذ بالثنية على بما استوجب من عطاياه وقال الجنيد وقد سئل بم
عرف الشكر وهو حبي للشكر لان استعانة شيء من نعم الله على معاصيه
تقال من اين لك هذا قال من محالتك وقيل من قصرت يداه عن المكافاة
فليطل لسانه بالشكر والشكر معه المزيد ابدا لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
متى لم ترحالك في مزيد فاستقل الشكر وفي اثر الهي يقول الله عز وجل
اهل ذكري اهل محالتي واهل شكري اهل زيادتي واهل طاعتي اهل
كرامتي واهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي ان تابوا فانا حبيبهم وان لم
يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصايب لاطهرهم من المعايب وقيل من لم
يشكر النعمة فقد كفرها ومن اظهرها ونشرها فقد شكرها وهذا معنى قوله
من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا انعم على عبد نعمة احب ان يرى
اثر نعمته على عبده وفي هذا قيل

ومن الكريم ان شكرى صامتا عما فعلت وان يرك ناطقا

ارى الصنيعة منك نشرها اني اذ البذل الكريم لتارك

صاحب المنازل ومعاني الشكر ملاثة اشياء معرفة النعمة ثم قبول النعمة ثم الثنا
به وهو اضافة جميل الفاظها ما معرفتها او احضارها في الذهن وشاهدتها وتعيدها

شبكة الألوكة www.alukah.net

الامات في وقتها وعند حاجة الها انفع من ملاوة سورة الاخلاص
ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء وهي جامعة
والذكر بمفرده ملحوظ ذلك كله مع عبوديته شاسرا لبعضها فهذا
اصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الاعمال وترتيبها منازلها
ليلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح على المتاجر الفضل الذي
بينهما ويظفر الى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وان كان ذلك وقته
فيقوته بمصلحته بالكلية لظنه ان اشتغاله بالفاضل الكثير ثوابا واعظم اجرا
وهذا يحتاج الى معرفة بمراتب الاعمال وتفاوتها ومقاصدها وقصد
فاعطى كل عمل منها حقه وتنزيله في مرتبته وتقويته لما هو اهم منه او فوقه
ما هو اولى منه وافضل الاعمان تداركه والعود اليه وهذا المفضول
ان فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به اولى وهذا لترك القراءة لرد
السلام وتشميت العاطس وان كان القرآن افضل لانه يمكنه الاشتغال
بهذا المفضول والعود الى الفاضل بخلاف ما اذا اشتغل بالقراءة فانه
يفوته رد السلام وتشميت العاطس وهكذا سائر الاعمال اذا تزاحمت
والله الموفق ٥

فاذكروني اذكركم ٥ قال المجاهد
في قوله كما ارسلنا فيكم رسولا كما فعلت فاذكروني وقال عبد الله بن
وهب عن هشام بن سعد عن زيد ابن اسلم ان موسى عليه السلام قال
يا رب كيف اشكرك قال له ربه تذكرني ولا تنساني فاذا ذكرتني فقد شكرتني
واذا نسيتني فقد كفرتني وقال الحسن البصري وابو العالية والسدي والربيع
ابن انس ان الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره وقال
بعض السلف في قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قال هو ان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن محمد
ابن الصباح ابنا يزيد بن هرون انا عمارة الصيدلاني قال سمعت عكرمة الازدي
قال قلت لابن عمر اني آيت فاتل النفس وشارب الخمر اتارك انا والزنى
يذكر الله عز وجل وقال الله تعالى فاذكروني اذكركم قال اذا ذكر
الله هذا ذكره الله بلعنته حتى يتركه وقال الحسن البصري في قوله فاذكروني
اذكركم قال اذكروني فيما افترضت عليكم اذكركم بما وجبته لكم
على نفسي وعن سعد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم بمغفرتي وفي رواية
برحمتي وعن ابن عباس في قوله فاذكروني اذكركم قال اذكر انا اكثر من
ذكركم

لا مانع من الاستفادة من هذا الملف مع الاشارة الى المصدر

ذكركم اياه وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه حدثنا عبد الرزاق
انا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا مع
ابن ادم ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا
من الملائكة او في ملا خير منهم وان دنوت مني شبرا دنوت منه ذراعا
وان دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا واذا اتيتني تمشي اتيتك اهرول الحديث
وقوله تعالى واشكروا لي ولا تكفرون امر الله تعالى شكره وحث
على شكره بمزيد الخير فقال تعالى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم
ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ٥ حدثنا روح قال ثنا شعبة عن الفضيل
رفضال الربعي من قيس قال سمعت ابا وائل الوطاري قال خرج علينا عمران بن حصين
وعليه مطرف من خز فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحب اثر نعمته على عبده قال الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وقال
فضل من الشكر مراعاة المنازل وهي موقوف منزلة الرضا فانه يتضمن
الرضا وزيادة فالرضا مندرج في الشكر اذ تعريفه وهو الشكر بعينه
وهو نصف الايمان فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر وقد
امر الله به وعنى عن ضده واثنى على اهله ووصفه بخواص خلقه وجعل
غاية خلقه وعلله به وحث عباده به وجعله سببا للمزيد من فضله وحارسا
وحافظا لنعمته واخبر ان اهله هم المنتفعون بآياته واشق خلقه اسبابا
من استبدل به فاته سبحانه هو الشكور وهو يحب كل شاكر فالله يحب كل
الشاكر ويحب ان يشكر وهو غاية رضا الرب من عبده واهل هم القليل من عباده
قال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون وقال ان كنتم اياه تعبدون وقال
تشكرون وقال عن خليله ابراهيم انه كان امة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه وقال تعالى عن نوح عليه السلام
انه كان عبدا شكورا وقال تعالى اما شاكرا واما كفورا وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم وجعل لهم السمع والابصار والافئدة لعلهم يشكرون وقال تعالى واذكروا
لي ولا تكفرون وقال تعالى سنجزي الله الشاكرين وقال تعالى واذ تاذن
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم وقال ان ذلك
لايات لكل صبار شكور وسيجزي الله الشاكرين وسماهم
الاقلين فاعلم من وصفه بما وصفه به وحثك به على هذا الجنس شاكرين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابو داود والنسائي من حديث انس رضي الله عنه انه كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا
اله الا انت المنان بديع السموت والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي
يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي اذا دعي
به اجاب واذا سئل به اعطى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الدعاء يستجاب
اذا تقدمه هذا الثناء والذكر وانه باسم الله الاعظم فكان ذكر الله والثناء عليه
الحي ما طلبه العبد هو الحيه وهذا قابله اخرى من فوايد الذكر والثنا
انه يجعل العبد مستحيا فالدعاء المقدم الذكر والثنا افضل واقرب الى
الاجابة من الدعاء المجرد فان انضاف الى ذلك اضطرار العبد الى ربه
وافتقاره واعترافه كان الجمع في الاجابة وافضل فانه قد يتوسل الى المدعو
بصفات كمال رحمانيته وفضله وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته
وفقره ومسكنته فهذا المقتضي منه واوصاف المتوسل في الدعاء وكان المانع
والظن موقعا وامم تعرفه وعبودية وانت ترى في الثنا كما قد طفح المنك
الا على ان الرجل اذا توسل الى من يريد معروفه بكرم وجوده وبين
وذكر حاجته هو وقفر ومسكنته كان اعطف لقلب المسؤول واقرب لقضا
حاجته واذا قال له انت جودك قد شارت به الركبان وفضلك عم الشمس
لا ينكر وخوذ لك وقد بلغت لمه الحاجه والضرورة مبلغها لا صبر معه
وخوذ لك كان ابلغ في قضا حاجته من ان يقول ابتدا اعطني كذا وكذا فاذا
عرفت هذا فتامل قول موسى في دعايه رب اني لما انزلت الي من خير فقير
وقول ذي النون في دعايه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقول
ابينا ادم ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وفي الصحيح ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله علمني دعا
ادعو به في صلاتي فقال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وانه لا يغفر
الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم
فجمع في هذا الدعا الشريف العظيم القدرين الاعتراف بالظلم والتوسل
الى ربه بفضله وجوده وانه المنفرد بغفران الذنوب فسال حاجته
بعد التوسل بالامرين معا فهكذا اداب الدعا اداب الصعود به فوق
قرا القران افضل من الذكر والذكر افضل من الدعا هكذا من حيث النظر
الى كل منهما بمجرده وقد يعرض للمفضول ما يجعله اولى من الفاضل بل يعينه
ولا يجوز ان يعدل عنه الى الفاضل وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فانه

افضل

افضل من قراة القران فيهما بل القراة فيهما منهي عنها نهي تحريم او كراهة
وكذلك التسبيح والتحميد في محلها افضل من القراة في التشهد وكذلك
رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين افضل
من القراة وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة ذكر التهليل والتسبيح
والتكبير والتحميد افضل من الاشتغال عنه بالقراة وكذلك اجابة المؤذن
والقول كما يقول افضل من القراة وان كان فضل القران على كل
كلام كفضل الله على خلقه لكن لكل مقام مقال متى فات مقاله
وعدل عنه الى غيره احتلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه وهكذا
الاذكار المعينة لحال مخصوصة افضل من القراة المطلقة والقراة المطلقة
افضل من الاذكار المطلقة اللهم الا ان يعرض للعبد ما يجعل الذكر او
الدعا انفع له من قراة القران مثال ان يستكرهه في ذنوبه فيحدث ذلك
له توبة واستغفارا او يعرض له ما يخاف اذاه من شياطين الانس والجن
فيصير الى الاذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه وكذلك ايضا قد يعرض
للعبد حاجة ضرورية اذا اشتغل عنها بالقراة او ذكر لم تخطر قلبه
بينهما واذا اقبل على ربه والدعا اليها اجتمع قلبه على الله واحدث
له تضرعا وخشوعا وانابة لا فهذا قد يكون اشتغاله بالدعا والحال هذه
انفع له وان كان كل من القراة والذكر افضل واعظم اجرا وهذا باب نافع
يحتاج الى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلة العارض
فيعطى كل حق حقه ويوضع كل شيء موضعه فللعين موضع وللرجل موضع
وللسمع موضع وللفم موضع وحفظ المملكة هو من تمام الحكمة التي هي نظام
الامر والنهي والله الموفق وهكذا الصابون والاشنان انفع للثوب
في وقت والتحجير وما الورد ونحوه انفع له في وقت فالشمس الذي ابن
القيم وطلت لشيخ الاسلام ابن تيمية يوما قد ستر الله وحده نور ضريحه
قيل لبعض اهل العلم انما انفع للعبد التسبيح او الاستغفار فقال
اذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد انفع له وان كان دنسا فالصابون
والماء الحار انفع له فقال لي رحمه الله فكيف والثياب لا بد ان تدنس ومن
هذا الباب ان سئل عن قل هو الله احد تعدل ثلث القران ومع هذا
فلا تقوم مقام ايات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها بل هذه

الذي

يكون

مستثنى منه محذوف

له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وبعد ذكر فاضل هذا النوع اجمعه
للثناء عامة نحو سبحان الله عدد خلقه فهذا افضل من مجرد سبحان الله وقوله
الحمد لله عدد ما خلق في السما وعدد ما خلق في الارض وعدد ما بينهما وعدد
ما هو خالق افضل من مجرد قولك الحمد لله ولهذا في حديث جويرية ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها لقد قلت بعدك اربع كلمات لو وزنت بما قلت
منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله زنة
عرشه سبحان الله مداد كلماته رواه مسلم وفي الترمذي وسنن ابي داود
عن سعد ان ابي وقاص رضي الله عنه انه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
امراة بين يديها نوى او حصى تسبح به فقال اخبرك بما هو ايسر عليك من هذا
او افضل فقال سبحان الله عدد ما خلق في السما وسبحان الله عدد ما خلق
في الارض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله
اكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة
الا بالله مثل ذلك رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

النوع الثاني الخبر عن الرب تبارك وتعالى باحكامه
واسمائه وصفاته بخبر لك الله عز وجل تشريع اوامره وزواجره وبين لك ما
خفي عليك خافيه من احكامه وهو اوجب بهم من اسمائهم واسمائهم به وهو على كل شئ قدير
وهو افرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد وجود ذلك وافضل بحسب هذا النوع
الثنا عليه بما اثنى به على نفسه وبما اثنى عليه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير
تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل وهذا النوع افضل بلا ثلاثة
انواع حمد وثنا ومجد والحمد الاخبار عنه بصفات كمال مع محبته والرضا
عنه فلا يكون الحمد الا لمن هو كذلك والمثنى عليه محمود او لا والمثنى عليه محبوب
له المجيد والثنا فانه كثير والحامد شيئا بعد شيء كانت ثنا فان كان
المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا وقد جمع
الله تعالى لعبده الانواع الثلاثة في سورة الفاتحة فاذا قال العبد الحمد
لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال
الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي
والنوع الثاني من الذكر ذكر امره ونهيه واحكامه وهو ايضا نوعان
احدهما ذكره بذلك اخبارا عنه بانه امرنا ونهى عن كذا واحب كذا
وسخط كذا ورضي كذا والثاني ذكره عند امره عباده له وعند نهيه
فهرب منه فذكر امره ونهيه شيء وذكره عند امره ونهيه شيء آخر فاذا
اجتمعت هذه الانواع للذاكر فذكره افضل الذكر واجله واعظمه فائدة

فذاكر

الله تعالى اين عرفه فقلما الذى يتعوذ يعنى به من ابليس الا بالله وحده
امنت بالله وحده وكفرت بالجبت والطاغوت واعتصمت بالعروة الوثقى
التى لا انفصام لها والله سميع عليم حتى الله ولقى سمع الله لمن دعا ليس وطاس
مريم وقال ابن منصور عن وهيب ابن الورد قال خرج رجل الى
الجبانة بعد شاة من الليل فلما سمعت جبانا واصواتا شديدة فجئ
يتعرض حتى وضع وجانبى حتى صعد عليه فلما بلغ مقالا اجتمعت اليه جنوده
ثم صرخ فقال من لى بعروة ابن الزبير فلم يجبه احد ثم تتابع ما شاء الله من
الاصوات فقال واخذاه الكنه قال فتوجه نحو المدينة وانا انظر اليه ثم
الرجعه فقال لا سبيل الى الى عروة ولا الى وجدته يقول كلما شاء
المدينة قالت عنه حتى دللت عليه فى ذات يوم كيد فقلت اى شئ تقوله فقال
اذا اصبحت واذا امسيت فاما ان يخبرنى فاخبرته بما بات وما سمعت
فقال ما ادرى لعل ما اقول اذا اصبحت امنت بالله العظيم وكفرت بالجبت
والطاغوت ثلاث مرات واذا امسيت قلت بذا ثلاث مرات وذكر ابو موسى
عن سهل الطبرى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يحيد ك
فاذا اويت الى فراشك فقل اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها وما ذرا فى الارض ومن
شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار
الا طارق يطرق بخير وقد ثبت فى الصحيح ان الشيطان يهرب من الاذان
قال سهيل ارسلنى ابى الى بنى حارثة ومعى غلام او صاحب لنا
فنادى منادى من حائط بأعلى صوته واشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئا
فذكرت ذلك لابى فقال لو شعرت انك تلقى هذا لم تفعل ولكن اذا سمعت
صوتا فنادى بالصلاة فانى سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يحدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان اذا نودى بالصلاة ولى وله
حصاص وفى رواية اذا سمع النداء ولى له ضراط حتى لا يسمع التأذين
الحديث وذكر الحافظ ابو موسى من حديث رجاء بن ابى سلمة الصدفى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استثمر رجل من لا اله الا الله والاستغفار
فان الشيطان يقول قد اهلكتهم بالذنوب واهلكونى بقول لا اله الا الله
والاستغفار فلما رأيت ذلك منهم اهلكتهم بالاهواء وهم يحسبون انهم مهتدون
ولا يستغفرون وذكر ابو جعفر بن ابراهيم ان الحكم بن ابيه عن عليه عن عمه قال
رجل متأخر ادبر رجلا نائما ورأى عنده شيطانا يتفخ المتأخر احدى

الشيطان

الشيطانين يقول لصاحبه اذهب فانه قد عقل هذا النائم قليلا فلما دنا
منه رجع الى صاحبه فقال للقدام على ابه ما لنا الليلة قد ذهب
الى النائم فلما دنا منه رجع فقال لقد صرفت فذهبا ان الى فم نقطه
واخبر بما رأى من الشيطانين فقال اخبرنى على اى آية تتوكل على هذا الله
ان ربكم الذى خلق السموت والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش
يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال ابو النضر هاشم ابن القاسم
كنت اربى فى دارى فقيل يا ابا النضر خرج حمار ناقال فاشتد ذلك على
فكتبت الى الكوفة الى ابن ادريس والحذاء وابى اسامة فكتب الى الحاذاء ان
بيدا بالمدينة كان يقطع رشاؤها فترك بهم ركبه فشكوا ذلك اليهم فدعوا لهم
من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه فى البير فخرجت نار من البير فطفئت
عنا اثر البير قال ابو النضر فاخذت نورا من ماء ثم تكلمت فيه بهذا الكلام
ثم تتبعته به وابا الدار فرششته فصاحوا بى يا ابا النضر احرقتنا نحول
عنك وهو تم اعذنا بالله الذى ليس من تنى يمتنع ونعوذ بالله الذى
لا يرام ولا يضام ونستطان الله المنيع بحجته ونتعاشى به المتنى كلها بما
من الآبات ومن شر شياطين الانس والجن ومن شر كل ساحر او ساحرة ومن شر ما يلج
فى الليل ويلج فى النهار ومن شر ما يخرج بالليل ويخرج بالنهار ومن شر ما خلق وذرا وبرا ومن
شر الليل وجنوده ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربى على صراط
مستقيم اعوذ بالله مما استعاذ به موسى وعيسى وابراهيم الذى وفى ومن شر
خلق وذرا وبرا ومن شر الليل وجنوده ومن شر فاسقى اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات فالموريات زندا فالمغيرات
ذكر ان الهكم لواحد رب السموت والارض وما بينهما ورب المشارق انا
زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون
الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا
من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب فهذا بعض ما يتعلق بقوله
صلى الله عليه وسلم كذلك لعبد يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله
الذكر نوعان احدهما ذكر اسماء الرب وصفاته والثنا عليه بها
وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به وهذا ايضا نوعان احدهما اثنا
الثنا عليه بها من الذاكر وهذا النوع هو المذكور فى الاحاديث نحو
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده ولا اله الا الله وحده لا شريك

شبكة الألوكة www.alukah.net

صحيفته من قبل شماله فجاءه هوله من الله عز وجل فاخذ صحيفته
فوضعها في يمينه ورأيت رجلا من امتي قد خف ميزانه فجاءه اقراله
فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتي على شفير جهنم فجاءه رجاه
من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من امتي قد هوى
في النار فجاءته دموعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك
ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح
عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا
من امتي يزحف على الصراط وحبوا احيانا وتعلق احيانا فجاءته صلاته
علي فاقامته على قدميه وانقذته ورأيت رجلا من امتي اتهوى الى ابواب الجنة
فعلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله فتخطته الابواب
وادخلته الجنة رواه الحافظ ابو موسى المديني في كتاب الترغيب
المنجيه والترهيب من الخلال المرديه وبنى كتابه عليه وجعله شرحا وقال
هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو ابن دينار وعلي ابن زيد
ابن جدعان وهلال ابو جبلة وكان ثبتا لا علام ابن شميه رضي الله عنهم
معظم شان هذا الحديث ويلفت منه انه كان يقول شواهد الصحة عليه والمقصود
منه قوله صلى الله عليه وسلم ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله
فطردت الشيطان عنه فهذا مطابق لحديث الحارث الاشعري وقوله فيه وامركم بذكر الله
وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو فاتى على حصن حصين فاحرز نفسه فيه فكذلك
العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله عز وجل وفي الترمذي عن انس ان مالك رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله
لا حول ولا قوة الا بالله يقال له كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان
فيقول الشيطان لشيطان اخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي رواه وقال
وهذا حديث حسن وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم من قال في كل يوم مائة مرة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت
له حرزا من الشيطان حتى يمسي وذكر شعبة عن ابي الزبير عن عبد الله رضي الله
عنه كعب قال اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال
توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك
حفظت فتقول الشياطين بعضهم لبعض ارجعوا اليس لكم عليه سبيل كيف

لم

لم من كفي وهدي وحفظ وقال ابو خلاد المصري من دخل في الاسلام
دخل في حصن ومن دخل المسجد فقد دخل في حصنين ومن حلق رأسه
حلقة بذكر الله فيها فقد دخل في ثلاثة حصون وقد روى الحافظ ابو موسى
في كتابه من حديث ابي عمران الجوني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا وضع العبد جنبه على فراشه وقال بسم الله وقرأ فاتحة الكتاب امن من
شر الجن والانس ومن كل شيء وفي صحيح البخاري عن محمد بن سيرين عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة رمضان
انا احتفظ بها فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فاخذته فقال دعني
فاني لا اعود فذكر الحديث وقال في الليلة الثالثة اعلم كلمات ينفعك الله
بهن اذا اويت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي من اولها الى آخرها فانه
لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلى سبيله فاصبح
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فقال صدق وهو كذوب وذكر الحافظ ابو موسى
من حديث ابي الزبير عن جابر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اوى الرجل الى فراشه بات الملك وشيطان فيقول الملك اختم بخير
ويقول الشيطان اختم بشر فان ذكر الله تعالى حتى يغلبه يعني النوم طرد
الملك الشيطان وبات يكلؤه فاذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان فيقول
الملك افتح بخير ويقول الشيطان افتح بشر فان قال الحمد لله الذي يحيي بعد
ما اماتنا واليه النشور قال الملك افتح بخير ويقول الشيطان افتح بشر فان قال
الحمد لله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على
الارض الا باذنه طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه وفي الصحيحين من
حديث ابن ابي الجعد عن شريح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما لو ان احدهم اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا لم يضره شيطان ابدا وفي بعض الشيطان ابدا وذكر
الحافظ عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال انا ضامن لمن قرأ هذه العشر من الآيات
ان يحفظه الله من كل شيطان مارد ومن كل شيطان مريد ومن كل جبار عنيد
ومن كل لص عداء اية الكرسي وثلاث ايات من الاعراف ان ربكم الله الذي خلق
السموت والارض وعشرا من الصافات وثلاث ايات من الرحمان يا معشر الجن
والانس وخاتمة سورة الحشر لو انزلنا وقال محمد ابان ينبغي لرجل في المسجد
يصلي اذا هو بشيء الى جنبه فهيل منه فقال البث علي مني بائس ما حيتك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنافق بقليل الذكر لله عز وجل فالله عز وجل في المنافقين ولا يذكرون
الله الا قليلا وفي الحديث اكثر ذكر الله يبرئ من النفاق ولهذا والله اعلم
حتم الله سورة المنافقين بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فان في ذلك
تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله فوقعوا في النفاق
وقيل بعض الصحابة عن الخوارج انهم منافقون لهم قال لا انهم قليلون لا يذكرون
الله الا قليلا فهذا من علامة النفاق قال ذكر الله عز وجل وكثير ذكره امارات
من النفاق والله عز وجل اكرم من يسئل ولباذا كرا بالنفاق واتخاذ لك لقلب
غفلته عن ذكر الله عز وجل التاسعة والتسعون ان للذكر من بين الاعمال
لذة لا تشبهها شئ فلو لم يكن للعبد من ثوابا الا اللذة الحاصلة للذاكر
والنعيم الذي يحصل لقلبه للقي به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة
وما ذاك الا من ثمار ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل قلت شئ من
الاعمال اخف مونة منه ولا اعظم لذة ولا اكثر فرحة وانبساطا للقلب من
المسبحون انه يكثر الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الاخرة فالذاكرون
انضر الناس وجوها في الدنيا وانورهم في الاخرة ومن المراسيل عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قال في كل يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير اتاه يوم القيمة وجهه كالقمر
ليلة البدر الحادية والتسعون ان في دوام الذكر في الطرق
والبقاع والقفر والكثف والتلاع يكثير الشهود للعبد يوم القيمة من تلك
البقعة والدار والجبل والارض يشهد للذاكر يوم القيمة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها
واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث اخبارها بان
ربك اوحى لها فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها
ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا وكذا
قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فالذاكر لله في سائر البقاع ملئ
شهوده ولعلها واكثرهم ان تقبل اقوم قيام الاشهاد واداء الشهادات
مفرح ومغتبط شهادتهم المائة والتسعون ان في الاشتغال
بالذكر شغلا عن الكلام بالباطل من الغيبة والنميمة واللغو ومدح
الناس وذمهم وعيب ذلك فان لك ان لا تكتب لبته فاما ان ذاك

واما

وامالك ان لا تخ ولا بد من احدهما فمهما لم تشغلها بالحق شغلتك
بالباطل وهو الغالب ان لم تكن بحيث يراه سكنة بحبة المملوءة ولا بد
وهو الثاني ان لم تشغلها بالذكر شغلتك باللغو وما هو عليك ولا بد
فاختر لنفسك احدى الخطتين وانزلها في احدى المنزلين المائة
والتسعون وهي التي بدانا بذكرها واشرنا اليها اثنتان وهما ان الشياطين
قد احتوشت العبد وهم اعداوه فما ظنك برجل قد احتوشته اعداؤه
المحنقين عليه غيظا واحاطوا به كل منهم يناله بما قدر عليه من الشر والاذى
ولا سبيل الى تفريق جمعهم عنه الا بذكر الله وفي هذا الحديث العظيم
الشريف القدر الذي ينبغي لكل مسلم ان يحفظه فيذكر بطوله العموم فائدته
وحاجة الخلق اليه وصح حديث سعد المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة
ابن جندب قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن في صفة المدينة
فقام علينا فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي اتاه
ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره والديه فرد عنه ملك الموت عنه ورايت
ورايت رجلا من امتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فانقذه
من ذلك ورايت رجلا من امتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله
تعالى فطرد عنه الشياطين عنه ورايت رجلا من امتي قد احتوشته
ملائكة العذاب فجاءته صلواته فاستنقذته من ايديهم ورايت رجلا من امتي
يلتهب وفي رواية لهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاء صيام
شهر رمضان فاغاثه واراده ورايت رجلا من امتي ورايت النبيين
جلوسا حلقا حلقا كلما دنا الى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده
فاقعده الى جنبي ورايت رجلا من امتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه
ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه
من الظلمة وادخلاه في النور ورايت رجلا من امتي يتقي بيديه وجه النار شررها
فجاءته صدقته فصارت ستره بينه وبين النار وظلة على راسه ورايت
رجلا من امتي يكلم المومنين والمومنون لا يكلمونه فجاءته صلة رحمه فعلموه فعلم المومنون
وصاحبوه وصاحبهم ورايت رجلا من امتي قد احتوشته الزبانية فجاءه
امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم وادخله في ملائكة
الرحمة ورايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبين الله حجاب فجاءت
خلقه فاخذ بيده فادخله على الله عز وجل ورايت رجلا من امتي قد هبت

شبكة الألوكة www.alukah.net

سمعت عمر مولى غفرة قال اذا انكشف الغطاء يوم القيمة عن ثواب اعمالهم
رأوا اعمالا افضل ثوابا من الذكر فتحتقر عند ذلك العوام فيقولون ما كان شيء
اجر علينا من الذكر وكما ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر
المفردون قالوا وما المفردون قال الذين اهتزوا في ذكر الله يضع الذكر عنهم
اوزارهم فيأتون القيامة خفافا اهتزوا الشيء ولعبوا به ولزموه وجعلوه دأبهم وفي بعض
الفاظ الحديث المستهترون بذكر الله ومعناه الذين لهجوا بذكر الله تعالى واستهتروا
به لان هذا اذا ولع به وفيه بقية اخذا من هترة الثوب اي لتفه وهلهله
وهلهل قوائمه وهم في ذكر الله تعالى لما هترة الخمر فهو مهتر اذا استطار
في كلامه من اللغو والهترة السقط من الكلام كأنه يلغي في ذكر الله حتى خرف
وابتر عقله والهترة الباطل ايضا ورجل مستهتر اذا كان كثير الاباطيل
وفي حديث ابن عمر اعوذ بالله ان اكون من المستهترين بحقيقة اللفظ
ان الاستهتار الاكثار من الشيء واللوع به حتى كان ذلك باطلا غلب
استعماله على المبطل حتى اذا قيل فلان مستهتر لم يفهم منه الا الباطل
واما اذا قيل شيء فقيل به فهو مستهتر او تداهتر في ذكر الله اي ولع به
وغري به وقال ابو تهتر فيه وبه وصير هذا في الامر الاخر اذا ذكر الله
حتى قال محمود ٥ الثالثة والثلاثون ان الذكر تثبيت لتصديق
الرب عز وجل عبده فانه حين يقول الله يا ومن فكأنه يقول صدق عبدي
اخبرتها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله لم يحشر مع الكاذبين ويجيء له
ان يحشر مع الصادقين وروى ابو استحق عن الاغر ابي مسلم انه شهد
على ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال
العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله تعالى صدق عبدي لا اله الا انا
وانا اكبر واذا ان لا اله الا الله وحده قال تعالى صدق عبدي لا اله الا انا
وحدي واذا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له قال صدق عبدي لا اله الا انا
ولا شريك لي واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدي لا
اله الا انا لي الملك ولي الحمد واذا ان لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله
قال لعبدي لا اله الا انا ولا حول ولا قوة الا بي قال ابو استحق ثم يرجع
الاغر شيأ لم اقم حفظت لابي جعفر ما كان يذكر عن عبد موسى لم تمس
الثالثة الرابعة والثلاثون ان دور الجنة تبنى بالذكر فاذا امسك الناس
عن الذكر امسكت الملائكة عن البناء فاذا اخذ في الذكر اخذ في البناء وذكر ابن
ابي الدنيا في كتابه عن حكيم ابن محمد الاعشى قال بلغني ان دور الجنة تبنى بالذكر

فاذا

فاذا امسك عن الذكر امسكوا عن البناء فقال لهم ما تقولون حتى تأتينا نفقة
وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبع مرات بني له
بيت في الجنة وكان بناها بالذهب فاذا قال ذلك هدم كما تهدم
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم الخليل ان الجنة طيبة التربة عذبة
الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
قال الذكر غراسها ونباتها وذكر ابن ابي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من غراس الجنة قالوا يا رسول الله وما غراسها
قال ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ٥ الخامسة والثلاثون ان
الذكر سد بين العبد وبين جهنم فاذا كانت كلما جهنم طريق من عمل من الاعمال
كان الذكر في تلك الطريق فان كان ذكره اداعا كاملا كان سدا محكما
لا منفذ فيه والا صبحت فاعبد العزيز بن ابي رواد كان رجل الباد به
فاتخذ مسجدا فجعل في قبلته سبعا محاريب فكان اذا تضح صلاة في اي محراب
اشهد ان لا اله الا الله فلما حضر الرحيل وقرب روحه ٥ اقرأ تني مني
انه امر بي الى النار فلما رأيت حجرا من تلك المحاريب قد عظم فدعني يا
من ابواب جهنم فلما اتى بي الباب الاخر واذا حجر من تلك المحاريب اعرفه
قد عظم فدعني يا من ابواب جهنم حتى سدعني بسبعة ابواب جهنم
السادسة والثلاثون ان الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب
كما روى حنين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قال اجدني كتابا بالله المنزل ان العباد اذا قال الذاكر منهم
الملائكة رب العالمين واذا قال الحمد لله رب العالمين قالت الملائكة
اللهم اغفر لعبدك واذا قال سبحان الله قالت الملائكة وبحمده واذا قال
سبحان الله وبحمده قالت الملائكة اللهم اغفر لعبدك واذا قال لا اله الا الله
والله اكبر واذا قال لا اله الا الله والله اكبر قالت الملائكة اللهم اغفر لعبد
السابعة والثلاثون ان الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن
يذكر الله عز وجل عليها وان سعدان الجرلة في الجبل الباسة امت
بذكر اليوم احد بذكر الله فاذا انعم استبشر وقال عوف بن عبد الله
ان البقاع لتنادي بعضها بعضا يا جارتاه امر بك اليوم احد يذكر الله عز وجل
فما يليك نعم وقائله لا وما لي لا اعشى غرز بحاصان الجبل لتنادي الجبل سهيه
فلان هل مر بك اليوم ذكر لله عز وجل فمن قائل لا ومن قائل نعم ٥
الثامنة والثلاثون ان عشر ذكر الله عز وجل امان من النفاق فان

شبكة الألوكة www.alukah.net

وغلتم عن المال ان تعطوه منفقوه وجبنتم عن العدو ان تقاتلوه فاكثروا ذكر
الله عز وجل والمحبون اذا دام الذكر منهم عن الطاعات
وتقوم مقامها سواء كانت بدنيه او مالية او مركبه منهما كالحج التطوع
وقد جاء ذلك صريحا في حديث ابي هريرة ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم
المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل اموال يحجون
بها ويعتمرون ويجاهدون فقال الا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا احد يكون افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم
قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة الحديث
متفق عليه فجعل الذكر عوضا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد وذلك
انهم استفوتهم هذا الذكر فلما سمع اهل الدثور بذلك عملوا به فازدادوا الى ما عندهم
وعبادتهم ما لهم لتعدد هذا الذكر فجازوا الفضيلتين فاتفق الفقراء
واخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم قد شاركوهم في ذلك وانفردوا عنهم بما
فضلهم عليه فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي حديث عبد الله بن شقيق
قال جاء اعرابي فقال يا رسول الله كبرت علي احوال الاسلام وشرايعه فدلني على امر جامع
تحفني به واعلمه عند الله قال وكفى بربك يا رسول الله قال نعم ومفصل عند قوله الا بالله
صلى الله عليه وسلم على شيء يبعثه على شرايع الاسلام والحرص عليها والاستكثار
منها وانه اذا اخذ ذكر الله شعارا احبه واحب ما يحبه فلا شيء اجل اليه
من التقرب اليه بشرايع الاسلام فدل امته على ما يتمكنون به من شرايع
الاسلام ويشهد له عليه وهو ذكر الله عز وجل يوضحه الشاهد
والخبر ان ذكر الله عز وجل من اكبر العون على طاعته فانه يحببها الى العبد ويسهلها
عليه ويلذها له ويحملون عينه فيها وتسرون بها يحدث لا بعد
بها من الخلقة والمشقة والثقل بل يجد القائد والتجرد شاهده بذلك ويوضحه
الشاهد والخبر ان ذكر الله يسهل الصعب ويسير العسير ويخفف
المشاق فان ذكر الله عز وجل على صعب لا هان ولا عسر لا تيسر ولا مشقة
لا خفت ولا شدة الا زالت ولا كربة الا انفرجت فذكر انه هو الفرج بعد
بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم يوضحه الشاهد
ان ذكر الله عز وجل ينصب على القلب مخاوفه كلها طمأنينة وتأنيسا في حصول
الامن فلتس الخاير الذي قد اشتد خوفه انفع من ذكر الله تعالى فانه يجب
ذكر مجد الامن ونزول الخوف حتى كأن المخاوف الذي يحذرها امان له
والعاقل خائف مع امنه حتى كأنه هو فيه من الامن يخاف ومن الهادي

حتى

حسن قد هرب هنا وهذا والله المستعان ○ الحادية والثلثون
ان الذكر يعطي الذاكر قوة حتى انه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه
قال سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وقد شاهدت من شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه في نفسه وكلامه واقدامه
وكتابته امرا عجيبا فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما كتبته لنا نسخ
في جمعة وقد شاهد العسكر من فوته في الحرب امرا عظيما وقد علم النبي
صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا رضي الله عنهما كل ليلة اذا اخذا مضاجعهما
تسبحون ثلاثا وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين وتكبرا اربعا وثلاثين لما
سألته الخادم وشكت اليه ما تجد من الطحن والسعي والخدمة فعلمها
ذلك وقال انه خير لكما من خادم فقيل ان من داوم على ذلك وجد قوة
في يومه وغيبة عن خادم قال شمس الدين ابن القيم وسمعت شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يذكر اثرا في هذا الباب يقول ان
الملائكة لما امروا لحمل العرش قالوا يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك
قالوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوها حملوه قال ابن القيم ورأيت ابن ابي الدنيا
قد ذكر هذا الاثر بعينه عن الليث ابن سعد عن معوية ابن صالح وحدثنا
مشيختنا انه بلغهم انه لما خلق الله حين تحاك عرشه على الماء حمله العرش
قال لذلك خلقتكم فاعادوا عليه ذلك مرارا فقالوا له قولوا لا حول
ولا قوة الا بالله فحملوه ولهذه الحملة تأثير عجيب في معاناة الاعمال الصعبة
وتحمل المشاق والتحرك على الملوك ومن كافأه وذوب الاموال ولها ايضا
تأثير في رفع الفقر كما روي ان ابا الدنيا عن الليث ابن سعد عن يعوة
ابن صالح عن ثابت ابن وداعة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في
لا حول ولا قوة الا بالله مائة من في كل يوم لم يصبه فقر ابدا وكان
حبيب ابن مسلمة يستحب اذا التقى العدوان ناهض حصنا قول لا حول ولا
قوة الا بالله وانا ناهض يومنا حصنا للروم فاقتحم وقال المسلمون
وكبروا فانتصدع الحصن ○ الثانية والثلثون ان عمال الآخر كلهم
في مضمار السابق والتاركون هم استفهم في ذلك المضمار ولكن
العثر والغبار يمنع مزريه سبقهم فاذا نعل الغبار وانكشف رآهم
الناس وقد جازوا فاصبح السبق لا المولد نرسم سامحه رجلان كا

اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم
فيحفونهم باجنحتها الى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو اعلم منهم ما يقول عبادي
قال يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني
قال يقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك
كانوا اشد عبادة واشد تحميدا واكثر تمجيدا قال يقول فما يسألوني قال يقولون يسألونك الجنة
قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها
قال يقولون لو رأوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واعظم فيها رغبة
قال فمم يتعوذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله
يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا اشد منها فرارا
واشد لها مخافة قال فيقول فاشهدكم اني قد غفرت لهم قال يقول ملك من
الملائكة ان فيهم فلانا ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم
فهذا من بركتهم على عظم شهم فعل جلت قدرته قد غفرت له فهو من قوله وفعله
مبارك انما مثلت فيه الذاكر بالمؤمن مبارك اينما قبل والقاه جليس الرحمن جل
جلاله مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس العلم مجالس الشيطان وكل منصف
يأبى شكله الى شكله والمخبول ان الله تعالى يباهي ملائكته بالذاكرين ما
روى مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج معوية على حلقة
في المسجد فقال ما اجلسكم قالوا اجلسنا نذكر الله قال آلله ما اجلسكم الا ذاك قالوا والله ما اجلسنا الا ذاك
قال اما اني لم استحلفكم تهمة لكم وما كان احد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم اقل عنه حديثا مني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من
اصحابه فقال ما اجلسكم قالوا اجلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن
علينا به فقال آلله ما اجلسكم الا ذاك قالوا والله ما اجلسنا الا ذاك قال اما اني
لم استحلفكم تهمة لكم ولكن اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي بكم الملائكة
المباهاة مزاكاته تعالى دليل على شرف الذكر عنده وتحصيل ولن لربه
على عبده الاعمال الرابحة ولكن ان عد من الذكر دخل المنة وهو
معنى ما ذكر من ان الاشياء عند العاص بن معوية بن ابي سفيان رضي الله عنه
ان يسبح الله تعسبح عن يمينه وعن شماله وعن يديه ومن خلفه
ومن فوقه ويهلل مثل ذلك حتى لا تبقى منه بقية الحامد والمحمود
ان جميع الاعمال انما شرعت لذكر الله والمقصود بالخصوص ذكر الله
قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري قيل المصدر مضاف الى المفعول اي لتذكرني
وقيل مضاف الى الفاعل اي لاذكرك والاول هو الاظهر وهذه هي التعليل قيل

هي اللام الموقتية اي اقم الصلاة عند ذكري كقوله لدلوك الشمس اقم الصلاة لدلوك الشمس
وقيل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وهذا المعنى حق يراد بالاية لكن
تفسيرها به وانه هو معناها فيه نظر لان هذه اللام الموقتة بها اينما الزمان
والظروف والذكر مصدر سالا ان تقدر زمان محذوف اي عند وقت ذكري وهذا يستلزم
ان هذا ان يكون اقامتها عند ذكره واذا ذكر الى العبد ربه ذكره
الله كما سبق على ذكر فانه لما ذكره الله ذكره فالمعاني الثلاثة حق ولله
الله تعالى انزل ما اوحى اليك واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
اكبر فقيل المعنى انكم في الصلاة تذكرون الله تعالى وهو ذاكركم فاذكروني
واذكركم ايا كم اكبر من ذكركم اياه وهذا روي عن ابن عباس وسلمان ابي الدرداء
وابن مسعود رضي الله عنهم وذكر ابن ابي الدنيا عن فضيل ابن مرزوق عن عطيه
واذكر الله اكبر قال لهو قوله تعالى فاذكروني اذكركم فذكر الله لكم اكبر
من ذكركم اياه قال ابن زيد وقتادة معناه واذكر الله اكبر من كل شيء وقيل
لشيء اي لاعمل افضل قال ما سقرا القرآن واذكر الله اكبر وشهد
لهذا حديث ابي الدرداء المتقدم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند ملیککم
وخير لكم من انفاق الذهب والورق الحديث قال شيخنا ابن ابن القيم قدس الله
روحه وكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول
ان معنى الاية ان الصلاة فيها مقصودان عظيمان واحدهما اعظم من الاخر
فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي مشتملة على ذكر الله والناهي عن الفحشاء والمنكر
من وجهها عن الفحشاء والمنكر وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن عباس انه قيل
اي العمل افضل واذكر الله اكبر وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي
الجمار لاقامة ذكر الله رواه ابو داود والترمذي وفي الحديث عشر صحيح
البيهقي وسيه واعلم ان افضل اعمال كل عامل اكثرهم فيه ذكر الله
فافضل الصوم اكثرهم ذكر الله في صومه وافضل الحاج اكثرهم ذكرا
لله وافضل المتصدقين اكثرهم ذكر الله وكذلك سائر الاعمال وقد ذكر ابن
ابي الدنيا حديثا مرسلا فيه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل اي اهل المسجد
خير قال اكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل واي اهل الجنازة خير قال اكثرهم ذكرا لله
قيل واي المجاهدين خيرا قال اكثرهم ذكرا لله قيل واي الحجاج خير قال
اكثرهم ذكرا لله قيل واي الغزاة اكثرهم ذكرا لله قال كمثل الذي يغمس
الذاكرون الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فهذا البيان كاف

قال الماوردي موسى لي طور سينا قال الرب اي عباد كاحب الملك الى
الذي يذكرني ويلتمسني قال كعب قال موسى يا رب قربت فاناجيك
ام بعدت فانادیك قال يا موسى انا جليس من ذكرني قال اكون على حال الطاهر
عنها قال نعم يا موسى وعلى الغائط والجنابة قال اذكرني على كل حال
وقال عبد الله بن عمر تسبيحة بحمد الله تعالى في صحيفة مومن خير له من جبال
الدنيا تخبئ بعده دهرا وقال الحسن اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ ليقم
اهل الجمع من ولي الله فيقوم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يبتغون
ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيخطون رقاب
الناس قال ثم ينادي منادٍ ليقم اهل الجمع من ولي الكرم ابن الذين كانت
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله كما كانوا يقومون فيخطون رقاب الناس
قال ثم ينادي منادٍ ليقم اهل الجمع من ولي الكرم ابن الحامدون الله على كل
حال قال فيقومون وهم كثير ثم تتلوهم الشفعة والحساب فيمن بقي وأتى
رجلا اباه المولاني فقال له اوصني يا ابتاه قال اذكر الله تحت كل شجر
ومدر فقال زدني فقال اذكر الله حتى تحسب الناس من ذكر الله مجنونا قال
وكان ابو مسلم يحث ذكر الله فراه رجل يذكر الله فقال يا مجنون صاحبك
هنا فتبعه ابو مسلم فقال ليس هنا بالمجنون انما المجنون من اغفل ذكر
الله تعالى وقال بعضهم ان في القلب قسوة لا يذيبها الا ذكر الله عز وجل
فينبغي للعبد اذا وجد قسوة قلبه بذكر الله وذكر حماد ان زيدا عن المعلى
ابن زياد ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد اشكو اليك قسوة قلبي والذي
بالذكر وهذا لان القلب كلما اشتغلت به العقل اشتد به القسوة وكذا
ذكر الله ذابت تلك القسوة كما ذهب الرصاص في النار فاذا ذابت قسوة القلب
مثل ذكر الله عز وجل استعمله والاربعون ان الذكر شفاء القلب
ودواؤه والغفلة مرضه فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله
قال مكحول ذكر الله شفاء وذكر الناس داء ذكره النهي عن كل امر فعوا
مرتلا فاذا ذكرته شفاها وعافاها فاذا غفلت عنه اشتكت كما تشتكي
اذا مرضت تداويتها ذكرك فتترك الذكر احيانا فتشتكي

الثامنة والاربعون ان اصل موالاة الله عز وجل ومحبتها والغفلة
اصل معاداته ومبايتها قال العبد لا تزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه ولا تزال
يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه قال ابو زكريا يحيى ان حفظه فاعادي

عبد

عبده به شيء اشد عليه من ان يكون ذكر عاد من يذكره فهل للعباد ما يتهم
افعاله ولا تزال العبد حتى يكون ذكر الله وكل من ذكره يحبه ويتخذه معبودا
كما اتخذ ذلك وليا له التاسعة والاربعون انها استحلت نعم الله واستدفعت
نقمه مثل ذكر الله لذلك جلاء النعم ودفع النقم قال الله تعالى ان الله يدافع
عن الذين امنوا وفي القراءة الاخرى ان الله يدافع فدفاعه عنهم
قيامهم بحمده وكفالته لهم بزيادة الايمان وقوته تذكر الله فمن كان اكثر
واكثر ذكرا ادفع الله عنه واعز وادفاعه اعظم من قدر من تعين ذكر ذلك
وقد قال ثابت وقال الله على اذكرك وربح لمن شكرني لازيدنكم
ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والذكر رأس الشكر ما شكر الله عبد لا
للنعم موجب كالمزيد كما ان بعض الغفلة وابع الغفلة من كفر النعم
عند وقوعها المسبون ان الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته للذاكر
ومن صلى عليه الله وملائكته فقد افلح وفاز كل الفوز قال
تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى الامر
الذي يصلي بالمصلي وملائكته جميعا الصلوات الى النور وان يصير
فهذه الصلاة منه ومن ملائكته التي هي الرحمة الكثيرة امره بالصلاة
منه ومن الملائكة سببا لاخراجهم من الظلمات الى النور واذا جعلت
لهم الصلاة منه ومن ملائكته واخرجوا من الظلمات الى النور في حين احتمل لهم
وابى شرابهم بعد ذلك عليهم فيما حسن الغافلين عن هذا احرموا من فضله
وخيره وآثاره التوفيق للعبادة والحسنى ان من شاء ان يعرض
الله في الدنيا فليتعرض لهذا الذكر الله اكبر يا من ذكره
اشتاق اليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه الا كان عليهم
ومن ما ضطجع معه الا كان ذكرا الله عز وجل واذكر ان كان
يحبك يباهي الله عز وجل بك ملائكته فانظر عند من تكون
سر الصدق يشاهد ان ذكره الناسية والستون ان الذكر
يحاسن الذكر فليتفكر في حسن ابدا على ما اعطى من الفضل
فاشكر وان كان يتفكر في حسن ما اعطى غيره فاعلم ان ذكره
عطاء من الله عز وجل والاحسان ان يعطيه ما لا يعطي الناس

الألوكة
www.alukah.net

من النار وهذا هو الثواب والاجر والذكر مرجح له الغرب من الله سبحانه
وتعالى والزلفى لديه وهذه هي المنزلة وعمال الآخر على قسمين منهم من يعمل
على الاجر والثواب ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة فهو ناقص غبي في
المرتبة والمنزلة عند الله وسابق الى القرب منه وقد ذكر الله تعالى النوعين
في سورة الحديد في قوله ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم فهؤلاء اصحاب الاجور والثواب قال والذين
امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
فقيل هذا عطف على الخبر الذين امنوا بالله ورسله اخبر عنهم بانهم هم الصديقون
وانهم هم الشهداء الذين يشهدون على الامم ثم اخبر عنهم بخبر اخر وهو قوله
لهم اجرهم ونورهم فيكون قد اخبر عنهم باربعة امور انهم صديقون وشهداء
فهذه هي المرتبة والمنزلة ثم اخبر عنهم بان لهم اجرهم ونورهم وهذا هو الثواب
والجزاء ثم الكلام عند قوله الصديقون ثم ابتدا فذكر حال الشهداء
والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم فيكون قد ذكر المصدقين اهل البر
والاحسان ثم المؤمنين الذين قد صح الايمان في قلوبهم وامتلأوا منه فهم
الصديقون وهم اهل العلم والعمل الاولون اهل البر والاحسان ولكن هؤلاء
اكمل صديقية منهم بذكر الشهداء وانه سبحانه وتعالى يجري عليهم رزقهم ونورهم
لانهم لما بذلوا انفسهم ابتغاء مرضاة الله عليها ايجعلها احياء عنده يرزقون بمجيء
عليهم ورزقهم ونورهم فحصلوا الشهداء ثم ذكر الله تعالى الاشقياء فقال
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم والمقصود ان ذكر
اصحاب الاجور والمراتب وهاذان الامران هما اللذان وعد بهما فرعون لموسى
ان غلبوا موسى فقالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن
المقربين اي اجمع لكم بين الاجر والمنزلة عندي والقرب مني فالعاملون عملوا
على الاجور والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله واعمال
هؤلاء القلب اكثر من اعمال اولئك واعمال اولئك البدن فهي تكون اكثر
من اعمال هؤلاء وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي قال قال موسى يا رب اي
خلقك اكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا بذكري قال يا رب فاي خلقك
اعلم قال الذي يلتمس الى علم علم قال يا رب اي خلقك اعدل قال الذي
يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال يا رب اي خلقك اعظم ذنبا قال الذي
يتهيبني قال يا رب تعرف احدا قال الذي يشفعني ولا يرضى بقضائي وذكر ابن عباس

ذكري قال يا رب اي اكون على حال اذكرك فيها قال اذا كنت راكعا او ساجدا
او على الغائط او اذا بلت قال يا رب قد كنت اجلك ان اذكرك الا على طهارة
ومن هذا قيل للذي يحدث نفسه بالشيء الذي وقعت عليه وعلى فيه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه ولم يشرع له
وهذا يدل على انه كان يذكر ربه في الطهارة وخبثه واما في حال الغائط فلم
يكن يتكلم احد عنده ولكن يشرع لامته الذكر عند الخلاء وعند كل
يد على ما ذكرناه من الاعتبار بالذكر وانه لا غاية عند قضاء الحاجة ورجعها فكذلك
شرع الله سبحانه الذكر عقيب الجماع ان يقول احدهم بسم الله اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا واما الذكر على الطعام فقضاء الحاجة ورجعها والجماع
والطيب لما كان بارزقنا واما الذكر على الطعام فقضاء الحاجة ورجعها والجماع
من هذا الجنس الذي يقوي الجسم ويغذيه ولا يمكن جريانه على ذكر
القلب بل يزاد من القلب جميع قوى الطباع على اقامة ذلك الفعل
على استقامة فلما كان هذا مشروعا لنا ولانبيائنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الجماع
عن احدهم اتيانه ولو كان الصبر عن الجماع افضل لكان ذلك
الذكر قد شرع عند افضل الاعمال ولكن يرجع الى ان ذلك
الجماع من الطيبات التي احلها الله تعالى ولكن يرجع الى ان ذلك
الجماع من الطيبات التي احلها الله تعالى ولكن يرجع الى ان ذلك
قلبه وكان يقصر على ما يقربه الى الله تعالى ويبعده عن الشيطان
منقطعا واذا هو في ذلك ولا يكون كذلك الا بان يكون ذكره الخفي
من وراء ذلك وهي مرتبة الاولياء واذا ذكر ربه على طعامه
قلبه على الشكر فاذا شكر الله على الطعام اعان الاعضاء
للاحسان بقدر ما يتقوى من الطعام على ذلك
مجموع من الله الذي هو سبحانه وتعالى
والله اعلم الا ان الشكر على الطعام
والاسم من ذلك

ومطالبه ومعرف ايضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه واوزاره حتى
تنتاقط عنه فتلاشى وتضمحل ومعرف ايضا ما اجتمع على حربه من جنود الشيطان
فان ابليس لا يزال يسعى له شره بعد شره وكلما كان اقوى طلبا لله واشد
تعلقا به وارادة له كانت العدة اكثف واكثر واعظم شوكة لحث ما عند
العبد من مواد الخير والارادة ولا سبيل الى بذر هذا الجمع الا بدوام الذكر
وانه تقريبه العبد فانه يقربه الى الآخرة التي يبعدها منها الشيطان والامل
ولا يزال يلهج بالذكر حتى فانه قد دخلها وحصنها فحينئذ تصغر في عينه
الدنيا وتعظم في قلبه الآخرة وتبعد القرب اليه وهي الدنيا التي هي ادنى من الاخرى
فان الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا كما قربت من هذه منه
بعدت من هذه ولا سبيل الى هذا بدوام الذكر الا ترى ان الذكر
شبه القلب من نومه ويوقظه من سنته والقلب اذا كان في نومه غافلا عن الارباح
والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران فاذا استيقظ وعلم ما فاته في نومه شد
الميزر واجتهد بقية عمره واستدرك ما فاته ولا يحصل يقظته الا بالذكر فان الغفلة
نوم ثقيل والاربعون الماضية والاربعون الذكر شجرة تثمر المعارف والاحوال
التي سثمر اليها الذكر كالوان لا سبيل الى نيل ثمارها الا من شجرة الذكر وكلما عظمت
تلك الشجرة وشخ اصلها كان اعظم لثمرتها والذكر ثمرة التمام كله عن النقطة الى العرش
وهو اصل كل مقام وقاعدته التي بني عليها ذلك القام عليها كما ان بناء الحائط على اساسه
وكما يقوم السقف على حائطه وذلك ان العبد ان لم يستيقظ له ممكنه قطع منازل
السير ولا يستيقظ الا بالذكر كما يقدم فالغفلة نوم الثقيل او موته والاربعون الذاكرات من مذكور ومذكوره معه وهذه المعية
خاصة غير معمة العلم والاحاطة العامة فهي معية القرب والولاية والمحبة
والنصر والتوفيق كقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
والله مع الصابرين وان الله لمع المؤمنين لا تحزن ان الله معنا والملائكة من هذه
المعية نصيب وافر كما في الحديث الالهي انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه
وفي اثر اخر الهي اهل ذكري اهل مجالستي واهل شكري اهل زيادتي واهل طاعتي
اهل كرامتي واهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي فان تابوا فانا احبابهم فاني احب
التوابين واحب المتطهرين وان لم يتوبوا فانا طبيبهم ابتليهم بالمصائب لاطهرهم
من العيوب والمعية الحاصلة للذاكر معتملة شبهها شيء وهي اخص من المعية
الحاصلة للمحسن والمتقي وهي معية لا يدركها العبارة ولا تنالها الصفة وانما تعلم
بالذوق وهي سر لم اقدم ان لم يصحب العبد فيها يميز بين القديم والمحدث

بين

بين الرب والعبد بين الخالق والمخلوق بين العابد والمعبود والواقع في
حلول بعضهم به النصارى واتحاد بعضهم به القائلين بوجود الوجود
وان وجود الرب عين وجود هذه الموجودات تعالى الله عن قولهم رب وعبد
ولا خلق وحق بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق الشبيه
هو الحق المنزه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والملحدون علوا كبيرا
والمقصود انه لم يكن شيء اعبد عقيد صحيحه والالحاد استولى عليه
شيطان الذكر وغلب عليه وهجر ذكر ربه وحج باب الوصول والاتحاد
ولابد ان الثالثة والاربعون ان الذكر يعدل عتق اربعة انفس والجهاد
والجهد على الخيل في سبيل الله يعدل الضرب بالسيف في سبيل الله وقد
تقدم ان من قال في يوم مائتين لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت
عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ومن زاد على ذلك زاد
عن الاعشى عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى لا يرى الارض ان يعذب اهلها
من اهل بعد حين وافضل من ذلك واعظم ان يرى الليل والنهار
وان لا يزال لسان احدكم رطبا من ذكر الله عز وجل وقال عبد الله بن بسر
لان اجلس مع قوم يذكرون الله من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان
اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اجلس مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر الى
ان تغرب الشمس احب الي من ان اعتق اربعة ولان اجلس في حلقة تذكر الله
احب الي من ان احمل على اربعة في سبيل الله وقد روى عن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ الا انبئكم بخير اعمالكم واذكاها
عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا
بلى يا رسول الله قال ذكر الله وقال ما عمل امرؤ بعمل انجى له من عذاب الله
من الذكر والاربعون الذاكرات الشاكرات الشاكرون لنعمه وذكرانه
عن زيد بن اسلم قال ما اعلم شيئا من الاعمال هو اشد على اهل النار
من ان يروا مجلسا ليس فيه ذكر الله وقال ابو الدرداء ان ذكر الله في الغافلين
كالمجاهد الذي يقاتل دون اصحابه حتى يختلف سيفه ويقطع يداه
وقد روى البيهقي باسناد ضعيف عن معاذ بن جبل ان النبي ﷺ قال
ما العمل الذي يبلغ بالعبد رضوان الله ويدخله الجنة ويجيره من النار قال

الألوكة
www.alukah.net

وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وان محمدا عبدك ورسولك اعتق الله
ربعه من النار ومن قال مرتين اعتق الله نصفه من النار ومن قالها ماة مرة اعتق الله
ملأ ثلثا عبيده من النار ومن قالها اربعا اعتقه الله تعالى وفيه عن ثوبان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يمسي واذا اصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
ومحمد صلى الله عليه وسلم رسولا كان حقا على الله ان يرضيه وفي الترمذي من دخل
السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا
يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة
ورفع له الف الف درجة ٥ الرابعة والثلاثون ان ذكر الله تعالى يوجب الامن
من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون واذا نسي العبد ربه اعرض عن مصالحها واوقعها
واشتغل عنها فهلكت وفقدت ولا بد ان له زرعا وبيتا ومواشيه او
غير ذلك مما صلاحها القيام عليه فاهملها ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع
مصالحه فانه يفقد ولا بد هذا مع امكان قيام غير مقامه فكيف الطفل الذي فقد
نفسه وهلاكها وشقاءها اذا اهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل ايراعاتها
وترك القيام عليها بما صار امره كله فرطا فاقترط على نفسه وضاعت مصالحه
واحاطت به اسباب القطوع والحتمية والهلاك لا سبيل الى النجاة من ذلك
الا بدوام ذكر الله والتعبد به فان لا تنزل اللسان طمأنينة وان تنزله منزلة حياته
ومنزلة غنائه الذي اذا فقده فقد جسمه وهلك ومنزلة الماء من شراب الجائع والعطشان
ومنزلة اللباس في الحر والبرد ومنزلة الكن في شدة الشتاء والحصن ٥ فتيق بالعبد
ان ينزل ذكر الله من هذه المنزلة فاعظم فاعظم هلاك الروح والقلب فسادها
من هلاك البدن وفقده وهذا هلاك لا بد منه وقد يعقبه صلاح الابد واما
هلاك القلب والروح فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ولا فوز الا بالله ولو
عاش في فوائد الذكر واما مثل الغافل الذي لا يذكر الله كمثل البيت الخرب
الذي لا ساكن له ومثل البدن الذي لا روح فيه ٥ الخامسة والثلاثون ان الذكر
يسير العبد وهو على فراشه وفي حوائجه وشغله وفي حال صحته وسقمه وفي حال غيبته ولذته
ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره واقامته فليس في الاعمال شيء
يعم الاوقات والاحوال مثل الذكر حتى ان يسير العبد وهو يأم على فراشه فيتفق
القائم مع الغفلة فيصبح هنا وقد قطع الركب وهو متلوث على فراشه
ويصبح ذاكر القيام آخذا في شأنه قد طوى اكثر بوته من يشا

وحكي

وحكي عن رجل من العبادانه نزل برجل ضيفا فقام العابد ليصلي وذلك
الرجل مشلق على فراشه فلما اصبح قال العابد ستبقى الركب او كما قال
فقال ليت الشان فمن بات نائما او اصبح مع الركب الشان فمن بات
على فراشه فلما اصبح قال العابد قد قطع الركب وهذا ونحوه لو سمع صحيح
وسمعها مستند فمن حمله على ان الراقد والمضطجع على فراشه سبق القائم القانت
فهو باطل وانما سمعه ان هذا المتلقي على فراشه علق قلبه بربه والعقه به فلبه
مع العرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة تذهب عن الدنيا وما فيها
وعلى عاقة عن قيام الليل عائق من وجع او مرض ممنعه القيام او خوف على نفسه
من عدو يطلبه او غير ذلك من الاعذار فهو مشتاق على فراشه وفي
قلبه من الرجاء والحب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم او قلبه
في واد وجسمه في واد ولا تعب ان ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم
بمراحل كثيرة فالعمل على القلوب لا على الابدان والمعول على الاخلاص لا
على الاعتبار بالمرئي الاول فالذكر يثير العزم الساكن ويهيج الى المتوارى وسعف
المطلب الميتة ٥ السادسة والثلاثون ان الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور
له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب
ولا القبور بمثل ذكر الله عز وجل قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها فالاول هو المؤمن
احتيارا لايمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره والاخر هو الغافل عن الله
المعرض عن ذكره ومحبته ٥ السابعة والثلاثون انا لذكر اسهل الاصول
وطريق عامة الطائفة ومنشور الولاية لمن فتح له باب الدخول على الله فليتطهر
وليبادر على به ما دام عنده كل ما يريد فان وجد به وجد كل شيء وان فاته ربه
فاته كل شيء ٥ الثامنة والثلاثون ان في القلب خلة وفاقة لا يسدها
شيء البتة الا ذكر الله عز وجل فاذا صار الذكر شعارا للقلب حتى يكون بعد
الذكر بطريق الاصالة لا التبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويعني
الفاقة فيكون صاحبه غنيا بلا مال عزيزا بلا عشيرة مهيبا بلا سلطان
فاذا كان غافلا عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته
ذليل مع سلطانه حقير مع حشمه وعشيرته التاسعة والثلاثون ان الذكر
جمع المتفرق وفرق المجموع ومقرب البعيد ويبعد القريب فيجمع ما تفرق
على العبد من قلبه واراداته وهمومه وعزومه والعذاب كله في تفرقها
وتشتتها عليه والنعيم كله في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وارادته
ويشرف ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والاحزان والحسرات على فوت حظوظه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يورث حياة القلب قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله وسمعت شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول الذكر للقلب مثل الماء
للسمك فكيف يكون حال السمك اذا فارق الماء التاسعة عشر انه قوت القلب
والروح فاذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم اذا حيل بينه وبين قوته فالانس اليقيم
وحصنه حصين الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه صلى الفجر ثم جلس
بمكانه الى قريب من انتصاف النهار ثم التفت الي وقال هذه غدوتي
ولو لم اتغد هذا الغداء لسقطت قوتي ٥ او كلاما قريبا من هذا قال ابن
القيم وقال القدس الله روحه من لم يتزكى بالذكر الابيه اجام نفسي واراحتها
لاشتغال التاسعة بالذكر اذا علم هذا فمعناه التاسعة عشر انه يورث
جلاء القلب من صدإه كما تقدم في الحديث وكل شيء له صدإ وصدإ القلب الغفلة
والهوى وجلاؤه بالذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى ٥ التاسعة
عشر انه يحط الخطايا ويذهبها فانه من اعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات
العشرون انه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه فان الغافل بينه وبين الله
وحشة لا تزول الا بالذكر ٥ الحادية والعشرون ان ملائكة الله تحف بالعبد ويذكره الله
فيه وتسبيحه يعلو بذكر صاحبه عند الله وقد روي الامام احمد في المسند
عن انس ممرفوعا ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام ورواه الطبراني عن عبد الله عن ابيه وعن ابي
الدرداء والنعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجلس قوما يذكرون الله من غداة الا جلس معهم
ملك يحفهم ويغشاهم ويسمعهم ويكتبهم ويحصيهم ويشملهم بمنه فاذا قاموا قال لهم قوموا قد غفر الله لكم
ثانيه والعشرون ان العبد اذا تعرف الى الله بذكره في الرخاء عرفه في الشدة
وقد جاء بمعناه ان العبد المطيع اذا ذكر الله اذا اصابته شدة او شدائد فقالت الملائكة يارب صوت معروف من عبد معروف والعافل المعرض عنك اذا دعاه وشدائد قالت الملائكة يارب صوت منكر من عبد منكر الثالثة
والعشرون انه سبب نجاة من عذاب الله كما في المعاذ رضي الله عنه ومرفوعا
ما عمل آدمي عملا انجى من عذاب الله من ذكر الله الرابعة والعشرون انه سبب
تنزل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
الخامسة والعشرون انه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة
والكذب والفحش والباطل فان العبد لابد له من ان يتكلم لكن
من الله وذكره امر تتعلم هذه المحبات بعضها ببعض ولا سبيل له الى السلامة
منها البتة الا بذكر الله والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود لسانه
ذكر الله سلم الله لسانه عن الباطل واللغو ومن عود لسانه عن ذكر الله مرطب

بكل

بكل باطل ولغو وفحش ولا تؤاخذ الا بالله ٥ الثامنة والعشرون ان مجالس
الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فلتختر العبد
احبهما اليه وما يصلح له فهو مع اهله في الدنيا والاخرة التاسعة والعشرون
انه تعالى يباهي بذاكره عز وجل ويتعدى به جلساءه وهذا هو المبارك اينما كان
والغافل اللاغي شقي بلغوه وغفلته وشقي بمخالفته الثلاثون
انه يومن العبد من الحسرة يوم القيمة فان كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه كان
عليه حسرة وندامة يوم القيمة الحادية والثلاثون انه مع المكافي الجنة
سبب لاضافة الله للعبد يوم الجزاء كما مر ٥ الثانية والثلاثون في حديث
قدسي رقم في الموقف وهذا الذكر مشتطل بطي عرش الرحمن ٥ عز وجل
المفلسون ان الاشتغال بسبب لعطاء الله للذاكر افضل من اعطاء السائلين
وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ٥ الحادية
والثلاثون انه افضل العبادات وهو من اجلها وافضلها فان حركات اللسان
اخف حركات الجوارح واسرعها ولو تحرك عضو من اعضاء الانسان في اليوم والليلة
بمقدار حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك والبلاء
الثانية والثلاثون انه اكثر العبادات وقوعا فلا يكاد يخلو منه العبد
في عامة اوقاته فقد روي الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال
يا محمد اقرا امتك السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها
قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال
الترمذي حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود وفي الترمذي من حديث
ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست
له نخلة في الجنة قال الترمذي حديث حسن صحيح الثالثة والثلاثون ان
العطاء الفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الاعمال في الصحيحين
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر
رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان
يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد افضل مما جاء به الا رجل عمل اكثر منه
ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل
زبد البحر وفي الترمذي من حديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قال حين يصبح او يمسي اللهم ما اصبحت بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك
فلك الحمد ولك الشكر بها يومه حتى يمسي او ليلته حتى يصبح الرابعة والثلاثون

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر. وفي الترمذي أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه ليقول إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه. وذكر البيهقي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة. وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضا ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها. وعن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله عز وجل. وعن معاذ بن جبل قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل. [illegible] لكل شيء جلاء وإن جلاء القلب ذكر الله عز وجل. وذكر البيهقي مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لكل شيء صقالة وإن صقالة القلب ذكر الله عز وجل وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع. ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء فإذا ترك الذكر صدئ فإذا ذكره جلاه. وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته [illegible] وإذا صدئ القلب [illegible] يرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم [illegible] على ما هي عليه [illegible] فإذا تراكم عليه الصدأ واسود [illegible] فسد تصوره وإدراكه [illegible] أعظم عقوبات القلب وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره [illegible] ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا [illegible] فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره

الفرط

الفرط وقد فسر بالتضييع أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه وفسر بالإسراف أي قد أفرط وفسر بالإهلاك وفسر بالخلاف للحق وكلها أقوال متقاربة والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله سبحانه واتباع السنة فأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه. ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت. حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا ذكر الله عز وجل حتى يقولوا مجنون.

فصل وفي الذكر أكثر من مائة فائدة إحداها أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. الثانية أنه يرضي الرحمن عز وجل. الثالثة أنه يزيل الهم والغم عن القلب. الرابعة أنه يجلب للقلب الفرح والسرور. الخامسة أنه يقوي القلب والبدن. السادسة أنه ينور الوجه والقلب. السابعة أنه يجلب الرزق. الثامنة أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة. التاسعة أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شيء سببا وجعل سبب المحبة دوام الذكر فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإن الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم. العاشرة أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت. الحادية عشر أنه يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا. الثانية عشر أنه يورثه القرب منه فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه. الثالثة عشر أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة. الرابعة عشر أنه يورثه الهيبة لربه وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه. الخامسة عشر أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى فاذكروني أذكركم ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى به فضلا وشرفا وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم. السادسة عشر أنه

ولهذا ندب الله تعالى المؤمنين الى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ۝

سورة

واشكروا لي ولا تكفرون ۝ وقال تعالى فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۝ وقال تعالى حكاية عن زكريا واذكر كثيرا وسبح بالعشي والابكار وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ۝ وقال الله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ۝ وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وقال تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ۝ وقال تعالى

انا الله تعالى اليس حسبي بربك يكفيك ختم كلامه بتذكر الحاسد ان يذكر الله تعالى

فصل قال صلى الله عليه وسلم في حديث الحارث الاشعري وامركم ان تذكروا الله فان مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في اثره سراعا حتى اذا اتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله ۝ تعالى فلو لم يكن في الذكر الا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقا بالعبد ان لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وان لا يزال لسانه رطبا بذكر الله فانه لا يحرز نفسه من عدوه الا بالذكر ولا يحترز عليه العدو الا من باب الغفلة فهو يرقبه فاذا غفل وثب عليه وافترسه واذا ذكر الله تصاغر واضمحل عند الله وتصاغر وانمحق حتى يصير كالوضع وكالتراب ولهذا استعمل الوسواس الخناس اي هو شوش في

الصدور

الوضع بمعنى الوضيع قال ابو منصور يقال للعاد والمهمل ابو عبيد الهروي الوضيع الكبير قال ابو منصور الوضيع الصغير والوضيع الخسيس والوضيع الذليل

الصدور وهو اذا ذكر الله خنس اي كف وانقبض قال ابن عباس رضي الله عنه الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس وفي مسند الامام احمد رضي الله عنه عن عبيد الله بن ابي زياد عن القاسم مولى عبد الرحمن بن يعيا شواش ابي يسيعة انه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم عملا قط انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اجبركم بخير اعمالكم وازكاها عند ملككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ومن ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قيل وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ۝ وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة وفي رواية للترمذي ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفي صحيح مسلم عن الاغر ابي مسلم قال اشهد على ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وفي الترمذي عن عبد الله بن بسر ان رجلا قال يا رسول الله ان ابواب الخير كثيرة ولا استطيع القيام بكلها فاخبرني بشيء اتشبث به ولا تكثر علي فاني قد كبرت وفي رواية ان شرائع الاسلام قد كثرت علي وانا قد كبرت فاخبرني بشيء اتشبث به ولا تكثر علي فاني والا ينزال لسانك رطبا بذكر الله وفي الترمذي ايضا عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على خير اعمالكم واصفاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى وفي الترمذي ايضا عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اعمال بني آدم كلهم عند الله تعالى يوم القيمة الا كنفجة الرامي او نفحة الرامي فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل ما يلهو به ابن آدم فهو باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا وفي سنن ابن ماجه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا فتفرقوا عن غير ذكر الله تعالى الا قيل لهم قوموا فقد غفر لكم ما كان من سيئاتكم وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة وفي رواية للترمذي ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفي صحيح مسلم عن الاغر ابي مسلم قال اشهد على ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وفي الترمذي عن عبد الله بن بسر ان رجلا قال يا رسول الله ان ابواب الخير كثيرة ولا استطيع القيام بكلها فاخبرني بشيء اتشبث به ولا تكثر علي فاني قد كبرت فاخبرني بشيء اتشبث به ولا تكثر علي فاني قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وفي الترمذي ايضا عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على خير اعمالكم واصفاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى وفي الترمذي ايضا عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اعمال بني آدم كلهم عند الله تعالى يوم القيمة الا كنفجة الرامي او نفحة الرامي فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل ما يلهو به ابن آدم فهو باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا وفي سنن ابن ماجه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا فتفرقوا عن غير ذكر الله تعالى الا قيل لهم قوموا فقد غفر لكم ما كان من سيئاتكم وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة وفي رواية للترمذي ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وفي صحيح مسلم عن الاغر ابي مسلم قال اشهد على ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده

شبكة الألوكة www.alukah.net

الى الصعدات تجارون الى الله فصاحب الخوف يلتجئ الى الهرب والامتناع
وصاحب الخشية يلتجئ الى الاعتصام بالعلم ومثلها مثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب
الحاذق فالاول يلتجئ الى الحمية والهرب والطبيب يلتجئ الى معرفته بالادوية والادواء
قال ابو حفص الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه وقال الخوف سراج
في القلب به يبصر كل ما فيه من الحق والشر وكل احد اذا خفته هربت اليه فالخائف
هارب من ربه الى ربه قال ابو سليمان ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقال ابراهيم
ان شعبان اذا سكن الخوف القلوب احرق مواضع الشهوات منها وطردا الدنيا
عنها وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فاذا زال عنهم الخوف
ضلوا عن الطريق وقال حاتم الاصم لا تغتر بكثرة صالح فلا مكان اصلح من الجنة
ولقي ادم فيها ما لقي ولا تقتر بكثرة العباد فان ابليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا
تغتر بكثرة العلم فان بلعام ان هور لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الاعظم ولا تغتر بقبول
ملقا الصالحين ورؤيتهم فلا شخص اصلح من النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بقرابته اعداوه والنار
والخوف لتبعي مقصودة الذاته بل مقصود الغير قصد الوسائل ولهذا نزول
سربال المحبوبين فان اهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والخوف متعلق بالافعال
والمحبة متعلق بالذات والصفات ولهذا تضاعف منزلة المحبة ومقامها على اعلى وارفع
من منزلة الخوف ومقامه والخوف المحمود للعارف ما حال بين صاحبه وبين محارم الله
عز وجل فما جاوز ذلك فليس منه الياس والقنوط قال ابو عثمان صدق الخوف
هو الورع عن الاثام ظاهرا وباطنا قال سمعت الدينوري القيم رحمه الله وسمعت شيخ
الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله وقال
صاحب المنازل الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الامن بمطالعة الجبر يعني
الخروج عن سكون الامن باستحضار ما اخبر الله به من الوعد والوعيد
فعمل القلب في سير الى الله عز وجل منزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف
والرجاء جناحاه ومتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران ومتى قطع
الرأس مات الطائر ومتى عدم الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر ولكن
المتأخرون استحبوا ان يبقى في الصحيح جناح الخوف على جناح الرجاء وعند الخروج
من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف هذه طريقة ابن سلمان وغيره
وليس ينبغي للقلب ان يكون الغالب عليه الخوف فانه اذا كان الغالب عليه الرجاء
قوي وهيج اكمل الاحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب فالمحبة
هي المركب والرجاء حاد والخوف سائق والله الموصل بمنه وكرمه ٥

قوله

قوله تعالى كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ٥ قوله زكاة الزرع ينمي زكا الزرع اذا نما وكذا اي نمى
وازكاه الله وعلام زكى اي يأكل فقد زكا زكوا وزكاء عن الاخفش ٥
وقوله تعالى وتزكيهم بها قال اطهرهم بها وقوله تعالى الم تر الى الذين يزكون
انفسهم اي يزعمون انهم ازكياء جمع الزكي وهو الذي نمى صلاحه وزكى غيره
تزكيه مدحها وقوله تعالى غلاما زكيا اي طاهرا وقوله تعالى ازكى منكم من
احد ابدا اي اطهر وقوله تعالى ازكى طعاما يعني احل طعاما وقوله تعالى
ذلكم ازكى لكم واطهر اي انمى واعظم بركة وقوله تعالى واوصاني بالصلاة والزكاة
قيل الزكاة المفروضة وقيل العمل الصالح وسميت الزكاة زكاة لانها تزكو
الى اهلها اي تعود عليهم بالبركة وقال الزجاج الزكاة في اللغة الشيء يزكو اذا كثر وقيل
سميت زكاة لان المؤدي يتزكى بها عند الله تعالى اي يتقرب اليه بصالح العمل وكل ما
تقرب الى الله تعالى بفعل صالح فقد تزكى به ومنه قوله تعالى ليوتي مالا يتزكى وقوله تعالى
قد افلح من زكاها اي من قربها الى الله تعالى بصالح العمل وقوله تعالى قد افلح من تزكى اي فاز
بالبقاء الدائم وقيل من تكثر بتقوى الله تعالى وكلكثير زاك وقوله تعالى
خيرا منه زكاة واقرب رحما اي عملا صالحا وكذلك قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة
اي اتيناه زكاة اي عملا صالحا مستقبلا دائما ٥ يذكر تعالى لعباده المؤمنين
ما انعم عليهم من بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اليهم يتلو عليهم ايات الله مبينات
ويزكيهم اي يطهرهم من رذيل الاخلاق ودنس النفوس وآفاتها الجاهلية
من الظلمات الى النور ويعلمهم الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة ويعلمهم
ما لم يكونوا يعلمون فكانوا في الجاهلية على حالات مذمومة يأكلون الميتة ويقولون الفواحش ويقتلون
بعضهم بعضا ويأكل القوي منهم الضعيف فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
عرفوا ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة واعتقدوا العلم الصحيح والهدى
والرشد وصاروا اعقل الناس واحلمهم واكملهم عقولا واصحهم افهاما
اذ بعثه فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين وذم تعالى من لم يعرف هذه النعمة فقال تعالى الم تر
الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار قال ابن عباس يعني محمدا صلى الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

قوله تعالى ومن حيث خرجت فول

وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا
يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي
عليكم ولعلكم تهتدون ۝ هذا المرتالث من الله تعالى باستقبال المسجد
الحرام من جميع اقطار الارض ۝ وقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة
اي اهل الكتاب فانهم يعلمون من صفة هذه الامة التوجه الى الكعبة فاذا فقدوا
ذلك من صفتها ربما احتجوا بها على المسلمين وليلا يحتجوا امر فقه المسلمين
اياهم في التوجه الى بيت المقدس وهذا اظهر قال ابو العالية لئلا يكون للناس
عليكم حجة يعني به اهل الكتاب حين صرف محمدا الى الكعبة قالوا اشتاق الرجل
الى بيت ابيه ودين قومه وكان حجتهم على النبي صلى الله عليه وسلم انصرافه الى بيت المقدس
ان قالوا استرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا قاله ابن ابي حاتم وروي عن مجاهد
وعطا والضحاك والربيع ابن انس وقتادة والسدي نحو هذا ۝ وقوله تعالى
الا الذين ظلموا منهم يعني مشركي قريش وجهتهم نصب انهم حجة الظلمة وهي
داحضة قالوا ان هذا الرجل سراقة على دين ابيهم فان كان توجهه الى بيت المقدس
اولا على ملة ابيهم فلم رجع عنه والجواب ان الله تعالى اختار له التوجه الى
بيت المقدس اولا له تعالى في ذلك من الحكمة فاطاع ربه تعالى في ذلك ثم صرفه الى
قبلة ابيهم ابراهيم وهي الكعبة فامتثل امر الله تعالى في ذلك ايضا فهو صلوات الله وسلامه
عليه مطيع لله في جميع احواله لا يخرج عن امر الله طرفة عين وامتثل كل ۝ وقوله
تعالى فلا تخشوهم واخشوني اي لا تخشوا شيئا الظلمة المتعنتين وافردوا الخشية
لي لانه تعالى هو اهل ان يخشى منه ۝ وقوله تعالى ولاتم نعمتي عليكم عطف على ليلا
يكون للناس عليكم حجة ثم لاتم نعمتي عليكم فيما شرعته لكم من استقبال الكعبة
لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها ولعلكم تهتدون اي الى ما سألتموه عنه
الامر هديناكم اليه وخصصناكم به ولهذا كانت هذه الامة اشرف الامم وافضلها ۝
فصل الخوف من اجل منازل الطريق وانفعها للقلب وهي فرض على كل احد
قال الله تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى واياي فارهبون وقال

تخشوا

انزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان علماء اهل
الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرف احدهم ولده
والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لرجل معه صغير ابنك هذا قال نعم يا رسول الله اشهد به قال اما انه لا يجني عليك
ولا يجني عليه ثم اخبر تعالى انهم مع هذا التحقق والايقان العلمي ليكتمون الحق
اي ليكتمون انا نزلنا ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ثم ثبت
تعالى نبيه والمؤمنين واخبرهم بان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق لا مرية
فيه ولا شك فقال الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ثم ذكر تعالى قوله
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم في موضعين من القرآن احدهما
في التوحيد والقرآن والاخر في القبلة والقرآن ومجموعهما في الاول اقل اي شيء
اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن
بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد
وانني بري مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا
انفسهم فهم لا يؤمنون وهذا في سورة الانعام وهي مكية وفي سورة البقرة
وهي مدنية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما
بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن
الظالمين الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين وقال تعالى وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
وقال تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة
ان الله على كل شيء قدير قل من يرزقكم من السموت والارض قل الله وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلل مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع
بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل ارءيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموت ام اتيناهم
كتبا فهم على بينت منه بل ان يعد الظلمون بعضهم بعضا الا غرورا وقال تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك
هم الخسرون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا
امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون

واذا يتلى

ولما يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون
وقال تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد كنت في

قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها

فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير الوجه
والجهة بمعنى والهاء محذوف من الواو ووزنها هنا وجه الراي هو الراي
عقد والاسم الوجهة والوجهة بكسر الواو وضمها قالوا وثبت في الاسم
كما قالوا اولاذة وانما لا تجتمع مع الهاء في المصادر والمواجهة المقابلة وقال
وقعدت وجاهه وجاهه اي قبالته وقوله تعالى فاستبقوا الخيرات
اي بادروا اليها وقوله تعالى واتبعنا الباء معناه تتابعنا اليه مثل قولك
اقتفلا معنى تقابلا وقوله تعالى اما استبقوا الصراط اي جاوزوه وتركوه
حتى ضلوا وقوله تعالى وهم لها سابقون اي سابقون اليها كما قال ان ربك
اوحى لها اي اوحى اليها وقوله تعالى قال انفار تتقاضى الا لكة تتوالجن
باشتباك الوحي وقوله تعالى لا تسبقونا بالقول اي لا تقولوا ولم نعلم حتى
علمهم الله سبحانه وقال العوفي عن ابن عباس ولكل وجهة هو موليها
يعني بذلك اهل الاديان يقول لكل قبلة ترضونها وجهة الله حيث توجه
المومنون وقال ابو العالية لليهودي وجهة هو موليها وللنصراني وجهة
هو موليها وهذكم انتم ايتها الامة القبلة التي هي القبلة وروي عن مجاهد وعطا
والضحاك والربيع ابن انس وقال السدي نحو هذا وقال مجاهد في رواية الاعرج
ولكن امر كل قوم ان صلوا الى الكعبة وقرا ابن عباس وابو جعفر الباقر وابن
عامر ولكل وجهة هو مولاها وهذه الاية شبيهة بقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا فاستبقوا الخيرات الى الله يسوقكم الله جميعا وقال هاهنا
اينما تكونوا ياتي بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير اي هو قادر على جمعكم من
الارض وان تفرقت اجسادكم وابدانكم

شبكة الألوكة

من المصلحة في تأخير التحريم ولم يلزم من ذلك ان يكون مصلحة حين وقوعه
اباحة وهذا التحريم الزنا والسكر وغير ذلك من المحرمات التي كانوا يفعلونها
استصحابا لعدم التحريم فانها لم تكن مصلحة في وقتها ولهذا لما شرعها الله
تعالى ولهذا كان رفعها بالخطاب لا بانتهاء نسخا ولو كان ذلك نسخا
لكانت الشريعة كلها نسخا وانما النسخ رفع الحكم الثابت بالخطاب لا
رفع موجب الاستصحاب وهذا متفق عليه ٥ وقوله تعالى
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره امر تعالى باستقبال الكعبة من جميع
جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ولا يستثنى من هذا شيء سوى
النافلة في حال السفر فانه يصليها حيثما توجهت قائلته وقبلته نحو الكعبة وكذا
في حال الخائف في القتال يصلي على اي حال وكذا من جهل جهة القبلة يصلي
باجتهاده فان كان مخطئا في نفس الامر لان الله تعالى لا يكلف الا وسعها ٥

قوله تعالى وان الذين اوتوا

الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اي اليهود الذين انكروا استقبال الكعبة
وامر ابراهيم عن بيت المقدس يعلمون ان الله تعالى سيوجهها اليها لما
في كتبهم عن انبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته وما خصه
الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن اهل الكتاب يتعاندون
ذلك بينهم حسدا وكفرا وعنادا ولهذا توعدهم بقوله وما الله بغافل
عما تعملون ٥

الرب

قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية

ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت
اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ٥ اخبر تعالى عن
كفر اليهود وعنادهم وعنادهم وانه لو اتاهم بكل اية ما تبعوه فلا اطماع
كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية

حتى

خير وربا العذاب الاليم ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك وقوله تعالى وهانت تتابع قبلتهم اخبار عن شدة متابعة الرسول
لما امره الله تعالى به وانه كما هم مستمسكون بآرائهم واهوائهم فهو ايضا متمسك بامره
وطاعته واتباع مرضاته وانه لا يتبع اهواءهم في جميع احواله وكان متوجها الى
بيت المقدس لدعوتهم قبلة اليهود وانما ذلك عن امر الله تعالى ثم حذر تعالى من مخالفته
الحق الذي يعلمه العالم الى الهوى وكان العالم الحجة عليه اقوى من غيره ولهذا لما
خاطبا الرسول والمراد امته ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم
انك اذا لمن الظالمين ٥

قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب

يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين ٥ المزيد الشك وقد تضم وقرئ بهما قوله تعالى فلا
تكن في مرية منه تعالى تعلم هل لقمان ٥ وقوله تعالى فلا تك في مرية منه اي في شك
وقد امتري وتماري اي شك ومنه قوله تعالى فيه يمترون الخطاب في قوله
فلا تكن هنا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقال ابن عرفه في قوله تعالى افتمارونه على ما يرى
اي اتجادلونه جدال المشاكين قال والتماري المجادلة على مذهب الشك وقوله
تعالى فبأي الاء ربك تتمارى اي باي نعم ربك تشك ومن قرأ افتمرونه اراد
فتجحدونه وقوله تعالى ولا تمار فيهم اي لا تجادل وفي الحديث لا تماروا في القرآن
فان مراء فيه لكفر قال ابو عبيد ليست وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل
ولكنه عندنا على الاختلاف في اللفظ وهو ان يقول الرجل على حرف فيقول الاخر
ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وقد انزل الله عز وجل جميعا تعالى ذلك بحديث
النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن على سبعة احرف فاذا جحد كل واحد منهما قراءة صاحبه
لم يؤمن ذلك فاخرجه الى الكفر قال ابو بكر والمراء والمماراة الجدال والمراء ان يكون
انتصارا لا مستبرا وهو الشك قال واصل في اللغة الجدال ان يستخرج الرجل من
مناظره كلاما ومعاني من خصومه وغيرها من مريت الشاة اذا حلبتها واشتق منه
لبنها يقال مار يمير الرجل ومارته ومنه قول ابي الاسود انه شكا عن رجل فقال
ما فعل الذي كانت امرأته تشاره وتماره قال انما اخرجه الى الكفر لانه يتخرجا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو ان الرجل كان اذا اراد افطر وتصدق فحصلت له مصلحة الصدقة دون
مصلحة الصوم وان شاء صام ولم يفد فحصلت له مصلحة الصوم دون الصدقة
فجعل الصوم على المكلف لان مصلحته اتم واكمل من مصلحة الفدية وندب الى الصدقة
في شهر رمضان فاذا صام وتصدق حصلت له المصلحتان معا وهذا
اكمل ما يكون في الصوم وهو الذي كان فعله النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان اجود
ما يكون في رمضان فلم تبطل المصلحة الاولى بل قدم عليها ما هو اكمل منها
وجوبا وشرع الجمع بينهما في الاخرى ندبا واستحبابا ومن ذلك تصح ثبات
الواحد من المسلمين للعشرة من العدو مثبتة للاثنين فلم تبطل الحكمة الاولى
من كل وجه بل بقي استحبابه وان زال وجوبه بل اذا غلب على ظن المسلمين ظفرهم
بعدوهم وهم عشر امثالهم وجب عليهم الثبات وحرم عليهم الفرار فلم تبطل
الحكمة الاولى من كل وجه ومن ذلك تستحب وجوب الصدقة بين يدي مناجاته
الله واشارته وهو انه اذا استحبت الصدقة بين يدي مناجاته المخلوق فاستحبابها
بين يدي مناجاته الله عند الصلوات والدعاء اولى فكان بعض السلف الصالح يتصدق
بين يدي الصلاة والدعاء اذا امكنه وتأول هذه الاية قال شمس الدين ابن
القيم رحمه الله وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه
يفعله ويتحراه ما امكنه وفي وصيته فيه فذكر لي هذا التنبيه والاشارة
ومن ذلك تصح الصلوات الخمس التي فرضها الله على رسوله ليلة الاسراء خمسا فانها
لم تبطل بالكلية بل ابقت خمسين في الثواب والاجر وجعلت خمسا في العمل
والوجوب وقد اشار الى الى تعيينه حيث يقول على لسان رسوله لا يبدل القول
لدي هي خمس وهي خمسون في الاجر فتامل هذه الحكمة البالغة والنعمة السابغة
فانه لما اقتضت الحال ان تكون خمسين تكميلا للثواب وتوفيرا لهم الى
اعلى المنازل واقتضت ايضا ان تكون خمسا لعجز الامة وضعفهم وعدم
احتمالهم الخمسين جعلها خمسا من وجه وخمسين من وجه جمعا بين المصالح
وتكميلا لها فلو لم يطلع من حكمته في شرعه وامره ولطفه بعباده ورعايته
مصالحهم وتحصيلها لهم على اتم الوجوه الا على هذه الثلاثة وحدها لكفى به
دليلا عليها وبرهانا فسبحان من له في كل ما خلق وامر حكمة بالغة شاهدة
له بانه احكم الحاكمين وارحم الراحمين وانه الله الذي لا اله الا هو رب العالمين
ومن ذلك الوصية للوالدين والاقربين فانها كانت واجبة على من حضر الموت
ثم نسخ الله ذلك بآية المواريث وبقيت مشروعة في حق الاقارب الذين لا يرثون

وهل

هذا ء

وهل ذلك على سبيل الوجوب او الاستحباب فيه قولان للسلف والخلف
وهما في مذهب احمد قولان والاستحباب اذا اوصى للاجانب
دون من صحت الوصية ولا شيء للاقارب وعلى القول بالوجوب فهل
لهم ان يبطلوا وصية الاجانب ويختصون هم بالوصية كما للورثة ان
يبطلوا وصية الوارث ويبطلوا ما زاد على ثلث الثلث ويختصون
هم بثلثيه كما للورثة ان يبطلوا ما زاد على ثلث المال من الوصية ويكون
الثلث في حقهم بمنزلة المال كله في حق الورثة على وجهين وهذا الثاني
اقيس واقعد وحق ان الثلث صار باستحقاقهم كأن بمنزلة جميع المال
في حق الورثة وهم لا يكونون اقوى من الورثة فكما لا سبيل للورثة الى ابطال
الوصية بالثلث للاجانب فلا سبيل لهؤلاء الى ابطال وصية ثلث الثلث
للاجانب وتحقيق هذه المسائل وذكر الكلام على ما خذها له موضع اخر
والمقصود هنا ان ايجاب الوصية للاقارب وان نسخ لم يبطل
بالكلية بل بقي منه ما هو مثل ما شرعنا الصلح كما ذكرناه ونسخ منه ما
لا مصلحة فيه بل المصلحة في خلافه ومن ذلك نسخ الاعتداد بالحول
بالاعتداد باربعة اشهر وعشر على المشهور من القولين في ذلك
فلم تبطل العدة الاولى بجملتها ومن ذلك حبس الزانية في البيت حتى تموت
فانه على احد القولين لا نسخ فيه لانه معينا بالموت وجعل الله لهن
سبيلا وقد جعل الله سبيلا بالجلد وعلى القول الاخر هو منسوخ بالحد
وهو عقوبة من جنس عقوبة الجسد فلم تبطل العقوبة عنها بالكلية
بل نقلت من عقوبة الى عقوبة وكانت العقوبة الاولى اصلح في وقتها
لانهم كانوا حديثي عهد بجاهلية وردة فامروا بحبس الزانية اولا ثم
لما اشتد طمع الناس على عقوبتها وخرجوا عن عوائدهم الجاهلية
وركنوا الى التزويج والعقوبة تحولوا الى الجلد ثم نسخ العقوبة الاولى وهو
الرجم والايذاء فكل عقوبة في وقتها هو المصلحة التي لا مصلحة
سواها وهذا الذي ذكرناه من نسخ الحكم الذي ثبت بشرعه
والبر واما ما كان مستحبا بالبراءة الاصلية فهذا لا مانع من رفعه
بقاء شيء بعد ان لا يكون مصلحة لهم فانه اخرجهم عنه الى ما هو اصلح

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لبعضهم ان مذهبي من خالفه في الاجتهاد وان كان منهم فلد منع من قلده
واخرف باخرافه وان قلد الجميع لم يخرف الا باخراف الجميع لانه شرع بدليل
قطعي فلا يخرف بالشك الا من يلزمه شك يقينا وثقتم فانه يخرف باخرافه
فصل اذا صلى البصير الى غير الكعبة في الحضر ثم ان له الخطأ
فعليه الاعادة سواء صلى بدليل او غيره لان الحضر ليس محل الاجتهاد
لان من فيه يقدر على المحاريب والقبلة المنصوبة وبحد من يخبره عن يقين
غالبا فلا يكون له الاجتهاد فكان قادرا على النص في سائر الاحكام فان صلى من
غير دليل فاخطأ فقد غرر وتبين ان خبر الميت بدليل فان كان محسوسا
لا بد من يخبر فقال ابو الحسن التميمي هو كالمسافر يجري في حقه ويصلي من
غير اعادة لانه عاجز عن الاستدلال بالخبر والمحاريب فهو كالمسافر واما
الاعمى ان كان في حضر فهو كالبصير لانه يقدر على الاستدلال بالخبر والمحاريب
فان الاعمى اذا لمس المحراب وعلم انه محراب وانه متوجه اليه فهو كالبصير
وكذلك لو سمع ان باب المسجد الى الشمال او غيرها من الجهات جاز له الاستدلال
به ومتى اخطأ فعليه الاعادة وحكم المقلد حكم الاعمى في هذا وان كان الاعمى
والمقلد ما قرءا على احد من يخبر ولا اجتهدا انفسهما فظاهر كلام الخرقي انه
يعيد سواء اصاب او اخطأ لعذره فاذا صلى البصير في حضر فاخطأ او
الاعمى بلا دليل اعاد لانه صلى من غير طلب فلزمه الاعادة وان اصاب كالمجتهد
اذا صلى من غير اجتهاد فاصاب او اداه اجتهاده الى جهة فصلى الى غيرها
فان صلاته باطلة بكل حال سواء اصاب او اخطأ لانه لم يات بما امر به فاشبه
من ترك التوجه الى الكعبة مع علمها فصل ولا يصح دلاله
مشرك على ذلك لانا لا نأمن ان لا يقبل خبره ولا روايته ولانها ليست

موضع

موضع امانه وكذلك قال عمر رضي الله عنه لا تمكنوهم بعد ان خونهم الله
تعالى ولا نقبل خبر الفاسق لقله دينه وتطرق التهمة اليه ولانه ايضا
لا نقبل روايته ولا شهادته ولا نقبل خبر الصبي لذلك ولانه لا ملجئة ما تمنعه
عن الكذب فخبره من الكذب غير موثوق به وقال ابو الحسن التميمي يقبل
خبر الصبي المميز اذا لم يعرف حال المخبر فان شك في اسلامه وكفره
لم يقبل خبره كما لو وجد محاريب لا يعلم هل هي للمسلمين او لاهل الذمة
وان لم يعلم عدالته وفسقه قبل خبره كما لو وجد دار الاسلام يسكنها
العدد الكثير لا يظهر خلافهم وقبل خبر سائر الناس من المسلمين الا الفاسق
العقل كالنساء والاعراب لانه خبر من اخبار الدين فاشبه الرواية ويقبل
من الواحد كذلك والله اعلم فصل وهاهنا سر بديع
من اسرار الخلق والامر به يتبين لك حقيقة الامر وهو ان الله تعالى
لم يخلق شيئا ولم يامر بشيء باطلا وعبثا بل كل ما خلقه فلا بد ان يشتمل على حكمة
من الوجوه لانه انما خلقه لحكمة له في ذلك كما امر به وشرعه اياه هو لما فيه
من المصلحة ومعلوم ان تلك المصلحة والحكمة تقتضي بقاءه فاذا عارض ذلك المصلحة
مصلحة اخرى اعظم منها كان ما اشتملت عليه اولى بالخلق والامر وبقي الاول ما شاء
من الوجه الذي تتضمن المصلحة وتكون هذه من باب تزاحم المصالح والقاعدة
فيها شرعا وخلقا تحصيلها واجتناؤها بحسب الامكان فان تعذر قدمت
المصلحة العظمى وان فاتت الصغرى واذا تاملت الشريعة والخلق اتى ذلك
ظاهرا وهذا سر قل من يحفظ له من الناس فتامل الاحكام المنوطة حكما
كيف تجد المنوط لم يبطل بالكلية بل لبقاء ما فيه من ذلك كنسخ القبلة وبقاء
بيت المقدس معظما محترما تشد اليه الرحال ويقصد بالنزاله وحط
الاوزار عنده واستقبالا مع غيره من الجهات في التنفل بخلاف تعظيمه
واحترامه بالكلية وان يبطل خصوص استقباله بالصلوات كالقصد اليه
ليصلي فيه باق وهو نوع من تعظيمه وتشريفا بالصلاة فيه والتوجه اليه
قصدا لفضيلته وشرعه لنا فيه من التوجه اليه بالاستقبال في الصلوات
فقدم البيت الحرام عليه في الاستقبال لان مصلحته اعظم واكمل وبقي قصده وشد
الرحال اليه والصلاة فيه مثال المصلحة فتمت للاسلام المصلحتان المتعلقتان
بهذين البيتين وهذا نهاية ما يكون من اللطف وتحصيل المصالح وتكميلها لهم فتامل
هذا الموضع ومن ذلك نسخ التخيير في الصوم بتعيينه فان له بقاء وبيانا ظاهرا

قوله كالبصير اذا تغير اجتهاده في اثناء الصلاة ... ولو
شرع مجتهد في الصلاة باجتهاده فعمي فيها بنى على ما هو عليه لانه
شرع في الصلاة بدليل يقيناً ولا يزول عنه بالشك وان كان الثاني
اوثق في نفسه من الاول قلنا لا نسلم عليه تقليد الافضل فلذلك وان
قلنا عليه تقليده خاصة يرجع الى قوله كالبصير اذا تغير اجتهاده في
الصلاة ... ولو شرع مجتهد في الصلاة باجتهاده فعمي فيها
بنى على ما مضى من صلاته لانه انما بنى صلاته الشارع على اجتهاد غيره فاجتهاد نفسه
اولى وان استدبر تلك الجهة بطلت صلاته وان اخبره مخبر فظنه او غلب
على ظنه صدقه وان اخبره عن اجتهاد لم يرجع اليه لما ذكرنا وانه شرع فيها وهو
اعمى فيصير في اثنائها فاقد ما يستدل به على صواب صلاته مثل ان يرى الشمس
في صلاة الظهر وغلب ذلك مضى عليه لان الاجتهادين قد اتفقا وان بان له الخطأ
استدار الى الجهة التي اداه اجتهاده اليها وبنى على ما مضى من صلاته وان
لم يبن له صوابه ولا خطاؤه بطلت صلاته واجتهد لان فرضه الاجتهاد
فلم يجز له اداؤه بالتقليد كما لو كان بصيراً في ابتدائها وان كان مقلداً
مضى في صلاته لانه ليس في وسعه الا الدليل الذي بدأ به فيها ...
اذا صلى المجتهد باجتهاده الى جهة ثم بان له انه صلى الى غير جهة الكعبة
يقيناً لزمه الاعادة وكذلك المقلد الذي صلى بتقليده وبهذا قال مالك
وابو حنيفة والشافعي في احد قوليه وقال في الآخر يلزمه الاعادة ان
صلى باجتهاد الى جهة ثم بان له انه صلى الى غير جهة الكعبة
غير جهة الكعبة يقيناً لزمه الاعادة وصلاته باطلة لانه اخل بشرط
من شروط الصلاة فلزمته الاعادة كما لو بان له انه صلى قبل الوقت
او بغير طهارة او ستارة ولنا ما روى عامر بن ربيعة قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل
منا حيال فاصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا
فثم وجه الله رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن ليس اسناده

بذلك

ذلك لا يعرف الا من حديث اشعث السمان وفيه ضعف وعن عطاء عن
جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصابنا غيم فتحينا فاختلفنا
في القبلة فصلى كل رجل منا على حياله وجعل احدنا يخط بين يديه لنعلم اكثرنا
فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يامرنا بالاعادة وقال اذا اخذتم صلاتكم
رواه الدارقطني وقال رواه محمد بن سالم عن عطاء وبرد ليث عن محمد
ابن عبيد الله العرزمي عن عطاء وكلاهما ضعيف وقال العقيلي لا يروى متن هذا
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي لحوبيتا القدس فمرضت فدرت في قلب
وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام
مر رجل على قوم وهم ركوع في صلاة الفجر فصلوا ركعة فنادى ان
القبلة قد حولت فمالوا كما هم نحو القبلة ومثل هذا لا يخفى على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يترك انكاره الا وهو جائز وقد كان ما مضى من صلاتهم قبل تحويل القبلة الى
الكعبة ولانه اتى بما امر فخرج عن العهدة كالمصيب ولانه صلى الى غير الكعبة
للعذر فلم يجب عليه الاعادة كالخائف يصلي الى غير هارولانه شرط سقط عنه
فاشبه سائر الشروط وقولنا ما المصلي قبل الوقت فانه لم يؤمر بالصلاة وانما امر
بعد دخول الوقت وقد اتى بما امر به كما اتى بمثلنا فانه مامور بالصلاة بغير
شرط ولم يوجد الاخلال بالصلاة وشرائط الشروط انما عجز عنها فسقطت
كذي هاهنا واما اذا ظن وجودها فاخطأ فانما فعلت في محل الاجتهاد وفيما
اذا اجتهد في ثيابنا في الحضر فاخطأ فصل ولا فرق بين
ان تكون الادلة ظاهرة كشفوفه فاشتبهت عليه او مستورة بغيم
او شيء ستر ها عنه بدليل الاحاديث التي رويناها فان الادلة اشتركت
عنهم بالغيم فلم يعيدوا ولانه اتى بما امر به في الحالين وعن عمر اشتغال القبلة
في الموضعين فاشتبه في عدم الاعادة فصل وان بان له الخطأ
وهو في الصلاة استدار الى جهة الكعبة وبنى على ما مضى من صلاته لان ما
مضى منها كان صحيحاً فجاز البناء عليه كما لو بان له الخطأ وان صلى جماعة
قد اداهم اجتهادهم الى جهة فقد موا احدهم ثم بان لهم الخطأ في حال اداده
استداروا الى الجهة التي بان لهم الصواب فيها كما في مسألتنا بان لهم تحول
الكعبة وان بان للامام وحده او للمأمومين دونه او لبعضهم استدار من بان
له الصواب وحده وبنى بعضهم مع قوم بعض لانه على الوجه الذي قلنا ان

اعلم منه او امكن كما لعالمين مختلفان في الحادثة ولو ان احدهما اجتهد فاراد
الاخر تقليده من غير اجتهاد لم يجز ذلك ولا يتسع الصلاة حتى يجتهد
سواء اتسع الوقت او كان ضيقا حتى خرج وقت الصلاة كالعالم لا يجوز
له الحكم في حادثة بتقليد عالم وقال القاضي ظاهر كلام احمد في المجتهد
الذي ضيق الوقت عن اجتهاده ان له تقليد عمر واشار الى قول ابن مسعود
هو في مسند فجرى فصلى العشاء الثانية في بيته بعد لان عليه ان يتعلم
قال فقد جعل فرض المحبوس التعلم وهذا غير صحيح وكلام احمد انما دل
على انه ليس من في المصر اجتهاد لانه لا يمكنه التوصل الى العلم بطريق
الخبر والاستدلال بالمحاريب بخلاف المسافر وليس فيه دليل على انه يجوز
له تقليد المجتهدين في محل الاجتهاد عند ضيق الوقت الا ترى ان ابا
عبد الله لم يفرق بين ضيق الوقت وسعته مع اتفاقنا على انه لا يجوز
له التقليد مع سعة الوقت ولان الاجتهاد في حقه شرط لصحة الصلاة فلم
يسقط بضيق الوقت مع امكانه كسائر الشروط فصل واذا اختلف
اجتهاد رجلين فصلى كل واحد منهما الى جهة فليس لاحدهما الائتمام بصاحبه
وهذا مذهب الشافعي لان كل واحد يعتقد خطأ صاحبه فلم يجز لاحدهما
ان يأتم به كما لو خرجت احداهما تؤم واعتقد كل واحد منهما انها من صحبه وان
لكل واحد منهما ان يصلي وليس له ان يأتم بصاحبه وبهذا قال المذهب جواز
ذلك وهو مذهب ابي ثور لان كل واحد منهما يعتقد صحة صلاة الاخر
وان فرضه التوجه الى ما توجه اليه فلم يمنع اقتداؤه اختلاف جهته
كالمصلين حول الكعبة مستديرين حولها وكالمصلين حالة شدة الخوف
وقد نص الامام احمد على صحة الصلاة خلف المصلي في جلود الثعالب اذا كان
ثيابه لقوله تعالى عليه السلام اما اهاب دبغ فقد طهر ولم يكن احد يرى
طهارتها وفارق ما اذا اعتقد كل واحد منهما حدث صاحبه لانه يعتقد
بطلان صلاته حيث لو بان له يقينا حدث نفسه لزمه اعادة الصلاة وهاهنا
صلاته صحيحة ظاهرا وباطنا بحيث لو بان له يقين الخطأ لم يلزمه الاعادة فان خرجا
فلما ان كان احدهما ميل يمينا وميل الاخر شمالا لاختلافهما في الجهة فلا يختلف
المذهب في ان لاحدهما الائتمام بصاحبه لان لكل واحد استقبال الجهة وقد
اتفقا فيها فصل واذا اختلف مجتهدان في القبلة ومعهما اعمى قلد
اوثقهما في نفسه وهو اعلمهما عنده واصدقهما قولا واشدهما تحريا لان

الصواب اليها فرضه وكذلك الحكم في البصير الذي لا يعلم الادلة ولا يقدر على
تعلمها قبل خروج الوقت فرضه ايضا التقليد وتقليد اوثقهما في نفسه فان
قلد المفضول فظاهر كلام احمد ان صلاته صحيحة لانه لم يتبع الا عمى
اوثقهما في نفسه لانه شرط صحة صلاته على ظن ان الصواب فيه فلا يتبع له
ذلك كما لو اجتهد اداه تحري جهة اجتهاده والاولى صحة ما صححه
الشيخ في الثاني لانه اخذ بدليل لم يعارضه ما هو اقوى منه فكذلك اذا كان معه
عميان فاستويا او اعمى بصيرا فعمل على ظن ان المفضول اصوب
لم يصح وذلك لان تقليد الافضل واجب ما استويا فتقليده ظن تقليد من
كالعامي من العلماء في تقليد الاحكم فصل والمقلد من لا يعلم الصلاة
بالاجتهاد اما لعدم بصيرته وهو العامي الذي لا يمكنه
التعلم او لعدم بصيرته قبل خروج وقت الصلاة فامن يمكنه ذلك لزمه
التعلم الى ان يتعلم ذلك وتصح صلاته لانه قدر على الصلاة باجتهاد فلم يصح
كالمجتهد ولا يلزم على هذا العامي حيث لا يلزمه تعلم الفقه لوجهين احدهما
احدهما ان الفقه ليس بشرط في صحة الصلاة والثاني ان مدته تطول فصار
كالذي لا يقدر على تعلم الادلة في مسألتنا وان اخر هذا التعلم والاجتهاد
او عين احدهما ضحت صلاته بالتقليد كالذي يقدر على تعلم الفاتحة فضيق
الوقت عن تعلمها فان كان المجتهد به رمدا وعارض
منعه تدوير الادلة فهو كالاعمى في جواز التقليد لانه عاجز عن الاجتهاد
وكذلك لو كان محبوسا في مكان لا يرى فيه الادلة ولا احد يحسن الاجتهاد
يجتهد احد في مكان يرى العلامات فيه فله تقليده لانه كالاعمى
واذا شرع في الصلاة بتقليد مجتهد فقال له قائل قد اخطأت القبلة في هذا
هذا او كان مخبرا عن تغير مثل من يقول قد رأيت الشمس او الكواكب
وتيقنت انك مخطئ فانه يرجع الى قوله وتصير الى الجهة التي اخبره انها
جهة الكعبة لانه لو اخبر بذلك المجتهد الذي قلده الاعمى لزمه قبول خبره
فالاعمى اولى وان اخبر عن اجتهاده او اعلم لم يعن اي شيء اخبر ولم يمكن في
نفسه اوثق من الاول فمضى على ما هو عليه لانه شرع في الصلاة بدليل يقينا
فلا يزول عنه بالشك وان كان الثاني اوثق في نفسه من الاول قلنا لا
تتعين عليه تقليد الافضل فلذلك وان قلنا يتعين عليه تقليده فانما صار

وتسهيل نجم كبير مضيء يطلع من نحو مهب الجنوب ثم تسير حتى يصير
في قبلة المصلي ثم تجاوزها ثم تغرب قريبا من مهب الدبور والناقة تاجم على هذه
الناقة تطلع في الجرم من مهب الصبا ثم تغيب في مهب الشمال فصل
والشمس تطلع من المشرق وتغرب في المغرب وتختلف مطالعها
ومغاربها على حسب اختلاف منازلها تكون في الشتاء في حال التوسط في قبلة
المصلي وفي الصيف محاذية لقبلتين فصل والتقييد اول الليل
من الشهر هلال الى المغرب عن يمين المصلي ثم تتأخر كل ليلة لخلوها المشرق منزلا
حتى يكون ليلة السابع وقت المغرب في قبلة المصلي ما يليها قليلا ثم يطلع ليلة
الرابع عشر من المشرق قبل غروب الشمس بدورا ما وليلة احد وعشرين
يكون في قبلة المصلي وقريبا منها وقت العتمة وليلة ثمان وعشرين بعد العتمة
عند الفجر هلالا من المشرق ويختلف مطالعه باختلاف منازله فصل
والريح ثمانية ست منها اربع تهب من زوايا المشرق والجنوب تهب من
الزاوية التي بين المشرق والشمال وجهها الى بين الشمال والمشرق فتستقبله بطن المصلي الا ما يليها
مارة الى مهب الجنوب والدبور تهب من الزاوية التي بين المغرب والشمال
مستقبلة ظهر المصلي وما يليها من الجنوب والشمال فتدبر ولا اعتبار
تهب من ظهر المصلي وما يليها من الجنوب والشمال فتدبر ولا اعتبار
لها وبين كل ريحين ريح تسمى النكباء تتبع طريق الريح المعروفة وتعرف
الرياح بصفاتها وخواصها وهذا اصح ما استدل به على القبلة وذكر
اصحابنا الاستدلال بالمياه والانهار كلها تجري عن يمين المصلي الا بقعة
بالعراق تخليل وذلك نحو دجلة الفرات والنهروان ولا اعتبار بالانهار
المحدثة لانها تحدث في الجهات المختلفة ولا بالقنوات والابار
الصغار لانها لا ضابط لها ولا شهرة بخلاف ما كان من سنن العمل المستفاد احدها
العاصي بالشام والفرات يجريان بالمشرق وهذا الذي ذكرناه مضبوط
بضابط فان كثيرا من انهار الشام تجري على غير السمت الذي ذكرناه
فلا يدري لعل القبلة وكثير منها يجري نحو البحر حتى كان منها ينصب
فيه وان لم ينصب فلا يمكن ما ذكرناه فليس شيء منها في الشام سوى العاصي
والفرات يجذب الشام من ناحية المشرق فمن عدم الادلة هو مجتهد

وقد

وقد تتدارك اهل كل بلده بادلة تختص ببلدتهم من جبالها وانهارها وغير
ذلك مثل من يعلم ان جبلا بعينه يكون في قبلتهم او على يمامتهم او غير ذلك من
الجهات وكذلك ان علم مجرى نهر بعينه فمن كان من اهل الاجتهاد اذا
خفيت عليه القبلة في الغيم ولم يجد محترا حضر الصلاة الى جهة يؤديه اجتهاده
اليها فان خفيت عليه الادلة لغيم او ظلمة تحرى فصلى والصلاة صحيحة لما
ذكره من الاحاديث ولانه بذل وسعه في معرفة الحق مع علمه بادلته
فاشبه الحاكم والعالم اذا لخفيت عليه النصوص اذا صلى
بالاجتهاد الى جهة ثم اراد صلاة اخرى لزمه اعادة الاجتهاد ثم اراد صلاة
اخرى لزمه كالحاكم اذا اجتهد في حادثة ثم حدث مثلها لزمه اعادة الاجتهاد
وهذا مذهب الشافعي فان تغير اجتهاده عمل بالثاني ولم يعد ما صلى بالاول كما
ان الحاكم لو تغير اجتهاده عمل بالثاني في الحادثة الثانية ولم ينقض حكمه الاول
وهذا لانعلم فيه خلافا وان تغير اجتهاده في الصلاة انحرف الى الجهة الثانية
وبنى على ما مضى من صلاته نص عليه الامام احمد في رواية الجماعة وقال ابن ابي موسى
والامدي لا ينقل ويبني على اجتهاده الاول ليلا ينتقض الاجتهاد بالاجتهاد
ولنا انه تجتهد اداه اجتهاده الى جهة فلم يجز الصلاة الى غيرها كما لو ادى صلاة
اخرى ولانه اداه اجتهاده الى غير هذه الجهة فلم يجز الصلاة اليها كما لو ادى
الاول في وقت ولا يسلم ان انتقاض الاجتهاد وانما عمل به في الاستقبال كما في الصلاة الاخرى
واما ان يكون نقضا للاجتهاد ان لو ارتماه اعاد ما مضى من صلاته ولم يعتد
لجهات لم يسق اجتهاده وظنه الى الجهة الاولى ولم يوجد اجتهاده الى الجهة اخرى
فانه يبني على ما مضى من صلاته لانه لم يظهر له جهة اخرى يتوجه اليها ولان ان لم يقبل
الخطأ في الصلاة مشاهدة او خبر عن تقين استدار الى جهة الصواب وبنى
كما لو قبل قبا الما اخبروا بتحويل القبلة استداروا اليها وبنوا وان شك في اجتهاده
لم يبن على جهته لان الاجتهاد ظاهر ولا يزول بالشك وان لم يظن الخطأ ولم يعرف
جهة القبلة كرجل كان يصلي الى جهة فرأى بعض منازل القرى قبلته ولم يدر
اهو في الشرق او في المغرب واحتاج الى الاجتهاد بطلت صلاته لانه لا يمكنه
استدامتها الى غير القبلة وليست له جهة يتوجه اليها فبطلت لتعذر استدامتها
واذا اختلف اجتهاد رجلين فعرض كل واحد منهما الصلاة الى الجهة
التي يؤديه اجتهاده اليها انها القبلة لا يسعه تركها ولا تقليد صاحبه سواء كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

لما نقضه ابن الزبير ونقل لامام احمد لا بصلي الفرض في الحجر فقال لا بصلي
في الحجر من البيت قال ابو العباس والحجر جميعه ليس من البيت وانما الداخل
في جدر ذا البيت ستة اذرع وشئ فمن استقبل ما زاد على ذلك لم تصح صلاته
البتة ٥ فصل والمجتهد في القبله هو العالم بادلتها وان
كان من المجتهدين كان جاهلا باحكام الشرع فان كل من علم ادلة شئ كان من اهل الاجتهاد
فيه وان جهل غيره ولانه يمكن من استفتاء اهل بلده وكان مجتهدا فيها كالفقيه
الوجهل الفقيه ادلتها او كان اعمى فهو تقليد وان علم غيرها واوتي ادلتها
النجوم فالله تعالى وبالنجم هم يهتدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقد علم ان القطب الشمالي وهو نجم خفي حوله نجم
دائم كفرقدتيه الحاجي فاحط فيها الفرقدان وفي الاخر الجدي وبين ذلك
الجي صفا ومتقوسة كتقوس الفرقدتين الحاجول تعود فيها في كل يوم وليلة
دوره في الليل نصفها وفي النهار نصفها فيكون الجدي عند طلوع الشمس
في مكان الفرقدين عند غروبها وهكذا الاستدلال بها على ساعات الليل واوقاته
والاحاطة لمن عرفها وعلم كيفية دورانها وحولها بنات نعش مما يلي الفرقدين
يدور حولها والقطب لا يبرح مكانه في جميع الزمان ولا يتغير كما لا يتغير
سمت الرجل بدورانها وقيل انه يتغير تغيرا يسيرا لا يتبين فيه ولا
يؤثر وهو نجم خفي يراه حديد النظر اذا لم يكن الغرطا العافا فاذا قوي ويه
العمر خفي فاذا استدبرت في الارض الشامية كنت مستقبلا للكعبة وقيل
انه يحرف في دمشق وما قاربها الى الشرق قليلا وكلما قربت الى المغرب
كان الحرافه اكثر وان كان بحرانه ما قاربها اعدل وجعل القطب خلف
ظهرك معتدلا من غير انحراف وقيل اعدل القبلة بالعراق جعل القطب حذاء طهر ادنه اليمنى على علوها فتكون مستقبلا
باب الكعبة الى المقام ومتى استدبر الفرقدين والجدي في حال على احدهما
ونزول الاخر على الاعتدال كان ذلك كاستدبار القطب وان استدبر
في غير هذه الحال كان مستقبلا للكعبة فاذا استدبر الشرق منها كان منحرفا
الى المغرب قليلا وان استدبر الغرب كان منحرفا الى الشرق وان استدبر
بنات نعش كان مستقبلا للجهة ايضا الا ان انحرافها اكثر ٥ فصل
ومنازل القمر وهي ثمانية وعشرون منزلا وهي الشرطان
والبطين والثريا والدبران والهقعه والهنعه والذراع

والنثر

فاذا

قال من المجتهدين

علامة من يعلم ادلة الشرع ومن لا يعلم

قال الشيخ

والنثر والطرف والجبهه والنزيره والصرفه والعوا
والسماك والعفر والزبانا والاكليل والقلب والشوله
والنعام والبلده وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود
وسعد الاخبيه والفرع المقدم والفرع الوخر وبطن الحوت
منها اربعة عشر كوكبا تطلع من وسط الشرق وما يليه عنه الى الشمال
قليلا اولها الشرطان وآخرها السماك ومنها اربعة عشر كوكبا تطلع
من الشرق مايلا الى الجنوب اولها العفر واخرها بطن الحوت وكل نجم
من الثمانية عشر قبل من الثمانيه اذا طلع احدهما غاب رقيبه وبقي الآخر
ليلة بتمامها فربما منه ثم ينتقل من المنزلة الثانية الى المنزل الذي يليه وهكذا
تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والشمس كل منزل
منها ثلاثة عشر يوما ويكون عودها الى المنزل الذي ترتاد به عند تمام
حول كامل من احوال الشمس وهذه المنازل يخرج منها من
غروب الشمس طلوع احدها اربعة عشر ومن طلوعها
الى غروبها مثل ذلك ووقت الليل منزلان ووقت المغرب منزلا
وهو نصف سدس سواد الليل وسواد الليل اثنا عشر منزلا لان كل منزلة تطلع
من المشرق وتغرب في المغرب الا ان اول المنازل الشامية واخر اليمانية تطلع
من وسط الشرق ليست اذا طلعت منها محاذيا لكنه الا ان كان
مستقبلا للكعبة وكذلك الاخر الشامية واول اليمانية يكون متحاذيا لها
والمتوسط من الشامية وهو الذراع ومايليه من جانبه يميل مطلعه
الى جهة الشمال والمتوسط من اليمانية نحو المغرب والنعام والبلده
والسعود يميل مطلعها الى الجنوب فاما من امام كعبة العراق
والشام فكل خلف شخصه شيئا من المنازل فانه يكون مستقبلا
كذلك وانما عرف المتوسط منها لان ما بين مطلع الشمس في اول
وسبعين جزءا مستقبلا وكل جزء من ذلك الجزء تقارب
بين من بعد وشاهد يعرف ذلك بالحس وبالتقريب
وعلى هذا قوله كالمشرق والمغرب والشمال الذي قارن الجهة
والشمال الذي قارن جهة وغيرها وكل منها تطلع من الشرق وتغرب في المغرب

شبكة الدكة www.alukah.net

اجتهد ولم يلتفت اليه لان الاستدلال انما يعود بحارب المسلمين
ولا يعلم وجود ذلك ولو رأى على المحراب انانا لاعلام لم يصل اليه
لاحتمال ان يكون لبناني له مشركا متهنيا بغربة المسلمين الان
يكون ذلك مما لا ينظر اليه هذا الاحتمال ويحصل له العلم انه من محارب
المسلمين فتستقبله وصار ولو صلى على جبل عال خرج عن سامته
للعين صحت صلاته وكذلك لو صلى في مكان منزل عن سامتها لان الواجب
استقبالها او ما سامتها من هوائها وتجاهد ليل ما لو زالت العين صحت
الصلاة الى موضع حذاءها كما لو استطاعت العين والعياذ بالله فانه يكفيه
استقبال العرصة قال ابو العباس الواجب استقبال البناء واما العرصة
والهواء فليس بعينه ولا بناء واما ما ذكروه من الصلاة على ابي قبيس ونحوه
فانما ذلك لان بين يدي المصلي قبلة شاخصة هي بنفسه وان لم تكن سامته
له فان السامته لا تشترط كما لم تكن مشروطة في الاتمام بالامام واما اذا زال
بناء الكعبة فنقول بوجوبه وانه لا تصح الصلاة حتى ينصب شيا يصلي اليه
لانا انما جعلنا المصلي على ظهر الكعبة لاقبلة لعلمنا انه جعل القبلة الشي الشاخص
وكذلك قال الامدي ان صلى بانا البناء وكان مفتوحا لم تصح صلاته وان كان
مردودا صحت وان كان مفتوحا وبين يديه شي منصوب كالستر صحت
لانه يصلي الى حرز من البيت فان قال بنيان البيت والعياذ بالله وصلى بين يديه
شي صحت الصلاة وان لم يكن بين يديه شي لم تصح وهذا من كلام الامدي يدل على
ان البناء لو زال لم تصح الصلاة اذا ان يكون بين يديه شي وانما يعني به والله
اعلم ما كان شاخصا كما قدمه فيما اذا صلى الى الباب لانه علل ذلك بانه اذا
صلى الى ستر فقد صلى الى حرز من البيت فعلم ان مجرد العرصة غير كاف ويدل
على هذا ما ذكره الازرقي في تاريخه زعم ان ابن عباس ارسل الى ابن الزبير
لا تدع الناس يغيروا قبلة انصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل الستور
عليها حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون اليها ففعل ذلك ابن الزبير
وهذا من ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهما دليل على ان الكعبة التي يطاف
بها ويصلى اليها لابد ان تكون شاخصا منصوبا شاخصا وان العرصة ليست
قبلة ولم ينقل ان احدا من السلف خالف في ذلك ولا انكره نعم لو فرض انه قد
تعذر نصب شي من الاشياء موضعها بان وقع ذلك في اهدامها ذوالستوين

من

من الجهات في اخر الزمان فهنا ينبغي ان يكتفي حينئذ باستقبال العرصة كما يكتفي
المصلي ان سقط حطا اذا لم يجد شيئا فان قواعدهم كالخط وذكر ابن عقيل
وغيره من اصحابنا ان البناء اذا زال صحت الصلاة الى هواء البيت مع قولهم
انه لا يصلي على ظهر الكعبة من قال هذا فرق بانه اذا زال لم يبق هناك شي
شاخص يستقبل بخلاف ما اذا كان هناك قبلة يستقبل ولا يلزم من سقوط
الشي الشاخص اذا كان معدوما سقوط استقباله اذا كان موجودا
كما فرقنا نحن بين حال الامكان نصب شي وحال تعذره وكما فرق في سائر
الشروط بين حال الوجود والعدم والقدرة والعجز فاذا قلنا لا بد
من الصلاة الى شي شاخص فانه يكفي شخوصه ولو انه شي يسير كالعتبة
التي للباب فان ابن عقيل وقال ابو الحسن الامدي لا يجوز ان يصلي الى الباب
اذا كان مفتوحا لكن ان كان بين يديه شي منصوب كالستر صحت صلاته هذا
لا يكفي ارتفاع العتبة ونحوها بل لا بد ان يكون مثل اخرة الرحل لانها اقل ما
التي تقدرها الشارع التي المستحبة فلان تقديرها الواجب اولى ان
كان لستر التي فوق السطح ونحوها بناء او خشبة من وخذ ذلك
متبع في مطلق البيع لو كان في موضع مملوك جازت الصلاة اليه لانه جزء من البيت
وان كان هناك لبن واجر بعضه فوق بعض او خشبة معروضة عبر
مستمر ونحو ذلك لكن قبل فيما ذكره اصحابنا لانه ليس من البيت ويتوجه
ان يكتفي في ذلك بما يكون شاخصا في الصلاة لانه شي شاخص ولان حديث
ابن عباس وابن الزبير دليل على الاكتفاء بكل ما كان قبلة موقتة قال الخلال
والقاضي والمعدة عليها لا تتبع في مطلق البيع قلت وقد قال انما اكتفي بما سلم
نصبه ابن الزبير وان لم يتبع في مطلق البيع لانه حال ضرورة ولا ضرورة
بالمصلي الى الصلاة على ظهر الكعبة او باطنها او بمكة ان يتوجه الى جزء منها
او ان يستقبل جميعها والله اعلم وقال ابن حامد وابن عقيل في الواضح وابو المعالي
لو صلى الى الحجر من فرضه المعاينة لم تصح صلاته لانه في الشاهد والعيان
ليس من الكعبة البيت الحرام وانما وردت احاديث بانه كان من البيت وعمل
بتلك الاحاديث في وجوب الطواف دون الاكتفاء بها للصلاة وتصح
للعلتين وقال القاضي في التعليق يجزئ التوجه اليه في الصلاة وتصح
صلاته فلو توجه الى حائط الكعبة قال ابو العباس وهو قياس الذهاب
من البيت بالكعبة الثابتة المستقبضة وتعيين من شاهده من الخلق الكثير

شبكة الألوكة www.alukah.net

لتعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ۞ فصرت شطر اي نحوه
ومنه قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وشطر بصر تشطر
شطورا وهو الذي كأنه منظر اليك والى آخره روى الحاكم من حديث ابي
اسحق عن عير ابن زياد الكندي عن علي رضي الله عنه قول وجهك شطر
المسجد الحرام ثم قال شطره قبله ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهذا
قول ابي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع ابن
انس وغيرهم وكما تقدم في الحديث الآخر بين المشرق والمغرب قبلة ۞
حدثنا وكيع قال حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن البراء ان عازب قال صلى رسول الله
صلاة العصر وصلينا معه ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وكان
احب ذلك فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فقلبه الله قبلة
فقال السفهاء وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق
والمغرب فقال رجل مضى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم صلى صلاة العصر
صلاة العصر لمن صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون في صلاة العصر
نحو القبلة الاولى وانه توجه الى الكعبة فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر
احسن ما يكون فصلى الله على محمد وعلى اصحابه وسلم وبارك عليه وعليهم
تفرد به ابو عوانة عن ابي اسحق وقد رواه الثوري وشعبة وابو بكر النهشلي
وزهير بن معاوية وغيرهم عن ابي اسحق به وقد رواه البخاري ومسلم
من حديث البراء ايضا وقد رواه ابو داود الطيالسي عن شعبة وابو بكر النهشلي
وزهير بن معاوية وغيرهم عن ابي اسحق به وقد رواه البخاري ومسلم
من حديث البراء ايضا وقد رواه ابو داود الطيالسي عن شعبة وابو بكر النهشلي
وزهير بن معاوية وغيرهم عن ابي اسحق به

على

من كان معاينا للكعبة او كان بمكة من اهلها او نائيا عنها من وراء حائل
محدث كالجبل ونحوه فرضه التوجه الى عين الكعبة بقينا وهذا ان كان
بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لانه متيقن صحة قبلته فان النبي صلى الله عليه وسلم لا
يقر على الخطأ وقد روي عن امامه ان النبي صلى الله عليه وسلم ركع ركعتين قبل
القبلة وهذا هذه القبلة الثاني من فرضه الخبر وهو من كان بمكة غائبا
عن الكعبة من خبر اهلها وحد تخبره الخبر عن عين او مشاهدة مثل
ان يكون من وراء حائل وعلى الحائل من يخبره او كان غيبا ينزل بمكة
فاخبره اهل الدار وكذلك لو كان في مصر او قريه فرضه التوجه الى محاربهم
وقبلتهم المنصوبة لان هذه القبل ينصبها اهل الخبر والمعرفة فجرى
ذلك مجرى الخبر فاغنى عن الاجتهاد وان اخبره مخبر من اهل المعرفة بالقبلة
اما من اهل البلد او من غير صار الى خبره وليس له الاجتهاد كما يقبل
الحاكم النص من الصحة ولا مجتهد الثالث من فرضه الاجتهاد
وهو من عدم الحالتين وهو عالم بالادلة الرابع من فرضه التقليد
وهو الاعمى ومن لا اجتهاد له وعدم الحالتين ففرضه تقليد المجتهدين
والواجب على هذين وسائر من بعد من مكة طلب جهة الصدد دون
اصابة العين قال احمد ما بين المشرق والمغرب قبلة قال الخرقي الا القبلة
قليلا لم يعد ولكن يتحرى الوسط وبهذا قال ابو حنيفة ومالك والشافعي في
احد قوليه لقولنا والآخر الفرض اصابة العين لقول الله تعالى وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولانه يجب عليه التوجه الى اللغة
فلزمه التوجه الى عينها كالمعاين ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق
والمغرب قبلة رواه ت وقال هذا حديث حسن صحيح وظاهره ان جميع
ما بينهما قبلة ولانه لو كان الفرض اصابة العين لما صحت صلاة اهل الصف الطويل
على خط مستو لان صلاة اثنين متباعدين تستقبلان قبلة واحدة فانه
لا يجوز ان يتوجه الى الكعبة مع طول الصف الا بقدرها فان قيل مع البعد
تتبع المحاذي قلنا انما تتبع مع تقوس الصف اما مع استوائه فلا
وشطر البيت نحوه وقبله ۞ فصل فاما محاربو الكفار فلا
يجوز ان يتحرى لهم لان قوله لا تستدبروهم ادل لان يعلم
قبلتهم كالنصارى يعلم ان قبلتهم المشرق فاذا رأى محاربيهم في كنائسهم
علم انهم مستقبلة الشرق وان وجد مرايا لا يعلم هل هو للقبلة او لغيرها
من

من حديث سفيان الثوري وجنده انهم كانوا ركوعا فاستداروا كما هم الى
القبلة وهم ركوع وكذا روى مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس
مثله وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لاوامر الله عز وجل
رضي الله عنهم اجمعين ٥

اعصلكم الى بيت المقدس قبلا ذكره لصيغ اي صلاتكم

قوله تعالى وما كان الله ليضيع

ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم الرأفة اشد الرحمة قال ابو عبيد
الرأفة ارق من الرحمة قال ابو زيد رؤفت بالرجل أرؤف به رأفة ورآفة
ورأفت به أرأف ورئفت به رأفا وهو من كلام العرب مهموز ومنه
على فعول قال كعب بن مالك الانصاري رضي الله عنه

نطيع نبينا ونطيع ربنا هو الرحمن كان بنا رؤوفا

ورؤوف على فعول كقولك لحريز تري للمسلمين عليك حقا كفعل الوالد الرؤوف
الرحيم وقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة دين أي فيه مثل كآبة وكآبة
وقد رأفت به ورؤفت به والرؤوف من صفات الله تعالى العطوف المنعم
حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا ابو اسحق عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه
كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله نزل الانصار وانه صلى قبل
بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته
قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل
ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد كانوا اعجبهم
اذ كان يصلي قبل بيت المقدس واهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا
ذلك قال زهير حدثنا ابو اسحق عن البراء في حديثه هذا انه مات على
القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله
ليضيع ايمانكم ٥ حدثنا

قبل مكة

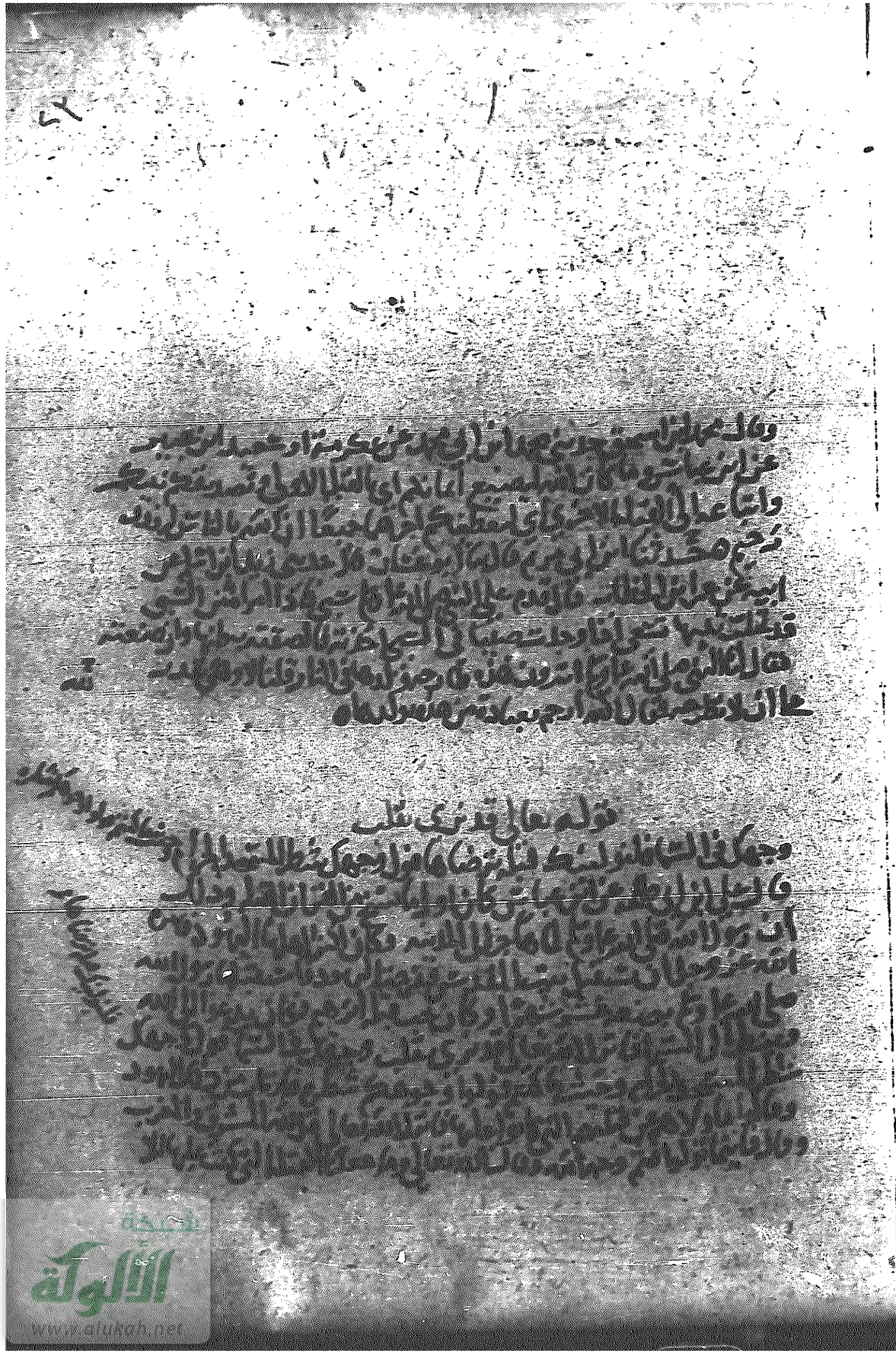

وقد وقع ما حررته من قولهم موتوا قبل موتكم فيما رواه البيهقي عن ابن الخطاب
رضي الله عنه قال مررت بجنازة فأثني عليها خيرا فقال عمر وجبت ثم مررت
بأخرى فأثني على صاحبها شرا فقال عمر وجبت ثم مررت بالثالثة فأثني على صاحبها
شرا فقال عمر وجبت فقلت ما وجبت يا أمير المؤمنين قال قلت كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قال
قلنا وثلاثة قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد
حدثنا يحيى بن سعيد عن جعيد عن أنس أن جنازة مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقيل لها خيرا وثنوا عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت
ثم مرت جنازة أخرى فقيل لها شرا وثنوا عليها شرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وجبت فقال أبو الأسود فقلت وما وجبت يا أبا حمزة قال أنا قلت كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم وجبت أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة
حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم قال أخبرني أبي عن أبي حازم عن سهل بن سعد
قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم برجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وجبت وجبت وجبت قال عمر فداء لك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خيرا
فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شرا فقلت وجبت وجبت
فقال أن تسلم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن تثنية عليه شرا وجبت له النار
أنتم شهداء الله في الأرض حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس
رضي الله عنه قال مر بجنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أثنوا عليه شرا
كان ما علمنا يحب الله ورسوله أثنوا عليه خيرا فقال وجبت ثم مر بجنازة
أخرى فقالوا أثنوا عليها شرا فقال وجبت فقال لو أنيتم لم أكن في دين الله قال وجبت أنتم شهود
الله في الأرض حدثنا يزيد أنا محمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال مر رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجبت ثم مر عليه بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرا فقال وجبت
الشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت أنتم شهداء الله في الأرض
حدثنا مؤمل قال أنا حماد قال أنا ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين أن قد قال
صدقت على علم منه وغفرت له ما لا تعلمون حدثنا يزيد أنا حماد بن
سلمة أنا ثابت عن أنس بن صفوان عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو في خطبته بالنباوة أو بالنباوة من الطائف
من سرة أن يعلم أهل الجنة من أهل النار فليأت أو خير أو حمر من سئل حمر ولا

اعله

اعلمه الا قال اهل الجنة من اهل النار فقال قائل من المسلمين يا رسول الله
قال بالثناء الحسن والثناء السيئ انتم شهداء بعضكم على بعض ٥

قوله عليه السلام وما بعدها

القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ٥ يقول تعالى انما شرعنا لك يا محمد
التوجه اولا الى بيت المقدس ثم صرفناك عنها الى الكعبة لنظهر حال من
يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيث ما توجهت ممن ينقلب على عقبيه
اي مرتدا عن دينه وان كانت لكبيرة اي هذه الفعلة وهو صرف التوجه
عن بيت المقدس الى الكعبة اي وان كان هذا الامر عظيما في النفوس
الا على الذين هدى الله ولهم وانقاد استصحوا الرسول وان كل ما جاء به
فهو الحق الذي لا مرية فيه وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فله ان
يكلف عباده بما شاء بينسخ ما يشاء وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع
ذلك خلاف الذين في قلوبهم مرض شك كل ما حدثنا مؤمل حدثنا حماد عن ليث
كما محص الذين امنوا ايقان وتصديق بما قال تعالى واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
وقال تعالى لقوم الذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر
وهو عليهم عمى وقال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا ولهذا كان ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه
في ذلك وتوجه حيث امر الله من غير شك ولا ريب من سادات الصحابة وقد
ذهب بعضهم الى ان السابقين الاولين من المهاجرين والانصار هم الذين صلوا
القبلتين حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني عبد الله بن دينار
قال سمعت عبد الله بن عمر يقول بينما الناس يصلون في مسجد قبا الغداة
اذ جاء جاء فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وامر ان
يستقبل الكعبة فاستقبلوها واستداروا وتوجهوا نحو الكعبة رواه الترمذي

هذه محل
ايمانا وهم
واما الذين في
مرض فزادتهم

وفيه هذا حصل لبعض الناس من اهل الفرق والريب والكفر من اليهود
ارتياب وزيغ عن الهدى وخبيط وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها اي ما الهم ولا نادرة تستغلون كثيرا وتارة كما نزل استقبال جوابهم
في قوله قل لله المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر اي
الشان كله في امتثال اوامر الله فحيثما توجهنا فثم طاعة الله
امتثالا لامره ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات تعبدنا له فنحن عبيده
وفي تصريفه وتحت امره حيث ما وجهنا توجهنا وهو تعالى له يتعبده
ورسوله محمد صلى الله وسلم عليه واستعانته عظيمه اذ هداهم الى قبله
ابيهم خليل الرحمن وجعل توجههم الى الكعبه المشرفه على اسمه تعالى وحده
لا شريك له اشرف بيوت الله والارض اذ هي مناسبة لابيهم الخليل عليه السلام
ولهذا قال تعالى قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
حديث وقد روى الامام احمد بن حنبل عن علي بن عاصم عن خصيف عن عبد الله بن
عبيد الله بن ابي مليكه عن عائشه قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني في الصلاة الكتابيه انهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعه التي
هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبله التي هدانا الله لها وضلوا عنها
وعلى قولنا خلف الامام امين ٥

قوله تعالى وكذلك جعلناكم
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يقول
تعالى ذاكرا نعمه على الامه بما جعل لهم من الشرع المطهر القويم
والمنهج المستقيم الذي هو خير الامور وانفعها وارشدها وهو الوسط
الخيار الاشراف العدول كما يقال قريش اوسط العرب نسبا ودارا

اي

خيرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه اي شريفا فيهم ومنه
الصلاة الوسطى التي هي افضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح
وغيرها ولما جعل الله هذه الامه وسطا خصها بأكمل الشرائع واقوم
المناهج واصح المذاهب كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال
ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا القرآن ليكون الرسول
شهيدا عليكم في كل شيء من امور الدين وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
اي عدلا وخيارا وقد فسر الوسط هاهنا بالخيار وبالعدل وكلاهما متلازم
والوجه الذي ذكرناه في تفسير الوسط هاهنا هو الذي دل عليه السياق
وهو قوله تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا اي ليشهد لكم يوم القيامة
فيما شهدتم له من الخير والشر كما ثبت في الصحيحين انه يؤتى بنوح
وقومه فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيقال لقومه هل بلغكم
فيقولون لا ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيدعى محمد وامته فيقال لهم بلغ هذا قومه فيقولون
نعم فيقول وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا فذلك
قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
فيكون الرسول عليكم شهيدا وفي حديث عبد الله بن يزيد قال ابو داود يعني
ابن ابي الهيثم قال ابو سعيد يعني ابن يزيد الاسود الدئلي قال اتيت المدينة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفيه هذا حصل لبعض الناس من اهل الفرق والريب والكفر من الرد
ارتياب ونبغ عن الهدى وخبيط وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها اي ما الموجب لانتقالهم وتحويلهم عنها وانزل الله تعالى جوابهم
في قوله قل لله المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر اي
الشان كله في امتثال اوامر الله فحيثما ما وجهنا توجهنا في الطاعة في
امتثال امره ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات تعدد له فمن عبيده
وفي تصريفه وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا وهو سبحانه الى هذه
وكونه تعالى اصلا سلامة عليه واستعانة عظيمة اذ هذه الامة الى قبله
ابراهيم خليل الرحمن جعل توجهها الى الكعبة المكلمة على اسمه تعالى وكل
لاشك انه اشرف بيوت الله والارض اذ هي منا بر ابيهم الخليل عليه السلام
ولله تعالى لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
حديث وقد روى الامام احمد ابن حنبل عن علي ابن عاصم عن حصين ابن عبد الرحمن
عن عمرو ابن قيس عن محمد ابن الاشعث عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
معشر نساء المؤمنات لا تحسدن ما على شيء كما حسدنا على يوم الجمعة التي
هدانا الله لها وضل عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها
وعلى قولنا خلف الامام امين ٥

قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية

وسطا اي عدولا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اي عدلا
تعالى انما حولنا كم الى قبلة ابراهيم عليه السلام واخترناها لكم لتكونوا خيار
الامم لتشهدوا يوم القيامة شهداء على الامم لان الحق معترفون لكم بالفضل
والوسط ها هنا الخيار والاجود كما يقال قريش وسط العرب نسبا ودارا

اي

وسطها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه اي اشرفهم نسبا ومنه
الصلاة الوسطى التي هي افضل الصلوات وهي العصر كما ثبت في الصحاح
وغيرها وقد جعل الله تعالى هذه الامة وسطا خصها بأكمل الشرائع واقوم
المناهج واصح المذاهب كما قال تعالى هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
حث على الدين الذي خرج منه ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم في كل شيء اخبر به من امور الدين فنحن نشهد
اي عدول ارضاء في شهادتنا عليهم لان الله تعالى جعلنا كما وصفنا
الجوهري الوسط الحال بين الجيد والردي وكذا الوسط بالتحريك
ومنه قوله تعالى اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي اعدلهم وخيرهم
وقوله تعالى فوسطن به جمعا اي توسطن جمعهم وقيل اثرن به وسطه
قومه اي خيارهم واشرافهم والاصل فيه ان الاوساط من الناس والاشراف
وخيط في نومه اذا كان وسطهم في الشرف والمحل وقيل وسط وساطة
وسطة حديث ابو معوية وابو الاحوص عن ابي صالح عن ابي سعيد
النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا قال عدلا وقيع قال الاعمش
عن ابي صالح عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم
امة وسطا وقيع عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم
فيدعى قومه فيقال لهم بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير وما اتانا من احد
فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته فذلك قوله وكذلك جعلناكم
امة وسطا قال الوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ قال ثم
اشهد عليكم ابو معوية وابو الاحوص عن ابي صالح عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل
والنبي ومعه الرجلان واكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم
هذا فيقولون لا فيقال لهم بلغت قومك فيقول نعم فيقال لمن شهد
لك فيقول محمد وامته فيدعى محمد وامته فيقال لهم بلغ هذا قومه فيقولون
نعم فيقول وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا فذلك
قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا والشهداء هم الذين استشهدهم الله
ويكون الرسول عليكم شهيدا ٥ حدثنا عبد الله ابن يزيد قال ابو داود ويعني
ابن ابي المثنى قال ابو عبد الله ابن يزيد نحن ابو الاسود الدئلي قال اتيت المدينة

شبكة الألوكة www.alukah.net

بمجرد النسبة اليهم حتى يكونوا امثلهم مقادين لاوامر الله واتباع رسله
الذين بعثهم مبشرين ومنذرين فانه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل
ولا سيما من كفر بسيدا لانبيا وخاتم المرسلين ورسول رب العالمين الى
جميع الانس والجن من سائر المكلفين صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر
انبيا الله اجمعين ٥

قوله تعالى سيقول السفهاء

ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من
يشا الى صراط مستقيم ٥ حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا ابو اسحق
عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال
من الامهم وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه
ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه
قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد
صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان
يعجبه ان يحول قبل البيت فما عجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس
وافهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك ٥ حدثنا عثمان
قال حدثنا زهير عن ابي اسحق عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي نحو بيت المقدس
فنزلت قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا
ركعة فنادى الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة قال فمالوا كما هم نحو القبلة ٥
قال محمد ابن اسحق بعدني اسمعيل ابن ابي خالد عن ابي اسحق عن البراء كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس وكثيرا ينظر الى السما منتظر
امر الله فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها
فول وجهك شطر المسجد الحرام فقال رجل من المسلمين وددنا لو علمنا
علم من مات منا قبل ان نصرف الى القبلة وكيف صلاتنا نحو بيت المقدس فانزل الله

تعالى

تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وقال السفهاء من الناس وهم اهل
الكتاب ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله تعالى سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة
قال ابو الحسن ابن عطيه وقال اسرائيل عن ابي اسحق عن البراء كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا
وكان يحب ان يوجه نحو القبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في
السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وافوجه
نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها فانزل الله تعالى قوله المشرق والمغرب يهدي من يشا الى صراط مستقيم
وقال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الى المدينة امرهم
ان يستقبلوا بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة
عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابرهيم فكان يدعو الله وينظر الى
السما فانزل الله عز وجل فولوا وجوهكم شطره اي نحوه فارتاب من ذلك اليهود
وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها فانزل الله تعالى قوله المشرق والمغرب
يهدي من يشا الى صراط مستقيم وقد جا في هذا الباب احاديث كثيرة وحاصل
الامر انه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرا باستقبال الصخرة من بيت المقدس
فكان يصلي بين الركنين ويكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة
بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة تعذر الجمع بينهما فامره الله بالتوجه
الى بيت المقدس فاشتد الامر على ذلك بضعة عشر شهرا وكان يحب الدعا
والابتهال ان يوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم عليه السلام فاجيب الى ذلك
وامر بالتوجه الى البيت العتيق فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واعلمهم
بذلك وكان اول صلاة صلاها اليها صلاة العصر واما اهل قبا
فبلغهم الخبر في صلاة الفجر من اليوم الثاني حديثا استحق اما مالك عن
عبد الله ابن دينار عن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح اذ اتاهم
آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عليه قرآن الليلة وقد امر ان يستقبل
الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة
وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله
وانه لا اثم على من صلى باجتهاد الى احدى القبلتين بعد النسخ وانه لا يلزمه اعادة الصلاة
وانه لا اثم عليهم لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشا والله اعلم وبما

ومنا حنفاء لله مسلمون وحزب له عابدون ۝ تسمعه الله ذبيحه
وقال اصله من صبغ النصارى اولادهم في ماء لهم ۝ وقال الضحاك عن
ابن عباس رضي الله وكذا روى عن مجاهد والعالية وعكرمة وابرهيم
والحسن وقتادة والضحاك وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع ابن
انس والسدي نحو ذلك ۝

وهو ربنا ونحن له مخلصون ۝ اي له الملك وله مخلصون ۝ الجوهري
وتقول اخلصته مخلصة اي خالصة وفي المثل لا يحك قرحتك الا ظفرك فهو رجل مخلاج
والنجاج الخالص ومخلصة مخلاج اذا سرت شعثة سالمة
لتعالجه ۝ الشوبري الفتح مخلص خلوصا اي صار خالصا وخلاصة
السمن بالضم ما خلص منه وقد خلصت السمن والاخلاص ايضا في
الطاعة ترك الرياء وقد اخلصت ثم الدين وخلصته فهي مخلصة وهذا شيء خالصة له اي خاصة واختلصته لنفسه اي اختصصته
وقوله تعالى اختلصه لنفسي اي اجعله خالصا لا يشركه فيه احد وقوله
تعالى انه كان مخلصا قرئ بالوجهين اي مخلصا طاعته وقوله تعالى انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار اي جعلنا خلصتهم لهم ومعنى خلصناهم اصطفيناهم ۝
يقول تعالى مرشدا نبيه صلوات الله وسلامه عليه الى ذم مجادلة
المشركين قل الحمد لله اي انتظرنا في توحيد الله والاخلاص له
والانقياد واتباع اوامره وترك زواجره وهو ربنا وربكم المتصرف فينا
وفيكم المستحق لاخلاص الالهية له وحده لا شريك له ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم اي نحن براء منكم وانتم براء منا كما قال في الاية الاخرى وان كذبوك
فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون وقوله تعالى فان
حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير
بالعباد وقوله تعالى اخبارا عن ابرهيم ومحاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد
هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما
افلا تتذكرون وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية وقال في هذه
الاية الكريمة ونحن له مخلصون اي نحن براء منكم كما انتم براء منا ونحن
له مخلصون اي في العبادة والتوجه ۝

سادس

قوله تعالى ام تقولون ان ابرهيم

واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم
ام الله ۝ انكر تعالى عليهم في دعواهم ان ابرهيم ومن ذكر بعده من الانبياء
والاسباط كانوا على ملتهم اما اليهودية او النصرانية فقال قل ءانتم اعلم ام الله
يعني بل الله اعلم وقد اخبر انهم لم يكونوا هودا ولا نصارى كما قال تعالى
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعيد شديد اي علمه محيط
بعملكم وشيء منكم عليه ۝

قوله تعالى تلك امة قد خلت

لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون اي قد مضت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم اي لهم اعمالهم ولكم اعمالكم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون وليس يغني عنكم انتسابكم اليهم من غير متابعة منكم لهم ولا تغترروا

شبكة الألوكة www.alukah.net

انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم
ونحن له مسلمون ۝ حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال اخبرني
حسين بن واقد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر في اول
ركعة آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون ۝ قال ابو العالية والربيع وقتادة الاسباط
بنو يعقوب اثنا عشر رجلا ولد كل رجل منهم امة من الناس فسموا الاسباط
وان قتادة ذكر لنا ان الله امر المؤمنين ان يؤمنوا به ويصدقوا بكتبهم ورسلهم وقال
تعالى ان جبيلا عالمنا ان قوما من التوراة والانجيل ولا نعلم ما فيهما وقال
الخازن الاسباط قبائل بني اسرائيل وقال الخليل ان احد وعشرين الاسباط
في بني اسرائيل كالقبائل في بني اسمعيل وهذا يقتضي ان المراد بالاسباط هاهنا
شعوب بني اسرائيل وما انزل الله من الوحي على الانبياء الموجودين منهم
قال الله يا موسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا
والجمهور امما ۝ السبط واحد الاسباط وهم ولد الولد والاسباط من بني اسرائيل
كالقبائل من العرب وهو قوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما فانما اتت
لانه اراد اثنتي عشرة فرقة ثم اخبر ان الفرق اسباط ولم يرد الاسباط التي
ولكنه يدل على اثنتي عشرة لان التمييز لا يكون الا واحدا منكورا كقولك
اثني عشر درهما ولا يجوز دراهم وقال الازهري الاسباط في ولد اسحق
بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل فيما ذكروا لك ليفصل من الاحد
قال ومعنى القبيلة حي الجماعة قال الكل جماعة امر واحد قبيلة
وقال الكل جمع منا باء حتى قيل بلغاء ثم قال الاسباط اشتقاقها
من السبط وهو شجر الاغصان كثيرة واصلها واحد فكانت الولد بمنزلة
الشجر والاولاد بمنزلة اغصانها وقال الزجاج سميت الاسباط
قال ابو بكر اي امة من الامم في الخبر فعلى هذا القول بعد الاسباط
من ولد اسحق بمنزلة القبائل في ولد اسمعيل فهو واقع على الاثنين وما فوقه
واقعه عليه ومفعول قولوا محذوف اي اقولوا امنا وترجع عن الاسباط فما بعده وفي

حديث اخر الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
قال ثعلب ابن الاعرابي عن الاسباط فقالهم خاصة الاولاد

فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
يقول تعالى فان امنوا اي الكفار من اهل الكتاب وغيرهم بمثل ما امنتم به
ايها المؤمنون من الايمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين احد منه فقد اهتدوا
اي فقد صاروا الى الحق ورشدوا اليه وان تولوا اي عن الحق الى الباطل بعد قيام
الحجة عليهم فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله اي فسيحرسك عليهم ويظفرك
بهم وهو السميع العليم ۝ والمشاقة الخلاف والعداوة
وسمي الشق شقا لان كل واحد من المتخالفين يصير في شق غير شق صاحبه
حاتم قرئ على يونس بن عبد الاعلى انا ابن وهب اخبرني ابن ابي ذئب
قال انا نافع ابن ابي نعيم قال ارسل الي المنصور الخليفة محمد بن عمران بن ابي ليلى
ليفضي قال فدخلت فاذا محمد بن عمران المنصور كان في مجلس مرتفع
الدرج على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال نافع بصرت عيني آدم
على هذه الاية وقد قرئ

ذلك قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فجعت هذه الاية جميع ما اوتي الصبي
التي هي اشرف الاداب وما عداها من التكليف التي هي تخلية وتحلية انما هي
مراوضة الناس وتمرينهم وكفى بهذه الاداب شرفا وفخرا قال صلى الله
على نبينا وعلى ابرهيم وعلى الهما وعلى سائر النبيين وقد شهد الله سبحانه
له بانه وفى ما امر به فقال تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى
قال ابن عباس وفى جميع شرائع الاسلام ووفى بما امر به من تبليغ الرسالة
وقال تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس
اماما فلما قام بما امر به من الكلمات جعله الله اماما للذين ياتمون به يكون
صلى الله عليه وسلم كما قبل قلبه للحجر ولده للقربان وبدنه للنيران وماله للضيفان
ولما اتخذه ربه خليلا والخلة هي كمال المحبة وهي منزلة لا تقبل الشركة
والمزاحمة وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم اذا صلى قال في دعائه اللهم
فاخذ هذه الملة الشنيعة من قلبه فقار الخليل على حوله خليله ان يكون فيه مكانا
لغير فامتحنه بذبحه ليطهر سره الخالي في تقديمه محبة خليله على محبة ولده
فلما استسلم لامر ربه وعزم على فعله وظهر شيطان الخلة في الاقدام
على ذبح الولد اثر المحبة خليله على محبة ولده ذلك عنه وفداه
بالذبح العظيم لان المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين النفس
على ما امر به فلما حصلت هذه المصلحة عاد الذبح في حقه معدة للنسخ في
حقه وصار الذبح والقرابين من ايدانا والضحايا باسمه في اتباعه الى
يوم القيمة وهو الذي فيه للامة ثواب مناظرة الشيخين واهل الباطل
وكسر حجتهم وقد ذكر الله سبحانه مناظرته في القرآن مع امام المعطلين
ومناظرته مع قومه المشركين وكسر حجج الطائفتين باحسن مناظرة واقربها
الى الفهم وحصول العلم قال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم واذ اراد سبحانه اغاظة عدوه بالحجة واعلاء
اعدائه سمعه بالحجة وظهر بحجته عليهم وكسر اصنامهم فكسر حججهم
ومعبودهم هو اعقوبته والقاءه في النار وهذا شان السلطان اذا
غلبوا واقامت عليهم الحجة هموا بالعقوبة كما قال فرعون لموسى ولئن اقمت
عليه الحجة لان اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فاضرموا في له
النار

النار والقوه في المنجنيق فكانت تلك القفزة من اعظم قفزاتها
وابركها على فاقة ما شاقر قفزة ابرك ولا اعظم ولا ارفع لشانه واقر
لعينه منها وفي تلك القفزة عرض له جبريل بين السماء والارض فقال يا ابرهيم
الك حاجة قال اما اليك فلا قال ابن عباس في قوله تعالى الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل قال لها نبينا ومولانا ابرهيم حين القي في النار فجعل الله سبحانه النار عليه
بردا وسلاما وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث ام شريك انها قالت
صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ وقال كانت تنفخ على ابرهيم صلى الله عليه وسلم
واذن في الناس بحجه فحجوا من حجه واعتمر حصل لابرهيم من يزيد يوم الى يوم
واكم يتعدد الحجاج والمعتمرين قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى فامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتخذ من مقام
ابرهيم مصلى حقيقا للاقتداء واحيا اثاره صلى الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين
وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

قوله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين
احد منهم ونحن له مسلمون اشار الله تعالى عباده المومنين الى الايمان
بما انزل اليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل على الانبياء
المتقدمين مجملا ونص على الايمان من الرسل واجل ذكر بقيته الانبياء ايهم
لا نفرق بين احد منهم بل نومن بهم كلهم ولا نكون كاليهود والنصارى
الذين امروا ان يومنوا بالله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وكل ما يجب الايمان به اشار لنا عز وجل الى ان ايماننا
عن علم اني ان ذلك عند الله تعالى عز وجل وهو ما انزل الله على انبيائه
التوراة التي انزلها على موسى وغيره من انبياء بني اسرائيل والانجيل الذي انزله
على عيسى والصحف التي انزلها على غيرهما من الانبياء ولا نصدق اهل الكتاب ولا نكذبهم وقولوا امنا بالله وما

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان خير بنيه سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم جمله وبعضه وبجمله
وختمه ففي الصحيح من حديث الحسن بن علي عن ابن مالك رضي الله عنه
والجار بعل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاك ابراهيم وشبه شبهه وثبت في صحيح البخاري من حديث سعيد بن
جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم محشورون حفاة عراة
غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وأول
من يكسى ابو الانبياء ابراهيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه الخلق به حتى
في الصحيح انه قال رأيت ابراهيم وإذا اقربكم شبها به صاحبكم يعني
نفسه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ صحيح انفر فانظروا الى صاحبكم وكان صلى الله عليه وسلم
يعوذ اولاده حسنا وحسينا بتعويذ ابيهم لا سمعيل واسحق وفي
صحيح البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحسن والحسين يعوذ ابا كما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق اعوذ بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان صلى الله عليه وسلم اول
من اقرأ الضيف واول من اختتن واول من اشاب فقال يا رب ما هذا فقال
وقار يا رب زدني وقارا وتأمل ثناء الله سبحانه وتعالى عليه في اكرام ضيفه
من الملائكة حيث يقول سبحانه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل
سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون ففي هذا من الثناء على ابراهيم وجوه احدها متعدده
انه وصف ضيفه انهم مكرمون وهذا على احد القولين انه من اكرام ابراهيم
والثاني انهم المكرمون عند الله والثاني من القولين لا يدل على
المعنيين الثالث انه لم يأذن لهم في الاكل فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل
على انه صلى الله عليه وسلم كان قد عرف باكرام الضيفان واعتيادهم فبنى
عليه ان مضيفه مطيع قال ورد لا يحتاج الى استئذان بل الاذن
الحاصل دخوله وهذا غاية ما يكون من الاكرام الثالث قوله سلاما فرفع
وهم سلموا عليه بالنصب والسلام ارفع من السلام فانه يدل على الثبوت
الدائم على الثبوت والتجدد والمنصوب يدل على الفعل فليس الثاني على الثبوت
والتجدد فابرز لهم تحيته احسن من تحيتهم فانهم سلاما بذلك
على سلمنا سلاما وقوله سلام اي سلام عليكم الرابع انه حذف المبتدأ من قوله
قوم

قوم منكرون فانه لما انكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بالتعنيف
الضيف لو قال لا نعرفكم قوم منكرون فعدل الى المبتدأ هنا من لطف الكلام
الخامس انه بنى المفعول للمفعول وحذف فاعله فقال منكرون ولم يقل انى
انكركم وهو احسن في هذا المقام وابعد من التعنيف والمواجهة بالخشونة
السادس انه راغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان هو الذهاب في اختفاء
حيث لا يكاد ان يشعر به وهذا من كرم رب المنزل المضيف ان يذهب
في اختفاء حيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحي فلا يتمكن به الا
وقد جاء بالطعام فلا يرى من يستحي ضيفه او لمن حضر منكم حتى يأتي بالطعام
وفي ذلك ما يوجب حيا الضيف واحتشامه السابع انه ذهب الى
اهله فجاء بالضيافة فدل على ان ذلك كان معدا عندهم مهيأ للضيفان
ولم يحتج ان يذهب الى غيرهم من جيرانه او غيرهم فيشتريه او يستقرضه
الثامن قوله فجاء بعجل سمين دل على خدمة للضيف حيث لم يقل فأمر لهم
بل هو الذي ذهب وجاء بنفسه ولم يستنب خادمه وهذا ابلغ في اكرام الضيف
التاسع انه جاء بعجل حامل وليست بمضيعة منه وهذا من تمام كرمه
حيث انه اوثر الضيف بشرائه سمينا لا هزيلا ومعلوم ان ذلك من اغلى اموالهم
ومثل هذا يحتاج للاقتداء والتربية فاشتراه بضيافة المادي شراءه قربه
اليهم بنفسه لم يأمر خادمه بذلك الثاني شراءه قربه اليهم ولم يقربهم اليه
وهذا ابلغ في الكرامة ان يقبل الضيف ثم يقرب الطعام اليه ويحمله الى
حضرته ولا يضع الطعام في ناحية ثم امر ضيفه ان يتقرب اليه
الثالث عشر انه لم يأكلوا وهذا غرض ولطف في القول وهو
احسن من قولهم كلوا وامدوا ايديكم ونحوها وهذا مما يعلم التأمل معه قولهم
حسنه ولطفه ولهذا يقولون تشبه الله او لا تتصدقوا الا بجيد وبخو
ذلك الرابع عشر انه لما عرض عليهم الاكل لانه رآهم لا يأكلون ولم يكن
ضيفه محتاجون معه الى الاذن في الاكل ان اذا قدم الطعام اكلوا
وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الاكل قال لهم الا تأكلون ولهذا احتشم
خيفة ان يحتقرها او ضرها في نفوسهم ولبدائهم وهو الوجه الخامس عشر
فانهم لما امتنعوا من الاكل لطعامه خاف منهم ولم يظهر ذلك فلما علم الملائكة منه

وتعالى انه بعد هذه الاشياء غفور رحيم لمن فعلها فالعالم يضع الرجاء موضعه والجاهل المغتر يضعه في غير موضعه ٥

قوله تعالى وقالوا كونوا هودا

او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ٥ الحنيف المائل وقد سمى المستقيم بذلك كما سمي الغراب اعور وخنف الرجل اي مال عمل الفقيه وقال احتش وقيل للمختار للاصنام وتعبد وقوله تعالى بل ملة ابرهيم حنيفا قال ابن عرفه فان قيل ان الخنف الاستقامة فما قيل للمائل الرجل احنف قلنا ولا بأس لاستقامة وقال الازهري معنى الحنيفية في الاسلام الميل اليه والاقامة على عهده قال والخنف اقبال احدى القدمين على الاخرى فالحنيف الصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه وقال ابو عبيد الحنيف عند العرب من كان على دين ابرهيم عليه السلام ٥ قال محمد واخبرني حدثني محمد بن ابي محمد عن حدثني سعيد بن جبير او عكرمة عن ابن عباس قال قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله عز وجل قل لا نكون اليهود او نصارى تهتدوا وقوله تعالى بل ملة ابرهيم حنيفا اي لا نريد ما دعوتمونا اليه من اليهودية بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اي مستقيما قاله مجاهد وكعب القرظي وعيسى ابن جارية وقال الخصيف مخلصا ٥ وقال مجاهد والربيع ابن انس حنيفا اي متبعا وقال ابو قلابة الحنيف الذي يؤمن بالله كله من اوله الى آخره وقال ابو قتادة الحنيفية شهادة ان لا اله الا الله يدخل فيها تعريم الامهات والبنات والخالات والعمات وما حرم الله عز وجل والختان ٥ قال سعيد وقال ابن عباس وقوله تعالى اتباع ملة ابرهيم فهو الاب الثالث بعد آدم ونوح وعود الضمير الى امة الحنيفا الذي اتخذه الله خليلا وجعل النبوة والكتاب في ذريته ذاك خليل الرحمن وشيخ الانبياء كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانه لما دخل الكعبة وجد المشركين قد صوروا فيها صورته وصورة اسمعيل ابنه وهما يستقسمان بالازلام قال قاتلهم الله لقد علموا ان شيخنا لم يكن يستقسم بالازلام وقال ما شأنه وشأن الازلام ثم امر بمحوها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان متبع ملة احد من الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وامر امته بذلك فقال تعالى هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا وما منصوب على اضمار فعل اي اتبعوا واتبعوا ملة ابرهيم ودل على المحذوف ما تقدم من قوله وجاهدوا في الله حق جهاده وهذا هو الذي يقال له الاغرا وقيل منصوب باشغال الصادق والعامل فيه مضمون ما تقدم قبله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصبح وامسى اصحابه اذا اصبحوا واذا امسوا ان يقولوا اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين وتامل هذه الالفاظ كيف جعل الفطرة للاسلام فانه فطرة الله التي فطر الناس عليها وكلمة الاخلاص هي شهادة ان لا اله الا الله والملة لابرهيم فانه صاحب الحرم وفي التوحيد وعباده الله وحده لا شريك له صحبته كل من فوق صحبته والدين النبي صلى الله عليه وسلم وهو دينه الكامل وشرعة التام الجامع لذلك كله وسماه الله سبحانه اماما وامة وقانتا وحنيفا قال تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فاخبر سبحانه انه جعله اماما للناس وان الظالم من ذريته لا تناله اذ رشحه الامامة والظالم هو المشرك واخبر سبحانه ان عهده بالامامة لا تنال المشرك به وقال تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين فالامة هو القدوة والمعلم للخير والقانت المطيع لله الملازم لطاعته والحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه ومن قيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فالاسلام منقاد موضوع للانقياد والتسليم ملازم المعنى فان الحنف هو الاقبال ومن اقبل على شيء اعرض عن غيره والحنف في الرجلين هو اقبال احداهما على الاخرى ويلزم ميلها من جهتها قال الله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها حنيفا هو حال مقررة لمضمون قوله فاقم وجهك للدين وله اقترن مخلصا فتكون الاية قد تضمنت الصدق والاخلاص فان اقامة الوجه للدين هو افراد طلبه بحيث لا يبقى في القلب ارادة لغير والحنيف الفرد لمعبوده لا يريد بتحنفه الصدق ان لا ينقسم طلبك والاخلاص ان لا ينقسم مطلوبك الاول توحيد الطلب والثاني توحيد المطلوب والمقصود ان ابرهيم حلى الله عليه وسلم هو ابونا الثالث وهو امام الحنفا ويسميه اهل الكتاب عمودنا الفاضل وجميع اهل الملل متفقة على تعظيمه وتوليه ومحبته

قيل

والظلم والمخالفات فاز وحشة المعاصي والظلم والاجرام تمنعه من حسن الظن
بربه وهذا موجود في الشاهد فان العبد الابق المسيء الخارج عن طاعة
سيده لا يحسن الظن به ولا يجامع وحشة الاساءة احسان الظن ابدا فان
المسيء مستوحش بقدر اساءته فاحسن الناس ظنا بربه اطوعهم له كما
قال الحسن البصري ان المؤمن احسن الظن بربه فاحسن العمل وان الفاجر
اساء الظن بربه فاساء العمل فصحيح يكون حسن الظن بربه من هو شارد
عنه حارم نخل في متاجر حظه وفي ما يعتضه متعرض للعتب قد
هان خفه واسي عليه فاضاعه وهان سهية عليه فاركبه واوبقه
وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة وعاداه وليه ووالى اعداءه وعصاه
حاله واستعمل الظن مما وصف به نفسه ووصفه به رسله وظن جهله
ان ظاهر ذلك ضلال وكفر وكيف يحسن الظن بمن ظن انه لا يتكلم الا
بامر ولا ينهى ولا يرضى ولا يغضب وقد قال تعالى فوحق من شك في تعلق
سمعه بعض الجزويات وهو السمع من القول وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
اردا كم فاصبحتم من الخاسرين فيه ولا تظنوا ان الله سبحانه لا يعلم كثيرا
مما تعملون كان هذا استاء ظنهم بربهم فاذا دام ذلك الظن وهذا شان
كل من حمل صفات كماله ونعوت جلاله وصفه بما لا يليق به فاذا ظن هذا
انه يدخل الجنة كان هذا غرورا وخداعا من نفسه وتسويلا من الشيطان
لا احسان ظن به فتامل هذا الموضع وتامل شدة الحاجة اليه وكيف
يجتمع في قلب العبد تيقنه بانه ملاق الله وان الله سميع عليم
وسرى مكانه ويعلم نظره وعلانيته ولا يخفى عليه خافية من امره وانه موقوف
بين يديه ومسئول عن كل ما عمله وهو مقيم على مستاخظه مضيع لاوامره
معطل لحقوقه وهو مع هذا محسن الظن به وهل هذا الا من خدع المغرور
وغرور الامانى وقد قال ابو امامة ابن سهل ان حنيف دخلت انا وعروه
ابن الزبير على عايشة رضي الله عنها فقالت لعروة انما رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرض له وكانت عندي ست دنانير او سبعة فامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان افرقها قالت فشغلني وجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى علمه الله تشغلني
عنها فقال ما فعلت اكنت فرقتي الستة دنانير قلت لا وابيك لقد كان

شغلني

شغلني وجعك قالت فدعا بها فوضعها في كفه فقال ما ظن محمد بن الله
لو لقي الله وهذه عنده وفي لفظ ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده
فيا لله ما ظن اصحاب الكبائر والظلم بالله ومظالم العباد عندهم
فان كان شفعهم قولهم حسنا ظننا بك لم يعذب ظالما ولا فاسقا فليصنع
العبد ما شاء وليترك كل ما نهاه الله عنه وليحسن ظنه بالله فان النار لا
تمسه فسبحان الله ما بلغ الغرور بالعبد وقد قال ابراهيم لقومه افكا
الهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين اي فما ظنكم به ان فعل
بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ومن تامل هذا الموضع حق التامل علم ان
حسن الظن بالله هو حسن العمل فان العبد انما يحمله على حسن العمل
ظنه بان جازيه على عمله واثيبه عليه وتقبله منه فالذي حمله على العمل
هو حسن الظن فكلما حسن ظنه حسن عمله والافحسن الظن مع اتباع الهوى
محال كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وبالجملة حسن الظن انما يكون مع انفقاد اسباب النجاح وانما مع انفقاد اسباب
الهلاك فلا سبيل الى احسان الظن فان قيل بل تتبين ذلك ويكون حسن
الظن تبعه من الله ورحمته وعفوه وجوده وان رحمته تسبقت غضبه
وانه لا يتعاظم العقوبة ولا يضره العفو قيل الامر كذلك ولله فوق ذلك
واجل واكرم واجود وارحم ولكن انما يضع ذلك في محل اللائق به فانه سبحانه
موصوف بالحكمة والعزة والانتقام وشدة البطش وعقوبة من تحقت العقوبة
فلو كان مقتضى حسن الظن على مجرد صفاته واسمائه لاشترك في ذلك ابر
والفاجر وليه وعدوه فما تنفع الحكمة لنبيه ووصفائه دعاء بسخطه
وغضبه وتعرضه للعقوبة واوضح في الحكمة وانتهاك حرمانه بل حسن الظن
نفع من تاب وندم فاقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل ربه عز وجل بالخير
والطاعة وحسن الظن فهذا حسن ظنه والا فمغرور وامنية المتمنين
ولاجل هذا الفصل قال الله تعالى لمن اراد ان يشهد له احد انه في الجنة حسن
الظن بالله وبين الخير به فقال ان الذين استولوا منكم يوم التقى الجمعان
بامر الله واعتصموا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله اهؤلاء اهل
الرجاء لا والله بل اهل الخوف فهؤلاء ان ربك للذين هاجروا من
بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم سبحانه

نسخة الألوكة

وكثرة التردد الى القبور وهم والتضرع اليهم والاستشفاع بهم والتوسل
الى الله بهم وعوالله تعالى عليه وحرمهم عند الله ومنهم من يغتر باباحة واتكاله
وان له عند الله مكانة وصلاحا فلا يدعون ان يخلصوه كما يشاهد في حصص
الملوك فان الملوك تهب لخواصهم ذنوب اتباعهم واقاربهم واذا وقع احد
منهم في امر مقطع خلصه ابوه وجده بجاهه ومنزلته ومنهم من يغتر بان الله
تعالى غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيأ ورحمته لا تنتفس من ملكه
شيأ فيقول انا مضطر الى رحمته وهو اغنى الاغنياء ولو ان فقيرا ما كيا
يضطر الى شربه ما عند من في داره شط بحري لا منعه منها فانا كرم واوسع
فالمغفرة لا تنقصه شيأ والعفو به لا تزيد في ملكه شيأ ومنهم من يغتر بمن قاسه
فهمه هو واضرابه من نصوص القرآن والسنة فاتكلوا عليه كما تكل
بعضهم على قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى فالوا وهو لا يرضى
ان يكون في النار احد من امته وهذا من ابرد الجهل وامن الكذب عليه
فانه صلى الله عليه وسلم ما يرضى به ربه عز وجل وادناه تعالى من رضاه تعذيب
الظلمة والفسقة والمفوته والمتجبرين على الكبائر فجاء شفاعته صلى الله عليه وسلم ان
لا يرضى به ربه تبارك وتعالى وكما تكل بعضهم على قوله تعالى ان الله
يغفر الذنوب جميعا وهذا ايضا من ابرد الجهل فان الشرك داخل في هذه الآية
في حق التائبين فانه يغفر ذنب كل تائب مهما كان ولو كانت الآية في
حق غير التائبين لبطلت نصوص الوعيد كلها واحاديث الخراج قوم من الموحدين
من النار بالشفاعة وهذا الى اي صاحبه من قلة علمه وفهمه فانه سبحانه وتعالى
عمم واطلق فعلم انه اراد التائبين وفي سورة النساء خصص وقيد فقال
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاخبر سبحانه
انه لا يغفر الشرك واخبر انه يغفر ما دونه ولو كان هذا في حق التائب لم يفرق
بين الشرك وغيره وكما غتر بعض الجهال بقوله تعالى الا من شاء ان
يمرح بربي الكريم فتوكل كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته
وهذا جهل قبيح وانما غره به الغرور وهو الشيطان وبئس الاله بالتلقين
وجهل وهواه وابى سبحانه لفظ الكريم وهو الشيء العظيم الجواد الذي
لا ينبغي الاغترار به ولا اهل احقه فوضع هذا المغتر الغرور في غير موضعه
واغتر من لا ينبغي الاغترار به وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار لابثين
الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله اعدت للكافرين وهذا من هذا المغتر ان

قوله

قوله في نفوذ شيء ناقل ظني هو لنا بخصوصه من جملة دركات جهنم ولو كانت
جميع جهنم فهو شحانه لم يقل لا يدخلها بل قال لا يصلاها الا الاشقى ولا يلزم
عدم صليها عدم دخولها فان للصلي اخص من الدخول وفي الاخص لا تلزم
في الاعم ثم ان هذا المغتر لو تامل الآية التي بعدها لعلم انه غير داخل فيها
فلا يكون مخصوصا له ان جعلها وامثاله في النار اعدت للكافرين وقد
قال في الجنة اعدت للمتقين ولا بد في اعداد النار للكافرين ان يدخلها الفساق
والظلمة ولا بد في اعداد الجنة للمتقين ان يدخلها من في قلبه ادنى مثقال
ذرة من ايمان ولم يعمل خيرا قط وكاتكال بعضهم على صوم يوم عاشورا
او تزوم عرفه حتى يقول بعضهم يوم عاشورا يكفر ذنوب العام كلها وبيقا
صوم يوم عرفه زاده في الاجر ولم يذهب المغتران صوم رمضان والصلوات
الخمس اعظم واجل من صيام يوم عرفه ويوم عاشورا وهي انما تكفر ملتها اذا
اجتنبت الكبائر ورمضان والجمعة الى الجمعة لا تقوى على تكفير الصغائر
مع اقتحام من تكاثر بها ليلها فكيف يقوى مجموع الامرين على تكفير الصغائر
فكيف بتكفير صوم يوم تطوع كل سنين عملها العمر وهو مصر عليها
غير تائب منها هذا محال على انه لا يمتنع ان يكون صوم يوم عرفه ويوم
عاشورا مكفرا للجميع ذنوب العام على عمومه ويكون من خصوص العام
التي لها شروط وموانع ويكون اصرانه على الكبائر وما تكاثر التكفير فاذا
لم يصر على الكبائر تبتا عدا الصوم وعدم الاصرار وتعاونا على عموم
التكفير كما كان رمضان والصلوات الخمس مع اجتنابه الكبائر متعاونا
متعاونين على تكفير الصغائر مع انه سبحانه قد قال ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فعلم ان جعل الشيء سببا للتكفير لا
يمنع ان يتعاضد هو وسببا اخر على التكفير ويكون التكفير مع اجتماع
السببين اقوى واتم منه مع انفراد احدهما وكما قوينا شان التكفير
كان اقوى واتم واشمل وكما تكال بعضهم على قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه
انا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء بمعنى ما كان في ظنه اني فاعله
به فلا يرجو الا خيرا فان حسن الظن انما يكون مع الاحسان فكل الحسن الظن بربه
انه جاد بما على الغفران ولا يخلف وعده ويقبل توبته واما المصر على الكبائر

واتكاله

وهم لا يظلمون وقال تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد وقال تعالى
ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقال تعالى حكاية
عن قارون وأولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه
قوة ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى فإذا نفخ في
الصور فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون
وقال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه
وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا
مولود هو جاز عن والده شيئا وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا
ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقال تعالى إن تكفروا فإن الله غني
عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى
ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور وقال
تعالى ولا تعلم نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون

حدثنا معويا بن عمرو قال نا أبو إسحاق الفزاري عن عبد الملك عمير عن موسى بن
طلحة عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم
من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني عبد مناف
أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب
أنقذوا أنفسكم من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبلها
ببلالها حدثنا معونة قال نا عبد الله بن المبارك قال نا أبو بكر بن أبي مريم
عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب
يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من الله لا أملك لكم من الله شيئا يا أبا الزبير عمه
رسول الله

رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من الله لا أملك لك من الله شيئا
سليني من مالي ما شئت لا يلفيك يوم القيامة تلقاه بنته له ولعمري إن المعصية
والغفلة من الآثام المصر له في دنياه وآخرته ولا بد ولكن تعالى بنته
بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة وبالتسويف بالتوبة تارة وبالاستغفار
باللسان تارة وبفعل المندوبات تارة وبالعلم تارة وبالاحتجاج بالقدر تارة
وبالاحتجاج بالاشباه والنظراء لا قدما بالكبائر وكثير من الناس يظن
أنه لو فعل ما فعل من قال استغفر الله ذنبي الذنب وكان هذا هذيان من لا تأمل
لي رجل من المتفقهين إلى الفقه إني أفعل أفعل ثم أقول سبحان الله وبحمده مائة مرة
وقد غفر ذلك أجمع حدثنا شيخ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال في يوم مائة مرة من
حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وقال لي آخر من الملائكة خذ أحدنا
إذا فعلها فعل ثم اغتسل وطاف بالبيت أسبوعا فقد مضى عنه ذلك وقال
آخر قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال أذنب عبد ذنبا فقال أي رب أصبت
ذنبا فاغفر لي فغفر له ذنبه ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال
أي رب أصبت ذنبا فاغفر لي فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا فقال
أي رب أصبت ذنبا فاغفره لي فقال الله عز وجل علم عبدي أن له ربا يغفر
الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليصنع ما شاء قال وأنا لا أشك أن
لي ربا يغفر الذنب ويأخذ به وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص
الرجاء واتكل عليها وتعلق بهبكلتا يديه وأذا عوتب على الخطايا والانهماك
فيها ستر ذلك بما حفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء
وكم لهذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب تقول
بعضهم ما وكم ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم
وقال الآخر التمس من الذنوب جهدك ليسعه عفو الله وقول الآخر
ترك الذنوب جراءة على مغفرة الله واستصغار لها وقال أبو محمد
ابن حزم رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من العصمة
ومن هؤلاء المغرورين من تعلق بمسألة الجبر وأن العبد لا فعل له البتة
ولا اختيار وأنا هو محمول على فعل الماضي ومن هؤلاء من يقول الإيمان
وأن الإيمان هو التصديق فقط لا أعمال البتة من الإيمان وأن الإيمان الناقص
كالماء الزعاق وسبيل ومن هؤلاء من يقول بجهة الاغترار والمشاغبة والله الموفق

قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين اى امره الله تعالى بالاخلاص له والتسليم
والانقياد فاجاب الى ذلك شرعا وتدرا ○ والاسلام فرضه الله تعالى لانه
انه دينه الذى لا يقبل من احد سواه وبالاسلام بعثا الله جميع النبيين قال تعالى
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين وقال
تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال لنوح عليه السلام ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه
ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اى اوصى بهذه الملة وهى الاسلام بنيه لحرصهم عليها وحبهم لها حافظوا
عليها الى حسن الوفاة ووصاهم ايضا يعقوب من بعدهم ○ بانى ان الله اصطفى
لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون اى احتفوا فى حال الدنيا بالزهد الى حال
الله الوفاة عليه فان المرء يموت غالبا على ما كان عليه وبعث على ذلك
عليه وقد اجرى الله الكريم عادته ان من قصد الخير وفق له وتيسر عليه
ومن قوى صالحاته عليه وهذا لا يعارض ما جاء فى الحديث ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها لانه قد جاء فى بعض روايات هذا الحديث فيعمل
بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وبعمل اهل النار فيما يبدو للناس
وقد قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ○

اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا
نعبد الاهك واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا
ونحن له مسلمون ○ يقول تعالى محتجا على المشركين من العرب لما
استبعدوا وعظم الكفار من بنى اسرائيل وهو يعقوب ان يوحى الله
عليهما السلام بان يعقوب لما حضرته الوفاة اوصى بنيه بعبادة الله
وحده لا شريك له فقال لهم ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك
واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق وهذا من باب التغليب لان اسمعيل
عم يعقوب وليس بجد له الها واحدا اى نوحده بالالوهية ولا نشرك به
شيأ نحن له مسلمون اى مطيعون خاضعون خائفون راجون تعالى الله
اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون هذا الاسلام
هو ملة الاسلام قاطبة وان تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم
كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومن رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
والايات فى هذا كثيرة والاحاديث فيها هو كثير كما ذكرنا من غير واحد من غير واحد
الانبياء اولاد علات دينهم واحد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشرفيه البيضا منها ولهذا جاء في الصحيحين لا تزال طائفه من امتي
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم
كذلك وفي صحيح البخاري وهم بالشام ٥ وقوله تعالى ويعلمهم الكتاب
والحكمه يعني القران والسنه قاله الحسن وقتاده ومقاتل ابن حيان
وابو مالك وغيرهم وقيل الفهم في الدين والاتباع وقوله تعالى وترغب بهم
قال علي ابن ابي طلحه عن ابن عباس يعني طاعة الله والاخلاص وقال محمد
ابن اسحق ويعلمهم الكتاب والحكمه قال يعلمهم الخير فيفعلوه والشر فيتقوه
ويحبوهم بترضاه عنهم اذا اطاعوه واستعتبوا من طاعته واجتنبوا
ما سخط من معصيته ٥ وقوله تعالى انك انت العزيز الحكيم اي العزيز
الذي لا يعجز شيء وهو قادر على كل شيء الحكيم في افعاله واقواله يضع
الاشياء في محالها لعلمه وحكمته وعدله ٥

قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم

الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخره لمن الصالحين ٥
رغبت عن الشيء اذا لم تردده ورزهدت فيه ورغبتي في الشيء ورغبتي فيه
بمعنى ورجل رغبوت من الرغبه وقوله تعالى ومن يرغب عن ملة
ابرهيم اي يجتنبها يقال رغب عن هذا الامر اذا كرهه ورغبت في
الشيء اذا اردته رغبه ورغبا بالتحريك وارتغبت فيه مثله وقوله
تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وقرى رغبا ورهبا ويجوز رغبا
ورهبا ولم يقرا بهما ٥ وقوله الا من سفه نفسه اي سفه في نفسه اي صار
سفيها وقيل اي سفهت نفسه اي صارت سفيهه ونصب نفسه على
التفسير المحول وقيل سفه ها هنا بمعنى سفه ومفعول التفسير محذوف
الا من سفه الحق معناه من سفه الحق وقيل سفه اي جهل نفسه والرشد
فيها ويقال سفه فلان رايه اذا جهل وكان رايه مضطربا لا استقامه
له وقوله تعالى حكايه عن السفهاء اي الجهال وقوله تعالى ان كان الذي عليه
الحق سفيها او ضعيفا السفيه الخفيف العقل يقال استفهت الرياح
الشجر اذا استخفته فحركته وقال ابن عرفه الجاهل السفيه الجاهل والضعيف
الاحمق وقال ابن عرفه الجاهل ها هنا هو الجاهل بالاحكام لا الجاهل الاملاء

ولا

ولا ندري كيف هو ولو كان جاهلا في احواله كلها ما جاز له ان يدان
وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يعني المراه والولد وسميت سفيهه
لضعف عقلها وانها لا تحسن مباشره مالها وكذلك الاولاد ما لم يونس
رشدهم ٥ صفوه الشيء خالصه ومحمد صفوه الله من خلقه
ومصطفاه ٥ يقول رد على الكفار فيما ابتدعوه واحدثوه
من الشرك بالله المخالف لملة ابرهيم الخليل امام الحنفا فانه جرد
توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه عين ولا اشرك به طرفه
عين وبرا من كل معبود سواه وخالف في ذلك سايز قومه حتى
برا من ابيه فقال يا قوم اني برى مما تشركون اني وجهت وجهي للذي
فطر السموت والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعده وعدها اياه فلما تبين له انه عدو
لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم وقال تعالى ان ابرهيم كان امه قانتا لله
حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم
واتيناه في الدنيا حسنه وانه في الاخره لمن الصالحين ولهذا واشباهه قال تعالى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم اي عن طريقته ومنهجه فيخالفها ويرغب عنها
الا من سفه نفسه اي ظلمها بتسفيهه وشقي بدين يترك الحق الى
الضلال حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهدايه والرشاد
من حداثه سنه الى ان اتخذه خليلا وهو في الاخره من الصالحين السعدا
وترك طريقه هذا ومسلكه وملته واتبع طريق الضلال والغي وهي شقي
اعظم اي الكبر من هذا كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وكما ابو من هذا
العاليه وقتاده نزلت هذه الايه في اليهود احدثوا طريقا لست من
عند الله وخالفوا ملة ابرهيم فيما اخذوه وقد شهد لصحة هذا القول
قول الله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين امنوا والله ولي المومنين ٥

وبنى ان يعبد الاصنام وقد ثبت في صحيح مسلم عن ابن هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية
او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له ان و[illegible] وارثنا منا شكنا
شرح ويونس قال لنا حماد يعني ابن سلمة عن ابي عاصم الغنوي
عن ابي الطفيل قلت لابن عباس يزعم قومك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمل بالبيت وان ذلك سنة فقال صدقوا وكذبوا قلت وما صدقوا وكذبوا
قال صدقوا رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وكذبوا ليست بسنة
ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت
النغف فلما صالحوه على ان يقدموا من العام المقبل يعتمرون ويقيمون
بمكة ثلاثة ايام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بينه وبين
قعيقعان فاضطبع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ورملوا بالبيت ثلاثا وليست
بسنة قلت وبزعم قومك انه طاف بين الصفا والمروة على بعير وان ذلك سنة
فقال صدقوا وكذبوا قلت ما صدقوا وكذبوا قال صدقوا قد طاف
بين الصفا والمروة على بعير وكذبوا ليست بسنة كان الناس لا يدفعون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه
ولتناله ايديهم قلت وبزعم قومك ان ذلك صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا
والمروة وان ذلك سنة قال صدقوا وكذبوا ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما امر
المناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه ابرهيم ثم ذهب
به جبريل صلى الله عليه وسلم الى الجمرة العقبة فعرض له شيطان فالبوشي
الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى
فرماه بسبع حصيات فالقذلة للجبين قال يونس وثم تله للجبين
وعلى اسمعيل قميص ابيض وقال يا ابه انه ليس لي ثوب تكفني فيه غير
فاخلعه عني تكفني فيه فعالجه ليخلعه ونودي من خلفه ان
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت ابرهيم فاذا هو بكبش ابيض اقرن
اعين فقال ابن عباس لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش
قال ثم ذهب به جبريل صلى الله عليه وسلم الى الجمرة القصوى فعرض
له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ذهب به جبريل الى
منى فقال هذا منى قال يونس هذا منى الناس ثم اتى بجمعا فقال هذا

الشعر

الشعر الحرام ثم ذهب به الى عرفة فقال ابن عباس هل تدري لم سميت
عرفة قلت لا قال ان جبريل قال لابرهيم عرفت قال يونس هل عرفت
قال نعم قال ابن عباس فمن ثم سميت عرفة ثم قال هل تدري كيف كانت التلبية
قلت وكيف كانت قال ان ابرهيم لما امر ان يؤذن في الناس بالحج خفضت
له الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فاذن في الناس بالحج ٥

قوله تعالى ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم يقول تعالى اخبارا عن دعوة ابرهيم لاهل الحرم ان يبعث
الله فيهم رسولا منهم اي من ذريته ابرهيم وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة
قدر الله السابق في تعيين محمد صلوات الله وسلامه عليه رسولا في الاميين
اليهم والى سائر الامم من الانس والجن حدثنا عبد الرحمن بن مهدي
قال نا معوية بن صالح عن شعيد بن سويد الكلبي عن عبد الله بن هلال السلمي عن عرباض
ابن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمجدل في طينته وسانبئكم بتاويل
ذلك دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات النبيين
حدثنا ابو النضر وقال نا الفرج قال نا ابن عامر سمعت ابا امامة قلت يا نبي الله
ما كان اول بدء امرك قال دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه خرج منها نور اضاءت منه
والرادان او ابن نوه بذكره وشهر في الناس ابرهيم عليه السلام ولم ينزل ذكره
في الناس مذكورا مشهورا اثيرا حتى افصح باسمه خاتم انبياء بني اسرائيل
نبيا وهو عيسى ابن مريم حيث قام في بني اسرائيل خطيبا وقال اني رسول الله
اليكم ومبشر برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ولهذا قال في الحديث دعوة
ابي ابرهيم وبشرى عيسى ابن مريم وقوله ورأت امي انه خرج منها نور اضاءت
له قصور الشام فبلغ كان منها ذاته حين حملت به وقصته على قومها شاع
فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطيه وتخصيص الشام بظهور نور
اشعاعه الى شقرار دينه وشوكته بلاد الشام ولهذا تكون الشام في
اخر الزمان معقلا للاسلام واهله وبها ينزل عيسى ابن مريم اذا نزل بدمشق بالمنارة

عجبت لما تصوبت العقاب الى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت تكون لها خنيئس ولحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى الثاسيس شلت ثميلتنا البناء وقد تهاب
فلما ان خشينا الرجز منها عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها الهنا خلت لنا البنا ليس له محاب
فقمنا حاشدين الى بناء لنا منه القواعد والعراب
غداة نرفع الثاسيس منه وليس على مستنا وينثاب
اعز به المليك بني لؤي فليس لاصل منهم ذهاب
وقد جشدت هناك بنو عدي ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن اسحق وكانت الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكتسى القباطى ثم كسيت بعد البرود وكان اول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف ولم تزل على بناء قريش حتى احرقت في ايام عبد الله بن الزبير سنة ستين وفي ولاية يزيد بن معوية لما حصروا ابن الزبير وعمد نقضها ابن الزبير الى الارض وبناها على قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم وادخل فيها الحجر وجعل لها بابا شرقيا وبابا غربيا ملصقين بالارض كما سمع ذلك من خالته عائشة ام المومنين رضي الله عنها وامر بذلك كذلك مدة امارته حتى قتل الحجاج فردها الى ما كانت عليه بامر عبد الملك ابن مروان له بذلك حكى ذلك ابن هشام عن ابن اسحق واما ابن ابي نجيح

فانه ذكر عن عطاء عن ابن عباس ان ابن الزبير انما هدم الكعبة حين غزاها اهل الشام فكان من امرها ما كان تركهم ابن الزبير حتى يقدم الناس الموسم يريد ان يحربهم او يحربهم على اهل الشام فلما صدر الناس قال ايها الناس اشيروا علي في الكعبة انقضها ثم ابني بناءها او اصلح وهي منها فقال ابن عباس فاني قد فرق لي رايي فيها ارى ان تصلح ما وهى واجماع الناس على ما هي عليه منها وتدع بيتا اسلم الناس عليه وبعث عليه النبي صلى الله عليه وسلم واحجارا اسلم الناس عليها وبعث عليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان احدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدده فكيف بيت ربكم

انى

انى ستحدث بي حدثا ثم عاد على الذي فامضى الثلاث اجمع رايي ان انقضها
فيجعل بابها الى الارض ويدخل الناس من شاء اذا شاء ويمنعهم من شاء اذا شاء
حتى اذا مضى شهر او شهران قال لاصحابه انى ناظر في امر الكعبة ومجتمع
ان شاء الله ان انقضها فاصبح من الغد وقد رمي الناس بشيء من المنجنيق
فلم يصنع شيئا فلما رات الناس ذلك قالوا ان الكعبة عائذ بها فلا يهدمها
احد حتى يخرج الاعجم خرابها على يدي رجل من الحبشة فكانوا يرونه ذا السويقتين
حتى جاء ذو السويقتين فهدمها حجرا حجرا حتى القوها بالارض فجعلوا لها
اساسا فبنى عليه الناس فلما ارتفع البناء قال انى ادع فيها ما اقرها الناس عليه
فاني اخشى ان يجيء بعدي من يهدمها فيبنيها على غير اساس فجعل
في الحجر اذرعا حين ادخله في البيت ورفع بابها حتى لا يدخل الناس الا باذنه
فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بذلك ويخبره ان ابن الزبير
كان يقول سمعت خالتي يعني عائشة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حدثان قومك بالكفر
لاعدت ما تركوا منها ولان اساس ابراهيم فان خشيت ان تهدم هذا الجدار
فاسند ما بين الركنين بشيء حتى يقوم فاعجب عبد الملك ما سمع من عائشة
فاخذ ما نقص من الحجر وسد الباب الذي فتحه فنقضه واعاد الكعبة على بنيانها
وشبر في الحجر من ظهره من ناحية الحجون ستة اذرع وشبرا ثم بنى عليه
حائطه وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير فلما خرج عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي
ابن عطاء ان عن ابن عباس عن عائشة ان عبد الملك بن مروان في خلافته قال لعبد الله
ما اظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمعه منها قال
بلى انا سمعتها تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا عائشة لولا ان قومك حديث عهدهم بالكفر لاعدت ما تركوا منها فاعدها
ابن الزبير حتى ابدى اساسا ابصر الناس فبنى عليه وكان طول الكعبة
ثمانية وعشرين ذراعا فزاد في طولها عشرة اذرع فجعل
لها بابين احدهما شرقي والاخر غربي متقابلين فهذا الذي زاد في طولها
وهو الذي يقال له الحطيم وانما سمي حطيما لان الناس كانوا يحطمون
فيه حطيمهم يعني ما يهدي لها فيتركونه فيها فلا يقربه احد حتى
يقسم على ما في يده ان لو كان عنده شيء ان يرده على صاحبه
وكان الحطيم ما بين الركن الاسود والباب الذي يقابله من الحجر
الى الباب الذي يحجه الناس اليوم عن يمين الداخل الى الكعبة
وشمالها وكان الحجر كله من البيت وكان بابها لاصقا بالارض
فلما ادخل ابن الزبير ما ادخل فيها من الحجر رفع بابها ليدخل
من شاء اذا شاء ويمنع من شاء اذا شاء

نسخة الألوكة www.alukah.net

صنعنا هدمنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم
الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس التي اسس عليها ابراهيم فضوا الى حجارة
خضر كالاسنمة اخذ بعضها بعضا فاراد محمد ان يضع فيها حجرا فزعم بعض من يروي كالاسنمة
الحديث ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلته بين حجرين منها
لينقلع بها احدهما فلما تحرك الحجر انتقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك
الاساس وقال ابن اسحق وحدثت ان قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية
فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا هو انا الله ذو بكة
خلقتها يوم خلقت السموت والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها
سبعة املاك حفا لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لاهلها في الماء واللبن
قال ابن اسحق وحدثت انهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة الله الحرام
بانيها رزقها من ثلاثة سئل لاهلها اولى اهلها قال ابن اسحق ثم ان
القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنيانها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها
حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى
موضعه دون القبائل الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا واعدوا للقتال فقربت
بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي ابن كعب
ان لوى على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم من تلك الجفنة فسموا لعقة
الدم فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد
فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الروايات ان ابا اميه بن المغيرة ابن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم وكان عامئذ اسن قريش كلها قال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم
فيه ففعلوا فكان اول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا
الامين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلموا
الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية
من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو
بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه
الوحي الامين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما اراد وا قال الزبير
ابن عبد المطلب فيما كان من امر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

صنعنا

ذهب يصيد فقالت لا تنزل فتطعم وتشرب فقال ما طعامكم وما شرابكم
فقالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء فقال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم قال
فقال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم بركة بدعوة ابراهيم صلى الله عليه قال فلما جاء ابراهيم
لاسمعيل فقال له اهله اتى مطلع تركني فجافوا قبل اسمعيل من رؤية الكذ من يصلح
سلاله فقال يا اسمعيل ان الله امرني ان ابني له بيتا قال فاطع ربك قال انه امرني
ان تعينني عليه قال اذا افعل او كما قال فقاما يبني ابراهيم يبني واسمعيل يناوله
الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم حتى ارتفع البنا
وضعف الشيخ عن نقل الحجارة قام على حجر المقام لجعل يناوله الحجارة ويقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقد جاء في الصحيح ان قرني الكبش
كانا معلقين بالكعبة حدثنا ابراهيم بن ابي العباس قال انبا ابو اويس
عن الزهري عن ابن عبد الله بن عمران عبد الله بن عمر اخبره ان عبد الله بن
ابن عمر اخبره ان ابا بكر الصديق اخبره عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الم تري ان قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم فقلت يا رسول الله
الا تردها على قواعد ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا حداثان قومك بالكفر
قال عبد الله ابن عمر قال عبد الله لئن كانت عائشة سمعت ذلك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اري رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان
الحجر الا ان البيت لم يتم على قواعد ابراهيم اراد ان تستوعب الناس الطواف
بالبيت كله من وراء قواعد ابراهيم حدثنا ابن نمير قال انبا هشام وابو
اسامة قال انبا هشام المعنى عن ابيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ثم جعلتها على اساس ابراهيم
فان قريشا يوم بنتها استقصرت ولجعلت لها خلفا قال ابو اسامة يعني بابا
قال البخاري قال ابو معاوية حدثنا هشام خلفا عنى بابا حدثنا عبد الصمد
قال انبا سليم ابن حيان عن سعيد ابن ميناء قال سمعت ابن الزبير يقول لجدتي
خالتي عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لولا ان قومك حدثت عهدهم بشرك
او قال بالجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه والزقته بالارض
وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به اساس ابراهيم فذلك
الذي حمل ابن الزبير على هدمه قال يزيد وشهدت ابن الزبير حين هدمه
وبناه وادخل فيه من الحجر وقد رايت اساس ابراهيم حجارة كاسنمة الابل
قال جرير قلت لسليم موضعه قال اريكم الان فدخلت معه الحجر فاشار
الى مكان قال ها هنا قال جرير فحزرت من الحجر ستة اذرع او نحوها

ذكر قريش وبنيانها الكعبة وما جرى لها من الحوادث

مدد طويلة وفعل فيها سيول متتابعة وهي تعاد وتبنى وقد نقل معهم
الحجارة ولم تزل الخمس ولا تزال سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما الى
يوم الدين قال محمد بن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة
اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها
وانما كانت رضما فوق القامة فاراد وا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا
سرقوا كنز الكعبة وانما كان يصوب في بير في جوف الكعبة وكان الذي وجد
عنده الكنز دويك مولى لبني مليح ابن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده وتربص
قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان المحرقد بي تنفسها الى
جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان
بمكة رجل قبطي نجار فنحتوا له في اتقنهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من
بير الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانت

شبكة الألوكة www.alukah.net

ان عبد الملك بينما هو يطوف بالبيت اذ قال قاتل الله ابن الزبير حيث
يكذب على ام المومنين يقول سمعتها وهي تقول اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا عائشة لولا حدثان قومك بالكفر لنقضت البيت قال ابن الزبير لو كان
لنقضت البيت حتى ازيد من الحجر فان قومك قصروا عن البنا قال الحارث
ابن عبد الله انت الى ربيعة لاقبل هذا يا امير المومنين انا سمعته ام المومنين
تحدث هذا قال لو كنت سمعت هذا قبل ان اهدمه لتركته على بنا ابن
الزبير حدثنا بيان ابن عمرو قال انبا يزيد ابن زريع عن عوف عن
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة لولا ان قومك حديث عهد
بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما اخرج منه والزقته بالارض
وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به اساس ابراهيم فذلك
الذي حمل ابن الزبير على هدمه قال يزيد وشهدت ابن الزبير حين هدمه
وبناه وادخل فيه من الحجر وقد رايت اساس ابراهيم حجارة كاسنمة الابل
قال جرير قلت لسليم موضعه قال اريكم الان فدخلت معه الحجر فاشار
الى مكان قال ها هنا قال جرير فحزرت من الحجر ستة اذرع او نحوها

عمل وهذا ابو الدرداء رضي الله عنه كان يقول ان اشد ما اخاف على في يوم القيمة ان يقال لي ابا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت وكان رضي الله عنه يقول لو تعلمون ما انتم لاقون بعد الموت لما اكلتم طعاما على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم الى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على انفسكم ولوددت اني شجرة تعضد ثم توكل وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا قرأ يبكي حتى يغلب على عينيه مثل الشراك البالي من الدموع وكان ابو ذر رضي الله عنه يقول يا ليتني كنت شجرة تعضد وددت اني لم اخلق وعرضت عليه رضي الله عنه النفقة فقال عندنا عنز نحلبها واحمرة نتقل عليها ومحرر يخدمنا وفضل عباءة واني لخائف الحساب فيها وقرأ تميم الداري رضي الله عنه ليلة سورة الجاثية حتى بلغ ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فجعل يرددها ويبكي حتى اصبح وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت اني كبش فذبحني اهلي واكلوا لحمي وحثوا مرقي وهذا باب طويل يطول تتبعه وقال البخاري في صحيحه حوقال ابو مرزاق يحيط عمله وهو لا يشعر وقال ابراهيم التيمي رحمه الله ما عرضت قولي على عملي الا خشيت ان اكون مكذبا وقال ابن ابي مليكة رحمه الله ادركت ثلاثين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل وذكر عن الحسن رحمه الله انه قال ما خافه الا مومن ولا امنه الا منافق وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لحذيفة انشدك الله هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فيقول لا ولا ازكي بعدك احدا وقال محمد الدين ابن القيم رحمه الله سمعت شيخنا تقي الدين رضي الله عنه يقول المراد لا افتح على هذا الباب فلعل من سألني هل سماني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاريه قلبه وقد رأيت من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي سأله ان يدعو الله ان يكون من الشفعاء فقال انت من الذين دخول الجنة غير حساب فيقول ها عائشة ولم يرد ان عائشة احق بذلك من عباده من الصحابة ولكن لعله علم ما خوطب به وانتفى الباب وبها قام من لم يستحق ان يكون منهم فكان الامساك اولى والله اعلم حدثنا عبد الله بن محمد قال نا عبد الرزاق قال نا معمر عن ايوب السختياني وكثير ابن كثير ابن المطلب بن ابي وداعة بن ضبيرة

احدهما على الاخر عن سعيد بن جبير وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة فجاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله الذي امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترى احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت سمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيديها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم

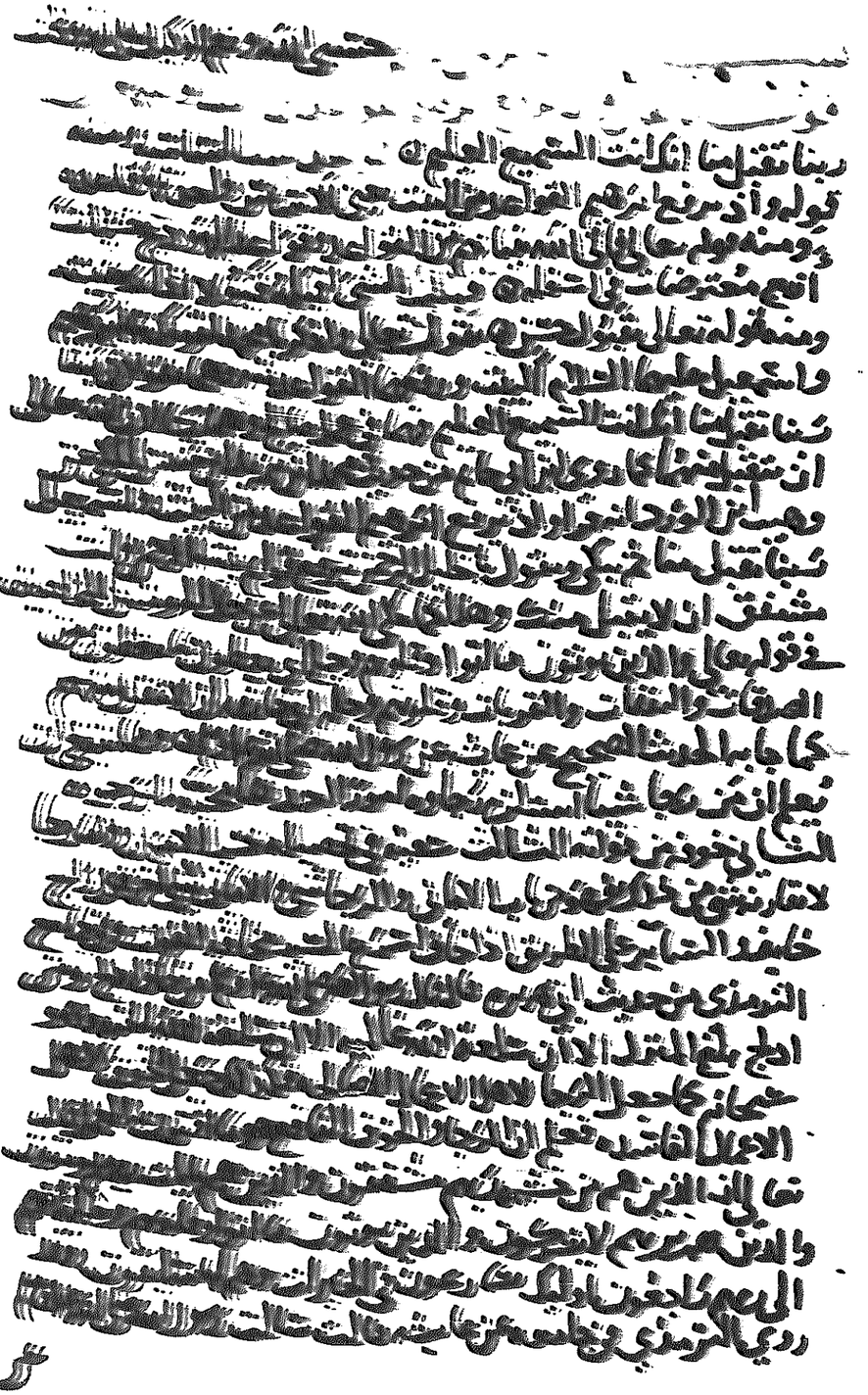

حسبي الله ونعم الوكيل على الله توكلت

ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ۝ استئنافه ومنه
قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت يعني الاساس واحدتها قاعده
ومنه قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد وقواعد الهودج خشبات
اربع معترضات في اسفله ۝ المتقبل قبول الاثابه ومنه
ومنه قوله تعالى يتقبل حسن ۝ قول تعالى واذكر يا محمد لقومك ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام اذ يرفعان البيت ويرفعهما القواعد منه وهما يقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم دعاهما في عمل صالح وهما يريان ان الله تعالى
ان يتقبل منهما كما روى ابن ابي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي عن
وهيب بن الورد انه قرا واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل
ربنا تقبل منا ثم بكى وقال يا خليل الرحمن ترفع قواعم بيت الرحمن وانت
مشفق ان لا يتقبل منك وهذا كما حكى الله تعالى عن حال المومنين المخلصين
في قوله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي خائفه ان لا تقبل منهم
كما جاء به الحديث الصحيح عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ ومما ينبغي ان
يعلم ان من رجا شيا استلزم رجاوه امورا احدها محبة ما يرجوه
الثاني خوفه من فواته الثالث سعيه في تحصيله خبا الامل وامارجا
لاقارنه شيء من ذلك فهو من باب الامانى والرجا شيء والامانى شيء آخر فكل راج
خائف الشارع على الطريق ذاهب خائف الشرع الشريف مخافة الفوات وفي جامع
الترمذي من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وهو
سبحانه كما جعل الرجا لاهل الاعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لاهل
الاعمال الفاسدة فعلم ان الرجا والخوف النافعين هما اقترنا بالعمل ل
تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم
الى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقد
روى الترمذي في جامعه عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن

عن هذه الاية قلت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا
يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون
ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات ۝ وقد روى من حديث ابي هريرة
ايضا والله سبحانه وصف اهل السعاده بالاحسان مع الخوف ووصف الاشقيا
بالاساءة مع الامن ومن تامل احوال الصحابه رضي الله عنهم وجدهم في غايه
العمل مع غاية الخوف ومن جمع بين التقصير بل التفريط والامن
فهذا
من ذكره الامام احمد عنه وذكر عنه انه كان يمسك لسانه ويقول هذا
اورد في الموارد ۝ وكان رضي الله عنه يبكي كثيرا ويقول ابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وكان رضي الله عنه اذا قام الى الصلاه كانه عود من خشيه الله وافى
رضي الله عنه بطاير فقلبه ثم قال ما صيد من صيد ولا قطعت من بهيمه الا
بما ضيعت من التسبيح ولما احتضر رضي الله عنه قال لعائشه يا بنيه اني اصبت
من مال المسلمين هذه الكعكه وهذا الحلاب وهذا العبد فاسترع يدي الى ابن الخطاب
وقال والله لو ددت اني كنت هذه الشجرة تاكلني الدواب ۝ ومر
ابا بكر رضي الله عنه قال وددت اني خضرة تاكلني الدواب ۝ ومر
فرا سورة الطور حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع
بكا واشتد بكاه حتى مرض وعاده وقال لابنه وهو في الموت ويحك ضع خدي
على الارض عساه ان يرحمني ثم قال ويل امي ان لم يغفر لي الا ثم مضى وكان رضي الله عنه
يمر بالايه في ورده بالليل فتخفق فيبقى في البيت اياما يعاد لحتوبه مرضا
وكان في وجهه رضي الله عنه خطان اسودان من البكا وقال له رضي الله عنه ابن
عباس مصرا الله بك الامصار وفتح بك الفتوح وفعل وفعل فقال وددت اني
اخوا لا اجر ولا وزر ۝ وهذا
وقف على القبر يبكي حتى بل لحيته وقال لو اني بين الجنه والنار لا ادري اني
يومر بي لاخترت ان اكون رمادا قبل ان اعلم الى اعلاهما اصير ۝ وهذا
وبكاوه وخوفه وكان شديد خوفه من اثنين طول الامل
واتباع الهوى وقال رضي الله عنه فاما طول الامل فينسي الاخره واما اتباع الهوى
فيصد عن الحق الا وان الدنيا قد ولت مدبره والاخره مقبله ولكل واحد منهما بنون فكونوا
من ابناء الاخره ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا

شبكة الألوكة www.alukah.net

NOTHEQUE

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيـــــم رقم / ١ /

اجازة بتصوير محضوظ عن النمـــــبر رقم / ٥٥٠ /

التاريخ ٤ / ١ / ١٩٦٠

القائم بأعمال التصـــــوير

أمين عار

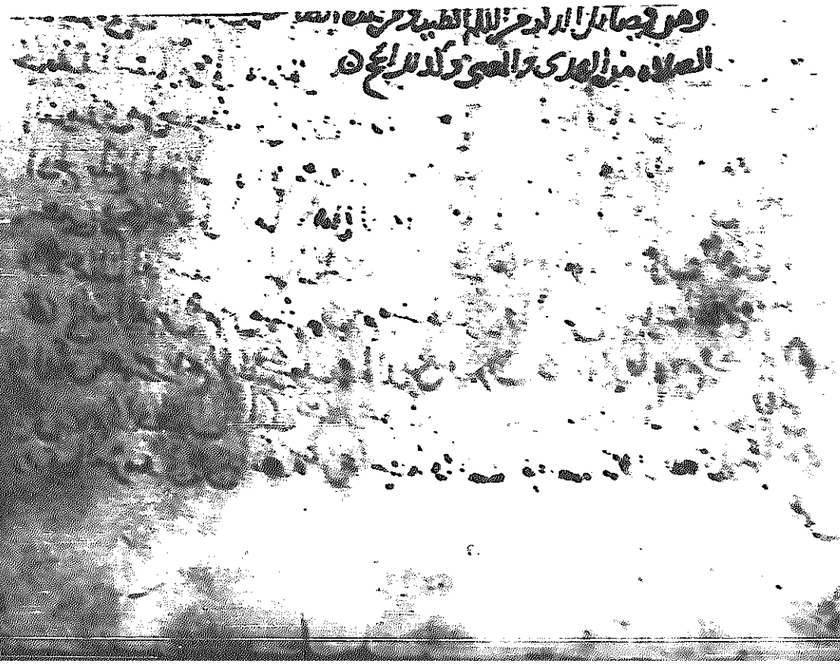

شبكة الألوكة
www.alukah.net